

كِتَابُ

الِقَوْلِ الْفَضْلِ

﴿ فيما لبني هاشم ﴾
وقريش والعرب من الفضل
« تاليف »

الفقيه لعفو الله ورحمته علوي بن طاهر بن عبد الله
الهدار الحداد العلوي
عفا الله عنه
آمين

قال صلى الله عليه واله وسلم بغض بني هاشم والانصار كفر وبغض العرب نفاق
رواه الطبراني وقال صلى الله عليه واله وسلم من يرد هوان قريش اهان الله اخرجه
احمد وابن ابي شيبة والعدني والترمذي وحسنه والطبراني وابو يعلى والحاكم في
المستدرک وابو نعيم وتمام الرازي وغيرهم وقال صلى الله عليه واله وسلم والله لا يدخل
قلب رجل ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي يعني اهل البيت قال الترمذي حديث حسن
صحيح واخرجه احمد والحاكم في صحيحه وطراد وابن ماجه والبخاري ومحمد بن نصر
المروزي والطبراني في الكبير والابوسط وابن عساكر والخطيب والرويانى وابو
داود الطيالسي بالفاظ متقاربة من طرق متعددة

﴿ الجزء الأول ﴾

كِتَابُ الْقَوْلِ الْفَصِيحِ

﴿ فيما لبني هاشم ﴾
وقريش والعرب من الفضل
« تاليف »

الفقيه لعفو الله ورحمته علوي بن طاهر بن عبد الله
الهدار الحداد العلوي
عفا الله عنه
آمين

قال صلى الله عليه واله وسلم بغض بني هاشم والانصار كفرة وبغض العرب نفاق
رواه الطبراني وقال صلى الله عليه واله وسلم من يرد هوان قريش اهانته الله اخرجه
احمد وابن ابي شيبة والعدني والترمذي وحسنه والطبراني وابو يعلى والحاكم في
المستدرک وابو نعيم وتام الرازي وغيرهم وقال صلى الله عليه واله وسلم والله لا يدخل
قلب رجل ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي يعني اهل البيت قال الترمذي حديث حسن
صحيح واخرجه احمد والحاكم في صحيحه وطراد وابن ماجه والبعوي ومحمد بن نصر
المروزي والطبراني في الكبير والاوسط وابن عساكر والخطيب والرويانى وابو
داود الطيالسي بالفاظ متقاربة من طرق متعددة

﴿ الجزء الأول ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم *
اللهم لك الحمد واليك المَشْكى وبك المِستغاث وانت المِستعان
ولا حول ولا قوة الا بك .

نحمدك اللهم على ما علمت من الدين ، واوضحت من سبل
اليقين ، وكشفت من شبهات الباطل والتزيين . وابنت من
دلائل التثبيت والتمكين ، ببعثة رسواك الصادق الامين :
الذي بعثته في الاميين ومن الاميين . رحمة سابعة للعالمين ،
وجهة بالغة للمحقين وعلى المبطلين ، حين عشت من الناس
بصائرهم ، واسودت بظلم الظلم ضمائرم ، ومرجت بالبغي
عهودهم ، وانحلت بالغي عقودهم ، واستعرت نار الفتن . واستحكمت
حلقات الحن ،

اللهم الله عليه وآله وسلم برهاننا منك ونورا مبينا ، وحصنا
ودليلا بالحق للحق هاديا ، وشهيدا

بالبلاغ على الخلق زاكيا ، ومبشرا بالجنة والمنة ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فبلغ صلى الله عليه وآله وسلم صادق الدعوة ، وكشف عن الافئدة جلابب العشوة (١) ، واحكم عمرى الاسلام عروة عروة ، وتقض من الباطل مرائر (٢) القوة ، حتى اصبح الدين راسية دعائه ، راسخة قوائمه ، مشيدة اركانه ، عامرة اوطانه ، ثم اختار الله لما عندنا ، واجتبالا لما ادخر له واعد له ، فى ديار المقامه ، ومنازل الكرامة .

ولم يدعنا صلى الله عليه وآله وسلم هملا لانرجع الى هداية ، ولانستعصم بحراسة ورعاية * كلا . بل ترك لنا ثقلى امانة ونجاة ، وحبلى عصمة وتقاة ، ثقل امرهما ، جليل خطرهما ، عظيم خيرهما ووفرهما ، امرنا بالاستمسك بهما ، وناشدنا الله فى ثانيهما ، واخبرنا انهما قرينان لا يتفرقان ، وحليفان لا يختلفان ، اولهما كتاب الله فيه الحق المبين ، ونجاة المعتصمين * وثانيهما اهل بيته بقية ذرئى النبیین ، وعتره الطيبين الطاهرين *

(١) العشوة بالضم والفتح والكسر الامر الملتبس وان يركب امرا بجهل لا يعرف وجهه مأخوذ من عشوة الليل وهى ظلمته . اه نهائه
(٢) قال فى الاساس وعندى مرير ومريرة جبل محكم اه

فلم يزل بنا غول البغي الذي هلكت به الامم السابقة ، واتباع
سنن من قبلنا الذي وعدت به هذه الامة اللاحقة ، أن انهمك
اكثرها في التفرق عن الكتاب بالاختلاف والتأويل ، وضروب
من اللي والتعليل ، حتى خفي الحق بين ظلمات الاضاليل ،
وعادت الامة شيعاً يرمي بعضها بعضاً بالتكفير والتضليل ، سنة
الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ؛؛؛

وبسط بعضها ايديهم الى العترة بالظلم والتجريح والتقتيل ،
والتطريد والاسار والتغليل ، بلاء الشنأة والغل والغليل (١) ، فبدلوا
فيهم نعمة الله كفراً ، واوسعوا عهد رسول الله غدراً ، هذا *
وقد ابلى اليهم صلى الله عليه واله وسلم في ذلك عدراً ؛ وقدم
اليهم ذكراً ونذراً ، ونهياً وامراً ، فجعلوا تركته (٢) رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم ومنشوداً ووديعته (٣) غرضاً يرمى
حتى رثت لهم القلوب القاسية ، وورقت لهم الافئدة العاتية ،
وخصومهم لا يزدادون الاغيظا وعتبا ، ولا يحملون لهم الا بغضا

(١) بلاء بفتح فسكون اي دع الشنأة الخ فانها اقل افعالهم الخبيثة والغليل شدة
الغيظ والوجد والعطش والمراد هنا الاول اه مؤلف
(٢) تركته اهل بيته لقوله صلى الله عليه واله وسلم اني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي اه مؤلف

(٣) عترته اقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمه الخ ومنشوده اي مسؤله لانه
صلى الله عليه واله وسلم تشدهم الله في عترته اي سألهم بالله في رعاية حقهم اه مؤلف

ونصبنا ؛ حتى غضب جبار السماء مما يفعل جبابرة الارض ، فأنزل
بهم النقم الحواصد ؛ والقوارع الصوارد ؛ والدواهي القواصد ؛
والشدائد تتلو الشدائد ، فهلكت منهم طوائف ، وخلف عنهم خلائف ،
فلا الاول اذكر وارتدع . ولا الآخر اعتبر واستمع ؛

هذا وسوط النعمة مرسل عليهم شؤبوا بعد شؤبوب ، والهوبا
يلحقه الهوب ، ليرجع الباغي عن بغيه ، وينثني الغاوي عن غيه ،
فستغيثك اللهم لما نزل بنا وبقومنا فقد انتكثت القوى ،
وغلب الهوى ، واعضلت الادوى ، وعمت البلوى ، وصارت
الامة هشيما تذروا رياح الفتن ، وتبددلا عواصف المحن ،
وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته ، ونشرا لتباعه رايته ،
واستحكم عمودلا ، واستجمع طريدلا ، وحذق وليدلا ، وضرب
بجرانه ، وادلى بيهتانه ، والامة لاهية ، والامقاتل بادية ، والشغور عارية ،
والمرابيء (١) خاوية ، وجنودلا غاوية عاتية .

فاتح له اللهم من الحق يدا حاصدة ، ونقمة راصدة ، وبلية قاصدة ،
تجدسنامه ، وتنكس اعلامه ، وتستأصل اغتامه ، وتكشف عناقاتمه ،
وتطمس دعوته ، وتدرس بذرتيه .

ونستعينك على ما وجهنا اليه عزمنا من نصر الحق المهضوم ،

(١) المرابيء جمع مربأة وهو موضع الطليعة والرقيب الذي يرقب العدو

ورد الخطأ الموهوم ، ودمغ الباطل فاذا هو مهزوم ، بالحجج القاطعة ،
والدلائل الناصعة ، والنقول الجامعة ، على ما بنا من قصر الباع والذراع ،
وقلة العلم والاطلاع ، وعدم الانصار والاتباع .
واعذنا اللهم من حسود تفور سخائمه ، وتشور عاصفة سماءه ،
يتضرم حقدا ، ويتلهب وقدا ، يعرف نعمة الله ثم ينكرها ، ويلبسها
غبطة ثم يكفرها .

اللهم وصل وسلم ازكى صلاة وسلام ، على اعظم قدوة وإمام ،
نبي الايمان والاسلام ، ورسول الشريعة والاحكام ، الهادي بالوحي
والالهام ، والصادع بنور الحق ظللمات الاوهام ، والرافع بالنشر
والنصر راية الدعوة والاعلام ، محمد سيد الانام ، وخيرة البررة
الكرام ، وعلى اله دعاة السلام ، وجلالة الظلام ، وصحبه
الاعلام ، واتباعه في الاقدام والاجام .

﴿ اما بعد ﴾ فقد روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف
الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ؛ اخرج ابن
عدي من طريق اهل البيت وروي عن معاذ وابن عمر واسامة
بن زيد وعبد الله بن مسعود وابي امامة الباهلي وعبد الله بن عمرو
سرفوعاً وعن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلًا وقال الامام

احمد هو صحيح وهو عند ابن عدى والخطيب وابن جرير والطبراني
والخلال وتمام الرازي وغيرهم ،
فدل هذا الحديث على انه سيكون في كل جيل حملة عدول
لما جاء به صلى الله عليه واله وسلم من العلم ينفون عنه ثلاثة امور
تحدث فيه ، تحريف من الغالين ، وانتحال من المبطلين ، وتأويل
من الجاهلين ، وقد وقع جميع ما اخبر به صلى الله عليه واله وسلم
من التحريف والانتحال والتأويل من قديم الزمان ولا يزال يقع
الى اليوم ولن يزال كذلك مادام على وجه الارض غال ومبطل
وجاهل ، ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم ،
ونحو هذا ما اخرج الطبراني في الاوسط عن ابي جعفر الفراء مولى
امير المؤمنين علي عليه السلام قال شهدت مع علي النهروان فلما
فرغ من قتلها (١) قال اطلبوا المخرج فطلبوا فوجدوه في
وهدة من تن الرياح في موضع يدلا كهيئة الشدى عليه شعرات
فلما نظر اليه قال صدق الله ورسوله فسمع احدي ابيه اما الحسن
او الحسين يقول الحمد لله الذي اراح هذه الامة من هذا العصابة
فقال علي عليه السلام لو لم يبق من أمة محمد الاثلاثة لكان احدهم
على رأى هؤلاء انهم لني اصلاب الرجال وارحام النساء ؛ فلا

(١) كذا في الاصل ولعله من قتلهم اى الخوارج

مطمع اذاً في خلو زمن من الازمنة من الغلاة المحرفين ، والمبطلين
المنتحلين ، والجاهلين المتأولين ، ولامن الخوارج كلاب النار ؛
أما الشأن كله في كشف شبهاتهم ، وردضالاتهم ، ممن
قدر على ذلك من حملة العلم العدول الحقنا الله بهم في خير
وعافية آمين

﴿ الكلام على معنى هذا الحديث . وذكر تحريف الغالين ﴾

اعلم علمك الله انه قد جاءت هذه الامور الثلاثة الموعود بها
مرتبة في سياق الحديث على قدر عظم ضررها في الدين ،
وسوأثرها في افساد العلم ، وقد بدأ بتحريف الغالين ، والتحريف
هو حالة الشيء عن موضعه الى جانب من جوانبه ، والحرف
هو الجانب والغلاة جمع غال وهو المجاوز للحد المنتطع في الامر ،
فالغلاة يميلون الادلة العلمية عن صوب المعنى المراد الذي تدل
عليه ، بضروب من التحريف فقد يحرفون الفاظها بجملةم لها
على غير ما وضعت له بالاستخراجات البعيدة ، او بأضافة قيود
او حذفها ، او التصرف في مراجع الضمائر ، او الزيادة في
الالفاظ او الحذف منها ، او اسانيدھا بالتصحيح على غير وجهه
او التضعيف كذلك او بالتجويد ، او بايراد اضعف حديث في

الباب ليسهل عليه ردا والظعن فيما سواه ، او التغيير في وجه الصحيح به ، فكل هذا تحريف اما مباشر لنفس الادلة او غير مباشر كالذي يكون في الاسانيد ، وسر اضافة التحريف الى الغالي ووقوعه منه ولصوقه به ان الغالي قد تجاوز الحد ، وخرج عن صوب النهج ، فالعلم بعيد عنه ، وهو منحرف عن سبيله ، فلذلك يمتثل له بتحريفه والميل بادلته الى جانب ، متصرفا فيه بانواع التلاعب ، ليتخذ من ذلك سندا يستند اليه ، ووجها يعتمد في جداله عليه ، وبلية الدين واهله بالمحرف عظيمة لانه قصد الى نفس الادلة الفاظها ومعانيها ، فافسدها وتصرف فيها وهي عين الآلة الموصلة الى الحق ، ونفس الوسيلة المبلغة اليه ، فهو كمن عمد الى النور الذي ارسل الله به محمدا صلى الله عليه واله وسلم فاقام قبله الموانع ، وضرب دونه الاسداد ، ليصد عن حقيقته الافهام ، ويحجب ضوءه عن الابصار ، ويمنع وجه الهداية به ، ويفسد طريق الدلالة عليه ، وهذا من اخبث شيء واضره ، وهو من نوع الافتراء على الله وعلى رسله ، وتبديل وحيه ودينه ، فلذلك جاء اولا في السياق ، تنبيها على عظم ضرره ، وسؤ اثره ، واستطارة شره في الناس ، وقد منيت الامة بمن لا يحمي من الغلاة المتعصبين فحرفوا معاني الكثير من الايات والاحاديث ، وصرفوها الى مذاهبهم

وارائهم عن مدلولاتها الحقيقية ، بأنواع التحريفات اللفظية
والمعنوية ، اتباعا للهوى والعصية ، وغلوا في حية الجاهلية ،
﴿ تحريف الهزء والسخرية ﴾

فمن التحريف اهدار بعض الفاظ القرآن او الحديث وجحد
ما يدل عليه ، او يشير اليه ، كما فعل صاحب الكتاب الذي
نرد عليه في قوله تعالى وكان ابوها صالحا فانه قال انما هو
خبر من الاخبار اخبرنا الله به في معرض القصة ليس هو سبب
حفظها ولا سبب حفظ ما لها وسيأتي ذكر ذلك وهذا قول مخالف
لاقوال ائمة التفسير وللقواعد العربية وفيه تجويز ان يكون في
كتاب الله ما ليس له فائدة ولا فيه عبرة وكقوله في حديث آية
التطهير وتغطية رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لاهل بيته اهل
الكساء به ان ذلك انما كان من أجل البرد ، وهذا تعليل بغير
الظاهر وبغير ما يدل عليه امثاله من الاحاديث الواردة في شان
التبرك بآثاره صلى الله عليه واله وسلم وما تعلق به ،

بل ما هذا الاهزء وسخرية اذا فلم طلبت ام سلمة رضي الله عنها
ان يأذن لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنو منهم
والدخول معهم فيه ، افما كان حرصها الشديد على ذلك الامحبة
للدفاء وهربا من البرد ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، والحق ان

الحكمة فيه تأكيد مقتضى الاشارة من التعيين بفعل حاصر مؤكد ،
كورود الاشارة بالمسبحة عند كلمة الشهادة لتأكيد التوحيد ،
ولا يخفى ان في اشتماله صلى الله عليه واله وسلم بثوبه الشريف
مع قوله هولاء اهل بيتي من التعيين والحصر المؤكد ما ليس في
سواه ، فهو بمثابة الحد الجامع المانع ، وقد فهمته ام سلمة رضي الله
عنها فحرصت على الدخول معهم لذلك ، وان تبدل فيه من
ليس له فطنتها ولاعر وبيتها وعر بيتها ، وفيه معنى آخر سيأتي
ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ كلامه في اية التطهير بما يستلزم الطعن في اهل بيت رسول ﴾
﴿ الله صلى الله عليه واله وسلم وازواجه واصحابه واستلزام ذلك لسبه ﴾
﴿ صلى الله عليه واله وسلم ﴾

وقد رأيت في موضع آخر يقرر ان المخلطين من اهل الذنوب
الذين ادوا الزكاة قد تحققت طهارتهم ، وفرق بينهم وبين اهل
البيت لانهم انما حصل لهم مجرد دعاء منه صلى الله عليه واله
وسلم ، فمقتضى كلامه ان عليا والحسن والحسين وامهما فاطمة
الزهراء البتول على مشرفهم وعليهم الصلاة والسلام لم تتحقق
طهارتهم (حاشاهم) وذلك هو معنى فرقه بينهم وبين المخلطين
من اهل الذنوب

ويلزمه ان زوجات رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الطاهرات
رضي الله عنهن وارضاهن لم تتحقق طهارتهن ايضا (حاشاهن)
لا سيما وقد زعم ان آية التطهير انما نزلت فيهن وهي
عنده لا تقتضي التطهير ، وايضا فلا خلاف ان عليا وفاطمة
من السابقين الاولين من المهاجرين وان عليا والحسن من
الخلفاء الراشدين وان الحسن والحسين على جدتها واييها وامهما
وعليهما الصلاة والسلام سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير
منهما كما في الحديث وهما بعد من الصحابة الذين اتبعوا
السابقين منهم باحسان فسيبيلهم واحدة ، والقول فيهم هنا
وفي بقية الصحابة من السابقين والتابعين لهم منهم من المهاجرين
والانصار واحد ، فلئن لم تتحقق طهارة اهل البيت لان الذي
حصل لهم انما هو مجرد دعاء (كما زعم) فلئن لا تتحقق طهارة
غيرهم اولى لانه لم يحصل لهم حتى ذلك الدعاء ، وكلامه هذا
وما يستلزمه وينبئ عليه منقوض بما لا يحصى من الآيات
والاحاديث وبالاجماع . وكيف يكون الخلفاء الراشدون والسابقون
الاولون افضل الامة وليسوا بمحقي الطهارة ، بل طهارة
المخلطين المؤدين للزكاة اثبت ؟ ! اذاً فليكن هؤلاء هم افضل
الامة !! وعلى قوله بعدم تحقق طهارتهم يكون خبثهم ممكنا

عنده هكذا يقتضى قوله ، ونبراً الى الله مما يقول ويتدع
وذلك انه اذا نفي التحقق عن طهارتهم ، فقد اثبت خبثهم
راجحاً او مرجوحاً ، ويستلزم قوله حينئذ ان يكون جميع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وازواجه واهل بيته مضمون له
خبثهم لم تتحقق عنده لهم طهارة ولم يقل بهذا مسلم !!!
وهذا سب لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم فظيع ولم يبلغ
دعاة النصرانية ان يسبوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واهل
بيته وازواجه واصحابه الا بمثل هذا اودونه ونستغفر الله ونتوب
اليه من تسطير مثله ونقله فما مقصودنا الا التحذير منه ومن
نحلته وبيان ما يبلغ التحريف باهله من الغلاة وما يلجئهم اليه
الغلو في الاهوية من الدخول في جحر الضب
وقد كنت فى شك من قصده لما ذكرته لا تخيل مسلماً يقول
ذلك حتى وقفت على رسالة لبعض اصحابه يستدل فيها على
كفر سيدنا العباس وامير المؤمنين علي عليها السلام ويورد فى
ذلك احاديث لا توجد فى كتب المسلمين ، لا أدري أوضعها له
ابليس ام احد من اعوانه فعلمت ان الخطب اجل مما كنت اظن ؛
وان هذه العصا من تلکم العصية ، لاتلد الحية الاحية ،
وكما حكى لنا الثقة عن بعضهم انه رمى رسول الله صلى الله عليه

واله وسلم بالتعصب وهذا كفر صريح ، وقال آخر منهم
اللاترون الى هذا الجزولي الخام (١) له سبعمائة سنة يلعب
على الناس اللهم صل على محمد اللهم صل على محمد اه وقد اذ كرني
هذا بما حكاه لي احد اهل بيحان (٢) وكان قد مكث ستة اشهر في
مستشفى اقامته بعض جمعيات الدعوة الى النصرانية بقرية الشيخ
عثمان بقرب عدن لجرح كان به ، قلت له ماذا يقول لكم الطبيب
الراهب (وهم يسمونه المغوي) قال انه يقرأ لنا كل يوم فصلاً
من الأنجيل ويدعو للمسلمين ويقول كذا وكذا (وساق
عقيدة التثليث) ويقول لنا لماذا تقولون لا اله الا الله ، لا اله الا الله
كل يوم ، قولوها مرة كل سنة يكفكم اه فهذا من ذلك
والباطل يشبه بعضه بعضا ،

ومن ذلك تفسيره المعدن في حديث «الناس معادن» بنفس الذهب
والفضة ونحوهما ولم يقل هذا احد من علماء العربية ولاشراح
الحديث وانما المعدن عندهم منبت الجواهر من ذهب ونحوه
اي مواضعها التي تستخرج منها ، وفسره بما تقدم ليصح له
نفي دلالة الحديث على وجود المعادن الكريمة والاصول الزكية ،

(١) مراده بالجزولي صاحب دلائل الحيرات والخام المتن بلغة حضرموت
(٢) بيحان مخلاف من مخاليف اليمن الشرقية تصب فيه واديان وسكانه مراد
الى العطف اسفل بيحان ووراء الغائط الى مرخه اه مؤلف

ويصرفه عن صوب معناه . وحققة مرماه
ومن ذلك تبديله باسماء الثقات من رجال الاسانيد ضعفاء غيرهم
ليصح له الطعن في الحديث والحكم بضعفه واسقاط الاحتجاج به ،
وهذا منه حيلة ظريفة ومن الغريب انك لا تجد احداً منك
هذا المسلك البديع ممن تقدم من الفرق الاسلامية على كثرتها
وطول جدالها ، ولا احسبه اجترأ عليه الا لانه من التعقب
لما يرى من غلبة الجهل والاعراض عن علم الحديث واسماء الرجال
فان كان انما فعل ذلك عن جهل منه الى هذا الحد فالمسئلة
اظرف واتحف

وذلك تبديله بيزيد بن حيان التيمي ، يزيد بن حيان النبطي ،
البلخي . وبسفيان بن عيينة ، سفيان بن حسين الواسطي ،
وبأحمد بن محمد بن حبيب البغدادي ابي جعفر الطوسي ، احمد بن
محمد بن مسروق ابي العباس الطوسي مؤلف جزؤ القناعة ،
وبكاثوم الحاربي ، كاثوم بن جوشن ، وبالوليد بن مسلم ، الوليد
بن سلمة ،

هذا مع انه لم يتكلم الا على نحو اربعة احاديث فما بالك به لو تعرض
لاكثر من ذلك اذاً لوجدناه قد قلب هذا الفن رأساً
على عقب

﴿ انتحال المبطلين ﴾

واما الانتحال فهو ان يدعي امرا لنفسه وهو لغيره يقال
انتحل شعر فلان اذا ادعاه لنفسه وهذا يأتي على وجوه ،
وذلك ان يدعي انه على الحق وليس كذلك ، او ان
الادلة معه فيما يدعيه ، او انه من الدعاة المصلحين
وورثة سيد المرسلين ، وخلفائه في نشر الدين ، وهو من
المبطلين المنتحلين ، الضالين المضلين ، ولما كان المبطل عاريا
عن العلم والحق خليا عن حقيقة الفقه في الدين ، تدل شأله
وبوادر اقواله واعماله على حقيقة قصده ، وغاية ما عندا ، قد
كذبتة شواهد الامتحان ، وخت دعاويه عن دليل وبرهان ،
كان من المناسب اضافة الانتحال اليه وهو به اليق والصدق ،
وعليه اوقع واصدق ، ولما كان انتحال المبطلين وادعائهم ما ليس
لهم يتلو التحريف في الضرر والتفجير بالامة ثنى بذكره في
الحديث ، وذلك ان شأن العامة تصديق الدعاوي العريضة
والاغترار بالمنتحلين وسرعة الانخداع لهم لمكان الغرارة والجهل
منهم وغلبة ذلك عليهم ، ويشتد فيهم الميل بالطبع العامي الى
من يقاربهم في طباعهم وافكارهم ، وقد عظم الضرر بالمتنبئين
والدجالين والمنتحلين ما ليس لهم كالمدين للمهدوية والمسيحية

والامامة في الدين والاجتهاد فيه ونشأت عن ذلك فتن عظيمة
وضل بهم عالم كبير من الناس اغتراراً بهم ، لانتحالهم سعة العلم
والمواقفة للحق وادعائهم سعة الاطلاع على الفنون وحل المشكلات
وازدادات الامة بسببهم اختلافاً وافتراقاً ، وضعفاً وشقاقاً . وامتلات
منهم الارض كذباً ونفاقاً . وعاد الدين غريباً كما بدأ ، ويغلب
ان تعظم الدعوى من كل ناقص في العلم قصير الباع فيه ،
وقد قال الشعبي العلم ثلاثة اشبار شبر منه من عرفه ظن انه
عرف كل شيء ، والثاني من عرفه علم انه لم يعرف شيئاً ،
والشبر الثالث لا يعلمه الا الله انتهى بمعناه . فالشادون في العلم
المبتدئون فيه هم اهل الشبر الاول وهم الذين يستطيعون
انتفاعاً وانتفاعاً ، ويملئون الأفق صياحاً وصراخاً ، والعامّة
اقرب الى المخادع المبطل منهم الى الصادق المحق ، لأن الاول
يأتيهم بما يوافق طباعهم ويعظم به في اعينهم فيسرعون اليه ،
ولذلك عظمت الفتنة بامثال المقنع الجراساني والقرمطي قديماً ، وبامثال
البهاء ويسمي الباب واصحابه البابية حديثاً ، وهي ديانة جديدة ظهرت
في ارض الفرس وانتقلت منها الى سائر الجهات (١) وقد جعلها
اهل السياسة مركباً لهم يستعينون بها على تفريق الامم ليسهل

(١) هي التي يقال تيوسوفى في جهات جاوا اه

استعبادهم ، ويطول رقادهم . وقد اختلق البهائم كلاما ملقفا اشبه
شيء بهدير المجانين زعم انه قرآنه . وادعى انه ربهم ولا تزال
الربوبية تنتقل في اتباعه ربا بعد رب (تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا) ومثله في عظم الفتنة به احمد القادياني الذي ظهر بالهند
وزعم انه المسيح ولا تباعه نشاط في نشر نحلتهم ودعوة منظمة
في اقطار البلاد ، وامرهم ظاهر الفساد ، ومثل حسن الضالعي
الذي ظهر في جبال يافع ودعاهم الى تأليه المخلوقات وانكار
الخالق ، وقد انتشرت دياناته الكفرية وله اتباع في عدن والحبشة
لقيت منهم غير واحد وهم اوراد من قوهم (انا الله) ونحو ذلك
وشرح امره يطول ، وقد ردنا عليه كما رد عليه غيرنا كالشيخ
العلامة سالم بن عبد الرحمن باصهي الشبامي والشيخ العلامة المحقق
عبد الرحمن بن احمد باشيخ الدوعني واحسب انه يصدق عليه انه
دجال حمير الذي جاء ذكره في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول بين يدي
الساعة كذابون منهم صاحب اليمامة ومنهم صاحب صنعاء العنسي
ومنهم صاحب حمير ومنهم الدجال الاكبر وهو اعظمهم فتنة
قال جابر وبعض اصحابي يقول قريب من ثلاثين كذابا رواه
الامام احمد في المسند وابن ابي شيبة : وسرو حمير موضع قريب

من الجبل ، ويقال ان على مثل نحلة حسن الضالعي رجل
بالسودان المصري له اتباع يسمى كرامة عوض او عوض
كرامة . وما ينبغي استطرادها هنا عن حسن الضالعي
انى اجتمعت بسطان الضالع سنة ست وثلاثين وثلاثمائة والف
بعدن فسألته عن حسن الضالعي واخبرته بادعائه السيادة فضحك
وقال انا اعرف الناس به وهو من رعيتى وسكان بلدي اعرف اباه
وامه ما هو الامن ضعفاء القبائل وأدنياها او كما قال ، اما رواية
الثلاثين كذابا فقد رواها البخاري عن ابي هريرة ورواها عن
غيره ابو داود والترمذي وصححه وابن حبان وهي عند احمد
وابي يعلى من رواية عبد الله بن عمرو وفي بعض روايات احمد
زيادة آخرهم الدجال الاعور وفي بعضها عن عبد الله بن عمرو
قلت ما آيتهم اي علامتهم قال يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها
يغيرون بها سنتكم فاذا رأيتوهم فاجتنبوهم ، وهي عند ابي يعلى
زاد الطبراني وعادوهم واخرج احمد في المسند عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيكون في امتي دجالون
كذابون يأتونكم ببدع من الحديث بما لم تسمعوا انتم ولا ابائكم
فاياكم واياهم لا يفتنونكم ، واخرج ابو داود عن عمران بن الحصين
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من سمع بالدجال فليأمنه

فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من
الشبهات او لما يبعث به من الشبهات ورواه ايضا الامام احمد والحاكم
عن عمران وقوله فلينأ عنه اى فليعد عنه وليجتنبه ، وذلك ان الدجالين
يأتون بشبهات تشبه الحق وتظهر بكسوته وتتلون بلونه ، ومن
القلوب ما يكون مخلصا مستعدا للشبه . فاذا سمعها علقته بأيسر مؤنة
ثم لا يقدر على التخلص منها ابدأ فيهلك مع الهالكين . لاسيما
ان كان عندا شيء من التحذلق وادعاء الذكاء والعقل والمعرفة
والعجب بالنفس والرضا عنها . فما اسرع وقوع هذا النوع في البدع
والشبه . وما اكثرهم لا اكثرهم الله . وقد اخرج الحاكم في المستدرک
عن حذيفة لتنتقضن عرى الاسلام عروة عروة وليكونن ائمة
مضلون وليخرجن على اثر ذلك الدجالون الثلاثة . فاما انتقاض
عرى الاسلام فقد وقع ولم يبق اليوم مكان تنفذ فيه احكام
الشريعة الا في قطعة من ارض العرب . وبقية شرق الارض وغربها
انما يحكم فيها اليوم باحكام القانون المستمد من آراء قوم من اهل الملل
الاخري . وما بقي من رسوم الدين فقد شمر لمحوه المتفرنجون
والملاحدة . واما الائمة المضلون فقد وجد منهم من افسد
البلاد والعباد

وهل افسد الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها

واما الدجالون الثلاثة فلعل احد هم الباب معبود البهائية ، وثانيهم
احمد القادياني متنبئ الخوجية الكمالية ، واما ثالثهم فيحتمل
ان يكون الضالعي او غيره ويحتمل ان يكون المشار اليهم في
الحديث غيرهم . وان كان هولاء من الدجالين بلاشك وكل
هولاء الدجالين ممهدون للدجال الاكبر فيأتي وقد فشى
في الأمم تأليه المخلوقات ، فذلك تعظم استجابة الناس له ،
ويطبقون على اتباعه حتى ورد انه لا يبقى حينئذ على الاسلام
من اهل الارض غير اثني عشر الفا ، وقد يظن بعض من
لابصيرة له ان الدجالين لا تكون لهم كتب تنشر ، ولا اقوال
تؤثر ، ولا اتباع تمتد ايامهم ، وتنتقل فيهم نحلهم وبدعهم وضلالهم ،
وهو غلط نشأ عن سوء فهمهم ، فكما ان دعاة الهدى قد خلفوا آثارا
وكتبا يهتدى بها ، ويشرق نور الهداية منها ، واتباعا يبلغون
الهدى عنهم ، كذلك دعاة الغواية والضلالة قد تركوا ولا يزالون
يتركون آثارا وكتبا يثور منها دخان الضلال ، ويهوي في مهاوئها
من حقت عليه الشقاوة ، واتباعا يهلك على ايديهم الهالكون ، لتتم
لكلا الفريقين الامامة في الحياة وبعد الموت ، واننا لنرى الآن من
يتعصب للخوارج كلاب النار وينتصر لهم ، ومن يتعصب للنواصب
ويحطب في حباهم ، بل ومن يتردى الى الدرك الاسفل فيؤلف

في سيرة الحجاج وزبيد بن سمية ونحوهم من فراعنة الامة مادحاهم
مقرضا لافعالهم ، فهولاء وامثالهم من اهل الشقاء سيلحقهم الله
باولئك الجبائء بسبب ميلهم اليهم ورضاهم عن افعالهم ومحبتهم لهم
والمرء مع من احب ، وقد قال تعالى في ائمة الحق : وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة
وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ، وقال في ائمة الباطل : وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون ، وذلك لتتم كلمة
العذاب على اهلها قال تعالى : وتمت كلمة ربك لاملان جنهم من
الجنة والناس اجمعين ، وانا لنقف على كتب الاتحادية وما شاكلها
فنعرف انها مقدمات ممهدة للدجال الاعور ، ولا يزال ضررها وشرها
والدعاء اليها والى امثالها يكثر وينتشر حتى يأتي الدجال والناس
مستعدون له ، والاسباب مهيبئة مجهزة فيجد احزابا تقول بقوله .
وتلتف حوله ، واذا اراد الله شيئا هيا اسبابه (نسأل الله العافية
والسلامة)

وقد يغتر بعض الناس بفهمه وذكائه فيدنو من اهل البدع يظن
بنفسه الامتناع عن شبهاتهم فلا يلبث ان يقع ويضل ولذلك امر
صلى الله عليه وآله وسلم باجتنا بهم ومعاداتهم فحسب ، والمقصود هنا
بيان ان جميع هولاء المبطلين يتحلون امورا ليست لهم ويدعون

من العلم ما ليسوا منه في قبيل ولا دير ، ولا غير ولا نفي ،
وهاتان الصفتان اعني الانتحال والابطال (١) تقع على الدجالين
والمبتدعة والخوارج والنواصب وما شاكلهم وبعضهم قد يجمع
الصفات الاربع فيكون غالبا محرفا ومنتحلا مبطلا فيعظم شره
وضرا ، وقد راينا كيف اغتر الناس بحسن الضالعي لانه
كان يطرز كلامه بكلمات من القرآن والاحاديث واقوال
الصوفية ثم يحرف معناها الى نحلته ، ويدعم بها دينه الجديد ،
وهكذا كل مبطل لا بد ان يأخذ جانبا من الحق ليدعم به
باطله ويكسوه به ،

وكل انواع هولاء المنتحلة تخترع لها من الدعاوى العريضة
ما تبهر به ابصار العامة ، وتختلب به عقولهم ، ومن اراد خداع
الناس وجد من ينخدع له ، واكثر ما يكون ائمتهم لمن سقط
الناس وجلايبهم لتكون حجة الله على متبعيهم اوضح واشهر ، ولهذا
الحكمة جعل الله النبوة والكتاب في آل ابراهيم وجعل الائمة
منهم فجعل للهدى مشارق ، وللائمة مطالع ومفارس ، ولما
الطهور منابع ، دلالة على شجرة النبوة وقطعا للسان العذر ،
والناس معادن اي مراكز مختلفة ، فمنها ما هو مراكز للذهب

(١) يقال ابطال فلان اذا جاء بالباطل اه اساس

ونحوه من الجواهر الكريمة ، ومنها ما هو مراكز للنفط والقار
وما شاكله من الجواهر الدنيئة ، وفي التاريخ شواهد عظيمة
لما ذكرناه ومن تأمل معادن بني امية وآل مروان وثقيف
وآل زياد ولصوق العظام بهم يتبع الاخر منهم الاول علم ان
الحكيم العليم يضع بحكمته وعلمه كل شيء موضعه اللائق به
من خير أو شر والله اعلم حيث يجعل رسالته ،
﴿ دعاء جهنم ﴾

ورد في الصحيح في حديث حذيفة رضى الله عنه قال كان الناس
يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير وكنت اسأله
عن الشر مخافة ان يدركني فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية
وشر فجاونا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر؟ قال نعم . فقلت
هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن . قلت وما دخنه .
قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر .
قلت هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم دعاء على ابواب
جهنم من اجابهم اليها قذفوا فيها ، فقلت يا رسول الله صفهم
لنا ، قال : نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا الحديث ، وفي
رواية انه قال في جواب سؤاله الاخير: يكون بعدى ائمة لا يهتدون
بهداى ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين

في جثمان انس الحديث، يحتمل ان يكون المراد بهؤلاء دعاة التجدد، وهم يريدون بالتجديد ترك آداب الاسلام واحكامه، والأخذ بكل جديد في الاحكام والقوانين والآداب والنكاح، وبالجملة يريدون اتباع خطوات الاجانب من الافرنج وغيرهم، وقد يريد بعضهم بالتجديد الردة وعدم التزام دين الاسلام البتة، ويسمون انفسهم انصار التجدد بدلا عن انصار الردة والعياذ بالله، وهم كثير في اقطار البلاد التي فشت فيها مدارس النصارى وبسببها اُخذوا في الدين، وخرجوا عن حظيرة الاسلام وعداد المسلمين، ولهم الفاظ يغشون بها العامة كلما بدلوا حكما من احكام الاسلام، فتارة يقولون ان هذا لاينا في روح الاسلام، وتارة يقولون ان هذا موافق لسر التشريع او للحرية والعدالة والمساواة، ومن العجب انهم يجدون من علماء السوء في كل قطر ومصر من يشايعهم على كفرهم ويؤول لهم ردتهم، وهم يفضلون ان تكون الحكومة مدنية، ويعنون بالحكومة المدنية الحكومة التي لا دين لها تلتزمه، ويخشى ان يستطير شر هذا النوع من المفسدين لقوة العوامل التي تساعدهم، فأن لهم طرقا ووسائل كثيرة لنشر الحادهم بين الناس، تارة بواسطة الجرائد والمجلات والتأليف ذوات الاسماء الغريبة، فكم من مغتر باسمائها والقابها اذا تصفحها

وجدها تظن في وجود الله اوتي صدق الانبياء او تبحث عن
الشبه الباطلة ، وتارة بواسطة الخطب في الاندية والجامع . وتارة
بواسطة التعليم في المدارس . فكم من تلميذ افسدوا ، وقلب
ظاهره نسوا ، وخلق زكي نجسوه ، وقد ساعدتهم على نشر مخازيهم
وضلالهم فشو صناعة الطبع في هذه الأزمنة . وانك لتجد كتبهم
ومؤلفاتهم مطبوعة احسن طبع على اجل ورق بمن زهيد جداً .
ومن لم يعلم السبب ادركه العجب . وسبب ذلك انه تصل اليهم
معاونة وامداد بالمال من جميعات الدعوة الى النصرانية وبعض
حكومات النصراني . لعلمهم ان نشرهم لالحادهم بين المسلمين يدعو
الى رقة الديانة وانحلال الرابطة الاسلامية . فيصلون بواسطة
هؤلاء الملحدين ، الى ما يريدون بالاسلام والمسلمين ، ومنهم
بالبلاد المصرية كثيرون معروفون . والباية هناك حزب قوي وهم
تلطف في نشر دياتهم بأوجه مختلفة ، وقد رأينا منهم رجلا
مشهوراً كتم ذات نفسه وخيثة صدره سنين طويلة يتقرب فيها
الى المسلمين بتأليف الكتب التي يظهر بها محاسن الاسلام بزعمه ،
ثم رجع القهقري فألف كتابا تقض به عرى الاسلام عروة
عروة من وجه لطيف الطف فيه الصنعة وعمى الامر فيه تعمية
بحيث لا يظن له كل احد ، بل قد جاز ذلك على بعض ذوي

البصائر المظلمة فاعجبوا به وهو كفر بواح نسأل الله العافية ،
وبسبب وصول المال اليهم من هذه الجهات وحصولهم عليه قدروا
على النشر والتأليف والطبع ، مع ما هو معلوم من طباع البشر من شدة
حرص ذوي النحل الباطلة والبدع العاطلة على بث دعوتهم . وتبليغ
نحلتهم ، وكذلك زينا لكل امة عملهم ، فمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ،
ودوا لتكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، وغرضنا هنا التحذير منهم فانهم
كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، ومن
العجب انك لا ترى من علماء المسلمين من يعتني بالرد عليهم والتكذيب
لهم الا فراداً قليلاً ، وما هذا الا لمريراد ، نسأل الله العصية ،

﴿ مداخل الشيطان ﴾

وتجد هؤلاء الدعاة دعاة الفتنه والردة ، ودعاة البدعة والفرقة ، ياتون
من خذل له الله بهم من الطرق والابواب التي يأتهم منها الشيطان ،
ويدخلون عليهم من مداخله من التزيين والتمنية ، واثارة ما يجرى فيهم
حمية الجاهلية ، ويبعث دفائن العصية ، ويملاً مناخرهم كبرا وعجبا وتيسها
وبطرا للحق وغمطا للناس ورضاء عن النفس حتى لا يقبلون الحق ممن جاءهم
به آييا كان ولا يلتفتون اليه ، ومع ذلك فهم اشد فرحا بامامهم الضال
من الجمل بدخروجه . وتراهم ينظرون اليه وهم لا يبصرون ؛ وأن
اسرع الناس الى مدارج الفتن وغمرات الضلالة دهماؤهم وانماهم

وقلوبهم اشد القلوب استعداداً لهذه الخدائيع لقلّة ذوي البصيرة
فيهم وغلبة الجهل عليهم ، وعدم فهم مسالك الحجج والدلائل ،
وفرقان ما بين الحق والباطل ، ومن قلب اسفار التاريخ ورأى
كيف انتشرت البدع في الغوغاء والرعاغ ، والاشاب والاوزاع ،
وكيف عظمت المصيبة بهم على الدين واهله ، وصل الى برد اليقين فيما
قلناه ، وذكر ابو منصور البغدادي مداخل الباطنية في ترويح فنتهم
واصناف من تروج عليه فقال «احدها العامة الذين قلت بصائرهم
باصول العلم والنظر كالنبط والاكرادوا ولادالمجوس* والاصنف الثاني
الشعوية الذين يرون تفضيل المعجم على العرب ويتمنون عود
المملك الى المعجم * والاصنف الثالث اغتام بني ربيعة من اجل
غیظهم على مضر لخروج النبي (صلى الله عليه واله وسلم) منهم
ولهذا قال عبدالله بن خازم السلمي في خطبته بخراسان ان ربيعة
لم تنزل غضابا على الله مذبحت نبيه من مضر ومن اجل حسد
ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعا في ان يكون
في بني ربيعة نبي كما كان من بني مضر نبي فأذا استأنس الاعجمي
الغر أوالربعي الحاسد المطرز (١) يقول له قومك احق بالمملك

(١) كذا في النسخة المنقول منها ولعله المطرمد ذكره الحريري في الدرّة
وصاحب ذيل الفصيح وصاحب القاموس وقد فسر بالصلف والمتشبع بما ليس
له ولانوا فقه على جميع مارمى به ربيعة اه مؤلف

من مضر سأله (٢) عن السبب في عود الملك الى قومه فأذا
سأله عن ذلك قال له ان الشريعة المضريه لها نهاية وقد دنا
انقضاؤها وبعد انقضاها يعود الملك اليكم» اه اقول وهذا السياسة
في الدعوة يفعلها الآن دعاة الفتنة ودعاة النصرانية ودعاة البايه
ولكن بوجوه اخرى فاما دعاة الفتنة فيقولون لهؤلاء الاعمار ،
: ان هولاء يدعون الافضلية عليكم ويحتقرونكم وانتم قدرتمتم للذل
وخنتمتم لهم وصدقتموهم وهم ولايفضلونكم بشئ وما اتم الامثلهم
بل خير منهم ، فاذا سمعوا ذلك منهم ثارت حميتهم ، وربت
البغضاء في قلوبهم وتحركت عقارب الحسد والحقد ، واشربوا
للمباراة والمنافرة ، فحينئذ ينفثون في قلوبهم السم ، ويفرقون بين
الاخوة وبني العم ، واما دعاة النصرانية فانهم يقولون للعجمي :
قد كان اباؤك لهم من الآثار والملك واللغة والاصنام والديانة كذا
وكذا . فقد ضيعتم انفسكم وتاريخكم وتاريخ اباؤكم ، وصرتم اتباعا
للعرب الذي من شأنهم كذا ومن شأنهم كذا ، ويذكرون لهم
بعض المعائب التي يدعيها الشعوبية على العرب ، ثم يقولون لهم أفلا
تأنفون ان تكونوا اتباعا لهم ، فاذا قالوا لهم ذلك تضمرت قلوبهم حقدا
وغيظا وبذلك تنحل عقدة الايمان من قلوبهم وترتخي رابطتهم .

فأما ان يبقوا على الشك أو يدخلوا في النصرانية والعبادة بالله تعالى ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم لسلمان الفارسي رضي الله عنه يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك ، قال قلت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني رواه الترمذي فهذه من مداخل دعاة الفتنة والردة ولهم مداخل أخرى يطول شرحها . ومنهم من يشكهم في نقل العرب للدين ويدعي عليهم الحياة والزيادة فيه ، ويستشهد لهم بالاحاديث التي تحصر الخلافة في قريش وما في معناها ، ثم يقول لهم الاترون كيف اختلفوا هذا لانفسهم وقسموا فوفروا قسمهم ونصيبهم اختصاصا بالأمر والنهي وتفردا بالملك والسطوة . فاذا سمعه العجمي العر قال في نفسه وما يدريني ان يكون جميع ما نقله لنا هولاء كذبا واختراعا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسقط من قلبه احترام جميع الأحاديث النبوية والاحكام الاسلامية . فان اراد هذا الداعية ان يوسع جرح المسكين ، ويدفق عليه بطعنة قاضية نافذة ، فيقذفه في اسرع وقت الى جاحم جهنم المتلطي ، افاض له في مراتب الحديث وخص الموضوع منه وكثره عنده ونسبه الى وجوب الاحتياط والتبصر ، وتلا عليه نبذا من الاحاديث الموضوعه مشفوعة بالغمز واللمز الذي يثير حميته ، والدواعي التي يطول بها

شكه وترددلا . فاذا رأى المسكين ذلك بنى فى نفسه على رد كل حديث سمعه لجهله بالمقبول والمردود ، فيأخذ على ما وقر فى نفسه من الشك فيفوته خير كثير . هذا ان لم يفض به الأمر الى النفاق ، لاسيما وهو عامي بحت أو عجمي أعجم عاجز عن الاطلاع والتحقيق من كل وجه وهذه ، أبواب وساع للشر والضلال ، وسترى فى الكتاب الذى زرد عليه طرائق اخرى . ومداخل كبرى .

﴿ الاباضية وميلهم الى مذهب الشعوية . وولمهم بالكفاءة ﴾
ومن الذين يدخلون على اصحابهم من مداخل العصبية والحمية الخوارج قاطبة . وهم يحملون لقريش عامة ولبنى هاشم خاصة اشد البغض والحسد والحقد ، ولا يقنعون الابتكفيرهم وتكفير سائر المسلمين لتوليهم لهم ولا مور اخرى ، والاباضية منهم اشد هم ميلا الى مذهب الشعوية ، واكثرهم ولعا بمسئلة الكفاءة ، حتى انهم كانوا يدعون بادية الاعراب ويبذلون لهم الهدايا ليزوجوا غير الاكفاء ويرون ان ذلك يرد غيظهم وحقدهم ويؤيد مذهبهم وما يدعون اليه وقد ذكر ابو عثمان بن بحر فى كتاب البيان والتبيين قصة غريبة فى بابها قال فى الجزء الاول منه ما لفظه « وكما يقولون هشام الدستوائى (١) وانما قيل له ذلك لان الاباضية كانت تبعث

(١) لم يرم فى كتب الجرح والتعديل الا بالنصب وهذا مما يشعر ان كثيرا ممن رعى فيها بالنصب فحسب كان خارجيا اه مؤلف

اليه من صدقاتها ثياب دستوائية فكان يكسو الاعراب الذين
يكونون بالحجاب فاجابوه الى قول الاباضية وكانوا قبل ذلك لايزوجون
الهجناء فاجابوا الى التسوية وزوجوا هجينا فقال الهجين في ذلك

انا وجدنا دستواءينا * الصائمين المتعبدينا
افضل منكم حسبا ودينا * اخزى الاله المتكبرينا
أفيكم من ينكح الهجينا

اه وقد حكى ابو منصور عن ابراهيم النظام المعتزلي الخليع في
جملة ما انكره على عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحريمه نكاح
الموالي للعرييات ، وقد علم الناس ان عمر رضي الله عنه أتقى
وأهدى من النظام ، وهذه التسوية التي يدعو اليها الاباضية
هي التي يدعو اليها مبتدعة الشعوبية ويعبر عنها كتاب
العصر بلفظة المساواة وهذه الدعاية هي اليوم قررة عين سواس
الاجانب وقد قروها في مسامع افراخهم والمتخرجين من
مدارسهم فجعلوا يلوكونها بالسنتهم ولا يدرون حقيقة ما يراد بهم
والقول في بيان هذا المعنى طويل ، وخلاصته ان الله سبحانه
وتعالى اختار الامة المحمدية لتكون قائدة للامم والشعوب ،
وشهيدة عليهم في اصلاح دينهم ودنياهم ، وقد امتن عليها بذلك
في كتابه ، فعرفت عظم ما اوتيت ، واغتبطت بالدرجة التي رفعها الله
اليها ، والعمل الذي اختارها له ، والفضل الذي ميزها به ، فاندفع

سلفها في اكناف الارض يطلبون موعود الله ، ويقودون الامم الى صلاح دينهم وديانهم ، وبذلك سمت همهم وعزت انفسهم ومن البديهي ان المرء لا يسعى لامر الا اذا علم انه اهله ومستحقه وقد فهم الافرنج هذا السر فجعلت كل أمة منهم تقرر لابنائها في مدارسها انها من اسمى الامم المتأهلة للسيادة على العالم أو أسماها ، ذلك ليكون مطمح أبصارهم الاخذ بنواصي من سواهم ، فجاء الاحداث المفرورون منا يقولون بالمساواة تحقيراً لامتهم وامتهاناً لها لتصرف نفوسها وتضعف همها ، ومنهم من يقول ان الاسلام دين المساواة ولعمري انه دين المساواة قد سوى بين اتباعه في الحقوق والحدود ، ولكن ليس معنى ذلك ان الله لم يخص بعض الامم بالفطر الزكية والمعادن الكريمة والتاريخ العظيم والاستعداد التام والاخلاق العالية المتوارثة ، وانما خلقهم سواً كاسنان الحمار فطرة زنجيهم كعربيهم ، من كل وجه وهذا هو الذي يفهمه بعض الاغرار من كتاب هذا العصر ، ومذهب اهل السنة والجماعة من العرب والعجم ، ان افضل الامم العرب ثم من لحق بهم في الاسلام من شعوب العجم ، ولبسط هذا البحث موضع آخر ، والقصد هنا بيان تشابه مذهب الاباضية ومبتدعة الشعوية في هذا المعنى ، ولشدة ميلهم الى ذلك انفصلت عنهم اليزيدية الاباضية ، قال صاحب الفرق

وهؤلاء اتباع يزيد بن أبي أنيسة الخارجي وكان من البصرة ثم انتقل الى تون من ارض فارس ، كان على رأي الاباضية من الخوارج ثم انه خرج عن قول جميع الامة لدعواه ان الله عز وجل يبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا من السماء وينسخ بشرعه شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اه اقول وقد جاءهم هذا من طريقة العدل والمساواة ، التي ارادوا ان يوجبوها على الله وقد ذكر صاحب الفرق انهم لا يعدون من الفرق الاسلامية ، ولا يبعد ان تكون هذه النحلة اوشية منها صار الى الباب الملقب بالبهاء معبود البهائية والباية فانتحاهما وقلدها ، فاليزيدية من الاباضية طمت بهم البغضاء للعرب وتفريعات المساواة وتوليدات القول بها على الخالق والمخلوق ، حتى زعموا انه لا بد من نسخ الشريعة الهاشمية القرشية العربية بالرسول الذي ينتظرونه من العجم وبقرآنه المزعوم بغضا منهم للعرب وميلا الى الشعوية ، والى هذه الفرقة اشار صاحب كتاب الارواح من الباية اهل هذا العصر وزعم انهم المرادون بها ، وقد اطل فيه التبشير بالبهاء وسماه الهادي والمصلح العظيم وقال انه قد ظهر ببلاد الفرس في القرن الماضي وكتابه هذا على صفة سوال وجواب بينه وبين احد السائلين على قاعدة المقامات والروايات ، وجعل ذلك على لسان الارواح

الكافرة لمعان لا تخفى على اللبيب . وصرح بحرية الاعتقاد كأن
المكلف لا يلزمه التصديق بعقائد الإسلام والتزامها والبرأة مما خالفها ،
وبالجملة فقد تطف في حتى يقبله الناس ولا ينكرونه ، وأخر الكلام
على معبودهم وأههم البهاء الى آخر الكتاب ، حتى لا يفاجىء به
القارئ مفاجأة من اول الامر ، وقد قبضت الشرطة في مصر على جماعة
منهم فتحوا مكتبا يعلمون فيه الاطفال ، ويقولون لهم ان دين
محمد قد نسخ ، ولما سئلوا قالوا انا نخدم الاديان كلها ، وهذا
هو الكفر البواح ، ومن طرقهم في الدعوة أن يفيض الداعية
في ذكر العالم وما فيه من الحروب والمنافسة بين الامم وما يخشى من
عواقبها فاذا ضاق المخاطب بما سمع ذرعا ، فتح له ابواب الآمال ، وقال له
سينتشر في العالم السلام والاصلاح والسعادة ، وقد انبثق نور ذلك
بالبهاء الذي هو كذا وكذا ، وهم يختارون الدعاة من ذوى
الطباع الباردة ، والنفوس الجامدة ، لانهم اقدر على
ملاطفة العامة وملا ينتهم ومعاناتهم ، وبالجملة فهم يتلونون الوانا ،
ويفتنون افنانا ، ويظهرون لكل احد بما يحبه ويريده ، وينكرون
اليوم ما قالوه بالامس ، ويستحلون الكذب والخداع ، عصمنا
الله والمسلمين من الفتن ، ومع ذلك فان منهم من لا يزال يلبس
لبسة الاسلام ، ليكون آلة للتغريب يوما من الايام ، فينبغي

للحريص على دينه ، الشفيق على نفسه ، ان يجذر اشد الحذر في هذه الازمنة من تصديق كل ناعق ، والوثوق بكل قائل ، وقد رأينا من يدعي الامامة في الدين ، وانه من كبار المصلحين ، ويدعي له ذلك كثير من الغلف القلوب العمي الابصار ، وهو مع ذلك يعلم بعض الرهبان اللغة العربية ليستعين بها على الطعن في الدين ، ومجادلة المسلمين ، والسعي في ارتدادهم وخروجهم عن دينهم ، ولقد طال الكلام وإنما كان جل غرضنا بيان سر ترتيب الاصناف الثلاثة المذكورين في الحديث على حسب عظم شرهم وضرهم وان كان لا يخلو من فائدة

﴿ تأويل الجاهلين ﴾

فأما التأويل فهو بيان ما تؤول اليه الالفاظ ومعانيها ، ولا شبهة ان بيان الجاهل لذلك وتأويله لا يكون الا خطأ اما علما وعملا ، واما عملا واما علما ، فان من لم يؤته الله فطرة سليمة ، وقرينة زكية ، وذكاء وفطنة وألمية ، وسعة في العلم وصحة من النظر ، كان مخطئا في تعرضه لتأويل النقول العلمية وان اصاب ، بل لا بد ان يقع بجهله في التأويل المخالف للصواب ، وانما مثاله مثال أعمى يحاول ان يصف الوان الاشياء مع فقد الآلة الموصلة الى ذلك وهي البصر ، وهكذا الجاهل قد فقد البصر

المعنوي وهو العلم فاني له العثور على الحق فيما يحاوله ، وانما جاء ذكره في الحديث آخر الثلاثة الاصناف المذكورة فيه لأنه اخفها ضرراً بالنسبة اليها وان كان عظيماً في نفسه ، وذلك ان الجاهل قد اعتقد اعتقادات زينها له الجهل والعمى ، فاذا وردت عليه النقول العلمية ، والدلائل الصحيحة ، لم يحسن التخلص مما هو فيه من الضلال ، وما رسخ في قلبه من العقائد الباطلة ، وكان قصارى امره ارجاعها الى نحو ما عنده من العقيدة بضرب من التأويل وهذا ضرره عظيم ، الا ان صاحبه لم يهجم على الأداة هجوم المحرف الذي يبدل جوهرها او المنتحل الذي يدعيها باطلا ولكنه ابقى الأداة كما هي مع تأويلها الذي رآه مستمسكا بها ظاهراً وان لم يكن مستمسكا بها حقيقة ، فهو سالم القصد في الجملة وان كان سيء العمل ، وانما أتى من قلة العلم ، فمع من الجهل ما يخفف جرمه ، ويظهر ان المراد بالجاهل هنا معتقد خلاف الحق بضرب من التأويل لا يخرج عن الملة ، ولا ينحاز به عن منهاج حملة السنة ، وان كان من كبار النظار واعظم المتصدين للجدل والفتوى ، لان كل ما خالف الحق جهل محض ، وقد يكون مركباً وهو شر انواعه ، وهذا يدخل فيه جميع المؤولين المسارعين اليه بغير

وجه صحيح ولا ملجئ، اليه كما تمتنع حمل الخبر على ظاهره
والله الموفق والمعين

﴿ سبب تأليف هذا الكتاب واسمه ﴾

قد كنا اردنا ان نفيض القول في الفتنة التي ظفر بها ابليس
من بعض العرب الموجودين بالجهات الجاوية فقرت بها عينه،
وزرق لها سنه، ولكن كرهنا ان يحمل منا ذلك على محبتنا التعرض
للأعراض والتسبب للسباب، وان تشيع الفاحشة في الدين امنوا،
فأعرضنا عن ذلك، وخلاصة ما وقع انه التف ليف من استشعروا
بفض أهل البيت ونبصوا لهم العداوة وغصوا بما آتاهم الله من
الفضائل والمناقب قديما وحديثا، وحملهم رغد العيش وبطر المال
على السعي في الغض من عظيم قدرهم، بالسباب والتنديد في
المنشورات والجرائد والمجلات، فاكثروا من الضجيج والصراخ والتف
حول التعيق والتناقى القافه واتباعه فلم يتركوا بابا من ابواب السباب
والهجو الاطرقوه، ولا أسلوبا من أساليبها الا قالوا، ولو جمع ما نشره
وقالوه في هذا المعنى لاربي على جميع ما نقل لنا من الهجو عن
شعراء الجاهلية والاسلام كثرة وخبثا، بل جاء في منشوراتهم
ما هو سب ضريح لرسول الله صلى الله وآله وسلم لا يقبل التأويل،
ويستري في الكتاب الذي نرد عليه نموذجا من ذلك

وقد ظهرت رسالة لامامهم المسمى بالشيخ احمد بن محمد سوركتي
الانصاري في مسألة مثل فيها عن الكفاءة وسماها (صورة الجواب)
فاخطأ فيها على صغرها في مواضع ، مع ما حشاها به من المغامز التي
ايدتها القرائن والنظائر فهب للرد عليه جماعة من فضلاً العلويين
وغيرهم منهم السيد العلامة عبد الله بن صدقة دحلان ومنهم
السيد الفاضل الالمعي الشهير علوي بن حسين مديحج والسيد
الفاضل الاريت محسن بن سالم بن محسن العطاس رد عليه
برسالتين ومنهم الشيخ الفاضل الصادق في محبة اهل بيت نبيه صلى
الله عليه وعليهم اجمعين حسن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن زين
بإسلامه من فضلاء مشايخ الحضارمة
وقد نبهوه على المواضع التي اخطأ فيها كدعواه الاجماع على وجوب
تعيين المهر في العقد ومخالفته في ذلك لصريح القرآن وللاجماع
وخطائه في تشبيه النكاح بالبيع من هذه الجهة مع اجماع الامة على
تباينها فيها ، وخطائه في نفي فضل النسب الصالح مع اجماع جمهور
الامة على ذلك لم يخالف فيه الا مبتدعة الشعوية ، الى غير ذلك
فصعب عليه الرجوع الى الحق واستبعد ان يكون جاهلاً بمثل
هذه المسائل الاجماعية مع علم هولاء بها ، مع انهم في نظرها جهال
لا يفهمون شيئاً ولا يعقلونه ، فبطل الحق وغمط الناس وظهر كتاب سمي

(بفصل الخطاب في تأييد صورة الجواب) لمؤلفه الشيخ احمد بن العاقب بن شكرت الله الانصاري اراد فيه تأييد مقاله شيخه السوركتي من الخطأ والغلط ، ولكنه لم يصنع شيأبل وقع في اغلاط اخرى ، وقد نقل فيه جواباله ايضا اصرفيه على خطائه الاول ، اما لعدم فهمه مقاله المنكرون عليه ، واما لظنه ان الرجوع الى الحق ينقص قدره عند اشياعه ، ولعمري ان تكذيب نفسه ورجوعه عن خطائه لمن اصعب الامور ، لان تلك المسائل التي انكروها عليه هي كل ما في رسيته وقد ملأت الانديته ووصلت الى العذراء في خدرها وصاح بها اتباعه في كل مكان ، فلو رجع عن مقاله لساء ظنهم فيه ولذلك آثر التماذي في الباطل على الرجوع الى الحق ، ولو لم يفعل لكان خيراً له ، وقد طلب مني بعض ثقة العلويين وفضلائهم الرد عليه فأجبتة الى ذلك ، ولكنني عندما سرحت طرفي فيه . واطلعت على قوادمه وخوافيه ، رأيتة مملواً بالسباب والشتائم واذا كتاب ليس على شاكلة كتب اهل العلم يثقل على كل ذي مروءة ترديد النظر في جوانبه ، والاشتغال بالحجاج مع صاحبه ، فعزفت نفسي عن ذلك ثم نظرت فاذا وعدى قد سبق اختباري ، وعلمت مع ذلك ان الفرحين بسبابه وشتائمهم ، والواقفين على الدوارس من معالمة ، قد امتلأوا

غرورا بما بهرج وزيف ، وأشربوا في قلوبهم ما أوحى وزخرف ،
ظنا منهم بسكوت الفضلاء عنه أنه اصاب ، شاكلة الصواب ، واتى
بما وافق السنة والكتاب ، فحملت نفسى على انجاز ما وعدت ،
والأكمال لما به بدأت ، مشمرا ذيلي عن أوضار ، مترفعا ما استطعت
ان تصيبني منتنات اقدار ، والله يغفر لنا ساعات امضيها في
التردد على دمنه ، والوقوف على جلال عطنه ، ونسأله ان يجعلنا
من الذين اذا مروا باللغو مروا كراما ، واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما .

(واعلم) ان جملة ما اشتمل عليه كتابه ينقسم الى ثلاثة اقسام
(القسم الاول) ادعاؤه لصاحبه الامامة في الدين ، والوراثة لسيد
المرسلين ، وانه اكمل نواب هذا الجيل ، ومن المصلحين في
المقدمين اول الرعيل ، الى غير ذلك .

ولاجواب لنا عن هذا القسم الاقول الله تعالى ربكم اعلم بكم
ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذ بكم وما ارسلناك عليهم وكيلا
ورحم الله القائل

وما اعجبني قط دعوى عريضة * ولو قام في تأييدها الف شاهد
(والقسم الثاني) سباب وشتائم ، ورمي بالعظائم ، وتعرض لاعراض
المسلمين ، وتعريض بالائمة المجتهدين ، فيما نقلوا لنا من الدين ،

وسب لابناء سيد المرسلين ، وسلالة الطيبين الطاهرين ، وقد الحش
واقذع وانفق من هذه البضاعة انفاق من لا يخشى الفقر ، وغلب
بها مناظريه ولا فخر .

(وجوابنا) له عن هذا القسم عدم الجواب ، بل ما علينا اذا اقررنا
بالغلبة له في هذا الباب ، من ذم ولاعاب ، فلمري انه متفضل
لا يشرف من احرز خصله ، ومورد لا يظهر من شرب نهله
ولاعله ، وانما السباب سلاح العاجز ، وبضاعة السفهاء والاراذل ،
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم المتسابان شيطانان يتهاثران
ولسنا والحمد لله من الشياطين ، وبعد قالسب لا يخرج من معادتنا ،
ولا يوجد في خزائنا .

وحسبكم هذا التفاوت بيننا * وكل اناء بالذي فيه ينضح
وقد ظن بعض الاغبياء ان السب ينقص من قدر اهل البيت ، أو يقدح
في فضل المحي منهم والميت ، وما درى انها حجول شرف
لا تحظى بها الاجياد الجياد ، ولا توجه الا الى كرام العباد ويرحم
الله الشيخ احمد بن عمر باذيب الشبامي حيث يقول

والناس لم ينج من افواههم احد * حتى لقد شتموا طه وجبريلا
وقيل في الله جلت ذاته كلم * منهم يرتلها التالون ترتيلا
وقال آخر * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح *

ومن نظر في الشتم الذي شتمهم به والتقريض الذي قرض به صاحبه وقابل بينهما عرف ان الغرور بلغ منه كل مبلغ ولاهل البيت اسوة بكتاب الله وبرسوله فانما نرى دعاة النصرانية في هذا العصر ينسبون اليه صلى الله عليه واله وسلم مارفع الله قدره ان ينسب الى جنابه ، او يعلق بأثوابه ، ونرى الملحدين يطعنون في كتاب الله جهارا في الجرائد والمؤلفات مسارعة في الكفر وخروجا عن الملة ، ولعمري ان البواعث متشاكله ، والمواد متقاربة !!

وسترى ان صاحب الكتاب لم يسلم منه حتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد عرض بمغاض من وجه خفي ، ليقدم بها في جنابه العلي ، فلم ينقص بذلك قدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . (حاشا) ولكن افصح لنا بصنيعه عن حقيقة أمره ، وصدقنا من بكره * وما يوم اهل البيت من الحاسدين بواحد ، فقد غص بفضلمهم اقوام ، فيما سلف من الايام ، فاسودت بفضائحهم صحائف الدهر ، وصاروا لعنة في كل عصر ومصر ، ورام آخرون مباراتهم فما نجحوا ، وما لبثوا ان اقتضحوا ، ومن ذا الهيك الله رشك يساجل بيت النبوة ، ومغرس الفتوة ، ومنتزل الوحي ، ومختلف الملائكة ، ومطلع الفضل ، وتا صية

الشرف ، وذروة المجد ، وأصل الكرم .
وما ظنك بسماء فضلهم الرفيعة ، وقد اتسقت فيها جل مناقبهم
مزرية بالدراري ، مخجلة للسبع الجواري ، قد حرستها شهب
الكتاب والسنة ، من شياطين الانس والجنه ، يقذفون بها من كل
جانب دحورا ، فكم من مسترق هوى لجنبه كسيرا ، ومستشرف
بلح دونها حسيرا .

(القسم الثالث) مسائل علمية ، واحكام شرعية ، واحاديث نبوية ،
لبس فيها الحق بالباطل ، وخلط الحابل بالنابل ، وسوى بين
الحالي والعاطل ، وجمع بين المتباين وفرق بين المتشاكل ، ونكب
عن معالم الدلائل ، الى معامى الخطأ والمجاهل .

فهذا القسم هو الذي اخذنا انفسنا ببيانه وشرحه ، حتى ينكشف
ليه عن صبحه ، باثبات ماصدقه الدليل وأيدلا ، ونفي ماخالفه
البرهان وفنده ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
بينة وان الله لسميع عليم .

وسندكر هنا جل المواضع التي انكرناها في كتابه ونؤخر الرد عليها
الى مواضعه فنقول .

(الاول)

قوله بتكافى الشعوب والقبائل واستوائها في معادنها ومنابتها

وانسابها الصالحة والطالحة ، وتسويته بين ذوي المعادن الكريمة ،
وذوي المعادن الدنيئة ، والاصول الزكية ، والاصول الحيثة ،
وهذا هو الاصل الذي الف كتابه من أجله وقوله هذا مخالف للعقل
وصريح النقل ولاقوال اهل السنة والجماعة بل ولقول جمهور الباحثين في
علم طبائع الانسان وعلم الاجتماع من علماء هذا العصر المحققين في ذلك
(الثاني)

انكاره فضل العرب وهو قول المبتدعة من الشعوبية وهو
خلاف مذهب اهل السنة والجماعة القائلين بفضل العرب على
غيرهم وقد قطع بذلك ابن تيمية وتلاه تلميذاه ابن القيم
والعلماء على هذه الفرقة ردود كثيرة وقد تبرأ منهم ائمة الحق
واساطين علماء السنة والجماعة كالامام احمد بن حنبل واسحق بن
ابراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن
منصور وغيرهم وسندكر ما نقل عنهم في ذلك ومن صنف في
الرد عليهم وقد ساهم ابن تيمية مبتدعة كما سمي منكري انتفاع
الاموات بالصدقة والدعاء وماشا كلهما مبتدعة وسياقي الكلام
في ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى

(الثالث)

انكاره فضل قريش وحمله عليهم وهذا هو مذهب الخوارج

الذين اتفقت الأمة على ضلالهم ، وجدت في قتلهم وقتالهم ابتغاء ثواب الله وما عندنا من الجزاء الحسن لمن قتلهم كما وردت به الاحاديث الصحيحة الصريحة

(الرابع)

انكاره فضل بني هاشم واهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مذهب الخوارج وغلاة النواصب ، وبعضهم لا يجروا على انكاره اصالة ولكنه يعرف وينكر ، وهذه البدعة اعظم ضلالاً ومحالاً وبعداً عن الحق مما تقدم لأنها مستلزمة للبدعتين السابقتين ، ولأن فيها مع رد الاحاديث الصحيحة الصريحة الواردة في فضلهم خاصة ، وهي أكثر وأنور وأشهر . رداً للاحاديث والادلة المثبتة لفضل العرب وقريش لان ما تدل عليه ثابت لبني هاشم واهل البيت من باب الاولى ، لذلك كان منكر فضلهم منكر لفضل العرب وقريش لا محالة ، لأن فضل هذين انما جاء من ناحيتهم وبهم فضلوا وفضلوا ، فهم منهم مكان القطب من الرحا والروح من البدن ، فمنكر فضل بني هاشم يجحد من الحق ويلتزم من الباطل اكثر مما يجحد ويلتزم منكر فضل العرب او قريش فكانت بدعة الخارجية

والنصب من هذه الجهة اعظم فسادا وابين عنادا من بدعة
الشعوية ، ولأن من الشعوية من يثبت فضل بني هاشم ويقربه
ولا ينكره وان انكر فضل غيرهم وقد قال ابن تيمية ان لآل
محمد حقا لا يشركهم فيه غيرهم وقال انهم يستحقون من المحبة
والموالاته ما لا يستحقه غيرهم كما ان جنس العرب يستحق من
المحبة والموالاته ما لا يستحقه سائر اجناس بني آدم وقال ان ذلك
مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم وفضل قريش
على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش قال وهذا
هو المنصوص عن الائمة كاحمد وغيره وعلى هذا دلت النصوص
اه المراد نقله منه وسيأتي نقل كلامه برمته وبيان ما فيه وان
المخالفين في ذلك هم المبتدعة من الشعوية

(الخامس)

انكاره صحة حديث الائمة من قريش وقوله بضعفه ونكارته
وبطلان ما ينسب عليه من مسألة الخلافة والامامة الكبرى مع
انها من مسائل الاجماع وقوله هذا يستلزم تكذيب المهاجرين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتغريهم بالانصار ،
وان الانصار اخطئوا لبنائهم ما هو من اعظم معاهد الدين على
غير رضی ولا مقنع ولا امر يصح الرجوع اليه عن المعصوم

صلى الله عليه وآله وسلم وان الصحابة قد اجمعوا على امر باطل
مفترى والعباد بالله تعالى ويقتضي تضليل جميع الامة المحمدية
الاخوارج كلاب النار وخدمهم فيقتضي قوله انهم هم على الحق
فقط ويقتضي ان يكون جميع من قاتل الخوارج فاسقا وقد
قاتلهم جمع من الصحابة وفضلاء التابعين واجمعوا على ضلالهم
ومروقهم من الدين كما وردت به الاحاديث الصحيحة الى غير
ذلك من اللوازم الباطلة والاقوال الخبيثة ، مع ان هذا الحديث
وما في معناه انعقد عليه اجماع الصحابة وقال بصحته الحافظ ، وقد
عداه الحافظ ابن حجر من الاحاديث المتواترة وجمع في طرقة مؤلفا
سماه (لثة العيش ، في حديث الائمة من قريش) رواه فيه
عن اربعين من الصحابة فاذا كان مثل هذا الحديث منكرا
أوضيفا فلا يصح في الدنيا حديث

(السادس)

قوله بضعف حديث آية التطهير وهو من الاحاديث الصحيحة
المشهوره المستفيضة المتواترة معنى اتفقت الامة على قبوله فهم
بين محتج به كالشيعة ومؤول له كغيرهم والتأويل فرع القبول
وقد قال بصحته سبعة عشر حافظا من كبار حفاظ الحديث .

(السابع)

تضعيفه حديث الثقلين وقوله بنكارتته مع انه قد روي عن
بضعة وعشرين صحابيا وورد من طرق صحيحة مقبولة وهو من
الاحاديث المتواترة اجمع الحفاظ على القول بصحته واليه المرجع
في ذلك لاليه .

(الثامن)

تضعيفه حديث الاصطفاء مع تصحيح الحفاظ له وقد سلك في
تضعيفه طريقا باطلة مخالفة للاصول بل هي من الاغلاط الفاضحة
وذلك انه ضعفه بأن راويه عن الاوزاعي هو الوليد بن مسلم
وهو مدلس فلمله دلسه عنه وقوله هذا غير صحيح ولا مقبول وذلك
ان الوليد بن مسلم ثقة غير مدافع وقد صرح فيه بالتحديث
فانتفى توهم التدليس وايضا فقد رواه عن الاوزاعي غيره كشعيب
بن اسحاق وأبي المغيرة ومحمد بن مصعب ويزيد بن يوسف ،
وقد زعم ايضا ان تماما الرازي قال في الوليد بن مسلم انه منكر
الحديث وهذا خطأ فان الذي قال فيه تمام ذلك القول هو الوليد بن
سلمة لا الوليد بن مسلم وسيأتي شرح القول في ذلك ان شاء الله تعالى

(التاسع)

اهدارة كلام المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم وحمله له على المعاني التافهة

التي لا محصول لها بل تدل بقية روايات الحديث او مافي معناه على ان ذلك تحريف وتبديل ، وتعلل بالاضاليل ، كما فعل في تأويل حديث الاصطفاء وقد اتبع في ذلك خطوات ابن حزم وقدرد كلامه ابن تيمية كما سيأتي شرح ذلك ان شاء الله تعالى

(العاشر)

قوله في آية والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقناهم ذريتهم الآية بغير ما قاله المفسرون من الصحابة ومن بعدهم وتضعيفه الروايات الصحيحة الصريحة في ذلك وتحريف المحتملة منها الى ما يوافق هواه ثم تصحيحها مع ان فيها مقالا

(الحادي عشر)

خطاؤه في تلك الروايات والاقوال ايضا بنسبتها الى غير اربابها .

(الثاني عشر)

عدم ادراكه وجه الدلالة من قوله تعالى وكان ابوها صالحا وقد اشرنا الى ذلك فيما مضى

(الثالث عشر)

اخفاشه في كلامه على حكمة تحريم الزكاة على الآل وتعريضه بتنقيصه صلى الله عليه وآله وسلم وتهمته على الدين ، مما لا يليق

التفولا به في حق سيد المرسلين ، ولو لاتصديرا له بصيغة الاستفهام
الاستنكاري لكان كفرا ظاهراً لا يحتمل التأويل .

(الرابع عشر)

تضعيفه الحديث الوارد في تحريم الزكاة عليهم وقوله بشذوذ
مع انه في الصحيح ليس فيه مخالفة لثقة وله متابعات كثيرة
وورد من طرق متعددة باسناد صحيحة وما كان كذلك فليس
بشاذ وان رغم انف الراغم

(الخامس عشر)

ردا علة التحريم المنصوصة وقطعه بانه لاعلة لذلك الرفع التهمة
فقط وما قاله منقوض بخمس الخمس نقضا لا يقبل الرد وبالاحاديث
الصحيحة ولا ينفعه هنا محاولته تشبيه خمس الغنائم بالمرباع الذي
ياخذ رؤساء الجاهلية فقد نزه الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم
ان يفعل في الاسلام فعل الجاهلية المذموم او ما يشابهه

(السادس عشر)

خطاؤه في معنى حديث « الناس معادن كعادن الذهب والفضة »
الحديث ومخالفته في ذلك لشرح الحديث وعلماء اللغة وقدمت
الإشارة اليه

(السابع عشر)

جهله معنى الاحتجاج وذلك انه يتكلم على رجال احاديث
بالوصح لم يسقط به حديثهم عن درجة الحسن لذاته او لغيره
ثم يدعي مع ذلك انه لا يحتج بهم ولا بها وهذا خطأ فاحش
فان الحججة كما تقوم بالصحيح تقوم بالحسن

(الثامن عشر)

انه حكى عن المحدثين انه لا يحتج بحديث مبتدع فيما يؤيد بدعته
وطعن بهذه القاعدة في حديث بعضهم لمخالفته هو الا ثم احتج
بحديث رواه مبتدع فيما يؤيد بدعته ولم يحاسب نفسه ولم يطالبها
بالتزام القواعد ، كأن القواعد والاصول انما جعلت لغيره اما هو
فكلامه الحق المقبول ولو خالف الفروع والاصول

(التاسع عشر)

جرحه ما ينفي على اربعين راويا من رواية البخاري ومسلم
والسنن ثم احتججه ببعضهم لنفسه وفي هؤلاء مثل الاعمش
وشعبة بن الحجاج الذي يعدل عند المحدثين مائة راو وغيرهم
من كبار الائمة والحفاظ المشهورين

(العشرون)

انه بعد جرحهم زعم انه لا يحتج بحديثهم مع انه قد احتج

بهم البخاري ومسلم واصحاب السنن والفقهاء الاربعة وعملت الامة
بحديثهم قرنا بعد قرن الى اليوم فى العبادات والمعاملات والدماء
والفروج وغير ذلك

(الحادي والعشرون)

غلطه فى اسماء الرجال وتخليطه فيهم كما سبقت الاشارة اليه فى
الصحيفة الخامسة عشرة

(الثانى والعشرون)

انه جرح بعض الرواة وزعم عدم الاحتجاج به ورد مارواه
ثم عاد واحتج به فى موضع آخر عند ما روى ما وافق نحلته
مع ان ذلك لم يرو الا من طريقه !!

(الثالث والعشرون)

زعمه ان ذرية الحسين سبطي رسول الله وريجاتيه عليه وعليهما
وعليهم الصلاة والسلام لا تدخل فى مسمى اهل البيت مع ورود
الاحاديث بالدلالة على ذلك وهو مقتضى اللغة والاستعمال الشائع
على السنة حملة الشرع من الائمة

(الرابع والعشرون)

انه اطلق القول بعدم جواز الاخذ بقول احد من الائمة الاربعة
وغيرهم الا بعد معرفة دليله ، ولو انصف من نفسه لعلم انه احوج

الناس الى الأخذ بأقوالهم وذلك انه بحث في مسألة واحدة وهي مسألة الكفاءة فارتطم في تلك الاغلاط التي لا يخرج له عنها الا بالتبرئي منها ، حتى غلط فيما صرح به القرآن وانعقد عليه الاجماع

(الخامس والعشرون)

قوله بوجوب تعيين المهر في النكاح وهذه مخالفة صريحة لكتاب الله تعالى وخرق للاجماع

(السادس والعشرون)

انه شبه النكاح بالبيع في الموضوع الذي تباينا وافترقا فيه وذلك انه يجب لصحة البيع تسمية الثمن فيه (١) فشبه النكاح به في وجوب تسمية المهر لصحته وهو خلاف ما اجمعت عليه الأمة

(السابع والعشرون)

زعمه ان من صور النكاح ما يكون تعيين المهر فيها شرطا للصحة وامتشهد بعبارة اسنى المطالب في ذلك وقد فهمها على غير وجهها فانهم نصوا على ان وجوب التعيين في تلك الصور شرط للزوم المسمى لا لصحة النكاح

(١) قد عبر في صورة الجوب بقوله «وعين المهر» والتعيين غير التسمية كما هو معلوم ويجب في البيع تسمية الثمن لا التعيين إياه مؤلف

(الثامن والعشرون)

انه لما حاول الاعتذار عن خطأ شيخه في اشتراطه تعيين المهر لصحة النكاح قال في الصحيفة ٤١ من فصله «واحتاج الى ذكر تعيين المهر لثلا يخرج من تعريفه الصور التي يجب فيها تعيين المهر كأن كانت المرأة غير جائزة للتصرف» الى آخر ما سيأتي نقله فكلامه هذا تأييد للخطأ بمثله ، لأن دخول تلك الصور المستثناة في تعريفه يخرج ما سواها من الصور لما بين القسمين من الاختلاف في الحكم لانها اي المستثناة يجب فيها تعيين المهر للزوم للصحة كما تقدم ، وما سواها لا يجب فيها التعيين للزوم ولا للصحة فما قاله في (الصورة) أما ان يكون تعريفا (١) لهذا القسم اوذاك ويمتنع ان يصح تعريفا لهما كما هو ظاهر ، وكيفما كان الحال فهو مخطيء لان التعيين ليس بشرط لاهنا ولاهناك ، فلا محل اذا لقوله «فما احكم هذا التعريف وادق نظر الاستاذ» !! فاین الاحكام واین دقة النظر؟؟ ولا لقوله في (الصورة) مخاطبا سائله «وابشروا فقد وافاكم الحق نزيها يسيرا وسألتم عنه خيرا» فمن وقف على هذه الاغاليط علم ان لاحق ولا نزاهة ولا يسر ولا خبرة وما زاده الاجهلا وعمى لبطلان ما اجابه به من كل وجه

(١) أطلق التلميذ على عبارة شيخه في صورة الجواب لفظة التعريف اه مؤلف

(التاسع والعشرون)

دعواه اتفاق الائمة الاربعة على سقوط الكفاة بالاسقاط وهي
دعوى باطلة فأن الخلاف في ذلك شهير

(الثلاثون)

زعمه ان مسألة الكفاءة ومسألة عدم التفاضل من المعلوم من
الدين بالضرورة

(الحادي والثلاثون)

دعواه الاجماع على ان التفاضل انما يكون بالعلم والعمل والاخلاق
فحسب مع شهرة الخلاف في ذلك بين المتكلمين وان خفي عليه
ولاندرى مستندة فيما نقل من الاجماع فانه لم يذكر لنفسه في
ذلك سندا ولاسلفا

(الثاني والثلاثون)

زعمه في (الصورة) ان مسألة الكفاءة ليست مبنية على تفضيل
احد ولا تنقيص احد!! فما أعجب هذا الزعم وما اظرفه ! أتراها
لم يفهم ان الكفاءة معناها المساواة وعدمها عدم المساواة وذلك
هو التفضيل ؟ ولذلك عبر الامام الشافعي رحمه الله تعالى في الام
بفضل النسب ونقصه ، وقطع ابن تيمية بان القول بتفاضل الانساب
هو قول اهل السنة والجماعة

(الثالث والثلاثون)

نسبته السادة العلويين الى اتباع الهوى والتكبر والتعصب لقولهم ان الكفأة في النكاح من حقوق جميع الاولياء واذا كان كل من قال بهذا القول يكون متبعا للهوى متكبرا متعصبا فان الامام احمد والثوري واتباعها والاصحى من الشافعية كذلك كانوا لانهم قالوا بهذا القول ومعاذ الله ان يكونوا بهذه الصفات رضى الله عنهم وارضاهم ولكنه كما قال ابو حيان رحمه الله تعالى ويشتم أعلام الأئمة ضلة * ولا سيما ان أولجوة المضايقا

(الرابع والثلاثون)

أنه قال في صحيفة ٢٤١ من فصله أن القول « بأن الكفأة حق للمرأة وجميع قبيلتها قول مبتدع مخترع وليس له أصل في الدين البتة ولا مطابقة للعقل وإنما هو قول أحدثه حب التآله والتكبر على عباد الله وليس هو مما اختلف فيه الأئمة » اه ومعلوم ان هذا مذهب الامام احمد رحمه الله تعالى لا يذكره الاجاهل بمعاند بل له قول ايضا بان الكفأة من الحقوق المطلقة (اى حق لله) حتى في كفأة النسب وقد غلط ابن القيم هنا وخالف جميع من نقل قول الامام احمد من اصحابه بغير مستند فتنبه وقوله أنه ليس له اصل الخ سباب وهذيان صدر عن جهل فان له الأصل الأصيل

من حديث سلمان رضي الله عنه وهو حديث صحيح رواه غير واحد وذكره ابن تيمية أيضا وذكر ان الامام احمد قد احتج به وعبارته بعد ايراد الحديث « واحتج به احمد في احدي الروايتين على ان الكفاة ليست حقا لواحد معين بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح حتى انه يفرق بينهما عند عدمها » اه واما قوله ولا مطابقة للعقل فان عنى به عقل غيره فقد علمت انه طابق عقول اولئك الائمة فقالوا به ، وان عنى عقل نفسه فالامر سهل ، وصحة الاحكام ليست مشروطة بمطابقتها لعقله وسيأتي ذكر ذلك في موضعه على وجه ابسط مما هنا مع نقول اخرى ان شاء الله تعالى

(الخامس والثلاثون)

قوله ان الائمة ما قالوا بالكفاة الاتباعا لمقتضيات السياسة اي لم يقولوا بذلك اتباعا لدليل شرعي وهذا رمي لهم بالخيانة في الدين .

(السادس والثلاثون)

سبه للسيد العلامة عبدالله صدقة دحلان وقدفه له بما شاء الهوى من الجهل والحق والجراة على دين الله لانه احتج بحديث « قدموا قريشا ولا تقدموها » مع انه حديث احتج به الائمة وممن احتج به الامام الشافعي وأحمد وغيرهما وحسبه ان يكون مثلهم في ذلك هذا ما اردنا تعديدا من اغلاط وبقيت اغلاط كثيرة ايضا

ستراها في تضاعيف الكتاب وبعض ما ذكرنا من المسائل التي غلط فيها لا تخفى حتى على المبتدئين من طلبة علم الفقه ولا نواب العقود في القرى والبوادي فكيف بالمجتهدين الذين لا يجوز لهم الأخذ بقول احد من الائمة حتى يعرفوا دليله !!!

(عدم رجوعه للحق ، وسبه للناصحين ، وكون كتابه اجمع كتاب لالفاظ البذاء واساليبه) كان الواجب عليه بعد أن نبهه من تقدم ذكرهم ونصحوا له ان يسارع الى الرجوع الى الحق والندم على قوله في دين الله بغير علم والى الثناء الحسن على الناصحين الذي ذكره مانسي وعلموه ما جهل والاعتراف لهم بحق النصيحة ومنة التعليم وقد علم اولوا العلم ان الرجوع الى الحق خصلة جليلة ، وفضيلة تفوق كل فضيلة ، لاوصمة فيه ولا عار ، بل هو ديدن العلماء الابرار ، وهو لعمرى غرة الفضل الشادخة ، ورتبته المنيفة الباذخة ، بل هو ادل دليل على الكمال ، لا يتصف به الانحاريير الرجال ، فلو فعل لعددا الناس فضيلة له ، ولكنه اصر على الخطأ وبطر ما قالوا من الحق ، واحتقرهم وغمطهم وجزاهم بما نصحووا سببا شنيعا ، وفحشا قاذعا فظيما ، دخلوا به ان شاء الله في عداد من اوذى في الله ، وسنعرض عن نقله البتة الا ما كان في اثناء كلام لا بد من ذكره للرد عليه فنقتصر منه على ما لو حذف لكان الكلام

بدونه مبتورا ناقصا ، ولا مندوحة هنا عن الاعتراف بأمر واقع ، وهو اننا لو اردنا مجاراته في ذلك لما قدرنا وكان هو الغالب لا محالة ، ولا تحسبن كلامنا هذا جاريا مجرى التنكيت والتبكيك ، كلا بل هو جار على وجهه وظاهره ، فأنى لم ار في كتب المتقدمين ولا المتأخرين ولا كتب الخلاء واشعار الخلقاء واهل البداء ما هو اجمع من كتابه لا لفاظ الفحش واساليه وجمله المتعددة وعباراته المتنوعة ، فهو قاموس جامع وديوان حافل لطالبي الالفاظ البذية ومحبيها ، وقدرته على جمع ذلك القدر الكثير والتنقيب عنه من بطون الاسفار اغرب وأعجب ، ولا يتأتى جمع مثله الا لمن افني سنينا طويلة في البحث والتقييد شيئا فشيئا ، فان كان ذلك من انشائه وتحريره من غير استعانة ولا استعارة فلا شك انه اعظم نابغ في هذا الفن .

وقد كنت اقول لولا انه لا يوجد لهؤلاء مؤلف في نحلتهم الا هذا الكتاب السخيف لكان اشتغالنا بالرد عليه من اعظم العار ، ولكن من أمعن النظر فيما يحكيه الله سبحانه وتعالى من اقوال الكفار في ذاته العلية وما يرمون به رسله واكرم الخلق عليه هان عليه الامر ، ونسأل الله ان يجعلنا ممن يدرأ بالحسنة السيئة ومن الذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما .

وقد سمينا كتابنا هذا

﴿ القول الفصل ، فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل ﴾ لان الكتاب الذي نرد عليه انما الف لجحد فضائلهم وأنكارها مجادلة بالباطل وانكاراً للحق ومسارة للبدع واحياء لايامها واتباعاً لاقوامها وتلبساً بآثامها ثبتنا الله على منهج الحق وجعلنا من اهله آمين * ولما كانت تلك الفضائل أثبت من الفلك الدائر واسير في الآفاق من المثل السائر ، وأزهر حجة من القمر الزاهر واكثر مددا من البحر الزاخر ، قد ملأت الدفاتر واستنفدت المحابر ، وعبق نشرها في المحافل والمحاضر ، كان مجرد وجودها وانكارها غير مجد ولا نافع للحاسدين المبغضين لا تقوم لهم به حجة ، ولا تستنير اما مهم محجة ، فلذلك حاولوا ان يهاجوا النصوص الصريحة بالظن في أسانيدھا والتأويل لالفاظها ومصا درة نصوصها ولكنهم لم يفلحوا ولن يفلحوا لان الحق قائم بنفسه ظاهر بنوره لا يزيدا انكار المنكرين ووجود الجاحدين الارسوخا وثباتا وانتشارا واذا استطال الشيء قام بنفسه * وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

ولا يمكن انكار ما ورد في فضائلهم ومناقبهم الا بانكار ما لا يخصى من احاديث الاحكام لان الرواة الذين رووا احاديث مناقبهم هم الذين رووا احاديث الاحكام والحفاظ الذين صححوا هذه

هم الذين صححوا تلك ولوا طرحنا كل حديث رواه راو ممن
جرحهم المجاهدون لتفلت من ايدينا غالب السنة النبوية وكم
في البخاري من الاحاديث التي لم يروها الا من طريق شعبة
او غندر او زكريا بن زائده او الاعمش او غيرهم ممن طعنوا فيهم
بغير حجة لأنهم رووا بعض فضائل من يجسدونهم واعلم ان
الذي جمعنا في كتابنا هذا انما جمعنا لمن يقول بصحة الاجماع
ويقبل روايات اهل الحديث الموثوق بهم ويرى الاحتجاج بها
لا لمن يضل جميع المسلمين او يكفرهم او لا يقبل رواياتهم
ولا اقوال ائمتهم كالخوارج واهل البدع والزيغ والاهواء
المضلة

ولا للمقلدين من المبتدعة فانهم ابلد اذهانا واشد ضلالا واعظم
غلوا واقسى قلوبا واوحش تعصبا من ائمتهم وهم اشد بعدا عن
فهم ما قوله فاني لهم بقوله فليكن هذا المعنى منك على بال وقد
قال جبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنه ان الضلالة
حلاوة في قلوب اهلها وتلا قوله تعالى آمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا ولما كانت المسائل التي نرد عليها لها تعلق قريب او بعيد
بالطوائف الضالة من الخوارج والنواصب والشعوية حسن ان
نشرح شيئا من حالهم ومحالهم على وجه الاختصار فنقول

﴿ القول في الخوارج والنواصب ﴾

اعلم علمك الله تعالى واهمك رشدك انه قد هلك بيفض اهل البيت هالكون ، وضل بسوء الاعتقاد فيهم ضالون ، استدرجهم الشيطان بغروره ، وحققت عليهم كلمة العذاب باتباع زوره ، فخلت قلوبهم عن انوار الايمان والايقان ، وامتلات بظلمات الكفر والنفاق ، فمروا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وزين لهم الشيطان اعمالهم ، فكروا الحق واوضعوا في خلافه والبعد عنه والمقاومة لاهله ، فصاروا طوع ابليس بتصرفون بأمره ، ويجاهدون في سبيله ، متتابعين في الغواية ماضين على الغي والعماية ، حتى اوردتهم النار وبئس الورد المورود ، وقد ورد في ذم مبغضي اهل البيت وفي الوعيد الشديد على بغضهم احاديث كثيرة منها الخاص ومنها العام ، فمن الخاص ما روته ام سلمة رضيت الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجب عليا منافق ولا يفضه مؤمن وروى ابوسعيد الخدري رضي الله عنه قال ان كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الانصار يفضهم عليا رواها الترمذي وفي صحيح مسلم عنه عليه السلام انه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي صلى الله عليه وآله وسلم الي ان لا يجني المؤمن ولا يفضني

الا منافق ، وعلي عليه السلام افضل اهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان كان علة اختصاصه عليه السلام بهذا معنى آخر غير القرابة كما يدل عليه افراده بالذكر كان له وجه آخر وورد أيضا انه صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس رضى الله عنه والله لا يدخل قلب امرئى ايمان حتى يحبكم الله ولقرايتى وسياىتى تخرج هذا الحديث وذكر طرقه وهو حديث صحيح (١) وفيه دلالة على ان محبة اهل البيت وآل رسوالله صلى الله عليه وآله وسلم شرط لحصول الايمان اولازم من لوازمه ويمتنع حصول الشيء بدون شرطه ولازمه وان بغضهم ضد للايمان مانع من دخوله الى قلب المبغض فالبغض دليل النفاق وبريد الكفر وان محبتهم ليست كمحبة غيرهم وان بغضهم ليس كبغض غيرهم لان محبتهم قسم من محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يحبكم الله ولقرايتى فهى محبة زائدة على مايجب من محبة المؤمنين بغضهم بعضا وفي تنكير الايمان في قوله « لايدخل قلب امرئى ايمان » مع مجيئه في سياق النفي دليل على انه يمتنع حصول اي معنى من معاني الايمان في قلب المرء مع وجود بغضهم فيه لان النكرة

(١) رواه ابوداود الطيالسى وسعيد بن منصور والترمذى والحاكم ومحمد بن نصر المروزى والنسائى وطراد والطبرانى في معاجمه الثلاثة والخطيب وابن عساكر وابن النجار والرويانى من طرق متعددة ومصحح الاحتجاج به ابن تيمية اهـ مؤلف

في سياق النبي من صيغ العموم كما هو مقرر في محله ،
وايضا فهنا ثلاثة أمور لارابع لها المحبة والبغض والخلو عنهما
ولا يدخل الايمان القلب الامع وجود المحبة ، ووجودها مستلزم
لعدم الاخيرين لامتناع الجمع والخلو ، وما يرى عند بعض المبغضين
لهم مما يظن انه اثر من آثار الأيمان هو خشوع
النفاق وعلم النفاق لاغير ، فبغضهم ادل دليل على علماء
السوء الذين حذرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم
وخافهم على امته ، وروى ابن حبان والحاكم في صحيحهما
وقال الحاكم على شرط مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار ، فهذا الوعيد
الشديد بدخول النار يدل على عظم الذنب ، وقد بين ذلك
الحديث قبله اذلا اعظم من ذنب يحول بين صاحبه وبين الأيمان
هذا ما يدل عليه الحديث ، وان كنا لانحكم ظاهراً بخروج من
كان كذلك عن الملة وعداد اهل القبلة كما قاله العلماء في نظائر
ما ذكرنا ولبسط الاستدلال على ما ذكرنا موضع آخر ، والقصد
هنا ذكر اصناف الهاالكين بسبب بغض اهل البيت ووقوعهم في
العذاب والضلال البعيد ، وثبوت نفاقهم وعدم أيمانهم ، وان حقيقة
الايمان المنجية لا توجد عندهم ، وما لديهم انما هو مجرد صورة تكون

سببا لغرورهم بانفسهم حتى تتم شقاوتهم ، وان اعمالهم ان كانت لهم
اعمال كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءً حتى اذا جاءه لم يجد الا شيئا
فالنواصب والناصب والناصبية هم الذين نصبوا العداوة لا مير المؤمنين
علي عليه السلام ، وهو اسم جامع لهم فيدخل تحته الخوارج ونواصب
السفياينة والمروانية والحريزية والحرائية وكلهم يجمعهم بغضهم
لامير المؤمنين عليه السلام وبقية اهل البيت ، وما تراه في تراجم
بعض علماء النواصب صنائع ملوك آل مروان بن الحكم بن ابي
العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان مروانيا
وقد يقال سفيا نيا او حريزيا ونحو ذلك فمعناه ما ذكرناه ، وانما سموا
بذلك لانهم يتعصبون لمملوكهم من بني مروان ويتولونهم
ويرونهم احق بالامامة والطاعة ، واولى الناس برسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وبالخلافة على امته وكانوا يرون وجوب طاعتهم
حتى في معصية الله ، فأما الخوارج فقد صحت الاحاديث بل
تواترت بمروقهم من الدين ، وانهم كانوا مسلمين فصاروا كفارا
وانهم سفهاء الاحلام ، وانهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم
وانهم يمرقون من الدين ثم لا يعودون حتى يعود السهم على فوقه ،
وانهم شر الخلق والخليقة ، وانهم يقولون من خير قول البرية ،
واجمع على ضلالتهم من بقي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم ومن بعدهم وروى الامام مسلم الاحاديث الواردة فيهم من عشر طرق ورواها البخاري عن اربعة من الصحابة ورواها اصحاب السنن والمسانيد مع ان بعض الاحاديث المروية فيهم من المنوع ذكرها وروايتها لذلك العهد لما فيها من مناقضة ما يعتقد اهل الامارة وصنائعهم

وقد تفرقوا الى فرق كثيرة لاداعي لذكرها ، ومن شأنهم انهم لا يقيمون لاجماع الامة وزنا ولا يقبلون ما روى من الاحاديث ، ولا يرون فيها حجة ، ولا يعرفون ما تواتر منها لاعتقادهم كفر من سواهم وبعدهم عنهم ، واعجابهم بانفسهم وبأوليهم شديد واحتقارهم لمن سواهم اشد فلا فائدة في محاجتهم ومجادلتهم ولو ارادوا ان يتوبوا ويرجعوا عن بدعتهم ما قدروا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم يرقون من الدين ثم لا يعودون الحديث ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم وانه سيخرج في امتي اقوام تجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الادخله ومن المعلوم ان داء الكلب داء عضال قلما يشفى منه صاحبه والخوارج اشد اهل الاهواء غلوا وضلالاً ولذلك يكثر فيهم الاصرار على بدعتهم والنضال عنها والعجب بارآئهم وتقديمها على النصوص كما استحسَن ذوالخويصرة رأيه على فعل المعصوم صلى الله

عليه وآله وسلم حتى قال له اعدل فانك لم تعدل وذوا الحويصرة
هو ضئضئ الخوارج وأصلهم كما ورد في الحديث وكلام العلماء في
هذا المعنى كثير .

وأما النواصب فبعضهم اشد غلوا من بعض ويجمعهم البغي والتغلب
والاستبداد والقول به ، ومناصبه امير المؤمنين علي عليه السلام
ومعاداته ، والتكلم في جنابه الرفيع ، والطعن في خلافته الراشدة وحججه
مناقبه ، وبغض سائر اهل البيت واشدهم في ذلك من قاتلهم وقتلهم
مسارعة الى مرضاة ملوكهم وتأيداً لسلطانهم والتماساً لفضتهم وذهبهم
وعلماء هذه الفرقة يرون ان قتل سبط رسول الله وريحاته
وسيد شباب اهل الجنة الحسين عليه السلام كان حقاً وعدلاً أحسن
فيه فاعلوه وأجروا على ما فعلوا وقد شاركوا بقولهم هذا من باشر قتله
كالكلب الابقع شمر بن ذي الجوشن (١) ويزيد بن انس واشباههم
من الاتان ومنهم من جعل سيف ابن مرجانة الزنيم ابن الزنيم
كسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من هولاء ابوبكر
بن العربي المالكي ورحم الله القائل

وقد رخصت قراؤنا في قتالهم * وماقتل المقتول الا المرخص

(١) ورد في بعض الآثار انه صلى الله عليه وآله وسلم رأى كلباً ابقع يبلغ في دمه
فكان ذلك هو شمر قاتل الحسين عليه السلام لانه كان ابقع من البرص اه مؤلف

وقد دلت الاحاديث الصحيحة على ان الناصبي منافق وانه لا يدخل قلبه الأيمان وقد كان على هذا المذهب الخبيث المنحبت كثير من العلماء على عهد ملك آل مروان وكانوا صنائعهم وشر العلماء علماء الملوك وكان آل مروان يقربون من العلماء من عرف يفيض اهل البيت ويقطعون الاقطاعات ويبدلون له الاموال ويجزلون له العطايا والجوائز ويوظفون الرجال عقبه ، فكان هذا النوع اكثر شهرة في ذلك الزمان تبعاً لمظهر القوة ، وميل السطوة ، وقد كثر اتباعهم من طلاب الدنيا والمستشرفين الى الوظائف وهم على دين ملوكهم كما ترى في هذا العصر من اطباق الموظفين على ما تقتضيه سياسة الحكومة فكذلك كانوا ، ولم تدل دولة بني مروان حتى تأصلت هذه العقيدة وصار لنواصب العلماء قدر في قلوب العامة وتعظيم وشهرة واتباع يروون عنهم ، وبقيت عقيدتهم يتناقلها الناس بينهم ترد لاجلها الاحاديث الصحيحة الصريحة والنصوص العامة والخاصة ، ويطعن في كل من روى حديثاً يدل على بطلان ما هم فيه او عرف بميل ومجبة لاهل البيت ، فلما جاءت دولة بني العباس وكانت علة الاستبداد واحدة في الدولتين حملهم الحرص على الاغضاء عن كثير مما ذاع وشاع ، في الاساتذة والاتباع وان كانت الوطأة اخف مما كانت عليه ، فذهبت شرة النصب

ولكن بقيت آثاره ، فمن الناس من غلب عليه التقليد ، وقفل على قلبه منه بقفل من حديد ، فبقي يكرع من حياض النصب الآسنة الآجنة على مثل حال سلفه ، فاذا عرض له ما يخالف معتقده فزع الى التأويل تارة والرد والانكار اخرى ، وهؤلاءهم الذين اعضل دأؤهم وتعسر دواؤهم وشفائهم ، ومنهم المتذبذب بين الطريقتين طريقي الضلالة والهدى ، يعرف مرة وينكر اخرى ومنهم من ادعى انه من اهل السنة ظاهرا وبقي على نحلته باطنا ومن هؤلاء المبطلين والعياذ بالله تعالى افراد من اتباع المذاهب المشهورة وغيرهم ، يشنون صدورهم كاظمين ، وبين جوانحهم منه نار لا تحبو ، فاذا كربوا وغلبوا تنفسوا بالزفرة بعد الزفرة ، وقذفوا الجمره تتلو الجمره ، وهكذا لا تزال تحرق ارواحهم حتى تجتمع مع نار جهنم على حرق ارواحهم واشباحهم ، ومتى خافوا أن يفتن لهم عادوا يتذبذبون ويواربون ويوردون من الكلام ما يومئ انهم ليسوا بنواصب هكذا شأنهم ابدا وممها تكن عندا مرثى من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذا القسم هم الذين جمعوا النفاقين نفاق النصب ونفاق الرياء باظهار خلاف ما يمتقدون وتجد كثيرا من اعمالهم واقوالهم وضلالهم في غير هذا الموضع عافانا الله من الفتن بمنه وكرمه آمين

﴿ ذكر الشعوية وبدعة القول بالتسوية ومن تبرأ منها ومنهم من الأئمة ﴾
الشعوية نسبة الى الشعوب بالضم يطلق على الفرقة التي لا تمترف
بفضل العرب على غيرهم والشعب بالفتح - واحد الشعوب - القبيلة
العظيمة وابوالقبائل الذي يتسبون اليه اي تنتهي انسابهم اليه
وتفرع عنه قال الله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن
أكرمكم عند الله اتقاكم، فعلى القول بعموم مدلول الأكرم والاتقى
- خلافا لما تفيد الصيغة افعال التفضيل من كونها خاصة لان هذه
الصيغة تفيد التمييز وقطع المشاركة - تكون مثبتة للافضلية في الكرم
لمن ثبتت له الافضلية في التقوى ، اما الكرم لا الأكرمية فتثبت على
قول المحققين في مثل هذا ، لانه لا اكرمية الا مع كرم ، كما اذا قلت
زيدٌ أعلم الجماعة او أغناهم فقد اثبت لهم علما وغنى وان لم تثبت
لهم الغاية فيهما ، وعلى قول غيرهم لا تثبت ولا تنفيه لان غاية
ما تدل عليه اثبات غاية الكرم لمن ثبتت له الغاية في التقوى
وهذا حق وصدق ، كما أن الكرم ايضا ثابت للمتقى الذي هو
دون الأتقى وللمعادن الكريمة والانساب الصالحة كما وردت بذلك
السنة الصحيحة المينة للقرآن والمرجوع اليها في بيانه وهذا بحث
عارض سيأتي في موضعه بإسبغ مما هنا ، والقصد هنا بيان معنى الشعوية
فنقول قال في القاموس وشرحه « والشعوبى بالضم محتقر امر العرب قال ابن

منظور وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر امر
العرب شعوبى اضافوا الى الجمع لغلته على الجيل الواحد كقولهم انصارى وهم
الشعوبية وهم فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلا على غيرهم واما
الذى فى حديث مسروق ان رجلا من الشعوب أسلم فكانت تؤخذ منه الجزية
فأمر عمر ان لا تؤخذ منه فقال ابن الاثير الشعوب ههنا العجم ووجهه ان
الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم فخص باحدها ويجوز ان يكون جمع
الشعوبى كقولهم اليهود والمجوس فى جمع اليهودى والمجوسى « اه فذكر ان
بدعة هذه الفرقة ككونها لا تفضل العرب على العجم ، وبنحو
هذا قال ابن تيمية ولكن الحافظ ابن حجر قال فى تهذيب
التهذيب «ان الشعوبية هم الذين يفضلون العجم على العرب» اه وهو
مخالف لما نقلناه عن غيره ، وفى كلام المسعودي الآتى
ذكر احتجاجهم على تفضيل النبط على العرب ، ووجه الجمع ان
منهم غلاة ومتوسطين فالغلاة لا يقتصرون على انكار فضل العرب
بل يفضلون عليهم من سواهم ، ومن الغلاة امة الفرس قديما وامم
الافرنج حديثا فانهم لهذا العهد يقولون بانقسام البشر الى اصناف
كثيرة ادناها عندهم الجنس الأسود ، ويزعمون ان حظه من المميزات
والخصائص الانسانية قليل ، ويبنون على هذا الأصل انه لا يستحق
السيادة ولا العزة ، ويقولون : ان جنسهم هو اعلا الاجناس وارقاها وهو
الذى يستحق ان يكون سيدا وما سواه من الاجناس مسودا معبدا له
ويجعلون العرب من الجنس الاسود ، وقد رأيت فى بعض ما ترجم

من كتبهم أن العرب من الجنس الابيض الادنى لا الا على فلا ادري أكان هذا مذهبا لاحد منهم ام هي من جراب المترجم؟ وما ذكرناه مشروح في كتبهم وفيما ترجم عنها وقولهم هذا مردود بصريح القرآن فان الله جعل الامة الاسلامية شهيدة على الامم واختارها لذلك ، وهو العليم الحكيم الذي يضع كل شئ موضعه اللائق به ، والنصوص في هذا الباب خوطب بها العرب خطاب مواجهة ودخل في حكم ذلك من تبعهم من بقية الامم ، فلم عليهم فضل الاولوية والسبق ، وقال صاحب الأساس «وفلان شعوبي ومن الشعوية وهم الذين يصفرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلا على غيرهم» اه وقد يسميهم بعضهم اصحاب التسوية ويسمي اهل السنة اصحاب العصية وهذا جهل ووضع للأشياء في غير مواضعها ، فان التسوية التي يدعيها الشعوية هي أن الله خلق الشعوب والقبائل متساوية في غرائزها وفطرها واستعدادها وخصائصها ، وأن الله لم يميز قبيلة في ذلك على قبيلة ، وهذا قول مخالف للمعقول والمنقول . وانما يستدلون على قولهم هذا بتسوية الاسلام بين اتباعه في الحدود والحقوق والدماء ، ومع ان هذا القول ليس على إطلاقه فليس لهم فيه حجة أصلا ، ووجه ذلك أنهم لا ينكرون أن الاسلام اثبت فضل المتقي والعالم ونحوها ومع ذلك فقد

سوى بينهما وبين من دونهما كالفاسق والجاهل في ذلك ، فكما أن تسويته بين أولئك ومن دونهم في الاحكام لا تدل على عدم فضلهم ، فكذلك القول فيما هنا ، والاحكام الشرعية إنما تبنى على العلل الظاهرة المنضبطة فعلق الشارع القصاص والدية بالاسلام فحسب فقال المسلمون تكافأ دماؤهم الحديث ، فسوى بين العالم والجاهل والمتقي والفاسق والقوي والضعيف ، وسوى بين الكبير الذي ثبت له الاسلام استقلالاً وحقيقة ، والطفل الصغير الذي لم يثبت اسلامه الاتباعاً وحكماً ، كما سوى بين العربي والعجمي ، والقرشي والعربي ، والشريف والمشروف في ذلك ، فاستدلواهم بما ذكر مجرد شغب ، وفضل العرب ثابت بالأدلة الخاصة وستأق مستوفاة ان شاء الله تعالى وقد بنى بعض المتكلمين الحجة في التسوية على اصل من اصول المعتزلة وهو اصل التعديل والتجويز مع أن التفضيل لا يندرج تحت ذلك الأصل وإنما هو كما يدل عليه اشتقاقه من باب الفضل والهبات كما فضل الله بعض الناس بمال وقوة وصحة ونحو ذلك قال تعالى أم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمتنا ربك خير مما يجمعون ، وقال الشهاب الحفاجي « الشعوبية اذية لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله

ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وقد فصل ذلك الحافظ
العراقي في تأليف له مستتل سماه انفع القرب في بيان فضل العرب اه
وروى القاضي ابو الحسين محمد بن الفراء الحنبلي في طبقات الحنابلة
بسنداه الى الامم احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وذكره ابن القيم في
كتابه حادي الارواح نقلا عن الفقيه الحافظ الحجة ابو محمد حرب بن
اسماعيل الكرمانى وعزاه اليه ابن تيمية ايضا انه قال في مسائله المشهورة
« هذه مذاهب اهل العلم واصحاب الاثر واهل السنة المستمسكين بها المقتدى بهم
فيها من لدن اصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم الى يومنا هذا وادركت من ادركت
من علماء الحجاز وغيرهم عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب او طعن فيها
او عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل
الحق وهو مذهب احمد واسحق بن ابراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير
الحيدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا واخذنا عنهم العلم ، وساق كلاما
طويلا الى ان قال : ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول
الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فان حبه ايمان و بغضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية
وارذال الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فان قولهم بدعة » اه
فبهذا تعلم ان القول بالتسوية قول مبتدع مخالف لما عليه اهل
السنة والجماعة وعلماء الاثر واتباع الحديث وخلاف المنقول عن
السلف من الصحابة فمن بعدهم لم يقل به الا مبتدعة الشعوبية وارذال
الموالي وقد ذكر الفقيه الحافظ الحجة حرب الكرمانى بعض
من بدعهم وانكر قولهم من اساطين الحديث في زمانه وجمال
العلم ورواسيه الشائخة كالامام احمد بن حنبل وناهيك به علما وعملا

ومعرفة بالسنة ومذاهب سلف الامة ولذلك قال ابن تيمية
« وهو قوله وقول عامة اهل العلم » * واما اسحق بن ابراهيم فهو ابن
راهويه امام خراسان ومقتداها في وقته وهو الذي قال فيه
الامام احمد كان اعلم الناس ولوعاش الثوري لاحتاج الى اسحق
وقد صنف وكان له اتباع ومذهب معروف * واما عبد الله بن مخلد
فهو احد حفاظ الحديث من تلاميذ الامام احمد بن حنبل * واما
عبد الله بن الزبير الحميدي فهو احد الائمة قال فيه ابن حبان صاحب
سنة وفضل ودين وهو من كبار شيوخ البخارى فى القدر والمنزلة
ولذلك بدأ بالرواية عنه فى صحيحه وكان البخارى اذا وجد
الحديث عنه لا يخرج عن غيره وقال فيه يعقوب بن سفيان
ما لقيت انصح للاسلام واهله منه ولازم الشافعي بمكة ورحل
معه الى مصر واقام معه الى ان مات وهو من كبار اصحابه ومشاهيرهم
ولما ذكر الحافظ ابن حجر اصحاب الشافعي ذكره اولهم رحمهم
الله تعالى . ولا ريب انه أخذ هذا القول عن شيخه الامام الشافعي
فانه كسائر علماء السنة فى مخالفته للشعوبية المبتدعة كما هو
صريح مذهبه فى الامامة الصغرى والكبرى وفى الديوان والعطاء
وترتيبه والكفاءة بل مذهبه ابين المذاهب فى ذلك كالامام احمد
ولا تحسبن الامام مالكا رحمه الله تعالى يخالفهم فى القول بفضل

العرب كلا بل هو مثلهم في ذلك ، ومخالفته لهم في الكفاءة لا تدل الاعلى انه لم ير ذلك مقتضيا للقول بها ، كما أنه لم ير ذلك في الفضل بالعلم والتقى والنسك فاعتبر في الكفاءة التدين فحسب وهذا واضح ، فلوجعل قوله بعدم اعتبار الكفاءة في النسب دليلا على انه لا يقول بفضله لا يمكن جعل عدم اعتبارها في العلم والتقى دليلا على عدم قوله بفضلها ، وكلا الامرين باطل (عود الى ذكر الحميدي) وهو الذي قال فيه اسحق بن راهويه الاثمة في زماننا الشافعي والحميدي وابو عبيد وهو القائل مادمت بالحجاز واحمد بالعراق واسحاق بخراسان لا يغلبنا احد قال الحاكم ابو عبد الله الحميدي مفتي اهل مكة ومحدثهم وهو لاهل الحجاز في السنة كأحمد لاهل العراق ، واما سعيد بن منصور فهو المروزي الخراساني المكي سكنها ومات بها وهو أحد ائمة الحديث واهل الفضل والصدق والاتقان والحفظ وهو الذي قال فيه حرب الكرماني املى علينا نحواً من عشرة الاف حديث من حفظه ثم صنف بعد ذلك وهو احد من رد على اهل البدع اه ملتقطا من تهذيب التهذيب فهذا محل هولاء من العلم وقد روى عنهم حرب الكرماني تبديع الشعوية ومخالفتهم لاهل السنة والجماعة وقال ابن تيمية في الاقتضاء « فان الذي عليه اهل السنة

والجماعة اعتقاد ان جنس العرب افضل من جنس العجم عبرانيهم
وسريانيهم ورومهم وفرسهم وغيرهم ، وان قريشا افضل العرب
وان بنى هاشم افضل قريش ، وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
افضل بنى هاشم ، فهو افضل الخلق نفسا وافضلهم نسبا ، وليس
فضل العرب ثم قريش ثم بنى هاشم بمجرد كون النبي صلى الله
عليه وآله وسلم منهم وان كان هذا من الفضل ، بل هم في انفسهم
افضل ، وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه افضل
نفسا ونسبا والالزم الدور « اه فبقوله هذا تعلم اتفاق اهل السنة
والجماعة على القول بالترتيب والتفضيل وانهم المعنيون مع من وافقهم من
الطوائف بقوله وهذا مذهب الجمهور حيث قال مانصه في موضع آخر
« ولا ريب ان آل محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حقا على الامة
لايشركهم فيه غيرهم ويستحقون من زيادة المحبة والموالة ما لا يستحقه سائر بطون
قريش كما ان قريشا يستحقون من المحبة والموالة ما لا يستحقه غير قريش
من القبائل كما ان جنس العرب يستحق من المحبة والموالة ما لا يستحقه سائر
اجناس بنى آدم وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم
وفضل قريش على سائر العرب وفضل بنى هاشم على سائر قريش وهذا هو
النصوص عن الائمة كأحمد وغيره وعلى هذا دلت النصوص كقوله صلى الله عليه وآله
وسلم في الحديث الصحيح ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى
هاشم من قريش وكقوله في الحديث الصحيح الناس معادن كعادن الذهب
والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وامثال ذلك وذهب
طائفة الى عدم التفضيل بين هذه الاجناس وهذا قول طائفة من اهل الكلام

كالقاضي ابي بكر بن الطيب وغيره وهو الذي ذكره القاضي ابو يعلى في المعتمد وهذا القول يقال له مذهب الشعوية وهو قول ضعيف من اقوال اهل البدع كما بسط في موضعه اهـ فالقاضي ابوبكر وابو يعلى قد خرجوا في هذه المسئلة عن مذهب اهل السنة والجماعة وليس في يدهم دليل الا ما يقوله اهل الكلام من ادعائهم تساوي الاجسام لتساوي ما تركب منه اعني الجواهر المفردة وعدم استحالتها مع التركيب وهو قول قد ابطله عليهم ابن تيمية نفسه في كتابه بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول وقد اجاد الرد عليهم ابن القيم في هذه المسئلة خاصة اعني مسئلة التفضيل في كتابه اعلام الموقعين وسيأتي نقل كلامه برمته وبذلك تعلم ان القاضي ابابكر وابا يعلى ومن تبعاهم من الشعوية قد خالفوا صحيح المعقول وصريح المنقول ولبسط هذا موضع آخر والله الموفق والمعين

✽ ذكر بعض ائمة المستدعة من الشعوية ومثالهم ✽
لم ينقل الينا ان احدا من علماء الأثر وحفاظ الحديث والتمسكين بالسنة قال بهذه البدعة وانما قال بها افراد من المتكلمين معروفون بشناعة المذهب ومخالفة الجمهور ، ومتهمون برقة الديانة وبالنفاق والزندقة ، مدفوعون عن الثقة والعدالة والصدق كضرار بن عمرو وثمامة بن اشرس ويونس بن ابي فروة الزنديق وامثالهم من المخذولين واول من رمى بها باطلا

فتنصل عنها عامر بن عبد قيس احد من تضرب به الامثال في
الزهد والتجرد للعبادة فقد ذكر ابن جرير في تاريخه في حوادث
سنة ثلاث وثلاثين للهجرة قصة ذكر فيها « ان عبد الله بن
عامر تذاكروا يوما في مجلسه الركوب والمرور بعامر بن عبد قيس
وكان منقبضا عن الناس فقال حمران الا اسبقكم فأخبره فخرج
فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف فقال الامير اراد ان يربك
فاحببت ان اخبرك فلم يقطع قرآته ولم يقبل عليه فقام من عنده
خارجا فلما انتهى الى الباب لقيه ابن عامر فقال جئتك من
عند امرئ لا يرى لآل ابراهيم عليه فضلا واستاذن ابن عامر
فدخل عليه وجلس اليه فأطبق عامر المصحف وحدثه ساعة
فقال له ابن عامر الاتغشانا فقال سعد بن ابي العرجاء يجب
الشرف فقال الانستعملك فقال حصين ابن ابي الحريش العمل
فقال الانز وجك قال ربيعة ابن عسل يعجبه النساء قال ان هذا
يزعم انك لا ترى لآل ابراهيم عليك فضلا فصيح المصحف
وافتح منه فكان اول ما وقع عليه ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » اه
ومنهم ضرار بن عمرو القاضي النطفاني المعتزلي احد من ضربت
به الامثال في غرابة المذهب وكان من النفاة لا يثبت لله صفة

وينكر حرفي عبد الله بن مسعود وابي بن كعب ويقول ان الله لم ينزلها قال الذهبي في الميزان « معتزلي جلد له مقالات خبيثة قال يمكن ان يكون جميع من يظهر الاسلام كفارا في الباطن لجواز ذلك على كل فرد منهم في نفسه قال احمد بن حنبل شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي فأمر بضرب عنقه. فهرب وقيل ان يحيى بن خالد البرمكي اخفاه قال ابن حزم كان ضرار ينكر عذاب القبر قلت هذا المدبر لم يرو شيئا» اه كلام الذهبي وقال ابن عبد ربه « قالوا كانت في ضرار بن عمرو ثلاث من المحال كان كوفيا معتزليا وكان من بني عبد الله بن غطفان ويرى رأي الشعوبية ومحال ان يكون عربي شعوبيا» الا وفي هذه العبارة نقص كما لا يخفى وقد اعاد الدهر اعجوبته وهو ابو العجب في السوداني وتلميذه وذلك انهما ينتسبان الى الانصار والانصار عرب ولهم قدم في محبة بني هاشم واهل البيت قديمة، ولهم عليهم حق النصر في الجاهلية والاسلام وحق الخوالة فما عدا مما بدا؟ ومن مذاهب ضرار الخبيثة عدم قبوله اخبار الآحاد مطلقا ومن فروع مذهبه الشعوبي ان الامامة تصلح في غير قريش حتى اذا اجتمع قرشي ونبطي قدمنا النبطي وقد حكى هذا عنه غير واحد ونسبه اليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ونسبه بعضهم الى خرق الاجماع في ذلك وهو كذلك وكان ضرار خبيصا بالبراء مكة وكانوا يريدون اعادة الملك الى الفرس ويعدون لذلك عدته فلذلك أخذ يحتج لما يهوى ذوو نعمته وشر العلماء علماء الملوك

وكما قال ضرار بهذا القول ارضاء للبرامكة وتأسيماً لما يمكرونه كذلك ظهر خلاف القاضي الباقلاني في مسألة الخلافة ايام ملوك الطوائف عند ما ضعفت دولة بني العباس ومما وقع في عصرنا ان بعض من يقول بمذهب الشعوية والنواصب اسس مع حزبه جمعية لمساعي معروفة وجعل في قانونها انه لا يمكن ان يتولى رئاستها هاشمي ولوتأهل لها فهذا هو عين مذهب ضرار بن عمرو!!

ومنهم ثمانية بن الاشروس ابومعن النميري البصري ذكره في الميزان بأسوأ الذكر قال فيه من كبار المعتزلة ورؤس الضلالة ثم ذكر بعض مقالاته الاعتزالية وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان «وقال ابن قتيبة كان من رقة الديانة وتقيص الاسلام والاستهزاء به وارساله لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله ولا يؤمن به قال ومن المشهور انه رأى قوما يتعادون الى الجمعة لحوف قوت الصلاة فقال انظروا الى البقر انظروا الى الحمر ثم قال لرجل من اخوانه انظر صنع هذا العربي بالناس» اه اقول فانظر الى هذا الحبيث كيف ظهر ما يكرهه جنانه على قلتات لسانه ، وما اخرج هذه الكلمة حتى اطلق عنوان العربي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الموضع الا الاحاد والحسد الذي اشتملت عليه اضلاعه للعرب حتى أدى به الى الكفر ، وما أكثر ما يكون الحسد جسراً لاهله اليه ، وهو جسر ابليس عبر عليه الى ظلمات الكفر فانه حسد آدم واستعظم ان يفضل عليه

فكفر وقد شق على هذا المارد اطباق الامم على اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم والايان به وتصديقه وكبر عليه اصطفاء الله له من العرب فقال « انظروا الى صنع هذا العربي » فهل يرضى ذودين وخشية ان يكون هولاء الزدناقة أئمة ومتبوعيه ؟ ! كلا ولكن سبق القضاء وغلب الشقاء ولاعاصم من امر الله الامن رحم ، وقال الشهرستاني في ثامة بن الأشرس انه كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده ان الفاسق مخلد في النار اذا مات على فسقه من غير توبة اه ومن اعظم ما حكي عنه القول بالوجوب الذاتي وهذا بعينه قول كفار الفلاسفة وقد ذكر ابو منصور البغدادي كلاماً طويلاً في ثامة وانه هو الذي سعى باحمد بن نصر المروزي الخزاعي الى الواثق حتى قتله ثم ندم على قتله ، وان الخزاعيين رأوا ثامة بمكة فقتلوه ثم اخرجوا جيفته من الحرم فأكلته السباع ، وكان قد قال للواثق في قتل احمد بن نصر سلط الله علي السيوف ان لم تكن انت مصيباً في قتله فكان عاقبة ابتهاله عقوبته وظهور كذبه قال ابو منصور « وحكى الجاحظ في كتاب المضحك ان المأمون ركب يوماً فرأى ثامة سكران قد وقع في الطين فقال له : ثامة ؟ قال اي والله . قال الاستحى . قال : لا والله . قال عليك لعنة الله . قال تترى ثم تترى . وذكر الجاحظ ايضاً ان غلام ثامة قال يوماً لثامة قم صل . فتغافل . فقال له : قد ضاق الوقت فقم وصل واسترح فقال انا مستريح ان تركتني » اه

* ومنهم الزنديق الشهير يونس بن ابي فروة الف كتابا في مثالب العرب وعيوب الاسلام وصار به الى ملك الروم فأخذ عليه مالا * ومنهم معمر بن المثنى ابو عبيدة كان شعوبيا ورمي بالخارجية ايضا ذكره غير واحد قال ابن الانباري في طبقات الادباء « عن الكندي او ابي العيلاء قال قال رجل لابي عبيدة ذكرت الناس وطعت في انسابهم فبالله عليك الا ما عرفتني من ابوك وما اصله؟ فقال حدثني ابي ان اياه كان يهوديا! » اه وفي التهذيب للحافظ أنه كان يبغض العرب وصنف في مثالبها كتباً وقال ابو منصور الازهري فيه كان متبها في روايته مغرى بنشر مثالب العرب فهو مذموم من هذه الجهة غير موثوق به ونقل عن النديم نحو ذلك الا قال ابو حيان في تفسيره « والنسب الى الشعوب شعوبية بفتح الشين (كذا) وهم الامم التي ليست بعرب وقيل هم الذين يفضلون العجم على العرب وكان ابو عبيدة خارجيا شعوبيا وله كتاب في مناقب العرب (كذا) ولا بن غرسبة رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب وقد رد عليه ذلك علماء الاندلس برسائل عديدة » اه وقوله ان الشعوبية بالفتح غلط من الناسخ فان اباحيان لا يخفي عليه مثل هذا وقد ذكرنا كلام صاحب القاموس واللسان في ذلك وانه بالضم لا غير وقوله في مناقب العرب لعل الصواب مثالب العرب كذلك ذكره غيره وله كتاب آخر في مآثر العرب وقوله ابن غرسبة لعله ابن عبدربه وحرفه النساخ فتأمل * ومنهم احمد بن بشير الكوفي ذكره في الميزان قال

«كان رأسا في الشعوبية عاصم في ذاك (كذا) فوضعه ذلك عند الناس»
ثم نقل تضعيفه عن الدارقطني وقال النسائي ليس بذلك
القوي وقال عثمان الدارمي هو متروك اه وقد ذكر ابن
عبد ربه في كتابه العقد الفريد في الجزء الاول منه في فرش
كتاب الوفود قصة للنعمان مع كسرى وفيها طول فلامحل
لذكرها ، ذكر فيها رد النعمان على كسرى وتفضيله للعرب بعزها
ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة السنهبا
وصفاء عقولها وشدة أنفقتها ووقائها في كلام طويل حسن بليغ
فليراجع من اراد ، وعلما الطبيعة من الافرنج لهذا العهد
يتعصبون على العرب ويعدونهم من الجنس الأدنى
الاسفل الناقص وهو الجنس الاسود ، ومنهم من يقول بتعدد
الاصول البشرية ، ومن يقول بتعدد اصنافها ، ومن يقول ان اباهم انما
كان قردا من القردة وما زالت به طبيعة الانتخاب حتى صار بشرا ثم
ما زالت طبيعة الانتخاب تستصفي النوع بعد النوع من اولاده الى ان كان
الخلاصة الخاصة منهم جنسهم الأبيض ، فهم مع قولهم بأنهم خلاصة اولاد
ذلك القرد يزعمون انهم افضل الاجناس البشرية ، وهذا القول مخالف
للحديث الصحيح ان الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه وجعلهم
فرقتين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة

وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا
فما قالوا خطأ وظلم للعرب وتحامل عليهم ، وعندنا النص الثابت
باختيار الله لشعب العرب جيلا جيلا و قبيلة قبيلة فلا نعدل عنه
وايضا فان التاريخ لم يحفظ لامة من الامم ما حفظ للعرب من
طهارة العنصر وزكاء النسب واعتدال الخلق وما جرى على ايديهم
من حسن الايالة والسياسة والعدل الذي لم تكتحل عين الزمان
بمثله ، وما اختاره الله لهم واختارهم له من الدين المبين وبعثة خاتم النبيين
الذي بذوا به الامم فسبقوا كل سابق ، وفاتوا كل لاحق ومن العجب
ان قول الشعوية انما ظهر عند ما ترجمت كتب الفلسفة اليونانية
في زمن المأمون وما قبله وتسامى كثير من الفرس الى المناصب
العالية في تلك الاوقات ، وقد اعاد الكرة اليوم عند ما انتشرت
علوم الافرنج وفلسفتهم بين المفتونين بها بواسطة التعليم في مدارسهم
التي نشروها في الاقطار ، ولهم في ذلك اغراض سياسية فانهم
بجعلهم جنسهم هو الجنس الافضل الكامل في الانسانية
ومميزاتا يبقى افرادهم متشبثين بطلب السيادة والعلو في العالم
ومن طلب شيئا ادركه ، ومنها ان تصغر نفوس المتعلمين
من افراد الامم الأخرى فيرأموا للذل والمهانة ويستخذوا
لهم ويستلذوا العبودية ويعتقدوا انها لهم بحق ويعتبطوا بالاقتداء

باسيادهم الذين استخلصتهم الطبيعة واصطفتهم ، ولذلك تجد هولاء المتعلمين اشد الناس استحقاقا لأمتهم وجهلا بتاريخها ، وترى بعض هولاء المخدوعين يقرن بين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعظماء امته وبين نابليون وبسمايك وغلادستون واشباههم من عظماء الافرنج وينظمهم في سلك واحد متكلمة عن تاريخهم وعظم شأنهم ، وهذا من الجهل القبيح والبعد عن التحقق بمعاني الايمان ، وعدم التفرقة بين الممدوح والمذموم والحسن والقبيح في الشرع ، ومن المتعلمين عندهم من اصاب ذروا من علم الدين مع ما تعلمه من فلسفتهم وعجز عن التمييز بين حق الأمر وباطله ، ثم لما رأى ان من محاسن الدين الاسلامي تسويتهم بين الامم والشعوب المسلمة في الاحكام ، ظن أنه اثبت استواءهم في الفطر والمعادن والأنساب ، فلهج به ليزيل ما شوش فكره من قول اساتذته من الافرنج بدناءة اصله ونقصان جنسه ، ومنهم من بقي في غوايته محتقرا لابناء جنسه آله مستعبدية ، قصارى امره ان يتشبه بهم في ازيائهم وعاداتهم ، متقربا منهم متباعدا عن قومه رجاء ان ينفضوا عليه من غبار فضل جنسهم الأبيض ، ولبعض المتكلمين منهم في التاريخ تعصب قبيح وقد رايت من الف تاريخا للعرب قبل الاسلام فاستتقرب ان يكون اصل

اهل اليمن من الحبشة واستدل على ذلك بتقارب اشكال الكتابة
الحبشية واليمنية الاولى المعروفة بالمسند وباتحاد بعض العوائد التي
لا يبنى على مثلها حكم بين قطرين متجاورين يحتمل ان يكون كل
واحد منها هو المتلقي عن اخيه ، ومعلوم أن عهد آسيا التي منها اليمن
بالمدينة قديم ، وكان مهدها العراق ولا يشك احد في اتصال اليمن به
واقتراسه آدابها ، والشبه بين المدينتين - كما تدل عليه الآثار -
بين واضح لمن جانب التعصب ، وايضا فان لغة اليمن كانت
واحدة وهي الحميرية ، وكتابتهم المسند وهم جنس واحد ، فاتحد
جنسهم ولغتهم وكتابتهم ، اما الحبشة فتشتمل على اصناف كثيرة
كالقالا والقراقي وغيرهم ، وهم عدد كثير ولهم لغات مستقلة متقاربة في
كثير من مفرداتها ، لاتشبه لغة العرب ولا توافقها في شيء من
مفرداتها ، والذين يوجد عندهم القلم المسند منهم هم الجنس المعروف
بالاخرى خاصة ، ولغتهم مشتقة من العربية لاتشابه بقية اللغات الحبشية
فهم غرباء هناك ، ومن نظر في لغتهم الفصحى المسماة بالجيز لم
يبق عنده مرية في ذلك ، وفيهم شبه بالعرب لو لاتأثير الاقليم
في سحتهم ، فالذي عندنا أن الحبشة اخذت من اليمن وان
هذا الجنس المختص دون بقية اهلها باللغة المشابهة للعربية اليمنية
وبالكتاب العربي اليمني هو جنس طارئ عليها من غير بلادها

ولا يحتمل ان يكون هذا الفرع المتبذ هناك أصلاً لاهل البلاد
اليمنية والعراقية، وذلك انا نجد التشابه بين اللغة العبرانية التي
كان مهدها العراق والعربية التي مهدها الجزيرة والحبشية المحاطة
بلغات اجنبية، فنعرف انها غريبة بارض الحبشة فارقت اختيها فجازت
البحر اليها، ثم لم تقو على محوما تقدمها من اللغات، فعلى ما ذكرنا
يكون اصل الجنس الاحمري من اليمن دخل الحبشة فاتحاً في
قديم الزمان فاستولى عليها، وبقيت له لغته وكتابه وان ضاع عليه
باقي المميزات العربية، بل بقي له في اسمه المحرف ما يدل على
اصله فان لفظه (احمري) يقرب قرباً قويا من لفظه (حميري)
وقد تحول بطول الاستعمال وتقادم السنين، والقائل بان اهل اليمن
من الاحباش لمشابهة كتابتهم القديمة لبعض قبائل الحبشة يلزمه
ان يقول ان اصل العبرانيين ايضا كان حبشياً لمشابهة اللغتين وكل
هذا خطأ، وقد حفظ التاريخ للعرب وقائع كثيرة اندفعوا
فيها على ما جاور بلادهم فاستولوا عليها وحافظوا على لغتهم وبعض
مميزاتهم كما فعلوا في مصر في العهد الاول وقد جاء هذا الكلام
استطراداً والقصد بيان تعصب الافرنج ومن أخذ بعلمهم على
العرب وتصغير شأنهم ما أستطاعوا الاطائة قليلة يتهمهم قومهم
بالشدوذ والميل عن الجادة

﴿ اجماع الصحابة ومن بعدهم على فضل العرب ﴾
كان المسلمون في القرن الاول وما بعده مجمعين على افضلية العرب معترفين
لهم بالمكانة التي خصهم الله بها والنعمة التي اسبغها عليهم ، يدل ذلك
على ذلك ما روي عن سلمان الفارسي انه حضرت الصلاة فقبل له تقدم
فقال ما انا بالذي اتقدم وانتم العرب منكم النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم وفي رواية انتم بنو اسماعيل الائمة ونحن الوزراء اخرجته
ابن ابي شيبة بسند صحيح وقد ذكر هذا الحديث ابن تيمية في
الاقتضاء محتجابه من طريق اخرى غير التي ذكرناها فقال :
وايضا في المسئلة ماروى ابو بكر البزار: حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا
ابو احمد حدثنا عبد الجبار بن عبد العباس وكان رجلا من اهل الكوفة يميل الى
الشيعة وهو صحيح الحديث مستقيم وهذا والله اعلم كلام البزار عن ابي اسحق
عن اوس بن ضميج قال قال سلمان نفضلكم يامعاشر العرب لتفضيل رسول الله
صلى الله عليه (وآله) وسلم اياكم لانتكح نساءكم ولا تؤمكم في الصلاة وهذا اسناد جيد
وأبو احمد هو والله اعلم محمد بن عبد الله الزبيري من أعيان العلماء الثقات وقد
اثني على شيخه ، والجوهري وابو اسحق السبيعي أشهر من ان يثنى عليهما وأوس
بن ضميج ثقة روى له مسلم وقد اخبر سلمان أن رسول الله صلى الله عليه (وآله)
وسلم فضل العرب فأما انشاء واما اخبار ، فانشاؤه صلى الله عليه (وآله) وسلم حكم
لازم ، وخبره حديث صادق ، وتام الحديث قد روي عن سلمان من غير هذا
الوجه رواه الثوري عن ابي اسحق عن ابي ليلى الكندي عن سلمان الفارسي انه
قال : فضلتونا يامعاشر العرب باثنين لانتمكم ولانتكح نساءكم رواه محمد بن ابي عمر
العدني وسعيد في سننه وغيرها وهذا مما احتج به اكثر الفقهاء الذين جعلوا
العربية من الكفاءة بالنسبة الى العجمي واحتج به احمد في احدي الروايتين على

ان الكفاءة ليست حقالو احد معين بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح حتى انه يفرق بينهما عند عدمها ، واحتج أصحاب الشافعي واحد بهذا على ان الشرف مما يستحق به التقديم في الصلاة ومثل ذلك ما رواه محمد بن ابي عمر العدني : حدثنا سعيد بن عبيد ابنا علي بن ربيعة عن ربيع بن فضلة انه خرج في اثني عشر راكبا كلهم قد صحب محمدا صلى الله عليه وآله وسلم غيره وفيهم سلمان الفارسي وهم في سفر فحضرت الصلاة فتدافع القوم ابيهم يصلي بهم فصلي بهم رجل منهم اربعا فلما انصرف قال سلمان : ما هذا ؟ مرارا ، نصف المربوعة قال مروان يعني نصف الاربع نحن الى التخفيف أفقر فقال له القوم : صل بنا يا أبا عبد الله أنت احقنا بذلك فقال : لا . انتم بنو اسما عيل الائمة ونحن الوزاء ، اه ولكلامه بقية وانما اوردنا هنا ما يدل على ان الصحابة كانوا يعرفون هذا الفضل للعرب ولا ينكرونه ، وحسبك بشهادة سلمان رضي الله عنه وروايته وخبره فانه قال نفضلكم يا معاشر العرب بتفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم وقوله لانكح نساءكم ولا تؤمكم في صلواتكم تفسير لذلك التفضيل وذلك لا ينافي ان يكون هناك تفضيل بامور اخرى غير ما ذكره ، وكان سلمان رضي الله عنه يتجنب نكاح العرييات اخرج احمد في مسنده عن عمرو بن ابي قره الكندي قال عرض ابي علي سلمان اخته فأبي وتزوج مولاة له يقال لها بقيقة الحديث ، واماما ذكره الحافظ ابن حجر في الاصابة ان سلمان رضي الله عنه تزوج امرأة من كندة ، فانما اراد انها منهم بطريق الموالاته وليست من صميمهم لما ذكرناه ، وايضا فان النسخة المطبوعة من الاصابة فيها اغلاط

فلعل الاصل من موالي كندة نعم ذكر ابن الصلاح في شرح مشكل
الوسيط « ان عمر رضي الله عنه هم بأن يزوج سلمان الفارسي ابنته
رضي الله عنها فتداخل ابنه من ذلك شيء فشكى ذلك الى عمرو بن العاص
فقال عمرو انا اكفيك فلتقي سلمان وقال هنيأ لك تواضع لك امير المؤمنين فقال
سلمان ألمثلي يقال هذا ؟ والله لا انكحها ابدا وسلمان له من الصلاح ما هو
مشهور ولكن فانه نسب ابنة عمر رضي الله عنها » اه كلام ابن الصلاح
والمعروف عن سلمان رضي الله عنه الامتناع عن نكاح العرييات
كما نقلناه عن مسند الامام احمد وكما تدل عليه الروايات السابقة
وهي روايات صحيحة، ومن المستبعد ان يروي سلمان عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم أمرا ثم يخالفه الى ما نهى عنه وقول ابن تيمية
« واحتج اصحاب الشافعي واحد بهذا على ان الشرف مما يستحق به التقديم
في الصلاة » اه فيه أنه قد ورد في المسئلة احاديث خاصة منها
ما احتج به الامام الشافعي في الام وهو حديث « قدموا قريشا
ولا تقدموها » ومنها ما رواه الأثرم واحتج به احمد في روايته
عن سعيد بن جبير قال : كان ابن عباس في سفر معه ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم عمار بن ياسر فكانوا
يقدمونه لقربته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلي
بهم ذات يوم الحديث وسيأتي الكلام في هذا المعنى ان شاء الله
تعالى والقصد هنا بيان ما كان عليه الصدر الاول من

القول بفضل العرب فمن ذلك أيضا ما أخرجه ابن جرير عن
الامام زين العابدين علي بن سبط رسول الله الحسين بن علي المرتضى علي
جدهما واييها وعليها الصلاة والسلام وقد قال له رجل كيف اصبحت
اصلاحك الله فكان من جملة جوابه قوله « واصبحت قريش تعدان
لها الفضل على العرب لان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم منها لاتعد لها
فضلا الا به واصبحت العرب مقرة لهم بذلك واصبحت العرب تعدان لها
فضلا على العجم لان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم منها لاتعد لها فضلا الا به
واصبحت العجم مقرة لهم بذلك فلو كانت العرب صدقت ان لها فضلا على
العجم وصدقت قريش ان لها الفضل على العرب لان محمدا منها ان لنا اهل
البيت الفضل على قريش لان محمدا منا فأصبحوا يأخذون بحقنا ولا يعرفون لنا
حقا» اه فقد حكى عليه السلام اقرار العجم بفضل العرب واقرار
العرب بفضل قريش وقد قال ابو تمام في معنى ما ذكره

بجدكم نالوا علاها فأصبحوا * يرون بها فخرا عليكم ومظمرا

وقال

ومن الحزامة ان تكون حزامة * ان لا تؤخر من به تقدم

وخير منه قول الامام الصادق عليه وعلى اسلافه السلام

فما ساد من ساد الابنا * وما خاب من حبا زادا

ومن ذلك قول بعض الامويين يخاطب الرشيد

يا أمين الله انى قائل * قول ذي فهم وعلم وادب

عبد شمس كان يتلوها شما * وهما بعد لأم ولأب

فاحفظ الارحام فينا انما * عبد شمس عم عبد المطلب
لكم الفضل علينا ولنا * بكم الفضل على كل العرب

ويكفي في هذا الباب ما تقدم نقله عن أمة الحديث واساطين
السنة من اتفاقهم على القول بفضل العرب وان قول الشعوية
بدعة، ومن الواضح انه لا يكون بدعة الا اذا كان القول به مخالفاً
لما كان عليه سلف الامة من الصحابة والتابعين من قوهم بفضل
العرب على العجم وبفضل قريش على العرب وبفضل بني هاشم
على قريش، ولو كان منهم قائل بخلاف هذا لما كان قول اهل
التسوية بدعة ولما ندد بهم علماء السنة وحفاظ الحديث،
وبذلك يتم الاستدلال ويحصل المقصود وصاحب الكتاب الذي
نرد عليه لم يؤلف كتابه لبيان مذهب اهل السنة والجماعة في
ذلك ولا لبيان سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه لم
ينقل مذهبهم في ذلك ولا اشار اليه، بل عابه وشنع عليه ورمى
القائلين به بكل عظمة ولم يقبل ما صح من الاحاديث بل ردها
وطعن فيها، وباجملة فكلامه كله موجه للرد على السنة واهلها،
فلذلك يحسن ان نورد هنا خلاصة مذهب اهل السنة
والجماعة في هذه المسئلة لتكون مرجعاً للمستفيدين .

﴿ خلاصة مذهب اهل السنة والجماعة في مسألة التفضيل ﴾
قال الامام الحبر الجامع ، ذوالفهم الثاقب والعلم الواسع ، وجيه الدين
عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد بلفقيه العلوي (١) في منظومته
عمدة المحقق في علم التوحيد بعد ان ذكر مذهب اهل السنة
في تفضيل الأفراد مانصه

«وفي القبائل آل المصطفى فقر * يش فالكناني فالعرب الذي اتصلا
فنسل يعقوب ثم الآدميون ثم * الجن والفضل عن يكفر انعزلا»
قال السيد العلامة المحقق الجهد الفهامة علوي بن سقاف بن
محمد الجفري العلوي (٢) في شرحه عليها المسمى النهر المتدفق
على حدائق عمدة المحقق بعد ذكر هذين البيتين مانصه
«اي ان القبائل أفضلهم آل المصطفى وهم بنو هاشم وبنو المطلب ويتفاوتون
في (الفضل كتفاوتهم) في القرب اليه فمن كان اقرب كان اولى بالفضل (٣)
فيفضل السبطان على غيرها من بني هاشم وبنو هاشم على بني المطلب ثم قریش
لانها اقرب الى النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ثم كنانة لقربها ثم العرب لقربهم
الى النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ثم بنو اسرائيل وهم نسل يعقوب لأن فيهم
الانبياء ثم بقية الآدميين افضل من الجن لقوله تعالى ولقد كرمتنا بني آدم وشاهد

(١) توفي رضي الله عنه ليلة الاربعاء ٢٦ من جمادى الآخرة سنة ١١٦٢ كان

عالما عاملا متفتنا ناظما ناثرا له مؤلفات كثيرة ومناقب عظيمة له مؤلف

(٢) له مؤلفات عدة ترجمه الحبيب العارف بالله عيدروس بن عمر الحبشي في
كتابه عقد اليواقيت في الجزء الثاني منه توفي عصر يوم الخميس سادس شهر

ربيع الاول سنة ١٢٧٣

(٣) في النسخة المنقول عنها كان الفضل به اولى

هذا الترتيب حديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وتفضيل نسل يعقوب يدل عليه قوله تعالى مخاطبا بني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واعلم ان الفضل لا يتصف به الكافر لان الكفر درجة خسيصة تباين الفضل فلماذا قال عمن يكفرا عزلا « اهوفيا ذكره كفاية ولو اقتصرنا عليه اقال بعض المفتونين انظروا الى العلويين يستدلون بقول اسلافهم الخارج عن مذهب اهل السنة والجماعة ولم يقل به احد من اهل العلم كما شنع عليهم التلميذ في (فصله) ، لما قالوه في مسألة الكفاءة فصدقه الجاهلون مع انهم لم يقولوا الا بما قد سبقهم غيرهم الى القول به او بنظيره ، ولكن صاحب الهوى والحسد لا يرضيه شيء ، فنذكر هنا ما قاله ابن تيمية لاشتهاره عندهم ولعلمهم بكتبه قال (١) «وهذا كله بناء على ان الصلاة والسلام على آل محمد واهل بيته تقتضي ان يكونوا افضل من سائر البيوت وهذا مذهب اهل السنة والجماعة الذين يقولون بنو هاشم افضل قريش وقريش افضل العرب والعرب افضل بني آدم وهذا هو المنقول عن ائمة السنة كما ذكره حرب الكرماني عمن لقيهم مثل احمد واسحق وسعيد بن منصور وعبدالله بن الزبير الحميدي وغيرهم وذهبت طائفة الى منع التفضيل بذلك كما ذكره القاضي ابوبكر والقاضي ابو يعلى في المعتمد وغيرها والاول اصح» ثم ساق حديث الاصطفاء وقال في موضع آخر (٢) «ولاريب ان آل محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم حقا على الامة لا يشركهم فيه غيرهم الى آخر ما سبق نقله في الصحيفة ٧٨ وما بعدها فارجع اليه

(١) في ج ٢ ص ٦٦ من منهاجه

(٢) ج ٢ ص ٢٥٩ منه

﴿ ذكر من ألف في فضل العرب ورد على المنكرين المبتدعين ﴾
لما أعلن مبتدعة الشعوية بدعتهم واحتجوا لها وخالفوا ما كان
عليه سلف الأمة وما اتفق عليه علماء السنة والجماعة تبرأ منهم
ومن نحلتهم من ذكرناهم من الأئمة الكبار اساطين السنة وحماة الملة
وغيرهم ، ومن عابهم ونددبهم من المتأخرين الشهاب الخفاجي
والحافظ العراقي وابن حجر الفقيه الشافعي وغيرهم ، وقد ذكرهم
المسعودي في تاريخه مروج الذهب وذكر بعض حججهم ورد
عليهم بمثلها ، وشنع عليهم الزمخشري في خطبة كتابه المفصل
وقد جرح أئمة الحديث من عرف بهذه البدعة ونسب اليها
كأحمد بن بشير الكوفي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما
ومن جود التأليف وإطال الرد عليهم أبو محمد عبد الله بن مسلم
بن قتيبة ، فإن له مصنفاً في ذلك قد طبع مع بعض رسائل البلغاء
ومن صنف في ذلك من علماء العصر العالم الشهير جميل العظم
له مؤلف في ذلك سماه نيل الأرب في فضل العرب ذكر في
آخره ما اطلع عليه من الكتب المؤلفة في فضلهم وهي
« كتاب فضل العرب على العجم لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور البغدادي ،
وكتاب سعادة العرب لأبي عبد الله محمد بن حمد المعروف بالمفجع
البصري ، وكتاب بيوتات قریش لهشام بن محمد بن السائب الكلابي ،
وكتاب بيوتات ربيعة له ، وكتاب بيوتات اليمن له ايضاً ،

وكتاب بيوتات قريش لابي عبد الرحمن الهيثم بن عدي الثعلبي ، وكتاب بيوتات العرب له أيضا ، وكتاب مناقب قريش لابي بكر عبد الرحمن بن محمد النسابة ، وكتاب فضائل قريش لابي الحسن علي بن محمد المدائني ، وكتاب مفاخر العرب له ايضا ، وكتاب فضائل عيلان لهشام الكلبي وكتاب شرف قصي بن كلاب وولده في الجاهلية والاسلام له ايضا ، وكتاب فضائل قريش وكنانة لابي محمد القاسم بن اصبح بن يوسف الاندلسي ، وكتاب مآثر العرب لابي عبيدة معمر بن المثنى ، وكتاب الاستدلال بالحق في تفضيل العرب على سائر الخلق لابي مروان عبد الملك بن محمد الاوسي ، وكتاب الآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة لرضي الدين الحنبلي ، وكتاب مبلغ الأرب في فضل العرب للشيخ احمد بن حجر الهيثمي المكي الشافعي ، وكتاب حجة القرب في حجة العرب للحافظ العراقي ، وكتاب مسبوك الذهب في فضل العرب لمرعي المقدسي الحنبلي ، « اه بحذف وتصرف وقد ذكر ابوحيان ان لعلماء الاندلس في ذلك رسائل عديدة ، ومن الف في الرد عليهم الجاحظ وابو الحسن احمد بن يحيى ، وقد كنا نقلنا في كتابنا هذا نبذا من كلام ابن قتيبة والمسعودي والزمخشري وجميل العظم ، ثم رأينا الكتاب سيطول بها فحذفناها اختصارا ، وقد دللنا عليها بما ذكرنا فمن احب الاطلاع عليها بحث عنها ، والله الهادي الى سواء السبيل

﴿ ابتداء الرد على صاحب الصورة ﴾

قد ثبت بما ذكرنا لا حقيقة مذهب اهل السنة والجماعة في هذه المسئلة ، وظهر به أن ماقرره صاحب الصورة وتلميذها بدعة مردودة مخالفة لنصوص الكتاب والسنة ، ومباينة لعقائد سلف الامم ،

وكل ماورداه في كتابيهما من ادلة المبتدعة ، ليس فيه حجة لهم ولا دلالة مقبولة ، وانما هي شبه يتبعها اولو الزيغ والفتنة ويتعلق بها دعاة البدعة والفرقة ، فلا بد من الكلام عليها ، والكشف عن زخارفها الباطلة ، لان المقام مقام احتجاج واستدلال ، لا بد فيه من التفصيل بعد الاجمال ، على وجه تنكشف به وجوه الدلالة ، وتنكشف معه وجوه الضلالة ، والله الموفق والمعين قال

الشيخ في صورته بعد البسملة

« الحمد لله وبه نستعين وصلى الله وسلم على رسوله الصادق الامين ، حضرة مدير جريدة (صولوة هنديا) المحترم تولاه الله آمين بعد تقديم صحف الاحترام » اه (الرد) نتقد عليه ترك الصلاة على الآل فان عمل العلماء على خلافه ولم ترد عنه صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن اصحابه او التابعين لهم صيغة صلاة ليس فيها ذكر الآل ، ولما سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كيفية الصلاة عليه علمهم الصيغة الابراهيمية المشهورة وفيها الصلاة على آله فلا تكون الصلاة عليه مشروعة بدون ذلك ومن اقتصر على الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم دون آله كان مقتصرا على بعض المشروع وتاركا لبعضه فلم يفعل المأمور به ولا يكون مع ذلك ممثلا لقول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لان السنة مبينة للقرآن وليس في

السنة صلاة بدون ذكر الآل ولذلك قال ابن تيميه انه حق
لآل محمد امر الله به وقد كثر من بعض المصنفين العصريين ترك آداب
الاسلام في تصانيفهم ، فمنهم من لا يكتب بسملة ولا حمد لة اقتداء بكتاب
الافرنج و مترجمي كتبهم وقد حكي عن بعض النواصب انه
الف مؤلفا ابتداء بعد الحمدلة بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم
وذكر الاصحاب ولم يذكر الآل فانتقدا بعضهم بانه ذكر المقيس
وترك المقاس عليه ، فغلبته الحمية لما الف ثاني تاليف فترك الكل ،
وهذا وان كان تركا لمستحب فانه خلاف ما عمل به سلف
الامة وعلماءؤها فينبغي للمرشد والعالم والمفيد ان لا يكون قدوة
للناس في التملص من الآداب الاسلامية وقوله بعد تقديم
صحف الاحترام يدل على انه قد قدم لصاحب الجريدة صحفا قبل
هذه النيذة متضمنة عبارات الاحترام فما الداعي ؟!

قال : « نعرض انا قد قرأنا بواسطة الترجمان في جريدتكم الغراء عدد (٢)
صحيفة (٢) الصادرة في ٨٢ (كذا) اكتوبر سنة ١٩١٥ مقالا صادرا
عن بعض الاخوان المتحمسين من ذكر المساواة بين المسلمين » اه
ونقول المتحمس في اللغة المتشدد المتصلب في دينه وكونه متصلبا
متشدد من ذكر المساواة غير واضح ، ثم ان المساواة التي يلهمج بها كتاب
الجرائد ويكثر من ذكرها السوداني وتلميذ لا ليست المساواة الاسلامية
فانها يجهلا بها كل الجهل كما مريان ذلك وكما سياتي ، وكلام

اكثرهم متلقف عن فلاسفة الغرب ومقلديهم مع ان فيها خلافا بينهم
فمنهم من يقول العدل هو المساواة بين المستحق وغيره ، والفاضل
والدنيء والشريف والمشروف ، وهكذا ظن ضئضى الخوارج وأصلهم
كما سيأتي ، ومنهم من يقول ان العدل هو وضع كل شيء موضعه
فقد يكون فى التفضيل وقد يكون فى المساواة ، وهذا القول الاخير
قريب من المساواة الاسلامية وان اختلفنا معهم فى التفصيل ، فان
المساواة فى الاحكام الاسلامية أغلب ، والتفضيل فيها قليل ، ومع ذلك
فله حكم ظاهرة ، واسباب واضحة جعلها لاحيلة فى كسبه قال :
« تحت امضاء حرف « Z » فهذا الاخ الفاضل قد رمز الينا فى مقاله
هذا واتى فيه بما لا يلىق وهو الامر فى موضوعه واطال التشنيع
وخرج عن جادة الانصاف وسلك طريق التشني والاقتراف فنزل بذلك
عن مرتبة من يستحق منا الجواب ولعله يريد زيادة حطب فى نار
العصبية التي اوقدها بعض الجهال » اه ونقول انه لم يكن بين العرب
بجاولا تعصب ولا عصبية بل كانوا أخوة يتعاونون ويتعاضدون ليس
بينهم الا ما لا يخلو عنه مجتمع انساني من الامور الطفيفة التي لا يبنى
عليها حكم ، ولم يكن بينهم شعوبي ولا خارجي ولا ناصبي ولا رافضي
وقد علم الله والمسلمون الدعاة الذين كانوا سببا لصدع وحدتهم
وتفريق جماعتهم وتغيير عقيدتهم ، الذين صيروهم احزابا وشيعا
فأفسدوا عليهم امر دينهم وديانهم ، وقد مضى على العلويين

بالقطر الحضرمي ما يناهز احد عشر قرنا لم تنصدع فيها جماعة ولم توقد عصبية وما جاءت الفتنة والبلاء ، الامن الدخلاء قال : « ولما كان مقاله هذا يشف عن عدم ادراكه لحقيقة هذه المسئلة وعن عدم حفظه لشروط المباحثة وقانون الادب وكان مقصوده به هتك اعراض المسلمين المصونة فقط عدلت عن جوابه وضربت عنه صفحا واكرمت نفسي بعدم هتك الاعراض ومقابلته بمثل كلامه كما صفحت عن غيره من قبل ممن سب وصاح واخترع الاكاذيب واشاع وآذى بما استطاع » ونقول ان هتك الاعراض والظعن في الانساب ، كله موجود في فصل الخطاب ، وجراب السباب ، وهو الذي صار على مؤلفيه فضيحة باقية ما بقي الدهر ، وسبه لا يمحوها الماء ، ومحكا عرفت به حقيقة اهله ، ومبلغهم من العلم والمعرفة ، وما عندهم من التحقق بأداب الايمان والاسلام ، ومرآة منطبعة فيها سرائرهم ، يقول : انه اكرم نفسه عن مجاراته في هتك اعراض المسلمين ، فياليت صدق فافلح ، والواقع انه امضى سنينا طويلة لاهم له ولا لاتباعه الا تحرير المقالات المملوءة بالسباب وهتك الاعراض ، ولا يزال ينشر مجلة مرصدة لذلك العمل الذي لم يتقن غيره ، وانظر مع ما ذكرناه الى قول تلميذنا في مدحه : « كالطود الراسخ والقاموس الهادئ ينظر اليهم نظر الاب الشفوق الذي جن اولاده اذا سبوه تبسم واذا هددوه تحلم واذا بارزوه بانواع القبائح صفح وتكرم !! » فرحم الله المعري ما احسن لاميته (١) قال : « ولست عائدا الى مخاطبته

(١) هي التي مطلعها الا في سبيل المجد ماانا فاعل

لان التصدي لرد الكلام الذي ليس مبنيًا على اساس المعقول ولا معضداً مججج المنقول عبث وضياع وقت فلا يشتغل به الا من لا شغل له كما أنه لا يعتمد على مثله الا من لا عقل له ولكن سوال حضرتكم عن الحق واستفساركم عن الحقيقة ضغط على ضميري وقهره وساقه الى كتابة هذه الكلمات بزاجر قوله تعالى (واذ (١) اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقوله تعالى (ان الذين يكتُمون ما انزلنا من الينات والهدى من بعد ما بيناه للنس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم) وقوله صلى الله عليه (وآله (٢)) وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» اه نقول ان الكاتم للعلم كالقائل على الله بغير علم ، كلاهما مذمومان ، قد جاء في شأنها الوعيد الشديد ، قال الله تعالى : ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب اليم ، وقال تعالى : قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق الى قوله وان تقولوا على الله مالا تعلمون ، وقد سئل فافتى بخلاف قول الله تعالى : لاجناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ، وخالف نصوص السنة واحكامها فان

(١) في اصله (لقد) فاصلحناه

(٢) زدناه من عندنا هنا وفي مواطن كثيرة مما نقلناه عن غيرنا تجنباً للصلاة البتراء

فعل ذلك عن علم فهو من الكاتمين ، وان فعله عن جهل فهو من الذين يقولون على الله ما لا يعلمون ، فان قيل : ظن بنفسه العلم والمعرفة خطأ فله نوع عذر ، قلنا اذا كان هذا صحيحا فلم اصر على خطائه ورد السنة الصحيحة وخالف الاجماع ومذهب اهل السنة والجماعة !!؟ واما الحديث الذي ذكره في كتم العلم فقد اخرجه احمد وابو داود والترمذي بلفظ من سئل عن علم علمه ثم كتبه الجهم يوم القيامة بلجام من نار ، ورواه ابن ماجه بلفظ من سئل عن علم يعلمه فكتبه الجهم يوم القيامة بلجام من نار ، ولم تقف على رواية باللفظ الذي ذكره صاحب الصورة ، ومن البديهي انه غير داخل تحت هذا الوعيد لانه سئل عن علم لا يعلمه كما ظهر من نيذته وجوابه عن البنجري ﴿ المعلوم من الدين بالضرورة وجهله به ﴾

نقول ان الكلام على عباراته هذه من وجوه ، (الاول) في تحقيق الأمر الذي زعم انه معلوم من الدين بالضرورة ، هل قصد به التفضيل ، أو المساواة ، أو حكم الكفاءة ، اما الاول فظاهر انه لم يقصد ، فيتعين ان يكون قصد الأخيرين أو أحدهما وليس من المعلوم من الدين بالضرورة ، فالسوداني مخطيء على كل حال ، اما الاستدلال على تعيين الذي قصده منها فانما يظهر بيقية كلامه

وكلام تلميذه فانه قال في صحيفة (٢) من الصورة «من ذكر المساواة بين المسلمين» وقال في صحيفة (٣) منها «ومن توهمكم في دين الاسلام المقدس عدم المساواة بين المسلمين واضاعة حقوق الاعمال بمراعاة الانساب حتى احتجتم الى السؤال عنه» ثم عقبه بالجواب عن النكاح وحكمه بقوله «ان النكاح بين المسلمين» الخ ما سيأتي نقله والكلام عليه ثم قال «لما كان جل ذلك معلوما عند حضرتكم ولم يداخلكم الشك الا في مسألة النكاح فقط من جهة حكم الدين» فهذه الجملة تدل على انه قصد بالامر المعلوم من الدين بالضرورة مسألة النكاح لانه اجاب سائله بحكمه ولانه قال له ولم يداخلكم الشك الا في مسألة النكاح فسائله قد شك فيها فسأله عنها فاجابه بما في الصورة وأيضا فانه قال «غير أنني اتأسف من خفاء مثل هذا الامر المعلوم من الدين بالضرورة على امثالكم» فالامر الذي خفي على سائله هو الذي داخله الشك فيه وهو الذي وقع عنه السؤال والجواب وتدل هذه المواضع ايضا على ان مسألة المساواة من جملة ما وقع فيها الأخذ والرد بينه وبين بعض الاخوات المتحمسين وان مسألة الكفاءة تفرعت عنها ولذلك انكران تكون مبنية على التفضيل وعدمه (*) وقال التلميذ في فصله

(*) عبر صاحب الصورة بالتفضيل والتنقيص للتشيع فان عدم التفضيل لا يسمى تنقيصا

صحيفة (٥) «سأل سائل من اخواننا الجاويين مستفهما عن الاخاء بين المسلمين وعن مايفضل به بعضهم بعضا وعن حكم التزاوج بينهم ووجه سؤاله الى الاستاذ فاجاب حفظه الله تعالى على ذلك السؤال « اه فهذه ثلاث مسائل ، الاخاء بين المسلمين ، مايفضل به بعضهم بعضا ، حكم التزاوج بينهم ، كلها زعم السوداني انها من المعلوم من الدين بالضرورة ، وكانت جلها معلوما لسائله الا مسألة النكاح ، وانما احتجنا لهذه الاطالة لان تلميذنا حاول التملص من هذا الخطأ الفاحش بتوجيه جملة المعلوم من الدين بالضرورة الى مسألتي التفاضل والمساواة وقد ظنهما من المعلوم من الدين بالضرورة أيضا !! (الوجه الثاني) من المعلوم ان عادة اهل الاهواء والاغراض التعبير بالكلمات المبهمة المجلمة ليتوجه لهم ايراد الأدلة عليها مع اجمالها فيغتربها من لايعرف حقيقة الامر ومن ذلك هنا قول السوداني «ومن توهمكم في دين الاسلام المقدس عدم المساواة بين المسلمين واضاعة حقوق الاعمال بمراعات الانساب» اه فتى وقف الجاهل على هذه العبارة توهم لاحالة ان القول بالتمييز يوجب عدم المساواة بين المسلمين واضاعة حقوق الاعمال ، والحق ان هذه العبارة من عبارات اهل الباطل الجوف (١) المزخرفة التي لا محصول لها الا انها تغر الغبي والجاهل وبيان ذلك انا لو فرضنا الممتنع وقلنا ان الله يثيب اهل الانساب

ويعطيهم ما أعطى اهل الاعمال بمجرد انسابهم فقط ، كما يشيب
اهل الاعمال بأعمالهم ، لم يكن في هذا اضاءة لحقوق الاعمال
بمراعاة الانساب، بل غاية ما فيه التفضل على اهل الانساب بمثل
ما جوزي به اهل الاعمال، فاي تضييع لحقوق الاعمال في مثل
هذا؟ فان الله يفعل ما يشاء، مع انه لم يقل بهذا احد على الاطلاق
وايضا فان القول بتفضيل الانساب الذي قال به اهل السنة
والجماعة ودلت عليه النصوص الصريحة ليس فيه تضييع لحقوق
غيرهم ، لأن الدين الاسلامي سوى بين اتباعه في الحقوق والحدود
غالبا، وهذا فيه نهاية العدل ومراعاة الحقوق لاسيما انه مع
اثباته ما اثبتته العلم وحققته التجارب من تفاوت الشعوب والقبائل
وتفاضلها سوى بينها في الحقوق فاي عدل اعظم من هذا؟
واي حفظ لحقوق الاعمال خير واهدى منه؟ (الثالث) انهم يعبرون
بلفظ المساواة تارة وبلفظ الاخاء بين المسلمين تارة اخرى، فيتوهم
الناظر في كلامهم ان لفظ المساواة مرادفة لمعنى الاخوة
الاسلامية، وان الدليل على الاخوة هو الدليل على المساواة، وليس
الامر كذلك فان معنى المساواة هو ان الاسلام ساوى بين
اتباعه في الحقوق والحدود غالبا، ومن غير الغالب تحريم الزكاة
على الآل، وقسمهم في خمس الخمس، وحصر الخلافة في قريش،

وحكم الكفاة عند من يقول بها، والتفضيل في العطاء على قول بعض الخلفاء الراشدين وما اشبه ذلك وليس في ذلك اضعافاً لحقوق غيرهم ، وذلك لأنه لا يقول أحد ان صلاح الصالح وعمله يقتضى ان تحرم عليه الزكاة ، او يعطى من خمس الخمس كما يعطاها أهل البيت ، او يكون له حق في الخلافة ونحو ذلك ، لان هذا احكاماً خاصة بأهلها ليس علتها محض العمل حتى يكون منعها لغيرهم منافياً للمساواة ، وبيان ذلك ان كل حكم او تفضيل سببه العمل فلا شك ان اثباته لبعض العاملين دون بعض مناف للمساواة ، وكل حكم او تفضيل لم يكن سببه وعلة العمل فتخصيصه بأهله ليس فيه اضعافاً لحقوق الاعمال ، لأن الاعمال لا تقتضيه ولا توجبه وليست علة ولا ملازم وماله وهذا واضح ، وحينئذ فالتفضيل للعرب فقريش فبني هاشم الذي يقول به أهل السنة والجماعة وتخصيصهم ببعض الاحكام كما سبق ليس فيه اضعافاً لحقوق العاملين لان علة التفضيل والتخصيص امر آخر غير العمل كما سيأتي بسطه ، واما الاخوة الايمانية بين المؤمنين فلا شك انها من المعلوم من الدين بالضرورة ، ولكن ليس معناها المساواة ولا هي موجبة لها ، فان مقتضى الاخوة التساوي في الحقوق والتناصر والتعاقد لا التساوي في الذوات والصفات والخصائص ، فان بني الأب

الواحد توجب لهم اخوتهم التساوي في حق الأثر ونحوه
لا التساوي في الكبر والصغر والقوة والضعف والصحة والشباب
وسائر ما يحصل به التفاوت والتفاضل من الاعمال والأخلاق ونحوه
وبهذا يعرف ان الاخوة غير المساواة المطلقة وانها لا تقتضيها
ولكنها تقتضي مطلق المساواة وهي المساواة في الحقوق والحدود
فقط وذلك لا ينافي التفاضل فيما سواه * الرابع ان قول السوداني
بالمساواة اي عدم التفاضل في الأنساب وعدم الكفاءة مخالف
في المسئلة الاولى لاهل السنة والجماعة وفي الثانية للجمهور وقوله بأن
ماقاله فيها معلوم من الدين بالضرورة تضليل آخر لهم بأنهم لا يعرفون
الضروري من دين الاسلام وهذا من اخبث تعريض بهم وتمريض لهم
(الخامس) ان قوله « فقد وافاكم الحق نزيها يسيرا وسألتم عنه خيرا »
يدل على الجهل المركب ، لانه افتي سائله بالخطأ الذي لا يمتثل
التأويل ، مع مبالغته في وصفه بالحق النزيه اليسير ، وفي وصف
نفسه بالخير ، فكل هذا غير مطابق للواقع

﴿ اغلاط فاحشة غريبة في مسائل سهلة قريبة ﴾

ثم قال : « ان النكاح بين المسلمين كالبيع والايجار من جهة انه متى
عينت المنفعة المقابلة من المهر أو الثمن او الاجر وسمح من يده الامر
وقبل الاخر . صح العقد وحل بذلك الاتفاع والتمتع ولا خلاف في
ذلك بين علماء الامة المعبرين وكلا الفريقين حر مختار فيما في يده او

تحت حكمه قبل المعاقدة وقد ينوب عن صاحب السلعة وليه او وكيله
اذا كان ناقص الرشد او المعرفة لدفع المغالبة ولما كان جل ذلك معلوما
عند حضرتكم بالضرورة ولم يداخلكم الشك الا في مسألة النكاح فقط
من جهة حكم الدين فاني اذكر لكم في هذه الا سطر بعض ما بلغني
من قضايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه في ذلك لتعلموا حكم
الدين الحقيقي وعدله وبرائه عن الادناس والسفاسف السياسية لان ما جاء
به الرسول وما فعله وما أمر به وما اقر عليه هو الدين لا غيره واليه
التحاكم واليه الرجوع لقوله تعالى وان تنازعتم في شيء فردوه الى
الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخير ذلك خير واحسن
تأويلا ولقوله تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) ولقوله
تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ولقوله تعالى (قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ثم ان شئتم بعد ذلك مزيدا
من اقوال اهل العلم المتبعين لاثار الرسول اذكر لكم من نصوص
علماء الامة المعتبرين من اهل المذاهب الاربعة ما يكون به الاقناع وينكشف
به القناع في مقالة اخرى ان شاء الله تعالى لان الائمة الاربعة المجتهدين
متفقون على انه اذا رضيت المرأة ووليها الاقرب او اولياؤها الاقربون
لتزويج مسلم وعين المهر وحصل الاجاب والقبول بغير شرط صح
النكاح بدون نظر الى شئ وراء ذلك وتبعهم على ذلك علماء الامة
المعتبرون واما من شذ وخرج عن هذا المنهج الذي اجمع عليه النبي
 واصحابه والائمة المجتهدون وعلماء الامة وحكماؤها المعتبرون وغض
النظر عن حكم الشرع لمجاراته عادة اولارضاء ذي سلطان او عصبية
فليس منا ولنا منهم قل هذ سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
وسبحان الله وما انا من المشركين وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) كل ذلك مبني على
عدل الاسلام ومساواته بين المسلمين ومحافظته على حقوق الشعوب المتشرفة
بتفنيء ظلاله» اه * ان في عباراته هذا على قلتها اغلاطا كثيرة وقد

استدرك بعضها في جواب سوال زعم ان سائلا بنجريا سأله به ،
وما ازداد الاتهافتا وغلطا ، واعتذر تلميذا عن بعضها في مواضع من
(فصله) فلم يوفق لشيء مقبول ، ونحن نرد على ذلك التخليط
على الترتيب لتعلق الكلام بعرضه ببعض فنقول
(الخطأ الأول والثاني ومخالفته للأجماع)

في قوله ان النكاح بين المسلمين الى قوله لدفع المغابنة وذلك
انه شبه النكاح بالبيع وبالأجارة من جهة اشتراطه تعيين المهر
لصحته كما يشترط تعيين الثمن لصحة البيع وتعيين الأجرة لصحة
الأجارة والمراد بالتعيين التسمية فان اراد بالتعيين مقابل ما في
الذمة كأن خطأ ثالثا ، وكله مخالف لما دل عليه القرآن ولما اجمعت
عليه الامة وذلك انه قد انعقد الاجماع على ان النكاح لا يشبه البيع
من جهة اشتراط تسمية المهر فلا تجب لاصحته ولا للزومه
كما تجب تسمية الثمن في البيع لأن الثمن ركن من اركانه لا بد من
ذكره والمهر ليس ركنا من اركان النكاح اجماعا ، فلذلك اجمعوا
على صحة النكاح بدون تسميته وقد قالوا في صور معدودة
بوجوب تسميته لاصحة النكاح ولا للزومه ولكن للزوم المهر
المسمى ، ومن فروع هذه القاعدة المجمع عليها أنا لانعلم صورة
يبطل النكاح فيها لعدم تسمية المهر ولكن توجد صورة

اوصورتان يبطل فيها النكاح بسبب تسميته !!
قال الامام الشافعي في الام « واستد لنا بقول الله عزوجل لاجنح
عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على
الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، ان عقد النكاح يصح بغير فريضة صداق وذلك
ان الطلاق لا يقع الا على من عقد نكاحه واذا جاز ان يعقد النكاح بغير
مهر فيثبت فهذا ادليل على الخلاف بين النكاح والبيوع ، البيوع لا تنعقد الا بشمن
معلوم ، والنكاح ينعقد بغير مهر ، استد لنا على ان العقد يصح بالكلام به وان
الصداق لا يفسد عقده ابدا » اه كلام الامام وعبارة مختصر الزني « فدل
على ان عقدة النكاح بالكلام وان ترك الصداق لا يفسدها » اه

(الخطأ الثالث)

انه اشترط لصحة النكاح بين المسلمين امرين تعيين المهر والصيغة
التي عبر عنها بقوله « وسمح من بيده الامر وقبل الاخر » ومع اقتصاره
على هذين فقط فقد قال « صح العقد وحل بذلك الانتفاع والتمتع
ولا خلاف في ذلك بين علماء الامة العتبرين » ومعلوم انه ترك شروطا
اخرى اشترطها العلماء للصحة منها المتفق عليه بينهم ومنها المختلف
فيه كالينة وعدم الاحرام والخلو عن الموانع وعن المرض على قول
مالك واشترط الكفاءة عند من يجعلها شرطا للصحة ولا يجوز
النكاح بدونها ، والخلاصة ان قوله بعدم الخلاف في صحة النكاح
بما ذكره فقط خيانة في نقل العلم وتغريب بالمسلمين وتبديل للدين ،
فان قال ذلك جاهلاً كان تعرضه للافتاء مع هذا الجهل المركب

من مصداق قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فاقتوا بغير علم فضلوا وأضلوا

(الخطأ الرابع)

قد علم انه اشترط لصحة النكاح شرطين تعيين المهر والصيغة وقد علمت ان اشترط تعيين المهر مخالف لما دل عليه القرآن وللإجماع فلم يبق الا الصيغة فقط ، فاستقر كلامه على انه لا يشترط لصحة النكاح الا الصيغة ، فهل سمع السامعون بمجتهد بلغ مثل هذا التحقيق الغريب !!!

(الخطأ الخامس)

في قوله « لئن الأئمة الأربعة المجتهدين الى قوله فليس منا ولسنا منهم » وذلك انه صدر هذه الجملة باذراضيت وعطف عليها بقية الجملة بالواو قد خلت في حكم الشرط ومعناه وهي قوله «وعين المهر وحصل الايجاب والقبول بغير شرط صح النكاح بدون نظر الى شيء وراء ذلك » فقد جعل الرضا وتعيين المهر وحصول الايجاب والقبول وعدم الشرط شروطا لصحة النكاح ، ثم أكد انه لا ينظر الى شيء وراء ذلك ففيها مثل ما في العبارة السابقة من الخطأ وزيادة منها وهو

(الخطأ السادس)

انه اشترط عدم الشرط ، ومعلوم ان من الشروط ما اتفق العلماء على عدم بطلان النكاح معه وان اختلفوا في وجوب الوفاء به ، وحينئذ فجعل عدم الشرط مطلقا شرطا للصحة من أبطال الباطل

(الخطأ السابع)

في قوله « اذا رضيت المرأة ووليها الاقرب أو أولياؤها الاقربون لتزويج مسلم » وبيانه ان لفظه مسلم تمم العدل والفاسق وقد اتفق العلماء على ان التدين معتبر في الكفاءة لا مجرد الاسلام فقط ومنهم من لا يقر النكاح مع فقده وفقد النسب كما قاله ابن تيمية فاطلاقه هذا اللفظ هنا كما قال في العبارة السابقة « ان النكاح بين المسلمين » منهم خلاف مذاهبهم ولم يتفقوا عليه قط فامعنى قوله لان الائمة الاربعة المجتهدين متفقون الخ ؟ !

(الخطأ الثامن وفيه كلام في الكفاءة)

انه اغفل الكفاءة وهي في النسب والدين شرط لصحة النكاح عند احمد وسفيان الثوري وغيرهم قال ابن تيمية في فتاويه « والذي يقتضيه كلام احمد ان الرجل اذا تبين له انه ليس بكفوء فرق بينهما وانه ليس للولي ان يزوج المرأة من غير كفوء ولا للزوج ان يتزوج ولا للمرأة ان تفعل ذلك وان الكفاءة ليست بمنزلة الامور المالية مثل مهر المرأة

ان احبت المرأة والاولياء طلبوه والاتركوه ولكنه امر ينبغي لهم اعتباره وان كانت منفعة تتعلق بغيرهم وقد النسب والدين لا يقر معهما النكاح بغير خلاف عند احمد» اه وقال في موضع آخر «واما الكفاءة في النسب فالنسب معتبر عند مالك (كذا) (١) واما عند ابي حنيفة والشافعي واحمد في احدى الروايتين عنه فهي حق للزوجة والابوين فاذا رضوا بدون كفوء جاز وعند احمد هي حق لله فلا يصح النكاح مع فواتها والله اعلم» وبهذا يعلم ان دعواه الاتفاق على صحة النكاح بما ذكره دعوى باطلة

(الخطأ التاسع)

انه قال : « اذا رضيت المرأة ووليها الاقرب أو اولياؤها الاقربون »
فجعل رضى الاولياء شرطاً متفقاً عليه ، والصواب ان من العلماء من جوز للمرأة تزويج نفسها من كفوء بغير ولي ، وهذا منقول عن ابي حنيفة وزفر والشعبي والزهري

(الخطأ العاشر)

ان من العلماء من اجاز للولي انكاح الصغيرة التي لا يعتبر رضاها وهذا يخالف ما قاله من اشتراط رضاها ورضى وليها معا ، فإن قيل انه قد قال في العبارة السابقة «وقد ينوب عن صاحب السلعة وليه» الخ قلنا نعم ولكنه هناك لم يجعله ضمن اداة الشرط كما ذكره هنا فانه هنا جعل رضى المرأة والولي معا شرطاً علق

(١) لعل الصواب غير معتبر

صححة النكاح بوجوده فقيه دعوى الاتفاق على اشتراط ما ليس بشرط
(الخطأ الحادي عشر)

انه بعد حكاية اتفاق الائمة على ما لم يتفقوا عليه بل وعلى ما قد
أجمعوا على خلافه ، قال وتبهم على ذلك علماء الامة المعتبرون
والاشارة في ذلك الي مازعمه وهذه دعوى اخرى منظومة
في سلك اخواتها

(الخطأ الثاني عشر)

انه قال : « واما من شد الى قوله فليس منا ولسنا منه » وقد علمت ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه والائمة المجتهدين وعلماء الامة وحكماءها
كلهم لم يقولوا في ما يصح به النكاح بمثل قوله قط وقد تبرأ منهم
بقوله « فليس منا ولسنا منه » كما قد تبرؤا من امثاله من قبل فبعدا للقوم
الظالمين وهذا وان تردد النظر في قصده له ولكن كلامه يقتضيه

(الخطأ الثالث عشر)

انه قال : « اجمع عليه النبي واصحابه والائمة » الخ فأدخل النبي صلى الله
عليه وآله وسلم في ضمن اهل الاجماع وقد انتقده عليه السيد العلامة
عبد الله دحلان ونصه « ما كنا نظن احداً يجهل معنى الاجماع حتى جاء
هذا وتيجح بهذه العبارة التي لم يسبق اليها فهي من مبتكراته وبدع
منكراته لان الاجماع عبارة عن اتفاق جملة من اهل الحل والعقد من امة محمد
في عصر من الاعصار على حكم واقعة من الوقائع و . . . جعل النبي صلى الله

عليه وآله وسلم احد المتفقين في الاجماع وعزله عن منصب التشريع وجعله
كواحد من العلما المجتهدين وفي ذلك من حط قدر النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ما لا يخفى» اهـ ونقول أن التلميذ قد اورد في (فصله)
كلمات يفهم منها الحط من قدره صلى الله عليه وآله وسلم لا تعد
هذه الكلمة معها شيئاً مذكوراً فالله المستعان

(الخطأ الرابع عشر وفيه تعريضه بالائمة انهم كانوا مدهنين في دين الله)
وذلك في قوله « ولم يداخلكم الشك الا في مسألة النكاح الى ان قال فاني
اذ كرركم في هذه الاسطر بعض ما بلغني من قضايا الرسول صلى الله عليه وآله)
وسلم واصحابه في ذلك لتعلموا حكم الدين الحقيقي وعدله وبراءته عن الادناس
والسفاسف السياسية» اهـ ثم انه لم يذكر الا القضايا التي استدل بها
على عدم الكفاءة فرادها بالسفاسف السياسية ماقاله الاثمة ابو حنيفة
والشافعي وأحمد وغيرهم ممن قال بالكفاءة وبالدين الحقيقي ما عرفه
هو وجهلوه هم بزعمه وقد فصل هذه الجملة تلميذاً في (فصله) في
الصحيفة (٥٩) و (٦٠) وخلاصة ما فيه ان من قال من العلماء
بالكفاءة انما قال بها تبعاً لمقتضيات السياسة الملكية والسياسة المعاشية
فراعى ابو حنيفة بني امية بل نساءهم المتكبرات كما فعل مثل
ذلك الشافعي في زمن بني العباس ، وذلك مستند الاثمة المجتهدين ،
لا ادلة الدين ، فقد اكتشف التلميذ وشيخه من قبل مسألة من
مسائل السياسة الملكية لا الشرعية اشتملت عليها كتب هذين
الامامين واصحابهما وهذا اكتشاف عجيب ، واعجب منه استدلال

هذين الامامين واصحابهما عليها بالقرآن كما صنع الشافعي في الأم
وبالحديث كما في كتب اصحابهم ، ونتيجة هذا انهم تلاعبوا بدين الله
وكتابه وحديث رسوله مراعاة لخواطر نساء الملوك المتكبرات !!!
(سبحانك هذا بهتان عظيم) نعوذ بالله من مضلات الفتن

(الخطأ الخامس عشر وفيه بيان أن اصل ضلال الخوارج توهمهم
ان العدل في المساواة)

في قوله « كل ذلك مبني على عدل الاسلام ومساواته بين المسلمين ومحافظة
على حقوق الشعوب المتشرقة بتضيء ظلاله » يقع في اوهام اكثر الناس
ان العدل مستلزم للمساواة وعكسه ، وانه لا يتم العدل الا بها ، وهي
شبهة قديمة ، كانت من جملة شبه الخوارج التي افتتنوا بها ففرقوا من
الدين ، وقد زاد انتشار هاتين الكلمتين في هذا العصر ولا كتبها
السنة الخاصة والعامه ، ومنهم من يضيف اليها الحرية ، وقد دجبت
المقالات المزخرفة في مدحها اجمالا ، وغلا الناس في مدلولها لاسيما
مع الاحتكاك بالغربيين وفشو نحلهم بين اهل المشرق ، فيحملون
الحرية على الانطلاق عن قيود الدين على اختلاف في مفاهيمهم
وقد اتبعت بعض الحكومات الاسلامية هذه الخطوات الشيطانية
فاجازت الربا والزنا للنساء المسلمات وغير ذلك من الامور المخالفة
للدين بناء على مايسمونه الحرية ، وماهي بها ولكنها الخلاعة وترك

الدين والعباد بالله تعالى ، اما المساواة فقد غلا فيها الآن بعض الامم حتى زعموا انها لا تتم الا بنسخ حكم الملك والاختصاص فصيروا الاموال والاختصاصات كلها شرعا بينهم وكل هذا مخالف لدين الاسلام ، والمقصود هنا بيان ان العدل لا يستلزم المساواة المطلقة ، لان العدل هو وضع كل شئ موضعه واعطاء كل مستحق ما يستحقه ، فقد يكون في المساواة وقد يكون في التفضيل ، وان المساواة انما تكون في الحقوق التي هي نتيجة الاعمال والاكساب المتساوية فتركها ترك للعدل غالبا ، ومن غير الغالب ان تكون هناك مصلحة عامة تقتضي التفضيل ، واما الحقوق التي ليست نتيجة لعمل ولا كسب بان كان علتها وموجبها امورا خلقية كالنسب او عملية لا تتكرر كالسبق بالهجرة والجهاد وماشا كل ذلك ، فليست من هذا القسم ، فلما جعل السوداني عدم الكفاءة مبنيا على عدل الاسلام ومساواته بين المسلمين ومحافظته على حقوق الشعوب كان المفهوم من كلامه ان اعتبار الكفاءة مبنيا عنده على الظلم والاثرة واضاعة حقوق الشعوب المسلمة ، فالائمة الذين قالوا بهامهم عنده الاظلمة مستأثرون مضيعون لحقوق المسلمين وهذه جراءة عظيمة وتهجم على الدين وائتمه وخط من قدرهم وفضلهم ولزقيح لهم وقد نالوا بهذا حظا من الوراثة لتبوعهم

الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد لزمه اصل الخوارج وضئضئهم
ذو الخويصرة لما توهم ان العدل أنما يكون في المساواة ، وبقيت شنيسته
متوارثمة في اتباعه والآخذين بشبهته ولا يزالون حتى يخرج آخرهم
مع المسيح الدجال ، اخرج النسائي عن ابي برزة قال اتي
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمال فقسمه فاعطى من عن يمينه
ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئاً فقام رجل من وراءه فقال
يا محمد ما عدلت في القسمة رجل اسود مطموم الشعر عليه ثوبان
ايضان ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضبا شديدا
وقال : والله لا تجدون بعدي رجلا هو اعدل مني ، ثم قال : يخرج
في آخر الزمان قوم كان هذا منهم يقرؤن القرآن لا يجاوز
تراقيمهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية سيهاج
التحليق ، لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال
فاذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شر الخلق والخليقة ، وفي رواية شرقتي
تحت اديم السماء وقد ورد تسمية هذا الرجل في اكثر الاحاديث
انه ذو الخويصرة وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمر
لما استاذنه في قتله دعه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين
حتى يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية قال ابن تيمية في
الصارم المسلول بعد أن اورد عدة روايات سبق بعضها مانصه

« فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرجل الطاعن عليه في القسمة
الناسبه الى عدم العدل بجهله وغلوه وظنه ان العدل هو ما يعتقد من
التسوية بين جميع الناس دون النظر الى ما في تخصيص بعض الناس وتفضيله
من مصلحة التأليف وغيرها من المصالح علم ان هذا اول اولئك فاذا طعن
عليه في وجهه على سنته فهو يكون بعدموته وعلى خلفائه اشد طعنا » اه كلامه
وعندنا ان لما وقع فيه الخوارج من الضلال والمروق من الدين
سببا آخر مع ما ذكره ابن تيمية لا محل هنا لشرحه ، وكما ان
الخوارج كانوا يعبرون عن باطلهم الذي اعتقدوا وصرقوا به
من الدين بقولهم لاحكم الا لله * وهي كما قال الامام المرتضى
عليه السلام كلمة حق اريد بها باطل ، كذلك فعل دعاة الشعوية
في تعبيرهم عن معتقدهم المخالف لمذاهب السلف بلفظي العدل
والمساواة ، وهما كلمتان ظاهرهما حسن جميل ، وباطنهما ما يعتقدونه
من انحصار العدل في المساواة ، فيؤدي لا محالة الى رد جانب من
السنة النبوية والظعن في احكامها كما فعل صاحب الصورة وتلميذاه ،
وقد اشرنا فيما سبق الى تقارب الخوارج والشعوية في هذا المعنى
(الخطأ السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر)

انه قال في الصورة « وهاك من كتاب ربك برهاننا على ما ادعيه وسراجا يضيء
لك ما تتفيه قال تبارك اسمه (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) ان تقسيم
القبائل والشعوب أو تسميتها بالاسماء المختلفة انما هو لاجل التعارف » اه

وقول : ان مجمل^٧ ما في الآية ان الله جعل الناس شعوبا وقبائل لاجل التعارف وليس فيها نفي ما سوى التعارف من الحكم في ذلك ولا الحصر الذي لبس به صاحب الصورة فقال « انما هو لاجل التعارف » فالتعبير الصحيح ان يقال : ان الله جعل الناس شعوبا وقبائل للتعارف ولا يجوز ان يقال للتعارف لا غيرا ، او انما هو للتعارف ونحو ذلك من العبارات التي تفيد الحصر من غير دلالة عليه بل ولومع ما يوم الدلالة وذلك مثل قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون في هذه حصر حكمة الخلق في العبادة وقال في الآية الأخرى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فهذه حكمة أخرى في خلقه اياهم ، ونظائر هذا كثيرة وايضا فانه فسر الجمل بالتقسيم والصواب تفسيره بالتصيير او الخلق فعنى وجعلناكم شعوبا وقبائل اي صيرناكم او خلقناكم كذلك ، وقال او تسميتها بالاسماء المختلفة وهذا خطأ ثالث ، فان جعلهم شعوبا وقبائل ليس معناه تسميتهم شعوبا وقبائل وهذا مما لا خلاف فيه

(الخطأ التاسع عشر)

ثم قال : « كتسمية الاشخاص من ابناء الرجل الواحد لتمييزهم عن بعضهم فقط وهي كتقسيم البحار والرياح والاقطار ولا تفاضل بينهم الا بالنتائج والآثار » اه الذي يفهم من كلامه ان معنى قول الله تعالى وجعلناكم شعوبا

وقبائل سميناً كما يسمي الرجل ابناءه فاسماء الشعوب والقبائل
عندنا توقيفية ، مع أن تسمية الرجل ابناءه لتمييزهم لا تنفي
تفاضلهم في الخلق والجملة والقوة والبطش وسائر ما يجبل الله عليه
العباد كما يتفاضلون باعمالهم وآثارهم ، ويقال في الشعوب
والقبائل المختلفة بمثل ذلك ، فكما ان تسمية ابناء الرجل ليعرفوا
لاينفي تفاضلهم في جيلاتهم ، كذلك كان جعلهم شعوباً وقبائل
ليعرفوا لاينفي ذلك ، وقوله « وهي كتنظيم البحار والرياح والاقطار »
حجة عليه فان البحار تتفاضل كما تتفاضل الرياح والاقطار
والبلاد وقد خلقها الله متفاضلة ، وقال في كتابه العزيز والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وقد
خلق الله البلد الطيب طيباً والبلد الخبيث خبيثاً ولذلك قال بعض
المفسرين ان الله ضرب اختلاف انتاج البلاد مثلاً لما في البشر
من اختلاف الاستعداد للنبي والرشاد وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم
كمثل الغيث الكثير اصاب ارضاً فكان منها نقيّة قبلت الماء
فأنتبت الكلاً والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت الماء
فنفخ الله بها الناس فشرّبوا وسقوا وزرعوا واصاب طائفة اخرى
منها انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من

فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع
بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به ، وهذا الحديث
في الصحيحين واخرجه احمد والنسائي فارجع الاتضاع الذي حصل
لاهل الى ما جبلهم الله عليه من الاستعداد وطيب العنصر ، ومن هذا
يظهر بطلان نبي ماسوى التعارف من الحكم كما زعمه السوداني
فيا سبق ، وان التفاضل حاصل في هذه الأمور المختلفة قبل
ظهور نتائجها وآثارها ، وأن تفاضل نتائجها وآثارها تابع
لتفاضلها في ذواتها من قبل ، وان النصوص الواردة في فضل العرب
وقريش وبني هاشم دالة على افضلية اعمالهم وآثارهم كما دلت
على افضلية معادتهم واستعدادهم وذواتهم
(الخطاء العشرون)

في قوله : « ان جميع اهالي الاديان متفقون على ان اصل جميع الناس واحد
بلا خلاف ولا فضل لاحد على احد بذات دمه ولحمه » اما دعواه اتفاق جميع
الاديان على ان اصل الناس واحد ، فان عنى بهم اهل الاديان
الثلاثة فقوله صحيح ، وان عنى من سواهم فلا ثبت دعواه وقوله
« ولا فضل لاحد على احد بذات دمه ولحمه » من الدعاوي المجردة عن
الدليل ، وقد علمت ان الآية لا تدل عليها اصلا ، وان الاختلاف
والتفاضل بين الشعوب والقبائل في استعدادهم وفطرتهم واخلاقهم

الجبليّة واقع كما اثبتته العيان والتجربة ودلت عليه النصوص وحققه علماء الاخلاق وغيرهم ، وهو القول الذي قال به محققو فلاسفة الفريبيين ، وسواء كان مصدر ذلك التفاوت والتفاضل اللحم والدم او ما وراء ذلك من الارواح والانفس ، فان ذلك غير قادح فيما نقوله ، ثم ان هذه الجملة فيها من الابهام والاجمال ما يدعو الى الالتباس ، فلا بد من تحقيق ما يفهم منها لذلك . فنقول (الاول) ان يعني بذلك ان لحوم الناس ودماءهم متساوية في اللون والطعم وما شا كل ذلك من الاعراض ، ولا اختلاف بينهم في ذلك كما اختلفت لحوم اصناف النوع الواحد من الحيوان لاختلاف الاصول والمرعى ونحو ذلك ، فهذا امر لانعلمه وانما ينبغي ان يسأل عنه اكلة لحوم البشر من اهل افريقيا ، وما خلق الله البشر ليؤكلوا حتى يفاضل بين لحومهم ودمائهم من هذا الوجه (الثاني) أن يعني به عدم تفاوت استعداد الناس وفطرتهم وجبيلاتهم وهذا امر يكاد يقطع العقل بطلانه ، واما كيفية تعلق ذلك التفاوت المعنوي بنفس اللحم والدم فلا يعنيننا لان المقصود حاصل بدونه (الثالث) ان يعني بذلك عدم اختلاف حكم القصاص والديات بينهم ونحوه على خلاف في الأخير . فليس في هذا ما يمنع تفاضلهم فيما سواه . لان الشرع علق هذه الاحكام بعلّة ظاهرة

منضبطة وهي الاسلام . ولو لم يفعل ذلك لما امكن تنفيذ حكم القصاص اصلا . لتعذر استواء القاتل والمقتول في جميع الصفات الحسية والمعنوية وعلى هذا فاستدلاله به على استواء المعادن والاصول باطل كما سبق شرحه *

(الخطأ الحادي والعشرون)

ثم قال : « لكنهم يتفاضلون بالصفات والآثار وحسن التربية » اه وتقول ان التفاضل بين الناس بالثلاثة المذكورة مسلم ، ولكن حصر التفاضل فيها غير مسلم ان قصر الصفات على المكتسب ، وذلك انه قد ثبت بالنص الصريح الصحيح تفاوت اصول القبائل ومعادنها كما سيأتي تفصيله ، ونص علماء الاخلاق كالأصبهاني وغيره على ان الابناء قد يرثون من آباءهم طباعا واخلاقا كما يرثون منهم الامراض والقوة وماشاكلها ، واجمع المحققون من الفلاسفة الغربيين على ان الوراثة هي العامل الاقوى في الاخلاق لا التربية فقط ، ولهم على ذلك ادلة كثيرة مشهورة فيما ترجم من كتبهم وقالوا : انه قد تظهر بعض صفات جد أعلا في احد اجفاده الموجودين بعد مئات من السنين ، وهذا قد جاء في معناه احاديث في تفسير قوله تعالى في اي صورة ماشاء ركبك وسيأتي ذكر ما تيسر منها ان شاء الله تعالى وقالوا : ان ابن الاصلاء المهرقين في المجد

والمعدن الزكي تكون فيه الاخلاق الكريمة اثبت وارسخ ، وان
ضعف مثلاً في جانب الذكاء والفتنة ، فلواعتني مثلاً بتعليم احد
ابناء الزنج والأصيل تعليماً واحداً فربما يفوقه الزنجي ذكاءً
وفطنة وحفظاً وتقدماً في العلم ، ولكن الأصيل يفوقه من جهة
اخرى اذا طرأت عليهما الاحوال وباغتتهما الحوادث ، فان الزنجي
يعود لطبع اسلافه من الرعونة والخفة والطيش . ويظهر على
الأصيل ماورثه عن اسلافه من الطباع الكريمة . وما ذكرناه
يحيى عن محقق منهم لهذا العصر (١) وقد وافقه عليه اكثر
فلا سفتهم وما خالف عن هذه القاعدة فانه يرجع الى امتزاج دم
اجني بالدم الزكي . ويدل على هذا ما ورد ان عرق السوء كأدب
السوء . وماورد في التحذير من خضراء الدمن وهي المرأة الحسناء
في المنبت السوء . والكلام في هذا المعنى طويل . وخلاصة
ما اشرنا اليه ان السوداني قد خالف في قوله ما ورد به الاثر
وما قاله أهل النظر

(الخطأ الثاني والعشرون)

في قوله «كالأعمار المأخوذة من شجرة واحدة فانها تفاضل في حلاوة الطعم وعظم
المقدار والسلامة من الفساد وكذلك الناس يتفاضلون في العلم والعمل والاخلاق»

(١) هو جوستاف لوبون .

اه ونقول انه ضرب هذا المثل ليكون حجة عليه ، ووجهه انه قد اثبت ان الاثمار المأخوذة من شجرة واحدة - ومن المعلوم انها لا تكون الا من صنف واحد - تتفاوت طعما وعظما وسلامة ، فما بالك بالتفاوت بينها اذا كانت من اشجار متعددة من صنف واحد فانه يكون لامحالة اعظم ، فاذا كانت من اصناف نوع واحد كانت اعظم تفاوتا وتفاضلا ، وبهذا يثبت عين ما نقوله ، ومن البديهي ان البشر وان كانوا نوعا واحدا فانهم اصناف كثيرة ، كل صنف متميز بخواصه واعراضه عن بقية الاصناف والتفاوت بين الاصناف ظاهر بين ، كظهور التفاوت بين افراد الصنف الواحد ، وهذه الامور ثابتة عند المشتغلين بالبحث فيها ، ومن اجاد النظر والتأمل في خواص الاصناف ومميزاتها ازداد تحققا بعلم ما أشرنا اليه ، اما المثل الصحيح لهذا المعنى فهو ما ترالا في كل ثمرة او فاكهة ذات اصناف ، او نوع من الحيوان كذلك ، كالعنب فان اصنافه كثيرة ولا يتحول صنف الى صنف ابدا سواء حسنت التربية ام ساءت ، كالعنب الملاحى لا يعود رازقيا وعكسه ، ومثله التفاح والعنب لا يتحول صنف منه الى غيره كالمجوة لا تعود برنيا وعكسه ، وغاية تأثير حسن الطينة والتربية ان يحسن ذلك الصنف حسنا ما ، من

غير ان يجاوز دائرة صنفه ، وهكذا القول في الخيل فان سائر اصناف الخيل لا تبلغ مبلغ الصنف العربي ولو اطيل . انتقاؤها واحسنت تربيتها واجيد تضميرها وتدريبها ، والقول في سائر الانواع بالنسبة الى اصنافها واحد ، وسيأتي نقل كلام الراغب الاصبهاني في الوراثة ، وكلام العلماء في ذلك كثير منذ كرمه ما تيسر ان شاء الله تعالى والحاصل ان السوداني اخطأ في ضرب هذا المثل فانه غير صحيح ولا مطابق للموضوع

(الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون)

في قوله : « وكما ان البذرة المأخوذة من الشجرة الصغيرة تنتج بحسن التربية والعناية شجرة كبيرة ذات اثمار عظيمة فائقة على اصلها في الحلاوة والنضارة كذلك البذرة المأخوذة من الشجرة العظيمة الجيدة من ذلك النوع يصغر ثمرها وتنقص حلاوته ويفسد اذاساءت التربية ونقصت العناية بها » اه فالاول خطأؤه في نفس المثل فان ما زعمه من كون البذرة المأخوذة من شجرة صغيرة تعود بحسن التربية شجرة كبيرة من ابطل الباطل . فان علماء الفلاحة يوصون بانتقاء البذر من الشجر الكبير السالم من الآفات . وذلك ان الشجرة الموثوقة تكمن في بذورها جرائم الآفة ثم تظهر في اول مستنبت منها اوفيا بعده . كما ان بذر الشجرة الصغيرة لا يكون ابدا وان احسنت تربيته كالمأخوذ من اصل كبير الا على وجه الندور والشذوذ

ولا يبنى على مثله حكم . فهو كالشيء الذي خرق ورقع . وينبني على الخطأ الاول في المثل الخطأ الثاني في الممثل له . وهو المعدن الخيث فقضية كلامه ان اعراقه الخيثة تتحول بحسن التريية الى اعراق طيبة . وهذا غير صحيح . فان هذا التحول لا يرسخ الا بعد اجيال كثيرة على ما قاله بعض علماء هذا الشأن ، الخطأ الثالث في قوله كذلك البذرة الخ وذلك ان بذرة الشجرة الجيدة الصنف او النوع وان ساءت تربيتها تكمن فيها الاعراض الجيدة ، حتى اذا وافقت بذورها طينة طيبة وتريية حسنة عادت الى حسن اصلها وكرمه ، الرابع ان تمثيله هذا غير صحيح فان ذا المعدن الزكي ولو اسيئت تربيته تبقى اعراق اصله في نسله ، والخطأ الخامس ان هذين المثالين انما يصح ضربهما للافراد المنتسبين الى اصل واحد ، لا للأصول المتعددة والقبائل المختلفة والمعادن المتباينة وقد ضربنا لها آفا مثلاً صحيحاً والحمد لله ، وقد ابقى قسماً ثالثاً لم يضرب له مثلاً ، وهو المنتسب الى المعدن الطيب الزكي ، والنسب الصالح العلي ، اذا وافق مطراً من العلم صيباً ، وحظاً من التريية طيباً ، فمثله كمثل حبة بربرة اصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، وكالبلد الطيب يخرج بناته باذنه ربه ، وكالشجرة المباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور

(الثامن والتاسع والعشرون)

في قوله «فكذلك الحال في بني آدم وفي بني كل رجل فاضل عظيم من البشر فان ابن الكريم العالم الفاضل الحسن الاخلاق يكون بليدا جبانا خسيسا سيء الاخلاق اذا ساءت التربية ويكون ابن البليد الاحق الخسيس الجاهل كريما شجاعا فاضلا عالما حسن الاخلاق اذا حسنت تربيته» فقوله فكذلك الحال الخ قد بينا بطلانه بنقد الأمثلة التي ذكرها وما بناه عليها وقررنا القياس التمثيلي الصحيح بما ذكرناه، وهو مقتضى الاحاديث الصحيحة، ولو كان ما يذكره الباحثون في هذا الشأن لهذا العهد مخالفا لما وردت به السنة لجادلنا به السوداني وتلميذه كما فعل امثالهم من المتكلمين القائلين بتساوي الجواهر من قبل، فانهم جادلوا اهل السنة والجماعة بالفلسفة اليونانية، ولكن كان من صنع الله لأهل السنة ان الباحثين اليوم قد عثروا بعد شدة البحث والتنقيب والاستقراء على قريب مما وردت به السنة، فان قواعد هذا العلم عندهم اربع، الجديد يبيد القديم، الطبيعة تستبقي الاحسن، الانتخاب سنة في الكون، الفروع ترث الاصول، والقاعدة الثالثة اشارت اليها احاديث الاصطفاء والقاعدة الرابعة دل عليها حديث (الناس معادن) والدليل الذي به نأخذ وعليه نعتمد هو السنة النبوية، وما سواها شواهد تورد للتقوية والعمدة غيرها، وقوله فان ابن الكريم الى قوله اذا حسنت تربيته قد اخطأ فيه ايضا

وذلك ان الصفات تنقسم الى قسمين غريزي ومكتسب والبلادة والجهن والشجاعة من الفرائز، وقد اجمع علماء الاخلاق على ان الذكاء لا يكتسب ، كما ان البلادة لا تزيلها التربية ، والمكتسب لا يكون كالجلي ابدا وليس الطبع كالطبع ،

* ليس التكحل في العينين كالكحل *

وبا لجملة فقد جمع في هذه العبارة ما يمكن معالجته بالتربية وما لا يمكن . فالبليد يطبع بليدا ثم لا يقدر احد ان يجوله ذكيا لا بتربية ولا غيرها . كما ان الذكي يطبع ذكيا وينشأ كذلك ثم لا يعود بليدا الا ان ألت به آفة ، واثر التربية انما يكون في تصريفها لافي احالة الجيلة فيها ، وابن الكريم الشجاع اشد استعدادا للشجاعة والكرم من ابن اللئيم الاحق ، فان تخلف ذلك فيه كان له سبب آخر من جهة امه او عرق قديم . وسيأتي الاستدلال على ذلك بالأثر وكلام الحكماء ان شاء الله تعالى اما قوله « فلا محل اذا للاعترار بالاتساب الى كريم او عالم او نبي من الانبياء » اه فانه حق وصدق ومن اغتر بالله هلك فكيف بمن اغتر بغيره ، واذا كان الاعترار بالعمل الصالح والاعتماد عليه دون رحمة الله مهلكا لصاحبه فما بالك بما سواه ، ومن المعلوم ان النهي عن الاعترار بالنسب الصالح لا ينفي فضله ، كما ان النهي عن الاعترار بالعمل الصالح لا ينفي فضله

وفي ذلك يقول امام الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد
بعد ان ذكر بعض مفاخر اهل البيت النبوي وفضائلهم
ثم لا تغتر بالنسب ❀ لا ولا تقنع بكان ابي
واتبع في الهدى خير نبي ❀ احمد الهادي الى السنن
وقال ايضا

واحذر واياك من قول الجهول أنا ❀ وانت دوني في فضل وفي حسب
فقد تأخر اقوام وما قصدوا ❀ نيل المكارم واستغنوا بكان ابي
وبالجملة فكلام اسلافنا في هذا المعنى كثير قل ان يخلو عنه
مؤلف من مؤلفاتهم والله الموفق والمعين

(الخطأ الثلاثون)

في قوله « ولتقرير هذا المبدأ واقناع المتوهمين خلاف ذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه وقال صلى الله
عليه وآله وسلم ليس لآء حد فضل على احد الابدن او عمل صالح » اه
وذلك انه استدل بهذين الحديثين على نفي فضل النسب الصالح
مطلقا ، ومثلها ما في معناها وبيان ذلك من وجوه (الاول)
انه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احاديث تدل
على فضل النسب الصالح والمعدن الزكي كحديث الاصطفاء
وفي معناه حديث الاختيار وكحديث من أكرم الناس ونحو

ذلك ، وهي صحيحة صريحة في فضله بل هي أصح وأقوى سنداً
وأكثر طرقاً ، والقاعدة في مثل هذا الموضوع ان يقدم الأصح
على الصحيح والصحيح على الضعيف اذا لم يمكن الجمع ، هذا على
تقدير أن بينها تعارضاً وستعلم مما نورد له عدم التعارض وليس من سنة
طلاب الحق ان يضربوا السنة بعضها ببعض (الثاني) ان اهل
السنة والجماعة وعلماء الأثر قد رووا هذين الحديثين وما في
مناها ، ورووا حديث الاصطفاء وحديث المعادن وما في معناها
ووضعوا كلاً منها موضعه ، فأثبتوا ما تقتضيه هذا وقالوا به
واثبتوا ما تقتضيه تلك وقالوا به ، وكانوا اسعد بالسنة من الشعوية
ومن سلك سبيلهم اذ قبلوا بعضها وردوا بعضها ، فكانوا كمن
يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض . وذلك لانهم افهم عن الله
ورسوله من الشعوية واعرف بمواقع الحق منهم (الثالث) ان
الحديث الاول صحيح رواه مسلم عن ابي هريرة وابو هريرة
ايضاً هو الذي روى عنه مسلم حديث من اكرم الناس وفيه
انه صلى الله عليه وآله وسلم قال افمن معادن العرب تسألوني
تجدون الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الحديث ، وفسر العلماء
معادن العرب بأصول قبائلها لا بنفوس افرادها ، كما فسره به التلميذ
في (فصله) وغاية ما يدل عليه هذا الحديث ان النسب لا يسرع به

نسبه اذا اُبطأ به عمله ، وهذا حق صحيح ، فان الامر الذي يحصل فيه التباري والتسابق هو العمل الصالح وهو الذي يمكن الاستزادة منه ، اما النسب فلا يؤثر فيه الاكتساب فلا يمكن من فاته ان يدركه ولا من ادركه ان يستزيد منه وانما هو من قبيل الامور الخلقية كالجمال والصحة والقوة والذكاء ونحوها ففني الاسراع والسبق بمجرد النسب لا يدل على نفي ما سوى ذلك من مزاياها (الرابع) ان اهل السنة والجماعة ومن قال بفضل النسب من غيرهم لم يقولوا انه يسرع بمن ابطأ به عمله بل اثبتوا فضله مع لوازمه ونفوا عنه ما لا يستلزمه ، فاثبتوا ما صححت به السنة من هذا وهذا وحينئذ فلا يصح الرد به عليهم (الخامس) ان الجملة الثانية قطعة من حديث عقبة بن عامر وقد اخرجها احمد والبيهقي وابن جرير بالفاظ مختلفة وفي سند ابن لهيعة تركوا الاحتجاج به وعند ابن جرير روايتان مختلف لفظهما مع ان سندهما واحد والظاهر ان ذلك من تخليط ابن لهيعة فلا يحتج بمثله (السادس) ان حديث عقبة بن عامر والحديث الذي لفظه لافضل لعربي على عجمي الحديث كلاهما مما يتضمن نفيًا واثباتًا كقوله صلى الله عليه واله وسلم انما الاعمال بالنيات وقوله لاصلاة لجار المسجد الا في المسجد ولانكاح الابولي ولافضل لعربي على عجمي ولا

لعجمي على عربي الا بالتقوى الحديث ولا صيام لمن لم يبيت
النية من الليل ونحو ذلك وقد اختلف العلماء في هذا النوع هل
هو من المجمل لأن المنى حقيقة موجودة ولا يصح نفيها ، وانما
المنى صفة لها أو معنى مجازي ، وكلاهما غير مذكور فكان
مجملا مفتقرا الى البيان ولا يصح العمل به بدونه وممن قال
بذلك القاضي ابو بكر الباقلاني وابو عبد الله البصري وابو الحسين
البصري وطائفة من المعتزلة فعلى هذا لا يصح الاستدلال بالمجمل
على نفي المبين * وأما الجمهور فقد قالوا بانه لا اجمال في هذا
النوع وانما فيه تردد بين العرف الشرعى والوضع اللغوي وبين
الاضمار ، وبيان ذلك انه اما ان يكون للشارع عرف فيما تطلق
عليه هذه الالفاظ فيحمل على عرفه ، وان لم يثبت له عرف
في ذلك وثبت فيه عرف لغوي وهو ان مثله يقصد منه نفي
الفائدة والجدو كقولهم لا علم الا مانع ولا كلام الا ما افاد ولا رجال
بالبلد ولا بلد الا بسطان وليس لاحدغنى الا بالقناعة ونحو ذلك حمل عليه ،
وان قدر انتفاء العرفين او عدم ثبوتها حمل على نفي الصحة او الكمال
والا ولى الاول ، ومعلوم ان ثبوت الاولوية في احدهما لا تنفي
أصل التردد في إضمار احدهما ، ففيه شمة إجمال ، لاسيما ان كان
للثاني قرينة تقويه فيضعف جانب الاولوية أو يتساويان ، وحاصل

ذلك ان الاستدلال به على نبي اصل الفضل غير صحيح (السابع) ان نبي الفضل فيه محمول على الفضل الاخروي وهو ما لازمه كثرة الثواب ورفعة الدرجة ، فيكون معناه موافقا لمعنى حديث من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، وكلامه صلى الله عليه وآله وسلم يصدق بعضه بعضا ، كما ان القرآن يصدق بعضه بعضا ، وكل ما يتوهم فيه الاختلاف له عند الراسخين في العلم محامل صحيحة ومخارج بيّنة واضحة ، ويبان ذلك ان الثواب انما يكون للعمل الذي يعمله المرء غالبا ، ولا يكون لما هو من قبيل الحلقة كقوة البطش والذكاء والشجاعة وطيب المعدن ونحو ذلك وان حصل بها وفيها الفضل والتفاضل ، وانما يثاب على ما صدر عنها من الآثار والأعمال ويعاقب ، فاختلف مورد النبي والاثبات لان فضل النسب المثبت بالاحاديث الصحيحة غير الفضل الاخروي المنفي عنها فلا تعارض مع اختلاف موردها ومن المعلوم انه لا يصح التناقض بين قضيتين ما لم تجتمع شروطه ، ولم تجتمع هنا وقد صرح بهذا الفرق علماء السنة والجماعة وقرروه في كتبهم وبه مع ما يأتي جمعوا بين هذه الاحاديث (الثامن) ان قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا فضل لعربي على عجمي الحديث وقوله ليس لاحد فضل على احد الا بدين او عمل صالح ، محمول على فضل الفرد على الفرد وما ورد

في احاديث الاصطفاء والاختيار محمول على فضل الجملة على الجملة ، جملة العرب افضل من جملة العجم وجملة قريش افضل من جملة العرب وجملة بني هاشم افضل من جملة قريش وهذا هو الذي قاله علماء هذا الشأن وفصله ابن تيمية في مواضع من كتبه فليرجع اليه اما الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلنقيه فانه قال في منظومته والخلق في الاصل اشياء وفضل بالتوقيف والقرب والاحوال او عدلا والفضل بالقرب والتقوى لدى الله * والاعراض ترفع او يدنو بها العملا الى ان قال

ويفضل الآل او ذو العلم والسبق منهم بل ونسل النبي الطهر ما عدلا ثم ذكر تفضيل القبائل كما تقدم ذلك وقوله والخلق في الاصل اشياء اي قبل ان تتصنف الاصناف البشرية وتتفاوت في صفاتها واعراضها وهذا واضح . فان قيل هل كان ملحظ التسوية الافرادية اصل الخلق كما كان ملحظ التفضيل بين القبائل خصائص الصنف لانها انما تتكامل في مجموعه قلنا هذا محل نظر وفيه تفصيل ليس هذا موضعه والله اعلم (التاسع) ان العلماء قد قرروا التفضيل من وجه دون وجه وقالوا قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل فيكون المفضول افضل من الفاضل من بعض الجهات كفضيلة النسب او القرابة وممن نص عليه الطبري والدهلوي

والسمهودي وابن القيم وغيرهم ونتيجته اثباتهم فضيلة النسب
لل فرد كما ثبتت للمجموع وقولهم بعدم التعارض بين الاحاديث
(الخطأ الحادي والثلاثون)

في قوله «وقد اخرج الله كنعان ابن نوح من آل نوح حينما ساء عمله مع رجاء
ايه وشفاعته فيه بقوله الاسمي انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن
ماليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فزجره الله بذلك عن
الحاق من لا يعمل مثل عمله» اه وذلك ان فضل النسب اعم من
النجاة وهي اخص منه بل لم يقل اهل السنة والجماعة القائلين به
ان النجاة من لوازمه حتى يلزم من نفيها نفيه وقد قرروا ان
اصل بناء الثواب انما كان على الاعمال والاكساب ، لا على الانساب
والاحساب ، وذكروا لفضل النسب لوازم اخرى غير النجاة كالتعظيم
والتقديم والاحترام والاختصاص ببعض الاحكام ، وغرض السوداني هنا
الاستدلال بالآية على اخراج العاصي من آل عن حضيرتهم وقد قال
العلماء بخلافه واما الذي في الآية فانه تخصيص لعموم الوعد بنجاة اهله
كلهم ، فاخرجه من مطلق الاهل الموعود بنجاتهم لامن الاهل مطلقا
كما يدل على ذلك تعقيب النفي بتعليله بانه عمل غير صالح ، وبيانه
ان الله وعد نوحا عليه الصلاة والسلام ان ينجيه واهله فأخذ نوح
عليه السلام بمقتضى عموم الوعد فلما غرق ابنه وهو من اهله قال
فيا حكي الله عنه (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان

وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يانوح انه ليس من اهلك انه
عمل غير صالح فلا تسئلني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من
الجاهلين) فأنبأه الله بوجه فيه تخصيص لعموم الوعد وهو ان الموعود
بنجاتهم هم المؤمنون منهم ، اما الابن فكان كافرا كما ورد في بعض الروايات
اوأنهم المطيعون لامر لا بركوب السفينة لامن عصي الأمر وترك
سبب النجاة ، وفي الآية قرأتان الاولى انه عمل غير صالح بصيغته
المصدر وهذا كما يظهر إخراج له بكفره عن الاهل المؤمنين الموعود
بنجاتهم ، لان العاصي لا يخرج عاصيانه عن عداد اهل
نسبه ، كما لا يخرج عن عداد الامة المحمدية ، والثانية انه عمل غير
صالح بصيغته الماضي وهذا اخراج له عن عداد المطيعين منهم
اما بمخالفته الأمر او بتركه سبب النجاة وهو ركوب السفينة
او بكليهما أو بذلك مع اعمال اخرى له ، فالله يعلم اي ذلك كان
اما الروايات فستاتي ان شاء الله تعالى ، والحاصل ان العقوبة الدنيوية
قد تكون على الكفر وقد تكون على المعصية ، والآية انما تدل
على إخراجه عن عداد الاهل الناجين لامطلقا وان لزوم النجاة
لفضل النسب ولو للعاصي من اهله لم يقل به احد لامن اهل
السنة والجماعة ولامن غيرهم ، ففيها لا يستلزم نفيه ، واما الاحكام اللازمة
للسبب الفاضل فهي ثابتة لمن كان من اهله ولو عاصيا كتحریم

الزكاة وخمس الخمس والصلاة عليهم ونحو ذلك وحينئذ فالاستدلال بما ذكر على نفي اصل فضل النسب غير صحيح واستدلاله به على ذلك هو الذي يدل عليه آخر كلامه وأوله ، ولو اورد ذلك مورد التحذير من الاعتراض بمجرد النسب الصالح لكان صوابا

(الخطأ الثاني والثلاثون)

قال «وقال تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقناهم ذريتهم) فقيد الله الالحاق في الدرجة بالايمان والاتباع لست اعني الالحاق اللحمي الموضوع لاجل التمييز والتشعب اي ان يقال فلان ابن فلان ولكن اعني الالحاق (١) في الفضيلة» اه ونقول انه اراد بالاتباع الاتباع في الاعمال كما صرح به فيما يأتي والذي في الآية ان الذرية اتبعت آباءها بايمان وليس فيها انها اتبعتهم بايمان واتباع في الاعمال مع ان من السلف من حمل الذرية فيها على الصغار وانما يحكم باسلامهم تبعا لآبائهم فلم يبلغوا اوان الايمان الاستقلالي فضلا عن الاتباع في الاعمال ، ومن حمل منهم الذرية على الكبار لم يشترط مساواة أعمال الابناء لاعمال الآباء . وكلا القولين دال على فضل النسب الصالح فالاستدلال بها على نفيه من القول في كتاب الله بغير علم وقد عقدنا للكلام على الآية فصلا حافلا فارجع اليه

(١) في الاصل الالحاق

(الخطأ الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والثلاثون)
قال « فاذا فهمت ذلك فاعلم ان شرط الايمان بالله ورسوله ان يكون هوى المؤمن
تابعا لاحكام الله ورسوله بدون تردد ولا اختيار ولا نظر الى ما يجبه ويتخيله
مصلحة له او تكليفا عليه لقوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) لقوله تعالى
(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من
امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلا لامينا) وعليه فلا يظهر ايمان المرء
وقوته الا عند ما يأتي حكم الله مخالفا لما يهواه او لما يتخيله مصلحة له فان رأته خاضعا
لحكم الله مسلما له بالقلب والقلب فذلك برهان ايمانه وان رأته حرج الصدر متعاظما
عليه يتطلب التخلص منه بالاحتيال او بالتأويل الى ما يناسب هواه او بتغطيته على
الناس فهو عبد هواه ولم يبرهن ايمانه بالله ورسوله ولا ينفعه حينئذ ما يعمله من
الاعمال الدينية الموافقة لهواه لأن دينه حينئذ يكون تابعا لشهواته لامتبوعا لها
فيكون داخلا في مضمون قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان
اصابه خيرا اطمان به وان اصابته فتنة اقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة
ذلك هو الخسران المبين) اه ونقول انه اخطأ هنا في مواضع
(الاول) في قوله « فاعلم ان شرط الايمان بالله ورسوله ان يكون هوى
المؤمن تابعا » الخ فانه جعل كون هوى المؤمن تابعا لاحكام الله
ورسوله شرطا للايمان وانما هو لازم من لوازم اصله او كامله
(الثاني) في قوله « بدون تردد ولا اختيار ولا نظر الى ما يجبه » الخ فان
هذا من التكليف بما لا يطاق كمجبة الاعداء والذي دلت عليه
النصوص انه يلزم لكمال الايمان الكمال الواجب والمستحب
لوازم منها ماورد في الحديث ثلاث من كن فيه وجد حلاوة

الايان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما الحديث فوجود
حلاوة الايمان عبارة عن حصول كامله لا أصله ، وقول الله تعالى قل
ان كان آباؤكم وابنائكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره
والله لا يهدي القوم الفاسقين ، فيه وعيد على احية غير الله ورسوله
من آباؤهم وابنائهم الخ لاعلى اصل محبتهم فضلا عن النظر
الى ما يجوبه ، فكل ذلك جائز لا يخل بأصل الايمان ولا بكماله فقد
اشترط السوداني ماليس بشرط وواجب ماليس بواجب (الثالث)
في قوله « وعليه فلا يظهر إيمان المرء وقوته الا عند ما يأتي حكم الله مخالفا
لما يهواه او لما يتخيله مصلحة له » فانه اول كلامه جعل كواب
هوى المؤمن تابعا لاحكام الله ورسوله شرطا للايمان ومن
لازم التابعية انتفاء المخالفة ، وهنا منع ظهور الايمان او قوته
الا عند ما يأتي حكم الله مخالفا لهواه ، فتلخص من كلامه ان من
لم يأت حكم الله مخالفا لهواه لم يظهر ايمانه او لم تظهر قوة
ايمانه ، والذي قرره اولا انه يمتنع وجود الايمان فضلا عن
ظهوره اذا لم يكن هوأ تابعا لامخالفا لحكم الله لانه جعل
ذلك شرطا للايمان ولا يوجد الشيء بدون شرطه فاستحال في

كلامه الشرط مانعا والمانع شرطا ، وبالجملة فمن كان هو الا تابعا
لاحكام الله ورسوله ، لاتأتي احكامها مخالفة له ، فكلامه ينقض
بعضه بعضا (الرابع) في قوله « فان رايته خاضعا لحكم الله مسلامه
بالقلب فذلك برهان ايمانه» اه فانه تفريع على تفصيله السابق وقد بينا
تناقضه ، وقوله فذلك برهان ايمانه مؤيد لما بيناه من تناقض
كلامه ، فانه جعل الخضوع والتسليم مع مخالفته هو الا برهانا للايمان
وهناك جعل التابعة المستلزمت لعدم المخالفة شرطاله (الخامس)
في قوله «وان رايته حرج الصدر الى قوله - ولم يبرهن ايمانه بالله ورسوله»
اه فانه يدل على انه مع ذلك مؤمن وأن الايمان موجود وذلك
يناقض ما اشترطه اولايوضحه انه قال ولم يبرهن ايمانه ، فني عن
الايمان فعل البرهان ، فدل على انه موجود الا انه لم يبرهن (السادس)
في قوله « ولا ينفعه حينئذ ما يعمله من الاعمال الدينية الموافقة لهواه» اه
وبيانه انه لم يقل احد من علماء الامة بعدم نفع الأعمال
الدينية الموافقة لهوى العبد ، وان قالوا بعدم نفعها اذا فعلها
لموافقتها هو اه لاتعبدا ، فان بين الامرين فرقا ظاهرا ، وقد تكون
الاعمال الدينية موافقة لهوى العبد تارة ومخالفة له اخرى وقد جاء في
الحديث اعبد الله بالرضا واليقين فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره
خير كثير او كما قال وقال عمر بن عبد العزيز إذا وافق الحق

الهوى كان كالزبد بالنرسيان وان قيل لعل مراده بكلامه هذا ان من استسلم لأمر الله تعالى إذا وافق هواه وتبرم منه إذا خالفه كان متبعاً للهوى لا للامر ودل فعله على أن أعماله مدخولة معلولة يعمل للهوى لا للامثال لأنه إنما يأتي بما وافق هواه لا ما خالفه والا لاستوت حالاه في المنشط والمكراه * قلنا لو ان كلامه دل على ما ذكر او نحوه لما وجد من يناقشه ولكنه متنافر متناقض كما ترى والله المستعان (السابع) في قوله «لأن دینه حيثذ يكون تابعا لشهواته لامتبوعا لها» الخ لانه تعليل لما قبله وقد علمت انه خطأ وانما يصلح ان يعلل به عدم نفع اعمال العامل لموافقة الهوى لا لما ذكره والله اعلم

(الخطأ الاربعون)

في قوله «فاذا تأملت فيما ذكر يظهر لك ان الالحاق في الفضيلة مشروط بالايان والاتباع في الاعمال الصالحة» اه قد بينا ان الذي في الآية هو الاتباع بايمان قال الله واتبعتمهم ذريتهم بايمان وليس فيها ذكر الاتباع بالاعمال الصالحة وان كانت الاعمال الصالحة من الايمان ولكن ينبغي ان يؤتى الامر من وجهه وسواء صح ان إلحاق الذرية بابائهم مشروط بالايان المقترن بالعمل الصالح ام لم يصح فليس في ذلك ما يني فضل النسب الصالح بل فيه

ما يثبت له لو كان يدري ما يقول وذلك انه لا بد ان يكون
لتخصيص الحاق الذرية المؤمنة بابائهم مزية ليست لغيرهم هي
فائدة التخصيص والعناية ، فتلك المزية من اسباب فضل النسب
فالآية إذا من الأدلة التي تثبت له لا التي تنفيه ، وحاصله ان تقييد
اللاحق بالايان والعمل الصالح لا يني فضل النسب فالاستدلال به
عليه خطأ مبين

(الخطأ الحادي والثاني والاربعون)

في قوله « وان الايمان شرطه التفويض لاحكام الله ورسوله وان الفضل
بالاعمال والآثار لا بالانساب والاحساب » اه فها جعل التفويض شرطاً للايمان
يقال فوض امره الى الله اي رده اليه والتفويض لاحكامه الرجوع اليها وضده
العناد وهو غير ما تقدم وفي اطالته في شرح هذا الشرط وذلك اللازم في
سياق الكلام علي تينك المسئلتين تعريض بالمخالفين له في مسألة التفضيل
وهم اهل السنة والجماعة وفي مسألة الكفاءة وهم الجمهور بانهم ليسوا
مفوضين لاحكام الله ورسوله وان اتباعهم الذين انكروا عليه كذلك
كانوا ، وفي قوله « وان الفضل بالاعمال » الخ ما قد بينا من الحصر
الباطل ، والحق ان الفضل كما يكون بالاعمال والآثار يكون بالانساب
الصالحة والمعادن الكريمة ، وبذلك جاءت النصوص الصحيحة
الصريحة واتفق على القول به اهل السنة والجماعة ولم يخالف في

ذلك الا مبتدعة الشعوبية ومن سلك سبيل البدعة كما سلكوا
(الخطأ الثالث والاربعون)

في قوله « ولو كان الفضل بالتوارث والانتساب لما رأيت في بني آدم ساقطا
ولا جاهلا ولا شريرا لان انتساب جميع الناس الى آدم والى نوح عليهما
الصلاة والسلام وهما ابوا الرسل والاصفياء والحكماء والملوك والامراء
وهما ايضا ابوا الفاسقين والملعونين والجهال والحمقاء والساقطين وانظر الى
آل ابراهيم وآل عمران الذين اصطفى الله منهم الرسل والمقرين
كموسى وعيسى ويحيى واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام فانظر كيف لعن
الله المعتدين منهم والعاصين الذين لا يتناهون عن المنكر بقوله تعالى لعن
الذين كفروا من بين اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون
ونقول ان هذ الشبهة هي اوثق دليل عند مبتدعة الشعوبية
واعظمتها في انفسهم وقعا ، وقد دندن حولها التلميذ في (فصله)
وحاصلها محاولتهم نقض القول بفضل النسب الصالح والمعدن
الكريم ، بما يرى من تخلف الصلاح في بعض ابناء الصالحين
او الزكاء في بعض المنتسبين الى معدن زكي ، وشبهتهم هذه
باطلة من وجوه (الوجه الاول) ان كلامهم هذا خارج عن
موضوع النزاع لأن اهل السنة والجماعة قالوا بفضل بني هاشم
وقريش والعرب من حيث المجموع فاثبتوا ما اثبتته النصوص
الصريحة من ان الله خير الفرق اي فضلها بعضها على بعض
فاختار منها العرب ثم خير القبائل اي فضلها بعضها على بعض

فاختار منها قريشا، ثم خير البيوت اي بيوت قريش اي فضلها بعضها على بعض فاختار منها بني هاشم، فينتهم خير البيوت من خير القبائل من خير الفرق، ففي الأمر تحيير ثم اختيار اي تفضيل ثم اصطفاء للافضل، واجتباء له ويقولون ان الاختيار من العليم الحكيم قد صادف موضعه ومحلّه وأهله والله اعلم حيث يجعل رسالته، وقد ظهرت آثار الخيرة الالهية فيهم بالفعل بعد أن كانت بالقوة فظهر في بني هاشم من الخير والهدى والبركة ما لم يظهر مثله ولا ما يقاربه في سائر قريش وظهر في قريش من ذلك ما لم يظهر مثله ولا ما يقاربه في سائر العرب، وظهر من ذلك في العرب ما لم يظهر مثله ولا ما يقاربه في سائر الشعوب المسلمة المشار اليها بقوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، وحينئذ فايراد مبتدعة الشعوية عليهم هذه الجموع الكشيقة من بني آدم ونوح وابراهيم واسرائيل وآل عمران عليهم الصلاة والسلام خارج عن موضوع الدعوى فما هولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (الوجه الثاني) من البديهي أن لتخلف آثار الوراثة في مسئلتنا اسبابا كثيرة كتغلب عرق اجنبي في بعض الافراد وتأثير البيئة (١) او التربية او التعليم او استيلاء الجهل ومعاشرة الاضداد

(١) كان شيخنا الحبيب العارف بالله احمد بن حسن العطاس يعبر عنها بالموطن وهو تعبير حسن قريباؤه مؤلف

وحينئذ فيكون التخلف دليلا على وجود المانع او تعدد العلة لاعلى مازعمولا
يوضحه (الوجه الثالث) وهوان العلة المؤثرة انما يتم تأثيرها بتوفر المواد ،
وعدم المضاد ، فاذا لم تتوفر عليها مواد التأثير كان عدم تأثيرها في
بعض المواضع دليلا على ضعفها لعدم المساعد لا على عدمها ، ولا على
بطلانها ، ومثل ذلك ما لو توفرت عليها مواد التأثير ولكن عارضها من
الموانع ما هو اقوى منها فصددها عنه ، او عارضتها علل أخرى وتغلبت
عليها ومثال ذلك ما نراه في حبة البر او الذرة ونحو ذلك فانها مشتملة على
قوى كثيرة قائمة بها باذن الله تعالى ، كقوة الانبات والقوة الحافظة
للقومات نوعها وخواص صنفها حتى لا تستحيل الى غير اصلها
وخلاف نوعها ، ولكن ظهور هذه القوى منها وبروزها من عالم
الكمون الى عالم الظهور متوقف على مواد خارجية لابد من وجودها ،
ولها موانع تمنعها ومؤثرات تفسدها لابد من عدمها او ضعفها ، فصار
بروز قواها ، وماخفي من جوهرها وهيولابها ، متوقفاً على وجود
وعدم ، وجود المواد ، وعدم المضاد ، فمن موادها التربة الطيبة
والماء العذب ثم حسن الحرث ، فاذا لم يكن لها تربة طيبة ولاماء ،
ولاحرث واستنبات لم تنبت او لم يحسن نباتها ، ويكون ذلك
دليلا على ان تخلف القوى عن البروز انما كان لعدم المواد
الخارجية لا لعدم القوى نفسها ، ومثل ذلك ما لو وجدت

مواد التأثير ولكن وجدت موانع اقوى منها منعت تأثيرها او افسدت مظهر منها كالعوارض التي تعرض للاستنبات والنبات وهي كثيرة معروفة ، والمراد هنا تقريب المعاني الغامضة الى الافهام بضرب الامثال ، وهكذا القول فيما تناسل عن معدن زكي او نسب فاضل فسنة الوارثة انما تتخلف في بعض افراده لشيء مما اشرنا اليه ، فسقط استدلال الشعوبية وبان بطالات شبهتهم واما مخالطة العرق الخبيث الاجنبي للعرق الطيب الزكي فانما يأتي من جهة الخال قال الشاعر:

والخال عرق لاينام ولايكدي * ومثاله ما يسمى في علم الفلاحة بالتطعيم وهو ان يركب غصن من بعض اشجار الفواكه في شجرة أخرى فيأتي ثمره مزيجاً من أصله والشجرة التي ركب فيها فهكذا يأتي النسل الذي ما زجته الاعراق الخبيثة وفي ذلك يقول بعض العرب يخاطب ابناه:

واول احساني اليكم تخيري * لما جدة الاعراق باد عفافها

وقد قال الباحثون من علماء هذا الشأن ان الشعب الدنيء لايزكو بمصاهرة الشعب الشريف ولكن الشعب الشريف يدنو بمصاهرة الشعب الدنيء وبا لجملة فلم تجارب كثيرة تجت عنها نتائج غريبة ، وبها وبامثالها تنكشف كثير من الامور التي يصعب

فهمها (الوجه الرابع) ان فساد فرد او أفراد انما يدل على فساد الفرد نفسه فقط لا على خبث صنفه ولا فساد أصله كفساد حبة او حبات من ثمر الشجرة الزكية لا يدل على فساد الشجرة نفسها وهذا واضح (الوجه الخامس) انه اذا قيل بخيرية جماعة من الناس او قبيلة او أمة او قرن فانما يراد بذلك خيرية المجموع لا خيرية الجميع كما في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس المراد بذلك مجموعها لا جميعها فلا ينافي ان يكون في سائر الامم افراد يفضلون على كثير منها من بعض الجهات ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث فانه كان في اهل قرنه السابقون من المهاجرون والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، وقد كان فيه ايضا المنافقون والمرتدون والمقارنون للفواحش ، ووقع فيما يلي ذلك من القرون فتن ووقائع عظيمة ، وظهر فيها جابرة فعلوا في الامة الافاعيل ، ولهم على ذلك من اعوانهم جموع كثيرة ، فلو كان المراد بخيرية هذه القرون سائر افرادها لم يكن مدلوله صحيحا ولكن المراد من ذلك المجموع كما ذكرنا يوضحه (الوجه السادس) وهو ان القاعدة في المفاضلة بين الشعوب والقبائل والبيوت ان ينظر الى فضائلها في مجموعها فكل شعب او قبيلة او بيت كانت

فضائله في مجموعه اكثر مما سواه فهو افضل وبمقتضى هذا جاء الحديث الصحيح اخرج الترمذي وأحمد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ، ثم خير القبائل فجعلني من خير القبائل ، ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم . فانا خيرهم نفسا . وخيرهم بيتا ، وفي رواية احمد فانا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا ، فدل الحديث على ان فضائل قبيلته صلى الله عليه وآله وسلم في مجموعها اكثر من سائر القبائل فكانت خيرها وافضلها كما ان بيته والمراد بيت نسبه وهم بنو هاشم كانت فضائله في مجموعه اكثر فكان خيرها وأفضلها يوضحه (الوجه السابع) وهو انا اذا فاضلنا بين قبيلتين اويتين مثلا فلا بد ان نلاحظ مع ما تقدم كثرة عدد القبيلة وقلته ، فالقبيلة التي عددها مائة وقد انجبت بعشرة من النجباء تعتبر اذكي معدنا من القبيلة التي عددها مائتان وانجبت بعشرة لتفاوتها بالنسبة الى المجموع لأن الاولى أنجبت عشرة من المائة والثانية إنما انجبت خمسة من المائة وعلى هذا القياس ، وبالجمله فانما يحتاج الى مثل هذا الموازنة والمعادلة في غير المنصوص عليه اما ماورد النص بفضله فلا نقبل فيه بحثا ولا مقايسة ولا موازنة وانما اوردنا هذا لبيان كيفية تفضيل المجموع على المجموع وتقريبه من الفهم

(الوجه الخامس) ان اهل السنة والجماعة لم يقولوا بانه يلزم للنسب
الكريم الفاضل ، والمعدن الزكي الكامل ، ان لا يكون من أهله ظالم
او فاسق أو احمق ، وان أثبتوا له تمام الاستعداد والنجابة في مجموعه فلا يرد
عليهم ما ذكره مبتدعة الشعوبية (الوجه السادس) ان للاعمال والاكساب
اسبابا كثيرة منها ما يرجع الى المعدن وماترثه السلالات بعضها
من بعض ، ومنها ما يرجع الى الجهل او سوء التربية او الى اعراق خبيثة
دمرت على الاعراق الطيبة فافسدت بسوء اثرها ماسواها ، وحاصله ان
سوء الاعمال لا يدل على خبث المعدن ولا عدم التوارث لحفاء العلة
الموجبة لها وتعدد العلل وامكان استقلال كل واحدة منها بالتأثير
(الوجه السابع) أن يقال لهم ان الله تعالى قال في كتابه العزيز
ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، فهذه الآية نص على التكريم
والتفضيل لجنس بني آدم على كثير ممن خلق تفضيلا مؤكدا بالمصدر
وقد كان فيهم ومنهم من ذكره صاحب الصورة من الانبياء والمرسلين
والصديقين والشهداء والصالحين ، ومن الجبابرة والظالمين ، والحقاء
والسفهاء والضالين ، وكلهم من بني آدم الذين تشملهم الآية فما وجه
التكريم والتفضيل اذاً ؟ فاي جواب اجابناه المنازع عن هذا السؤال
اجبناه بمثله

(الخطأ الرابع والاربعون)

في قوله «فالممدح والذم والفضل والنقص تابعة للاعمال لالدم مخصوص والنسب مخصوص فقد افلح من زكى نفسه بصالح الاعمال وقد خاب من دساها» اه
فقد اطلق ان الممدح والذم والفضل والنقص كل ذلك تابع
للاعمال وهذا الاطلاق غير صحيح وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا ، ولامدح اعلام من هذا الممدح ، وناهيك
بالخيرية التي تجمع كل مادونها من الخير وقال صلى الله عليه وآله وسلم
تجدون الناس معادن في الخير والشر في رواية رواها ابو داود
الطيالسي والخير يتبعه الممدح كما ان الذم يتبع الشر وكما يمدح معدن الخير
لصدور الخير عنه ، كذلك يذم معدن الشر لصدور الشر عنه ، وقد بينا
اتفاق اهل السنة والجماعة على فضل بني هاشم وقريش والعرب على
غيرهم ، ومعلوم ان الفضل والنقص من مقولة الاضافة وفضلهم على غيرهم
مستلزم لمناقية بحكم الاضافة ، لأن المتضائفين يتوقف تعقل احدهما على
تعقل الآخر ، وما زال الناس يقولون معدن كريم واعراق طيبة ومعدن
خيث واعراق خيثة وعرق لثيم وعرق سوء وقال الشاعر
ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم ذلك النسب
فبما ذكرناه وما شبهه وهو كثير لاحاجة لنقله يظهر ان الممدح والذم
والفضل والنقص قد يتعلق بدم مخصوص ونسب مخصوص وقوله فقد
افلح من زكى نفسه الخ صحيح لاغبار عليه ولعله اراد ان يقول ان

الاسماء الشرعية كالصالح والفساق والملتقي والمفلح والفائز وماشا كل ذلك انما تطلق على اصحابها تبعالا عما لهم ، فاغرق في العبارة حتى اتى بهذا الاطلاق المخل

(الخطأ الخامس والاربعون)

في قوله « وامادين الاسلام فكما علمه كل من اطلع على قواعد الشريعة العالية واصوله الشريفة هودين العدل والمساواة هو الدين الذي يمكن للعقل ان يرضى لاحكامه بدون ضغط ولا اجبار ولا تخويف » اه ونقول ان دين الاسلام كما وصف وخير مما وصف، ولكن في جمعه بين العدل والمساواة ذلك الايهام الذي اشرنا اليه فيما سبق وهو اعتقاد ان العدل منحصر في المساواة وقد بينا بطلان هذا الوهم وانه من جملة شبه الخوارج التي افتتوا بها فردوا السنة ، وصرقوا عن الملة

(الخطأ السادس والسابع والاربعون)

في قوله « وهو الذي جعل الحكم والتمييز في الامور للعقل والعلم خاصة » اه فهنا خطأ كبير ان عظيمان (اولهما) انه زعم ان دين الاسلام جعل الحكم للعقل مع ان الحكم هو خطاب الشارع المتعلق بافعال المكافين بالاعتضاء اوالتخيير اوالوضع ، فالحلال ما احل الله والحرام ما حرمه ، وليس للعقل ان يتحكم في الدين ولم يكل الله احكام دينه اليه ولم يقل بذلك احد من المسلمين ولو صح قوله لاستغنى الناس عن بعثة الرسل وانزال

الكتب والشرائع جملة ، لانها قد جعل الحكم لعقولهم
فيحكمون بما شاؤوا ، فان قيل لعله اراد بالحكم الاسناد وهو الرابطة
بين المسند والمسند اليه قلنا وهذا ايضا ليس من الجعل الشرعي فكما
لا يقال ان دين الاسلام جعل الايصار للعين خاصة والسمع للأذن
خاصة والبطش لليدين خاصة والمشي للرجل خاصة ، كذلك لا يقال ان
الدين الاسلامي جعل الفهم للعقل خاصة او الحكم اي تعقل الاسناد
او الحكم به للعقل خاصة ، لان هذا من الجعل الكوني لانه فصل للعقل
وجد معه حينما وجد لم يتوقف على بعثة رسول ولا انزال كتاب
ولا تشريع شريعة ، وانما هذه العبارة التي اوردها من العبارات التي
ينشرها دعاة التجدد ليصرفوا الامة عن دينها ويستمسكوا بالقوانين
المستحدثة المخالفة لما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم (ثانيهما) زعمه
ان الدين الاسلامي جعل التمييز للعقل خاصة وهذا مثل سابقها فان
عنى بالتمييز ان له صفة يميز بها بين الحسن والقبيح ، كما تميز العين بين
الصور الحسنة والقبيحة فهو كسابقه وليس هذا من الجعل الشرعي ،
وان عنى ان للعقل ان يستقل بالتحسين والتقبيح فهذه المسئلة من اعظم
المسائل التي اختلفت فيها الطوائف ومذهب الاشعرية فيها معروف
وخلاصته ان العقل لا يحسن ولا يقبح والحسن ما امر الشارع بالثناء على فاعله
والقبيح ما امر الشارع بدم فاعله وقالت المعتزلة ان العقل قد يدرك صفة الحسن

والقبح ولكن لم يقولوا ان له الاستقلال دون الشرع في تشريع ما توجبه
الصفة من ايجاب او منع او تحيير ، فكلامه باطل من كل وجه وفي جمعه
بين الحكم والتمييز في سياق واحد ما يشعر بانه يرى ان للعقل إذا ميزان يحكم
وهذا لم يقل به مسلم والله المستعان فان قيل اليس قد قال جعل الحكم والتمييز
للعقل والعلم خاصة فذكر العلم مع العقل ، فجوابه انه ان اراد بالعلم علم الدين
نفسه فهو بعينه الحكم الذي هو الخطاب الشرعي فكيف يجعل الشئ لنفسه
وايضا فهو المميز بين الحلال والحرام والحسن والقبيح وثبوت هاتين
الصفتين له يمتنع معه اثباتها للعقل ، وانما العقل هو الملتقي والمستعد لفهم
ما جاء به الشرع وقبوله لا ان الدين الاسلامي وكل اليه الحكم والتمييز
حتى يشرع ويحكم ، فان قيل انما عنى بكلامه هذا تلك القاعدة التي اسسها
المتكلمون لعقولهم وهي انه اذا تعارض العقل والنقل قدم العقل ، قلنا ومن
الذي قال منهم او من غيرهم ان الدين الاسلامي اسس هذه القاعدة وفي اي
اية أو حديث وردت ، وكيف يوردها السوداني وهوي هول ويطول آنفا في
التفويض لاحكام الله ورسوله فما باله يقدم عليها عقول الناس ، والصحيح ان
كلامه لا يدل على هذه القاعدة ولا يفيدها لأن هذه القاعدة مخصوصة
بما اذا تعارض العقل والنقل ، وكلامه مطلق في ذلك على ان هذه
القاعدة نفسها باطلة ، وفرض تعارض العقل والنقل فرض غير واقع ، ولا
تأتي الرسل بمجالات العقول ولكنها قد تأتي بما يعجز العقل عن

فهمه فاذا هدى الى وجهه اهتدى وان هذا العقل الذي قدموا على النقل لاضابط له ، وان اهله الذين ينتحلون علمه قد اختلفوا فيه اختلافا شديدا ، فظهر انه منبع اختلاف لا ائتلاف ومع الاختلاف الضلال والباطل ، بل وقد ظهر بالفلسفة الجديدة بطلان كثير من الاصول التي بنوا عليها آراءهم ومن اطلع على اقوالهم علم حق العلم ان السلامة كل السلامة في الاستمسك بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتصديق به فما فهمه العبد فذاك وما لم يفهمه وكله الى عالمه مع غاية التصديق والتسليم به ، والحاصل ان كلام صاحب الصورة من أبطل الباطل فاحذروا والله ولي هداانا وهداك

(الخطأ الثامن والتاسع والاربعون)

في قوله « وجعل التفاضل بين الناس بالعلوم والاعمال فقط هو الدين الذي لا يؤاخذ فيه الوالد بذنب الولد ولا الولد بذنب الوالد » اه وذلك انه زعم انه جعل التفاضل بين الناس بالعلوم والاعمال فقط والحصر باطل ، وقد علمت مذهب اهل السنة والجماعة في ذلك والتفاضل فيما سوى ذلك واقع ثابت عقلا ونقلا ولا عبرة باساطير مبتدعة الشعوبية ولا حجة بها ، وايضا فانه قال هو الدين الذي لا يؤاخذ الخ وهذا المعنى قد حكاه الله تعالى عن الاديان السابقة ايضا في قوله عز وجل أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفي ان لا تزروا زرة وزر اخرى فما تفيدته عبارته وسياقه من الخصوصية باطل

(الخطأ الخمسون)

في قوله « هو الدين الذي يقول شارع على رؤس الاشهاد لافضل لعربي على اعجمي ولا لأعجمي على عربي الا بالتقوى ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على اسود الا بالتقوى » اه ونقول وهو الذي ينادي شارع على رؤس الاشهاد بأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطاب ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلني من خيرهم بيتا وخيرهم نفسا ، قال هذا صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر على رؤس الاشهاد ، فان ضاقت حوصلة صاحب الصورة عن الجمع بينه وبين الحديث الذي ذكره فسيجد في مقاله اهل السنة والجماعة مخرجا من الحيرة ولايجمل به ان يطعن في الاحاديث الصحاح بمجرد الهوى كما فعل تلميذاه في (فصله) وهذه الرواية التي اوردتها فيها ابدال لفظة أعجمي بعجمي وهي رواية باطلة غير موجودة في شيء من كتب الحديث ، والأعجمي يطلق على غير الفصيح سواء كان عجميا ام عربيا وقد رواه الترمذي بلفظ لافضل لعربي على عجمي ولالعجمي على عربي الا بالتقوى الحديث ، وقال الترمذي « حديث غريب لانعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر الا من هذا الوجه وعبد الله بن جعفر يضعف ضعفه يحيى بن معين وغيره وهو والدعلي بن المديني وفي الباب عن ابي هريرة وابن عباس » اه أقول اما عبد الله بن جعفر المديني فقد ضعفه

ايضا عمر بن علي وقال ابو حاتم منكر الحديث جدا يحدث عن
الثقات بالماكير يكتب حديثه ولا يحتج به وقال النسائي متروك
الحديث وقال العقيلي ضعيف وتكلم فيه ابو احمد الحاكم وابن ابي حاتم
فلا يحتج بروايته ولا تصح ان تكون معارضة للاحاديث المثبتة
لفضل الانساب الصالحة لامن جهة سندها ولا من جهة مدلولها، واما
حديث ابي هريرة الذي اشار اليه الترمذي فقد اخرج الطبراني في
الاوسط والصغير والبيهقي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا
كان يوم القيامة امر الله مناديا ينادي الا اني جعلت نسبا وجعلت نسبا
الحديث رواه البيهقي مرفوعا وموقوفا وقال المحفوظ الموقوف فقط فقد
علمت الاختلاف في رفعه ووقفه وان المحفوظ وقفه فحسب، وقال
الطبراني بعد ايراده له «لا يروى عن ابي هريرة الا بهذا الاسناد تفرد به صالح»
اه وفي سنن طلحة بن عمر ضعفه ابن معين واحمد والنسائي بل قالوا
متروك الحديث وضعفه البخاري وابن المديني وابو زرعه واما حديث
ابن عباس فقد رواه البخاري في الادب المفرد عنه من قوله موقوفا
عليه، وفي الباب ايضا حديث ابي ذر بلفظ انظر فانك لست بخير من
اسود ولا احمر الحديث فقد رواه احمد عن بكر بن عبد الله المزني عن
ابي ذر ولكنه منقطع لان بكر بن عبد الله لم يسمع من ابي ذر وبالجملة
فلم تقف على رواية صحيحة لهذا الحديث لامطعن فيها

الا ان ابن تيمية زعم في الاقتضاء صحة رواية رويت عن سعد
الجريري عن ابي نضرة عن شهد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ولم نقف على سندها حتى نقر ما قاله او ندفعه ، وعلى تقدير صحة
هذه الاحاديث وما في معناها فلا بد من الجمع بينها وبين غيرها من
الاحاديث التي هي اصح منها متنا واقوى سنداً واكثر طرقاً فاستدلال
السوداني بهذا الحديث على نفي فضل النسب الصالح والمعادن الكريمة
باطل من وجوه قد سبق شرحها ، وخلاصتها انه لا بد من تحرير القول
في المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لا فضل) وعلى ماذا يحمل وهل
للشارع عرف شرعي في هذه اللفظة ام لا ؟ وعلى القول بان له عرفاً
شرعياً في ذلك لا بد من اثباته واذا لم يثبت العرف الشرعي وحمل على
الوضع اللغوي فما هو وضع اللفظة في ذلك ؟ وعند تعذر ثبوتها او الحمل
عليها فهل يحمل على الصحة او الكمال وهل هناك ادلة تدل على
تعين حملها على الكمال دون الصحة وما هي تلك الادلة ، وبالجملة فلا بد
من ايضاح وجه الدلالة تمام الايضاح وبدون هذا لا يتم له الاستدلال
وايضاً فانه لا بد من تحقيق مناط التفضيل في احاديث الاصطفاء والاختيار
حتى تتبين العلة المقتضية للتفضيل الذي صرحت به تلك الاحاديث
وبذلك يعرف التعارض بينها وبين حديث الباب او عدمه فان تعارضاً
قدمت احاديث الاصطفاء والاختيار لصحتها وقوة اسانيدها وكثرة

طرقها وان لم يتعارضوا فقد ظهر وجه الجمع وسقط الاستدلال به على نفي فضل النسب وقد حررنا هذا المطالب أتم تحريراً كما سيأتي ان شاء الله تعالى (الخطأ الحادي والثاني والخمسون)

في قوله « ولو كان الاسلام دين سياسة او تفضيل اشخاص وانساب بغير عمل او كان يميز قريبا عن بعيد في حكمه لما انتشر هذا الانتشار الذي لم يعهده مثل في الأديان بغير دعاة ولا سعاة مع فقر أهله وسقوطهم وفشلهم في هذا الزمان ليس الا لتراخي العقول والقلوب عليه لسهولة مبادئه وعدله وانصافه وسهولة قواعده » اه وتقول ان عادة ذوي الأهواء والبدع ان يطلقوا على ما لا تهوى انفسهم من عقائد الاسلام واحكامه ألفاظا شنيعة واطلاقات منكرة ، يشنعون بها على احكام الله ورسوله ويتوصلون بذلك الى التنفير عنها والذم للمستمسكين بها وامثلة ما ذكرنا كثيرة شهيرة في كتب المقالات ، ولك فيما تراها هنا اصدق شاهد على ذلك فان صاحب الصورة نفي ان يكون الاسلام دين سياسة ومحاباة وتفضيل اشخاص وانساب ، ومرادنا بذلك التوصل الى تكذيب ما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من تفضيل الله لمن تقدم ذكرهم واختياره لهم وقد حكينا عن بعض حزبه انه رمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتعصب لقومه وهذا كفر صريح وانحلاع عن الايمان وقريب من من هذا صنيعه في الكلام على علة تحريم الزكاة فانه زعم ان القول بان العلة فيه التطهير ونحوه يفضي الى القول بانه صلى الله عليه وآله

وسلم كان ساعيا في توسيع المسلمين واذلاهم (حاشا ثم حاشاه)
كما سيأتي ذكر ذلك وله ولا مثاله في هذه الاطلاقات المنكرة غرضان
(الاول) تقبيح هذه الاحكام الاسلاميه وتكذيبها والظعن فيها وفي
نقلتها والقائلين بها من علماء الامة وحماة الملة واساطين السنة وحماة الآثار
وحفاظ الحديث (الثاني) ترويع الناظرين في كلامه والمخالفين له بتلك
الانفاظ الهائلة وادخال الوهم عليهم ليتوهموا ان اثبات هذه الاحكام
والقول بها يلزم منه الظعن في الاسلام وأهله فينخدلوا والعامي ومن هو
قريب من العامي من طلبه العلم يرتاع عند سماع ذلك وينزعج ويهوله
الموقف لظنه صحة كلامه ، وهو في الحقيقة من جنس الترويع بالخرافات
والخيالات والاهام ، وانما ينخدع بذلك النساء واشباه النساء من
الاجلاف والاغبياء والذين تستولي عليهم القضايا الوهمية وتقصر افهامهم
عن الفرق بين البرهان الصحيح والمغالطة ، والاحكام الاسلامية اجل
واعلا واطهر واقوم من ان يلصق به تشنيع ذي شناعة وقد اخطأ هنا في
موضعين في جملة الشرط وجملة الجواب (فالاول) قوله «ولو كان الاسلام
دين سياسة الى قوله في حكمه» اه فان عنى بالسياسة القيام بما يصلح به
شأن الملة وحال الأمة فاطرق العالم دين أظهر سياسة ولا لطف
مدخلا اليها ولا اجمع لدقائقها وما تفرق منها من دين الاسلام ، وهو
دين سياسة بهذا المعنى بل لم يبلغ مبلغه في ذلك دين البتة ، وان عنى

بالسياسة المعنى المنتشر بين اهل العصر وهو التوصل الى ظلم الناس
واكل امواهم وافساد ذات بينهم وتفريق جماعتهم والقاء الشبه في
عقائدهم والطمع في دينهم والاستيلاء على الامم واستعبادها بالمكر
والخداع والغدر والغش والرياء والنفاق والتوصل الى الباطل بالباطل
والى الفاسد بالفاسد ونحو ذلك فدين الاسلام ليس دين سياسة بهذا
المعنى البتة ، فمن قال : ان في الاحكام الاسلامية شىء من هذا
المعنى ، فهو اما منافق يحمل احكام الله ورسوله على ما وقرني قلبه من
الشك وما خالطه من ظن الجاهلية ، وما عنده من خبث الدخلة وسوء
النية ، او عدو مداج او مجاهر يجعل حسنات الاسلام ذنوبا ، ومحاسنه
عيوبا ، او جاهل مخدوع على جهله ، مصاب في دينه وعقله ، وحينئذ
فما اخبر به صلى الله عليه وآله وسلم من الخبر الصادق الذى لا يتخلف
من تحيير الله للعرب وقريش وبنى هاشم واختيارهم هو محض الحق
وعين الصدق الذى تطمئن اليه قلوب المؤمنين ، وتستبشر به افئدة
المتقين ، وتقربه عيون المسلمين ، المسلمين لاحكام رب العالمين ،
والمصدقين للصادق الامين ، ليس فيه سياسة مذمومة ولا محاباة ،
ولا مخادعة للامة ولا مداجاه ، فليستمسك المؤمن بعروة الحق
ولا يخذعه المتهوكون عن دينه فان الزمان مظلم ، والجهل غالب
والفتن فاشية ، والباطل قوي ، والحق خفي ، وانصاره قليل ، والصابر على

دينه كالتقاضي على الجمر. وكل مؤمن يقطع ويجزم ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من خير اهل الارض نسبا واخلاقا، فاخبر صلى الله عليه وآله وسلم بنفس الواقع، ولو ان الله بعثه من غيرهم مثلام يمنع عن الاخبار بذلك مانع، وانه كما اخبر عنه مولاة ماينطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى، وقوله «وتفضل اشخاص وانساب بلاعمل» اه جوابه انا قد بينا ان هذا تفضيل بالمعدن الذي هو جرموثة ماورآه وبالخير الذي قدر لهم ومنهم وكل فرد منهم يحتمل ان يكون شذرة ذهب برزت من ذلك المعدن اذا صلحت آثاره واعماله او جرثومة اشتملت على شذرة او شذرات كما تشتمل الصدقة على اللآلي، ولا يخفى ايضا ماتناله الامة من الرفعة والمجد وعظم القدر والمحل (او من المكانة الادبية كما يقوله كتاب العصر) بتاريخها وقديمها وقديم بني هاشم وقريش والعرب في مجموعهم لم تبلغه امة من الامم ولن تبلغه فقد وافق الخبر الخبر والحمد لله وقوله «او يميز قريبا او بعيدا عن حكمه» اه من ابطل الباطل اذ ليس في دين الاسلام شيء من هذا التمييز الا ما كانت المصلحة فيه للامة والامة قبل من ميز به، ولا ريب ان المحافظة على معادن بيوتات الامة اعظم صلاح واصلاح لها لانها منها بمنزلة الاعضاء الرئيسة، وماتأكد من المحبة لا قار به صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار لازما من لوازم الايمان فذلك لعظم حقه صلى الله عليه وآله وسلم على الامة ووجوب

محبة الشاملة لمحبتهم فمحبتهم جزء من محبته ومحال ان يوجد الشيء بدون اجزائه وهكذا القول في محبة سائر من نصره ووازره واحسن صحبته وفي محبة قومه على اختلاف رتب القرب والقربة والطلب الشرعي كما تنقسم انواع العبادات الى متعين فرضه معظم شأنه ومؤكده نفعه عظيم ثوابه والى ما هو دون ذلك ، وبالجملة فالاسلام دين سياسة بالمعنى الذي ذكرناه ومستلثنا التفاضل والكفاءة لم يكن عدمها من اسباب انتشار الاسلام ولم يتوقف انتشاره على ذلك البتة لانها معروفتان في القرون الاولى من تاريخه ، وليس فيها ما تكره العقول ولا القلوب ، ولم ينقل لنا ان شعبا او قبيلة او فردا توقف اسلامه على علمه بحكمها وكل هذا من الكذب على التاريخ والمغالطة فيه وما سبب انتشار الاسلام الا وعد الله الصادق بالاظهار لدينه والنصر لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى هو الذي ارسل رسوله باهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهياً لذلك اسباب الظهور والنصر واذا اراد الله شيئاً هياً اسبابه (الخطأ الثاني) في قوله « لا انتشر هذا الانتشار الى قوله وساحة قواعده » اه والكلام فيه من وجوه (الاول) انه لا يعني بهذا الانتشار انتشار الاسلام القديم في قرونه الاولى ايام دولته وصولته ودعاته وسعاته وظهور الملة وحيات الامة يدل على ذلك قوله « بغير دعاة ولاسعاة مع فقر

اهاه وسقوطهم وفشلهم في هذا الزمان « اه فهذا يدل على انه يعني لامحالة انتشاره في هذا الزمان وسبب هذا الانتشار الأخير مازعمه من انه ليس دين سياسة ولا محاباة يعرض بهاتين المسئلتين لانه يستدل على بطلانها بما ذكره اما في قرونه الاولى فكانت علة انتشاره وعد الله لنبيه المصطفى بقوله هو الذي ارسل رسوله باهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهياً لذلك اسبابه من الدعاة والسعاة والقوة والسطوة فكانت الامور تجري على وفق سنن الكون المعروفة (الثاني) اتنا نعلم ان الداعي الاعظم والرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد لقي في سبيل الدعوة الى دين الاسلام من العنا والتعب والاذى والقتال ما هو مشهور هذا والدين غض طري لم تشبه شائبة ولم تشبه فرقة واما اليوم فهو ينتشر بلادعاة ولاسعاة هكذا يزعم السوداني (الثالث) انه لا يعقل انتشار دين بلادعاة ولاسعاة ولم تجر العادة بذلك ولو جرى الحال على هذا المنوال لما بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ولما اوجب التبليغ عليهم وعلى المؤمنين من بعدهم ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم ليبلغ الشاهد منكم الغائب وبلغوا عني ولو آية ولما قال الله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لانه حينئذ يلج القلوب ويجادل الامم ويزيل الشبه وينبذ الغافلين ويدعو المعرضين بنفسه بلا دعاة ولاسعاة فيكون

الدعاة والسعاة له مما لا تدعو اليها ضرورة او من الكمالي الذي لا تشتد الحاجة اليه مع فقده (الثالث) ان العادة قاضية والعقول حاكمة بان كل دين لم تكن له دعاة ولا سعاة لا ينتشر انتشارا ما فكيف ينتشر في هذا الزمان انتشارا لا يعهد له مثل في الاديان ، وذلك لان الدعوة حياة الاديان والنحل والمذاهب كما نرى انتشار دعاة النصرانية والبابية والقاديانية في اقطار المعمور لما لاهلها من الجد والاجتهاد في نشر دعوتهم مع ما في نحلهم من مخالفة العقل (الرابع) انه قد اشيع في كثير من الجرائد السيارة والمجلات الجوابية اخبار متعددة عن انتشار الاسلام في اوربا وامريكا وتردد صداها في افق العالم الاسلامي فصدقها اكثر الناس ولا يعلمون حقيقة الحال مع ان هؤلاء الناس الذين يشاع عنهم انهم اسلموا انما دخلوا في دين البابية والقاديانية فينشر دعواتها تلك الاخبار بواسطة الجرائد تحت عناوين انتشار الاسلام وهاتان النحلتان لها جمعيات ودعاة واموال مرصدة لاجل اعمال النشر والتفجير وقد اتخذوا لقب الاسلام والدعوة اليه شعارا لهم ليتنفخوا بصيته وتاريخه الشهير في توطيد مكانتهم بين الجهال والاغبياء ومن اهل الجرائد من ينشر اخبارهم هذه وهو يعلم ما فيها من المكر والخداع للمسلمين وغيرهم والدواعي الباعثة على ذلك لا تخفى (الخامس) ان كثيرا من الاخبار والرهبان مازالوا ينشرون اخبارا

مصطنعة عن انتشار الاسلام في افريقيا وغلبته النصرانية يريدون بذلك الهاب حمية اخوانهم واثارة غيرتهم ، ليزيدوا جدا واجتهادا في تكثير دعواتهم بتلك الجهات ، وانفاق الاموال في سبيل ذلك ، ويزداد المسلمون غرورا وغفلة ، وليضحكوا منهم اذا صدقوا بما لا يكون ، واعتمدوا على ان دينهم ينتشر في اكناف افريقيا بلا دعاة ولا سعاة وقد اغتر بمكرهم وخداعهم وكاذب اخبارهم كثير من افاضل المسلمين ثم ظهرت لهم حقيقة امرهم ، وحاصل ما ذكرنا ان مازعمه السوداني من انتشار الاسلام اليوم انتشارا فائقا غير الانتشار القديم لا اصل له ، واذا سلمنا له هذا الزعم لم نسلم له ان علة انتشاره ما ذكره لانه لم يستقرئ احوال كل من اسلم حتى يعلم الدواعي التي حملته على الدخول في الاسلام واذا سلمنا له معرفة ذلك فلا نسلم له ان الدين الاسلامي الحقيقي ليس فيه هاتان المسئلتان لثبوتها عند الجمهور فليس فيها ما ينكره العقل ولا يكذبه الوجود فبطلت علة السوداني ومعلوله

(الخطأ الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والخمسون)

في قوله « فاذا فهم ذلك فالقول بان بعض الشعوب افضل من غيرهم لذات دعائهم ولحومهم بدون اعتبار عمل او علم ونسبة هذا القول الى الشرع الشريف تلويث له بما لا يناسب شيئا من اصوله وايقاظ لفتنة عظيمة بينه وبين العقل الذي جعله الله ميزانا لكل شيء ، واثبات لدعاوي اعدائه المتعنتين عليه فمن دس على الدين شيئا من ذلك فهو مردود عليه والله ورسوله برآء منه قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم

من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد» اه ونقول هذا هي النتيجة التي وصل اليها في كلامه وهو انكار فضل العرب على سائر الشعوب وفضل قريش على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش وقد علمت ان هذا خلاف مذهب اهل السنة والجماعة وحملة الآثار واهل الحديث وانه بعينه مذهب مبتدعة الشعوية وفي ذلك عدة اغلاط (الاول) مخالفته لمذهب اهل السنة والجماعة كما ذكرنا (الثاني) انه قال « بدون اعتبار علم ولا عمل » وهذا قيد يراد منه التشنيع وقد اشرنا الى ان تفضيل العرب وقريش وبني هاشم من جهات متعددة ومنها الاخذ بمقتضى النص في ذلك ، ومنها المعدن الذي هو اصل للعلم والعمل والاخلاق ومنها تاريخهم العظيم الذي لا يوجد مثله لامة من الامم ، ومنها كونهم قومه صلى الله عليه وآله وسلم وكونه منهم ، ومنها نزول القرآن بلغتهم ، وظهور الاسلام على ايديهم وسبقهم اليه ، وتوقف الاجتهاد في الدين على العلم بلغتهم ، ومنها غير ذلك كما سيأتي فلا داعي لهذا القيد الامجرد التشنيع (الثالث) في قوله « ونسبة هذا القول الى قوله بما لا يناسب شيئا من اصوله » اه فان ورود النصوص فيما ذكرنا مما لا يشك فيه احد من اهل العلم ، وانما يمتري في ذلك من قل حظه من علم الآثار والاحاديث واقوال اهل السنة ، وليس في ذلك مخالفة لاصول الاسلام اصلا ، وقد بينا ان القول بالتفاضل بين الشعوب هو الامر

الذي دل عليه الوجود واخباره صلى الله عليه وآله وسلم بذلك من اعظم المعجزات لأن ذلك من العلوم الذي لم يهتد اليها البشر الا في العصور الحديثة (الرابع والخامس) في قوله « وايقاظ لفتة عظيمة بينه وبين العقل الذي جعله الله ميزانا لكل شيء » اه فان عنى بالعقل عقله نفسه فلا يضر ذلك دين الاسلام ولا يقتضي صحة طعنه في احكامه سواء استيقظت الفتنة بين عقله وبين الاسلام أو خمدت وانما الضرر كل الضرر واقع عليه لحرمانه التسليم والتصديق بما اخبر به صلى الله عليه وآله وسلم ، وان عنى بالعقل ماسوى ذلك فليبينه حتى نرد عليه ، ولا مخالفة بين النقل والعقل في هذه المسئلة البتة وقوله «العقل الذى جعله الله ميزانا لكل شيء» خطأ فان من الامور ما لا يقدر العقل على الاحاطة به فضلا عن ان يكون ميزانا له ، وايضا فانا نرى اهل المعقول الذين ينتحلون علمه ويزعمون انهم اهله تختلف آراءهم وانظارهم اختلافا شديدا ومن شأن الميزان ان تظهر به مقادير الامور على وجه الصحة وميزان العقول في مقابل المنقول عائل مائل وقد رد كثير من النظار خصوصا صريحة او اولها وزعم أنها مخالفة للعقل فاطراحها أمر لازم وقد قبلها غيرا ولم يرفيها منافاة ولا مناقضة لشيء من ذلك ، وطالما اتفق كبراؤهم على مقدمة هي عندهم قطعية ثم ظهر لهم او لغيرهم انها باطلة ، واذا نظرنا الى المكذبين والجاحدين نجد من اسباب تكذيبهم بالدين وجحدهم رسالة المرسلين ، اعتمادهم على موازين

عقولهم ، فن البديهي ان الله لا يجعل العقل ميزانا لكل شيء مع صدور امثال هذه الاختلافات عنه وليس لنا ان نزن كتاب الله بموازين عقولنا فنقبل منه ما قبلته ونرد ما نفته ، وكذلك سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة وانما وظيفة العقل بالنسبة اليهما تدبرهما والتسليم لما خفي عليه علمه منهما ، وكما انه لا يصح ان يقال ان الله جعل العين مبصرة لكل شيء لان هناك امورا كثيرة لا تراها كالملائكة والجن والشياطين وما خفي عن العيون من امور الغيب ، كذلك لا يصح ان يقال ان الله جعل العقل ميزانا لكل شيء لان هناك اقوال المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم ولا يصح ان يتوقف قبولها نفسها على وزنها بميزان العقل فلم يجعل الله العقل ميزانا لها لا تقبل الابيه وتردبه ، وهناك امور اخرى يقصر العقل عن الاطلاع على كنهها ، فضلا عن وزنها بميزانه ، وايضا فقوله العقل الذي جعله الله ميزانا لكل شيء ان اراد بهذا الجعل الجعل الكوني فقد علمت بطلانه بما سبق ، وان اراد بذلك الجعل الشرعي فاين الايات والاحاديث ، التي تثبت ان الله جعل العقل ميزانا شرعيا لكل شيء ، وانما هي كلمة جوفاء لا طائل تحتها ، وايضا فانه قد ظهر للباحثين في شؤون الانسان وطبائع شعوبه وخواصهم ، انهم يتفاوتون في الخلق والاخلاق والطبائع ، وان الخاصة التي امتاز بها احد الاصناف عن غيره لا تزال تتوارث فيه سلالة عن سلالة ، وقد انتشر هذا العلم

وألفت فيه المؤلفات الممتعة، وقبلته العقول، وقرره المدرسون في مدارسهم، ولا ريب أنهم يقابلون منكرة بالتجهيل والغباوة وقلة الاطلاع، وعلى هذا فالقول بتساوي الشعوب هو الذي يوقظ الفتنة بين الدين القائل به وبين العقل، لا القول بتفاضلها (السادس) — في قوله « واثبات دعاوي اعدائه المتعنتين عليه » اه وتقول انه لا يجوز لنا ترك شيء من كتاب ربنا ولا سنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولا احكامها مخافة دعاوي اعداء الاسلام المعتدلين فضلا عن المتعنتين، يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، ومن البديهي أنهم يرون دين الاسلام نفسه باطلا وظلالا دع عنك هذا الحكم فقط ومن احكامه ما يعدونه عيبا وعارا ومخالفا لعقولهم، وسبب ذلك سبق الشقا واتباع الهوى وتقليد الاباء واتكاس العقول وفساد الفطر ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا، وعند اعداء الاسلام من الامور المعكوسة المنكوسة التي لا يمتري فيها منصف اضعاف ما ينكرون على الاسلام، على انهم مخطئون في انكارهم عليه من كل وجه، ولا يشترط لصحة الاحكام الاسلامية والايخبار النبوية عدم اثباتها لدعاوي المتعنتين عليه من اعدائه، وان كثيرا من الاخبار والرهبان والتصديرو لالقاء الشبه في الاسلام يستبشعون تعدد الزوجات والطلاق وه

اشبه ذلك من الامور المخالفة لدينهم المبدل فهل نبطلها ونمجدها ونمتنع
عن القول بها لئلا نثبت دعاوي اعدائه المتعنتين عليه !!! وهذه الجملة
التي اوردها السوداني لها صولة في قلوب المتفرنجين والمقلدين لهم،
ويحتمل ان تكون هذه الكلمة المزخرفة وامثالها من الشبه سبب
منع بعض الحكومات الاسلامية تعدد الزوجات والطلاق ونحوه
لهذا العهد ويحتمل ان يكون سبب ذلك الالحاد المحض والتمادي في
التجدد والردة نسأل الله العفو والعافية والثبات على الايمان والاسلام آمين
(السابع) قوله «فن دس في الاسلام شيئاً» الخ ونقول ان هذه العبارة ظاهرها
حسن جميل ، وباطنها سيء خبيث ، ومقصودها منها ان اهل السنة
والجماعة وحملة الاثار وحفاظ الحديث قد دسوا في دين الاسلام هاتين
المسئلتين مسألة التفاضل ومسألة الكفاءة وكذبوا على النبي صلى الله
عليه واله وسلم في رواية النصوص الدالة على ذلك او صدقوا الكاذبين
واعتمدوا على كذبهم

(الخطأ الستون والحادي والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والستون)

(وفيه نقل كلام العلماء في فضل النسب ونقصه)

في قوله «واما مسألة الكفاءة بين المسلمين التي خاض فيها بعض العلماء فليست
مبنية على تفضيل احد ولا على تنقيص احد وانما النظر فيها الى وسائل حسن المعاشرة
والاتفاق بين الزوجين والنظر في حالة معاشها ، فان بنت الغني التي تلبس كل يوم بدلة
جديدة وتاكل كل يوم الوانا كثيرة وتبيت على الفراش اللين الناعم اذا دخلت في

بيت فقير ليس عنده شيء من ذلك فانها تتكدر وتسيء حالتها (كذا) فيجر ذلك الى بغض الزوج واحتقارها له فيكون ذلك سببا لعدم الاتفاق ولسوء المعاشرة فرأوا ان المناسب ان يتر وجها من يناسب حالتها وكذلك الحال بين المتعلمة والجاهل وبين المترية وقليل التربية وغيرها فمن لامنا سبة بين احوالهم واخلاقهم ولما كان هذا الاعتبار تابعا لامر المعاش والمعاشرة كان ساقطا عند حصول رضا المرأة مع العلم بحال الرجل الخاطب اذا كان مسلما اذا كانت رشيدة تميز بين محاسن الرجال ومساوئهم لانه ربما كان رضاؤها به مع ما ذكره من زينة اخرى تعادل ما فقدته من خصوبة العيش ونعومة اللباس والفراش والعلم والحضارة وشرف المحتد كالقوة والشباب وحسن الاخلاق وحسن المنظر وغير ذلك من الصفات التي ترضي النساء ولذلك جعل الشارع المدار على رضائها مع الرشد فان لم تكن رشيدة كان اقرب الناس نائبا عنها في ذلك ومن ادعى على الشارع شيئا وراء ذلك فقد افترى عليه ما هو بريء منه هذا حكم الله وهذا حكم رسوله فمن اتبعه وأسلم وجهه فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن تكبر على احكام الله واعرض عنها فليستغ نققا في الارض اوسلما في السماء فالله يحكم لامعقب لحكمه » اه

ونقول انه قد غلط هنا اغلاطا متعددة (الاول) في قوله « واما منسئلة الكفاءة الى قوله ولا تنقيص احد » الخ اه وذلك من وجوه (الاول) ان العلماء قد اتفقوا على اعتبار الكفاءة في الدين ، والمراد بذلك التدين لا مطلق الاسلام فقط وقد اتفقوا ايضا على تفضيل المتدين على من ليس بمتدين ، وحينئذ فاعتبار الكفاءة في ذلك مبني على اساس التفضيل والتنقيص بذلك (الثاني) ان الكفاءة هي المساواة وضدها عدم المساواة وهو مستلزم للتفاوت والتفاضل ، والكفء النظير والمساوي وفي الحديث المسلمون متكافؤا دماؤهم اي تتساوى في القصاص والديات ، ويقال هو

كفوء وكفىء ومكافىء بين الكفاءة قال الشاعر

وانكحها في غير كفوء ولاغنى * زياد اضل الله سعي زياد

ويقال هم اكفاء كرام ، وبالجملة فكل تصاريف هذه الكلمة تدل على معنى المساواة فكل معتبر للكفاءة من العلماء انما قصد بذلك مساواة الزوجين في الخصال المعتبرة في ذلك من الدين والنسب والحسب والصنعة ونحو ذلك ، وعدم الكفاءة معناها عدم المساواة وقولهم ليس بكفوء اي ليس بمساو فعدم كفاءة أحد الزوجين للاخر معناه عدم مساواته له وذلك مستلزم للتفاوت بينهما لامحالة ، سواء كان التفاوت في الدين او في النسب والحسب ونحوه من خصال الكفاءة وهذا واضح لا ينكره الا من لا يعرف اللغة ولا كلام العلماء (الثالث ان من العلماء من صرح بالتفاضل في سياق الكلام على الكفاءة وغيرها ومنهم الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

(كلام الامام الشافعي رضي الله عنه في فضل النسب ونقصه)
قال في خطبة الرسالة : « وكان خيرته المصطفى لوجه المنتخب لرسالته ، المفضل على جميع خلقه ، بفتح رحمة ، وختم نبوته ، واعم ما ارسل به مرسل قبله ، المرفوع ذكره مع ذكره في الاولى ، والشافع المشفع في الأخرى ، افضل خلقه نفسا ، واجمعهم لكل خلق رضيه في دين ودنيا ، وخيرهم نسبا ودارا ، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وشرف كرم » الح ماقاله فانظر كيف قال « خيرهم نسبا ودارا » وقال في الام في ابواب الامامة

في الصلاة « ولو كان فيهم ذونسب فقد موا غير ذي النسب اجزأهم وان قدموا
ذو النسب (و) اشبهت حالهم في القراءة او الفقه كان حسنا لأن الامامة منزلة
فضل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها
فأحب ان يقدم من حضر منهم اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان
فيه لذلك موضع » اه وسيأتي بيان صحة استدلال الامام الشافعي بهذا الحديث
وما جاء في معناه في اثناء ردنا على التلميذ وقال الامام الشافعي ايضا في
ترتيب قسمة العطاء انه يبدأ بالأقرب فالأقرب الى رسوله الله صلى الله
عليه وآله وسلم فاذا خلصت قريش قدمت الانصار على جميع قبائل
العرب لما كان الاسلام ، فكلامه هذا يدل على ان للنسب الفاضل من
التقديم في منازل الكرامة والتجلة والفضل والشرف ما ليس لغيره ، حتى
قدم لاجله القارئ العالم على مساويه في القراءة والعلم ، وقدمت سائر
قبائل قريش على الانصار مع ان فيهم من ليس له قدمهم ولا سابقتهم
ولا مقاماتهم العظيمة في الاسلام ، وعقب الامام الشافعي ما تقدم بقوله :
« الناس عباد الله فالواهم ان يكون مقدا اقربهم بخيرة الله لرسالته ، ومستودع
اماته ، وخاتم النبيين ، وخير خلق رب العالمين ، محمد صلى الله عليه وآله وسلم
» ومن فرض له الوالي من قبائل العرب رأيت ان يقدم الاقرب فالأقرب منهم
برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النسب فاذا استوا قدم اهل السابقة على
غير اهل السابقة ممن هم مثلهم في القرابة » اه وله في الام عبارات كثيرة ردد
فيها التعبير بفضل النسب ونقصه نورد منها ما تيسر قال « واذا زوج
الولي الواحد كفوا بأمر المرأة المالك لامرها باقل من مهر مثلها لم يكن لمن
بقي من الولاة رد النكاح ولا ان يقوموا عليه حتى يكملوا لها مهر مثلها لانه ليس

في نقص المهر نقص نسب» اه فقال نقص نسب فاثبت له النقص وقال
«وكذلك لو كان بعضهم افضل من بعض نسبا فتناكحوا في الشرك نكاحا صحيحا
ثم اسلموا لم افسخه بتفاضل النسب ما كان التفاضل» اه فقد اثبت التفاضل
في النسب وقال به وقال «اواتسب لها الى نسب فوجدته من غير ذلك النسب
ومن نسب دونه ونسبها فوق نسبه» اه فذكر الدون والفوقية في النسب
والمراد بذلك فوقية الرتبة وضدها وقال «وهذا كان لاوليائها على الابتداء
اذا اذنت فيه ان يمنعوها منه بنقص في النسب» اه وقال «ولم يكن للولادة معها
الابما وصفنا والله اعلم الا ان تتكح من ينقص نسبه عن نسبها» اه وقال «ولو غرته
بنسب فوجدتها دونه وهو بالنسب الدون كفوء» اه وقال «ولو غرت بنسب او غرته
فوجد خيرا منه» اه فذكر خيرية النسب وكلامه هذا في احكام الكفاءة
كما يعلم بمراجعة الأم وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الخبير لتخريج
احاديث الرافعي الكبير بعد كلامه على حديث الاصطفاء وقد اورده
الرافعي استدلالا لابه على اعتبار الكفاءة في النسب مانصه «وحديث واثلة
يستفاد منه الكفاءة ويذكر على سبيل شكر النعم» اه

(كلام الحنفية على فضل النسب ونقصه)

قال في المبسوط «افضل الناس نسبا بنو هاشم ثم قريش ثم العرب لما روى عن
محمد بن علي عنه عليه السلام ان الله اختار من الناس العرب ومن العرب قريشا
واختار منهم بني هاشم واخترني من بني هاشم ولا فخر» اه نقله الزيلعي شارح
الكنز واقره

(كلام الخنابلة في فضل النسب ونقصه)

قد تقدم نقل كلام ابن تيمية في ذلك واستدلال الامام احمد
بحديث سلمان رضى الله عنه وفي ذلك كفاية وبما ذكرنا لا تعلم بطلان
دعوى صاحب الصورة ان العلماء لم يبنوا مسألة الكفاءة على تفضيل
احد ولا تنقيصه

(كلام المالكية في ذلك)

قد قلنا ان المالكية كسائر اهل السنة والجماعة يقولون بتفاضل الانساب ،
وان لم يعتبروها في كفاءة النكاح ، وقال الزرقاني المالكي في شرح
المواهب ((قال بعض العلماء والتفاضل في الانساب والقبايل والبيوت باعتبار
حسن خلقه الذوات والتفاضل فيما قام بها من الصفات حتى في الاقوات والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق وهذا جار في سائر المخلوقات فضل الله يوءتبه
من يشاء فلا اتجاه لما عساه يقال الانسان كله نوع فما معنى التفاضل في الانساب)) اه
وقوله الانساب كله نوع هذا صحيح ولكن النوع تتفاوت اصنافه
تفاوتا عظيما (الخطأ الثاني) في قوله ((وانما النظر فيها الى وسائل حسن
المعاشرة الى قوله احوالهم واخلاقهم)) اه وذلك انه ان عني بالنظر نظر
العلماء فقد علمت اقوالهم وقد تقدم منها ما فيه كفاية وهي مخالفة
لما نسبه اليهم ولحوق العار للاولياء انما يبنى على النظر الى
اسباب الشرف والفضل والدناءة والنقص لا أمر المعاش واللباس
والفراش الناعم والوان الاطعمة ، وذلك ان اصحاب البيوتات

الرفيعة والشرف والمجديرون مراعاة الشرف ألزم وأهم من مراعاة
الوان الاطعمة وانواع الثياب ، ومنهم من يقدم نفسه وماله في سبيل
المحافظة على شرفه ومجده ، الامن افسدت الحضارة اخلاقه ، واستولى
الحرص والجشع على فؤاده ، وفي اعتبار اليسار في الكفاءة خلاف في
مذهب الشافعي رضي الله عنه والمعتمد عدم اعتباره ، وما اطلال صاحب
الصورة الا فيه كأنه الكل في الكل وكأن ما سواه من خصال الكفاءة
لا تستحق الاهتمام كالدين والنسب والحسب وغير ذلك ، مع انها في قلوب
اهلها اعظم قدرا ومحلا من الاطعمة والالبسة ، وتوقف حسن المعاشرة
على الكفاءة فيها أعظم من توقفها على اليسار ، وحسبك بالمنافرة التي
تحصل بين العفيفة المتدينة والفاسق الخليع وبين النسبية الحسينية في
قومها والزيم الدنيء ، ولكنه يحاول اسقاط فضل النسب باي
وجه كان من غير مبالاة بما يقع فيه من الخطأ وان غنى بالنظر نظره نفسه
فلا قيمة له (والثالث والرابع) في قوله «ولما كان هذا الاعتبار تابعا لامر
المعاش والمعاشرة كان ساقطا عند حصول رضا المرأة الى قوله التي ترضي النساء»
اه وذلك ان الكفاءة لا تسقط برضا المرأة فقط بل لا بد مع ذلك
من رضا الاولياء ايضا ولا نعلم في ذلك خلافا بين العلماء القائلين بها وقوله
مع العلم بحال الرجل الخاطب اذا كان مسلما فيه ما تقدم من اتفاق العلماء
على اعتبار الدين في الكفاءة وان المراد بذلك التدين لامطلق الاسلام

فقط (والخامس والسادس) في قوله « ولذلك جعل الشارع الى قوله نائبا عنها في ذلك » اه وذلك انه ان عنى بكون المدار في ذلك على رضاها صحة اسقاط الكفاءة به ولو لم يرض اولياؤها فكلامه باطل ولا حجة له وان عنى امرا آخر فما هو؟ وقوله «وان لم تكن رشيدة كان اقرب الناس اليها نائبا عنها في ذلك» من ابطال الباطل لانه لا يجوز تزويج غير الرشيدة الامن كفو ولا نعم بين العلماء خلافا في ذلك ونسبته له مع ذلك الى الشارع من الافتراء على الله ورسوله (والسابع) في قوله «ومن ادعى على الشرع شيئا وراء ذلك فقد افترى عليه ما هو بريء منه» اه يظهر ان اسم الاشارة يرجع الى مقاله هو في هذا الموضع من سقوط الكفاءة برضا المرأة الرشيدة او ولي غير الرشيدة وقد علمت مخالفته في ذلك للشارع والشرع وحملته فجملته الجزاء انما تنزل عليه قبل غيره (والثامن) في قوله «هذا حكم الله وحكم رسوله الى قوله لامعقب لحكمه» اه وذلك اننا قد بينا المواضع التي خالف فيها القرآن والاجماع ومذهب اهل السنة والجماعة وقول الجمهور بما فيه كفاية فدعواه مع ذلك ان مقاله هو حكم الله ورسوله خاتمة تلك الدواهي والله المستعان وقد اخذنا الكلام على القضايا التي ذكرها مستدلا بها على حكم الكفاءة الى آخر الكتاب كما فعل ذلك السيد العلامة عبد الله دحلان والتلميذ ﴿ جواب السؤالات البنجرية وما فيه من الخطأ ﴾

لما نشر صاحب الصورة صورته ، والتي بين الناس نبيذته ، همس بعضهم

ببعض ما فيها من الخطأ فلما نعى اليه الخبر بذلك أصدر جوابا مستدركا فيه بعضها ولكنه وقع به في اغلاط أخرى، ولولا تصدي من ذكرنا للرد عليه لتوالت الجوابات . وطالت الاستدراكات . ولكنه رأى ان الحرق واسع لا يحتمل التوقيع فكان قصارى امره اصدار ذلك الجواب المملوء بالسباب . على لسان تلميذه فكان ما اشتمل عليه من الاغلاط اكثر واغشى ، فنشيرها الى بعض ما في جوابه على وجه الاختصار فنقول
(مجل ما في السؤالات البنجرية وجواباتها)

اما السؤال الأول فعن الذين عناهم في قوله «ولا خلاف في ذلك بين علماء الامة المحمديةالمعتبرين» اه وقد اجاب بما حاصله ان العلم ينقسم الى نقلي وعقلي وان مسألة الكفاءة من النقلي . وان جميع ما وصل اليه من النقول الشرعية دالة على جواز التزاوج بين المسلمين اذا حصل التراضي بين الفريقين ، وان من الائمةالمعتبرين الائمة الاربعة ابا حنيفة ومالكا والشافعي واحمد رضي الله عنهم وان مرجع الاشارة من قوله «في ذلك» الى تشبيه النكاح بالبيع من الجهات التي ذكرها كما شبهه غيره قال «ثم قلت ولاخلاف في ذلك اي التشابه المذكور» وانه ذكر في الصحيفة بقية الامور التي اذا حصلت يتفق معها الائمة الاربعة على صحة النكاح وان كلمة «بمضور شاهدين» سقطت من النسخة المطبوعة هذا مجمل جوابه عن السؤال الاول من آخر الصحيفة ٤٤ الى اثناء الصحيفة ٤٦

من (الفصل) وليس فيما ذكره الا ترديد الاغلاط السابقة وذلك من وجوه (الاول) ان كون العلم ينقسم الى تقلي وعقلي الخ ما اطال به خارج عن الموضوع فهو من التحويل بالتطويل (الثاني) ان عدم وصول نقول شرعية اليه تدل على ما قاله الائمة في مسألة الكفاءة لا يجوز له ان يحكى اتفاقهم على ما لم يتفقوا عليه، أو ينسب اليهم ما لم يقولوا، او ينفي عنهم ما قد قالوا واعتمدوا واتخذوه مذهبا يدينون الله به ويفتون به سائر الامم كما بيناه فيما سبق وقد درج العلماء على نسبة كل قول الى قائله لان المدارك مختلفة وفوق كل ذي علم عليم (الثالث) ان قوله بأن الائمة الاربعة من الائمة المعبرين الذين لاخلاف بينهم فيما ذكره شاهدنا طق على ما وقع فيه من الخطأ، وقد بينا انه لايقول احد منهم بصحة النكاح بما ذكره فضلا عن اتفاقهم على ذلك (الرابع) تصريحه بان الاشارة في قوله في ذلك راجعة الى تشبيه النكاح بالبيع من الجهات التي ذكرها، وقد علمت ان الامة مجمعة على عدم تشابه النكاح والبيع فيما ذكره وانه انفراد بهذا التشبيه ولم يقل به احد غيره لاجتهد ولا مقلد (الخامس) قوله انه ذكر في الصحيفة السابعة بقية الامور التي اذا حصلت يتفق معها الائمة الاربعة على صحة النكاح، وقد علمت عدم صحة النكاح بما ذكره عند الائمة الاربعة فراجع ما تقدم وحينئذ فخلاصة ما ذكره انه ردد اغلاطه السابقة واصر عليها

(السؤال الثاني وجوابه وما فيه)

واما السؤال الثاني فعن المراد بالأئمة الاربعة في قوله «لأن الأئمة الاربعة
المجتهدين متفقون» الخ ومجمل الجواب ان المراد بالأئمة الاربعة ابو حنيفة
ومالك والشافعي واحمد رضي الله عنهم وان الامام احمد قد نقل عنه قولان
بالتجوز وعدمه ، ورد قوله بعدم التجوز بانه ليس معصداً بدليل ولا موافقاً
للكتاب والسنة المتواترة ولا وافقه عليه احد من حفاظ الحديث الموثوق بهم
واحتمل فيه ايضاً اموراً ثلاثاً (الاول) ان عدم التجوز محمول على
الكفاءة الاسلامية كما ذكر ابن القيم (والثاني) انه قاله قبل ان يسمع قضايا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !! (والثالث) ان يكون قاله عن دليل
بلغه ولكن لم يصل اليه هو ولا يجوز ان يفتي به لذلك ، هذا خلاصة
ما يستحق الرد عليه منه وهو من الصحيفة ٤٦ الى آخر الصحيفة ٤٩
من (الفصل) وهو كالأول من وجوه (الاول) انا قد بينا بطلان
ما اشترطه لصحة النكاح وزعم اتفاق الأئمة عليه من عدة وجوه
وذلك انه اشترط لصحته تعيين المهر وقد اجمعوا على عدم اشتراطه
وشبه النكاح بالبيع من هذه الجهة وقد اجمعوا على المباعدة التامة
بينهما في ذلك . واسقط البيعة وقد اشترطوها واشترط مالك الاظهار ايضاً ،
واغفل بقية ما يشترط لصحة النكاح كالخلوع عن الاحرام وعن الموانع والمرض
عند الامام مالك والكفاءة عند من يجعلها لجميع الاولياء الاقربين

والابعدين وعند من يجعلها حقا لله تعالى ، واشترط عدم الشرط وقد اتفقوا على ان الشروط لا تفسد النكاح الا ما يريد به ابطال مقصود العقد على تفصيل في ذلك ، وجعل رضا الاولياء الاقربين شرطا لصحة النكاح ولم يتفقوا على ذلك الى غير ذلك مما تقدم مفصلا ، وخلاصته انهم لم يتفقوا على صحة النكاح بما ذكره من جهة الكفاءة ولا غيرها ، وان دعوى الاتفاق على ذلك باطلة وأقرارهنا بانه قصد بالائمة الاربعة ابا حنيفة الخ اصرار على تلك الاغلاط كلها (الثالث) اننا لوسلمنا صحة ما اعتد به عن عدم مراعاة مذهب الامام احمد في مسألة الكفاءة فلا يصح له عذر فيما سوى ذلك فانه قد اشترط ما لا يشترط لصحة النكاح ونفى ما لا يصح بدونه وادعى الاتفاق على ما لم يتفقوا عليه (الرابع) ان ما اعتد به عن عدم مراعاة مذهب الامام احمد رضى الله عنه باطل أيضا ، وتوضيح ذلك ان الذي يقتضيه كلام السوداني سقوط الكفاءة اذا رضيت المرأة واولياؤها الاقربون واما مذهب احمد في احدي الروايتين عنه انها تسقط برضا المرأة واولياؤها الاقربين والابعدين لا الاقربين فقط ، والرواية الثانية انها حق لله فلا تسقط بحال ، اذا علمت ذلك فقوله انه قد نقل عن الامام احمد قولان احدهما بالتجويز كباقي الائمة غير صحيح فلم ينقل عنه قول بذلك اصلا ، وانما نقل عنه فيما اذا رضي الاقربون والابعدون من الاولياء

لا الاقربون فقط (الخامس) ما زعمه من ان قول الامام احمد بعدم التجويز غير معضد بدليل زعم باطل ، لانه قد استدل بحديث سلمان رضي الله عنه وغيره وسيأتي شرح ذلك ان شاء الله تعالى (السادس) احتماله ان يكون قول الامام احمد بأن الكفاءة حق لله تعالى خاص بالكفاءة الاسلامية (كذا) لوجه له لصحة النقل عنه باجراء ذلك في النسب ايضا كما نقلناه عن ابن تيمية (السابع) احتماله ان يكون الامام احمد قاله قبل ان يسمع قضا يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم رجع عنه احتمال بعيد، بل باطل لان الامام احمد قد روى في مسندة بعض تلك القضايا ويستبعد عدم سماعه لباقيها وان لم يخرجها فيه (الثامن) انا اذا سلمنا له انه لايجوز له الافتاء بقول الامام احمد لعدم اطلاعه على دليبه فيما ذاجازله ان ينسب اليه قولاً لم يقله فهنا يتخرج ان يفتي بقوله لعدم اطلاعه على دليبه وهناك نسب اليه غير قوله بغير دليبه فيالمعجب !!

(السؤال الثالث وجوابه والرد عليه)

واما السؤال الثالث فعن قوله «واما مسألة الكفاءة بين المسلمين التي خاض فيها بعض العلماء فليست مبنية على تفضيل احد ولا تنقيص احد» قال السائل فهذه ايضا من المشكلات وتحتاج الى دليل واضح بان الكفاءة ليست مبنية على تفضيل احد او تنقيصه وكونها مبنية على امر المعاش الخ ما في الصحيفة ٥٠ من (الفصل) اما الجواب فهذا نصه

مع تعقيب كل جملة منه بمناقشة مختصرة « الحمد لله اقول ان من
امعن النظر في نصوص الكتاب والسنة الواردة في الحكم بين ذوات
المسلمين لم يجد فيها نصا واحدا يفضل احدا بذات دمه على آخر بل انط الشارع
التفاضل في جميع احكامه بالاعمال والصفات ونص على مساوات الذوات والدماء
فقال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال تعالى بعضكم من بعض وقال تعالى والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض» اه وتقول ماذا يريد بالحكم بين ذوات
المسلمين هل مراده بالحكم الخطاب الشرعي بانواعه الثلاثة من
الاقتضاء والتخيير والمنع ، فقد قلنا ان الاسلام قد ساوى بينهم
في الاحكام بهذا المعنى فسوى في ذلك بين فاضلهم
ومفضولهم وعالمهم وجاهلهم فكلمهم مخاطبون بفعل الواجبات وترك
المحرمات سواء تساوت اعمالهم واخلاقهم او تفاضلت وعلى هذا فاما معنى
قوله ((بل انط الشارع التفاضل في جميع احكامه بالاعمال والصفات)) اه وذلك
انه ليس في الشرع تفاضل في الاحكام الواجبة او المحرمة الا ما كان
من قبيل الخصوصية ولكن مناطها النسب او نحوه لا الاخلاق والاعمال
وان عنى بالحكم امرا آخر فما هو؟ فان قيل لعله اراد الحكم الاخروي قلنا
فما معنى قوله ((بل انط الشارع التفاضل في جميع احكامه بالاعمال والصفات ونص
على مساوات الذوات والدماء)) اه فظاهر من عبارته انه فاضل بينهم
في الاحكام الشرعية وانط التفاضل فيها بالاعمال والصفات ، ولكنه
ساوى بين ذواتهم ودمائهم ويظهر ان مراده من هذه العبارة ان حكم
الكفاءة راجع الى الاعمال والصفات لان الشارع انط التفاضل في

جميع احكامه بها لا الى النسب لانه ساوى بينهم في الذوات والدماء
وما ذكره باطل من كل وجه (اولا) قوله «لم يجد نسا واحدا يفضل
احدا بذات دمه على اخر» ان عنى بذلك نبي الاحاديث الواردة في فضل
بني هاشم وقريش والعرب فهو باطل بل فيه النصوص الكثيرة الشهيرة
وان عنى بذلك امر آخر فلا يعيننا (ثانيا) قوله «بل اناط الشارع التفاضل
في احكامه بالاعمال والصفات» باطل ايضا لان الشارع لم يفاضل بينهم في
الاحكام الا ما كان من قبيل الخصوصية وليس مناطها ما ذكر ومناط
الاحكام التكليف والاسلام (ثالثا) قوله «ونص على مساوات الذوات والدماء»
اما مساواة الدماء فنصوصه واضحة ظاهرة ومناطها اصل الاسلام من
غير نظر الى ما يقع فيه من التفاضل ، واما مساواة الذوات فان عنى في
الفضل فالنصوص انما تدل على المفاضلة لا المساواة ، وان عنى غير ذلك
فليس من موضوع النزاع (رابعا) ليس في الادلة التي استدلت بها دليل
على ما ذكره لان قوله تعالى انما المؤمنون اخوة دل على ما يقتضيه
الايان بينهم من التآخي ومن لوازمه التواد والتعاطف والتراحم
والحكم اذا ربط بمشتق دل على انه علة له ، فعلة الاخوة الايمان ، والمؤمنون
يتفاضلون في الايمان ، وهو نفس العلة التي صاروا بها اخوة فلا يمنع
تفاضلهم فيما سوى ذلك من باب الاولى ، وقوله بعضهم من بعض اما
ان يكون المعنى بعضهم من بعض في الايمان فقد علمت ان الاخوة

بالايمان لم تمنع التفاضل فيه وهو نفس العلة فلا تمنع التفاضل بغيره من باب اولى وكذلك القول في البعضية التي مناطها الايمان واما ان يكون المعنى بعضكم من بعض في النسب العام فكذلك لانا لاندعي الفضل لنسب عام وانما ندعيه لنسب خاص، ولان لوازم العام ثابتة للخاص ولا عكس واما قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فيدل على ثبوت الموالاتة بين المؤمنين وليس في ذلك ما يدل على عدم تفاضلهم في ايمانهم وهو علة الموالاتة فما بالك بما سواه وقوله «وقال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنون تكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم» فيه دليل المساواة في الدماء وهذا مسلم لانزاع فيه ولكنه لا يستلزم المساواة في نفس الايمان وهو العلة التي علق الحكم بها فكيف بما سواه، وقوله ويسعى بذمتهم ادناهم يدل على خلاف ما زعمه من اناطة الشارع التفاضل في جميع احكامه بالاعمال والصفات فان الذمة اي بذل الامان من جملة احكامه ولا مفاضلة فيه، بينهم بل قال يسعى بذمتهم ادناهم فهذا حجت عليه وحجة لنا، واما قوله «وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس لاحد فضل على احد الا بدن او عمل صالح» فقد بينا فيما سبق ضعف سنده وما فيه من الاجمال ومخالفة ما هوواصح منه والمعنى الذي حمله عليه علماء السنة والجماعة واما قوله «وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» فهو قطعة من حديث ابي ذر وقد تقدم الكلام عليه ولم نر له

رواية لامطعن فيها، واما قوله « وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على ابيض ولا لابيض على اسود الابالتقوى » فقد سبق الكلام عليه وسيأتي فيه زيادة تفصيل

﴿ الكلام على قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية ﴾
واما قوله « وقال تعالى في اسباب الفضل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خير » فقوله في اسباب الفضل باطل لانها وردت مورد النهي عن التفاخر والسخرية والتنازع بالالقباب وما شاكل ذلك يدل على ذلك ورودها بعقب الآيات الناهية عما ذكرنا او للحكم في الاكرمية التي يقع فيها التنازع فقطع عرق التباري فيها بما ذكره لالحصر اسباب الفضل وقد جاءت السنة ببيان منطوق هذه الآية ومفهومها فيما رواه البخاري ومسلم والنسائي واحمد عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم الناس؟ قال اكرمهم اتقاهم قالوا يانبي الله ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال افعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا نعم قال خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا وفي رواية عند احمد عن ابي هريرة الناس معادن كمعادن الذهب والفضة زاد الطيالسي الناس معادن في الخير والشر وقد اخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضى الله عنه والكلام هنا من

وجوه (الاول) ان الذي في الآية ان الله جعل وعلا خلق الناس من ذكر وانثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا بينهم، والتعارف قد يكون سببا للتواصل والاجتماع، كما ان التناكر قد يكون سببا للتقاطع والتفرق وأيضا فالشعوب نسب عام والقبائل نسب اخص منه، ولكل منهما اثر في التواصل، وعطف النسب على نسبه معروف في طباع البشر، فهذه جامعة نسبية ينبنى عليها التعارف المفيد لمجموعهم، ولما كان التفاخر في الانساب يؤدي الى اثاره العصبية التي هي من اعظم اسباب الفتن قطع عليهم سبيل التعالي فيه والتباري في شأنه باعلامهم ان اكرمهم عندنا اتقاهم فاثبت الاكرمية للاتقي منهم هذا خلاصة ما تفيد الاية فليس فيها دلالة على نفي تفاضل الانساب (الثاني) ان الآية تدل أيضا على مبدأ التمييز بينهم وهو جعلهم شعوبا وقبائل فان نفس اتقسامهم الى ذلك قد ثبتت له لوازم كالرحم القريب والبعيد وما يتبع ذلك من الحقوق اللازمة والمواريث وما اشبه ذلك، فكانت اما اصلا للتفاوت بينهم او تابعة له كما تبع ذلك ما تقتضيه طبيعة الانتخاب من التفاوت، ومع ذلك فلا يجوز ان يجعل سببا للتناكر (الثالث) ان اثبات الافضيلة لشيء من الاشياء في معنى من المعاني لا يستلزم نفي الفضل عما سواه وهذا هو المعروف في لغة العرب، فاذا قيل زيد أغنى اهل بلده لم يستلزم ذلك نفي الغنى عن غيره من اهل بلده وان امتاز عنهم بكونه اغناهم ومثل

ذلك ما لو قيدنا افضليته في الغنى بنوع من انواع المال كما لو قلنا زيد أغنى
اهل بلدة بنقوده او بعقارها ونحو ذلك وحينئذ فدلالة الآية منحصرة في
اثبات الاكرمية للاتقى اذا لا كرمية افضل الكرم فهي اعلا رتبة منه
كما ان الاكرم غير الكريم لان الكرم المطلق غير مطلق الكرم كما ان
الاتقى غير التقي واصل التقوى غير اعلاها واجمعها فقول الله تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقاكم مثبت للاكرمية للاتقى غيرناف لما دون ذلك
(الرابع) انه لا يصح ان تكون الآية نافية لما سوى الاكرمية الثابتة
للاتقى لان ذلك يستلزم نفي كرم المتقي فيكون كل متق غير كريم
وهذا مما لاخلاف في بطلانه (الخامس) ان قوله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم له منطوق ومفهوم كما ذكرنا فنطوقه اثبات الاكرمية للاتقى
ومفهومه نفيها عن غير الأتقى وما سوى هذين الحكمين باق على
الأصل يرجع فيه الى الدليل (السادس) ان السنة مبينة للقرآن
وموضحة له وقد ورد فيها اثبات ما اثبتته الآية بمنطوقها وحكم مالم
تدل عليه بمفهومها كما في حديث ابي هريرة المذكوراً نفاً انه صلى الله
عليه وآله وسلم حين سئل من اكرم الناس؟ قال اكرمهم اتقاهم فهذا
منطوق الآية قالوا يا نبي الله ليس عن هذا نسألك قال فاكم الناس
يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله وهذا كرم النسب
الصالح ، ولم يدخل في منطوق الآية ولا مفهومها لان منطوق الآية

كما ذكرنا اثبات الاكرمية للاتقى ونفيها عن غيره وايضا فالذي فيها
اكرمية مطلقة مناطها العمل ، وما سواها إنما مناطها النسب فلا
تعارض لاختلاف العلة والى موضوع فالاكرمية بجهة التقوى لا تعارضها
الاكرمية بجهة النسب الصالح لعدم اتحاد جهتيهما ، ولأن المرادبها
اكرمية دون اكرمية التقوى ، ولانا نقول هذا أكرم الناس فنطلق القول
اذا كان أرقامهم ولانقيده ، ولو قلنا في غير هذا أكرم الناس نسبا
فقدنالا لم يكن في هذا التقييد وضع من شأنه اوتقص من حقه ، فلما قالوا
الثانية ليس عن هذا نسألك قال افمن معادن العرب تسألوني ؟ فأسس
للجواب الحكيم بهذا الاستفهام الجامع ، وأخرجهم به عن السؤال عن الافراد
الى اكرمية المجموع . لان المراد بمعادن العرب اصول قبائلها ، فقالوا نعم قال
الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام
اذا فقهوا ومن المعلوم ان خيارهم في الجاهلية قريش وبنو هاشم فكانوا
خيارهم في الاسلام كما صدقه الواقع . ولما حظت هذا المعنى اورد الائمة
هذا الحديث في مناقب قريش فتأمل (السابع) ان الله تعالى
خاطب الناس كافة ، فقال لهم ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ولا يكون
الاکرم الذي لا أكرم منه الا واحدا ، كما انه لا يكون الاتقى الذي لا يوجد
اتقى منه الا واحدا ، ولا يثبت هذا النعت الا لرسول الله صلى عليه وآله وسلم
ولا تكون هذه الخصوصية لأحد غيره فهو أكرم الناس واتقاهم . وقد نظرنا

في سنته صلى الله عليه وآله وسلم فوجدنا فيها ما يصدق هذا المعنى ويدل عليه دلالة بينة ، ففي حديث انس بن مالك عند الترمذي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفي حديث مسلم مابال اقوام يرغبون عما رخص لي فيه فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له خشية وفي حديث البخاري ان اتقاكم واعلمكم بالله أنا ، فهذه سنته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك كتاب الله وفيها الدلالة على ان اكرم الناس اتقاهم ، وعلى ان اكرم الناس واتقاهم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك قلنا والله اعلم انه صلى الله عليه وآله وسلم هو المراد بالآية يؤيده الوجه (الثامن) ان اول سورة الحجرات نزل في قصة وفد بني تميم الذين جاؤا يفاخرونه صلى الله عليه وآله وسلم وقد وردت في ذلك روايات منها ، ماخرجه الترمذي عن البراء بن عازب في قوله تعالى ان الذين يُنادونك من وراء الحجرات قال قام رجل فقال يا رسول الله ان حمدي زين وان ذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الله ، وقد ذكر القصة ابن سعيد عن الزهري وسعيد بن عمرو وذكرها محمد بن اسحق واخرجها ابو عبد الله بن مندقة عن جابر بن عبد الله واسندها الواحد في اسباب النزول له قالوا جاء بنو تميم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشاعرهم وخطيبهم فنادوا على الباب

اخرج الينافان مدحنازين وان ذمناشين فسمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج اليهم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين . فما ذاتريدون ؟ فقالوا ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار اصرت ولكن هاتوا ، فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبانهم قم فاذكر فضلك وفضل قومك ، فقال الحمد لله الذي جعلنا من خير خلقه وآتانا اموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير اهل الارض اكثرهم مالا واكثرهم عدة واكثرهم سلاحا فمن ابى علينا قولنا فليأتنا بقول هو احسن من قولنا وفعال هي خير من فعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لثابت بن قيس بن شماس قم فاجب فقام فقال الحمد لله احمده واستعينه واو من به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه احسن الناس وجوها واعظم الناس احلاما فاجابوا ، الحمد لله الذي جعلنا انصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع منا ماله ونفسه ومن ابى قاتلناه وكان ارغامه علينا في الله هينا ، اقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبانهم قم يا فلان فقل اياتنا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال

نحن الكرام فلاحى يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
الى آخر آياته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بحسان بن
ثابت فانطلق اليه الرسول فقال وما يريد مني وقد كنت عندا قال جاءت
بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم فامر رسول الله ثابتا فاجابه ، وتكلم شاعرهم فبعث
رسول الله اليك لتجيبه فقال حسان لقد آن لكم ان تبعثوا الى هذا العود فجاء
حسان فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا حسان اجبه فقال يا رسول
الله مره فليسمعني ما قال فقال اسمعه ما قلت فاسمعه فقال حسان
نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم سار من معد وحاضر
الخ ابياته والقصة مشروحة بطولها في كتب السير وفيما ذكرنا دلالة
على احتمال ان تكون هذه الآية من تمام الرد على بني تميم في
مفاخرتهم له صلى الله عليه وآله وسلم ومباراته في الكرم ولذلك
قال لهم حسان

فلا تجعلوا لله ندا واسلموا * ولا تفخروا عند النبي بدارم
فان قيل ان الآية التي نزلت في بني تميم هي في اول السورة وآية
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية بعدها بايات قلنا ان في
القرآن لهذا نظائر كثيرة فانه قد يذكر قصة ويستطرد في اثناها الى احكام
كثيرة ثم يعود الى اتمامها وذلك كما تراها في سياق قصة احد في سورة
آل عمران وقصة بدر في سورة الانفال على انه قد روي عنه صلى الله

عليه وآله وسلم الرد على الذين راموا ان يضعوا من نسبه وقام فيهم
خطيبا وذلك لامرين الاول انهم يكذبون في قولهم فبين لهم صلى الله
عليه وآله وسلم كذبتهم وظنهم الباطل والثاني ان ذلك يؤدي الى
الغضب من مقامه صلى الله عليه وآله وسلم والظن في خيرية نسبه
وافضليته وذلك كفر او نفاق فبين لهم طريق النجاة منها ببيان
ذلك والرسول انما تبعث في انساب قومها يوضحه الوجه (التاسع)
فقد اخرج الترمذي وحسنه عن العباس ابن عبد المطلب قال قلت
يا رسول الله ان قريشا جلسوا ففتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا مثلك
مثل نخلة في كعبه من الارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق الخلق فجعلني من خير فرقتهم وخير الفريقين، ثم خير القبائل
فجعلني من خير القبائل، ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا
خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وفي رواية بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ان قوما نالوا منه وفي رواية البيهقي ان القائل هو ابو سفيان
فقصة بني تميم وقصة قريش متشابھتان فعلى ما تقدم يكون
الله تعالى قد تولى الدفاع عن رسوله والرد على بني تميم وتبين ما في
الآية من الابهام بما قاله صلى الله عليه وسلم في الرد على قريش
فان في قوله صلى الله عليه وآله وسلم فانا خيركم نفسا وخيركم نسبا
بيان لافضليته عليهم في نفسه وهذا اكرمية التقوى وفي نسبه وهذه

أكرمىة النسب فكتاب الله وسنة رسوله يصدق بعضها بعضاً ويؤيد بعضها بعضاً
بعضاً يوضحه الوجه (العاشر) ان تنزيل هذه الآية على غير صلى الله عليه
واله وسلم يؤدي الى احد امرين اما إحالة معنى الآية اذ لا يوجد في
الناس من هو بتلك الصفة غيره ، واما تفضيل غيره عليه وكلا الامرين
ممتنع (الحادى عشر) ان الخطاب فى الآية عام لسائر الناس لقول الله
تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ، ولا نعلم خلافاً في
شمول هذا النوع من الخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم فاذا اضيف
الى ذلك ان صيغة افعال التفضيل تقتضى التمييز وقطع المشاركة تبين
لنا بذلك اختصاصه صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى الأكرمىة المدلول عليها
بهذه الآية والا كان فيها تفضيل غيره عليه والاجماع منعقد على خلافها
(الثانى عشر) ان يكون المراد بالعندية فى قوله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم عندية المنزلة فى الدار الآخرة فلا تعارض ما كان
متعلقاً بالحكم الدنيوي كما قال تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون ،
وما عند الله خير وابقى ، ما عندكم ينفد وما عند الله باق ، وان له عندنا
لزلزلى وحسن مآب ، لهم دار السلام عند ربهم ، قل ان كانت لكم الدار
الآخرة عند الله ، فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ، والذين
عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، فان استكبروا فالذين

عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ، في مقعد صدق
عند ملك مقتدر . والآيات في هذا المعنى كثيرة والله اعلم
(فصل) قال السوداني ((وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
انما يتذكر اولو الالباب)) ونقول انه اورد هذه الآية في سياق الاستدلال
على ما تقدم ولم يبين وجه الدلالة منها على ذلك فان فضل من يعلم على من
لا يعلم وعدم التساوي بينهم من جهتي العلم والجهل أمر مسلم لا خلاف
فيه ، ولكن ذلك لا ينفي ان يكون للنسيب فضل على من ليس كذلك
فلا وجه للاستدلال بها على نفيه ، فان قيل بل لها الوجه الوجيه
وذلك ان نفي المساواة بين الشيثين من صيغ العموم فتقتضي
نفي الاستواء في جميع الأمور على ما ذهب اليه جمهور الشافعية
وطوائف من الاصوليين والفقهاء فلا مساواة اذاً بين الذين يعلمون
والذين لا يعلمون من كل وجه (جوابه) فليكن كذلك ونحن انما نستدل
على التفاوت الذي هو عدم المساواة ، والتفاوت لا يناقض التفاوت
لاختلاف الجهات فليس في ذلك رد علينا بحال ، على ان في اقتضاء
هذه الصيغة للعموم خلافاً شهيراً فقد ذهبت الحنفية والمعتزلة والغزالي
والرازي الى انها ليست من صيغ العموم وغاية ما تدل عليه سلب عموم
التسوية لتقدم حرف النفي للعموم السلب وقد رجح الصفي الهندي
ان نفي الاستواء من باب المجمل من المتواطى لان باب العام وتقدمه

الى ترجيح الاجمال الكيا الطبري كما نقله الشوكاني ، فان قيل لعل وجه
الدلالة منها انه مانى المساواة بينهم الاسبب العلم ففاضل بينهم به
(قلنا) هذا وجه صحيح ولكن ليس فيه ماينى التفاضل ايضا بامور اخرى
﴿فصل﴾ واما استدلاله بقوله تعالى والعصر ان الانسان لني خسر الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقوله تعالى ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون وقوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالملفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وقوله تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية فلمعري ان هذا هو القصاص الحق
آمنا بالله وآياته ، والتفاوت بين هذه الاصناف واقع ماله من دافع ، وطوبى
لمن آمن وعمل صالحا ، ولكن ليس في هذا ماينى فضل النسب الصالح
لانالم نقل ولم يقل احد قبلنا ان الله وضع عن ذوى الانساب التكليف
واوجب لهم الفوز والفلاح بلا عمل صالح واما قوله بعد ايراد هذه
الآيات ((وهكذا قدانا ط الله الفضل بالعلم والعمل الصالح والتقوى وقوة الايمان
والعكس بالعكس في جميع احكامه بغير استثناء لطائفة من البشر)) اه
فنقول ان عنى بكلامه اثبات الفضل والتفاضل بما ذكر مع اثبات
فضل النسب الصالح والمعدن الكريم على ما ليس كذلك فكلامه
صحيح لا غبار عليه وان عنى به ذلك مع حجد فضل النسب الصالح
والمعدن الكريم فالخير باطل واما قوله ((فلا يفضل احد احداً الا اذا عمل

ما يوجب الفضل ولا ينقص احد عن احد الا اذا اتصف بما يوجب النقص)) اه
قلنا قد بينا ان هذا القول فيه حق وباطل والفضل قد يكون بجزايا
اخرى غير العمل فقد يكون بالنبوة والرسالة والتكليم والمواهب
الالهية والاصطفاء والاختيار والمحبة الالهية والخلة وبالاعمال الصالحة
والنسب الصالح والمعادن الكريمة لانها أصل للاعمال الصالحة
وبالقراءة كما تقدم وكما سيأتي مشفوعا بأدلته * ثم عقب ما تقدم بأدلته
على عدم اعتبار الكفاءة وسياتي الكلام عليها في موضعه ان شاء الله
تعالى وقد انتهى ما اردنا من كشف الحجاب ، عن اغلاط صورة
الجواب ، حتى بدت واضحة النقاب ، عارية الاهداب ، ولما كان الذي
في (فصل) التلميذ مبنيا على المنهار من بنائها ، والمتداعي من
اركانها ، فسنتفي في رد ما تكرر منها بما قد تقرر ، وهذا اوان الكلام
على اغلاط التلميذ فنقدم قبله تمهيدا ومقدمات

(معنى الفضل)

الفضيلة والفضل الخير وهو خلاف النقيصة والنقص قال في القاموس وشرحه
« الفضل معروف وهو ضد النقص جمعه فضول والفضيلة خلاف النقيصة وهي
الدرجة الرفيعة في الفضل وفضله على غيره تفضيلا مزاه اي اثبت له مزية اي
خصلة تميزه عن غيره اوفضله حكم له بالتفضيل اوصيره كذلك » اه ملتقطا منها
وحكى الشارح عن الصيمري ان الفضل هو السودد وقال الراغب في مفرداته
« والفضل اذا استعمل لزيادة احد الشئين على الآخر فعلى ثلاثه اضرب فضل من

حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات ، وفضل من حيث النوع كفضل الانسان على غيره من الحيوان وعلى هذا النحو قوله تعالى ولقد كرّمنا بني آدم الى قوله تفضيلا وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر فالاولان جوهر يان لاسيلا للناقص منهما ان يزيل نقصه وان يستقل بالفضل كالفرس والحصان لا يمكنهما ان يكتسبا الفضيلة التي خص بها الانسان والفضل الثالث قد يكون عرضيا فيوجد السبيل الى اكتسابه ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله تعالى والله فضل بعضكم ، فضلا من ربكم يعني المال وما يكتسب وقوله يا فضل الله بعضهم على بعض فانه يعني بما خص به الرجل من الفضيلة الذاتية له والفضل الذي اعطاه من المهنة والمال والجاه والقوة قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكل عطية لا تلزم من يعطي يقال لها فضل نحو قوله واسألو الله من فضله ذلك فضل الله ، والله ذو الفضل العظيم وعلى هذا قل بفضل الله ولو لا فضل الله» اهـ والذي يظهر من تصاريف هذه الكلمة انها مأخوذة من الفضل بمعنى الزيادة فان الفاضل يزيد في المعنى الذي فضل به على من دونه ، والفضيلة التي هي الدرجة الرفيعة في الفضل تستلزم هذا المعنى ، والتفضيل اثبات مزية للغير ففيه معنى الزيادة بها ، وقد قالوا في السيد انه من زاد على قومه بمخصلة من خصال الخير ففسروه باللائم لأن سيد القوم يكون كذلك غالبا ، ولهذا قال الصيمري ان الفضل هو السودد وكلام الراغب في انواع الفضل حسن وقد ذكر ما يكون بالجنس وبالنوع وبالصنف وقوله «والفضل قد يكون عرضيا فيوجد السبيل الى اكتسابه ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض به فانه يعني بما خص الرجل من الفضيلة الذاتية له» فيها تناقض فان كون الفضيلة ذاتية للرجل يمتنع

معه كونها عرضية يوجد السبيل الى اكتسابها ولعله اراد بالعرضي الذي يمكن اكتسابه ماسوى ذلك فانه قال بعد ما تقدم «والفضل الذي اعطاه من الحكمة والمال والجاه والقوة» اولعاه اراد بالذاتي خواص الصنف وقوله «وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فضل الله المجاهدين على القاعدين» فاما الاية الاولى فليس التفضيل الذي فيها من قسم العرضي الذي يكتسب ولم تكن نبوة مكتسبة فان قيل لعل المراد تفضيلهم في ماسوى ذلك من الاعمال، قلنا ان ربط التفضيل بلفظ النبيين وهو لفظ مشتق يدل على ان النبوة هي العلة الذي وقع بها وفيها التفضيل، ويرشح ذلك قوله وآتينا داود زبوراً فانه مشعران التفضيل المراد هنا كان بما اوتوا ووهبوا، لا بما عملوا وكسبوا، فان ذلك فضل وتفاضل آخر، اما تفضيل المجاهدين على القاعدين فلاشك انه من القسم الذي يمكن اكتسابه ولكن تفضيل القاعدين اولي الضرر على القاعدين من غيرهم ليس منه وقوله « وكل عطية لا تلزم من يعطي يقال لها فضل » اه في معنالا ما نقله شارح القاموس عن المناوي والجرجاني « ان الفضل ابتداء احسان بلاعة» ولا منافاة بين العبارتين والابتداء بالاحسان بلاعة يقتضي للمحسن اليه التفضيل والفضل على من لم يحصل له ذلك الاحسان ﴿ القول في اسباب الفضل ﴾

اسباب الفضل كثيرة فقد نقل الخفاجي والسهمودي والزرقاني عن

القراني انه قال « ان اسباب الفضل اعم من الثواب فانها منتهية الى عشرين قاعدة» وقد بينها في كتاب القواعد له ثم قال « بل انها اكثر وانه لا يقدر على احصائها خشية الاسهاب» وقال السبكي بنحو ذلك من عدم الحصر في ما به الثواب فقط وآيات القران تدل على التعميم وقد حصر بعض المتكلمين اسباب الفضل فيما يكون به الثواب وهو اصطلاح حادث تدل الايات القرآنية والاحاديث النبوية على خلافه

(مقاله الراغب الاصبهاني في اسبابه)

قال في كتابه تفصيل النشأتين في الكلام على اسباب تفاوت الناس مانصه « اسباب ذلك سبعة اشياء (الاول) اختلاف الامزجة وتفاوت الطينة واختلاف الحلقة كما اشير اليه فيما روي ان الله تعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام امر ان يؤخذ من كل ارض قبضة فجاء بنو آدم على قدر طينتها الاحمر والابيض والاسود والسهل والحزن والطيب والحبيث والى نحو هذا اشار الله تعالى بقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وقال تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء (والثاني) اختلاف احوال الوالدين في الصلاح والفساد وذلك ان الانسان قدير من ابويه آثار ما هما عليه من جميل السيرة والخلق وقبيحها كما يرث مشا بهتها في خلقها ولهذا قال الله تعالى وكان ابوها صالحا وعلى نحوه روي انه قال في التوراة اني اذا رضيت باركت وان بركتي لتبلغ البطن السابع واذا سخطت لعنت وان لعنتي لتبلغ البطن السابع تنبئها على ان الخير والشر الذي يكسبه الاسنان ويتخلق به يبقى موروثا الى البطن السابع (والثالث) اختلاف ما تتكون منه النطفة التي يكون منها الولد ودم الطمث الذي يتربى به الولد فذلك له تأثير بحسب طيب ما تكونا منه وخبثه ولهذا قال صلى الله عليه واله وسلم تحيروا النطفكم وقال الناكح غارس فلينظر احدكم اين يضع غرسه وقال اياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المرأة

الحسنة في المنبت السوء (والرابع) اختلاف ما يتفقد به من الرضاع ومن طيب
المطعم الذي يترى به ولتأثير الرضاع تقول العرب لمن تصفه بالفضل لله دره
(والخامس) اختلاف احوالهم في تأديبهم وتلقينهم وتطبيعهم وتعويدهم العادات
الحسنة والقبیحة فحق الولد على الوالدين ان يؤخذ بالآداب الشرعية واخطار
الحق بباله وتعويده فعل الخير كما قال النبي صلى الله واله وسلم مروم بالصلاة
لسبع واضربوهم لعشر ويجب ان يصاب عن مجالسة الاردباء فانه في حال
صباه كالشمع يتشكل بكل شكل يشكل به وان يحسن في عينه المدح والكرامة
ويقبح عنده الذم والمهانة ويبغض اليه الحرص على المآكل والمشرب
ويعود الاقتصاد في تناولها ومخالفة الشهوة ومجانبة ذوي السخف ويؤخذ بقلة
النوم في النهار فهو يشيب ويورث الكسل ويعود التأني في افعاله واقواله ويمنع
من مفاخرة الاقران ومن الضرب والشتم والعبث والاستكثار من الذهب
والفضة ويعود صلة الرحم وحسن تأدية فروض الشرع قال بعض الحكماء
من سعادة الانسان ان يتفق له في صباه من يعودة تعاطي الشريعة حتى اذا
بلغ الحلم وعرف وجوبها فوجدها مطابقة لما تعودته قويت بصيرته ونفذت في
تعاطيها عزيمته (والسادس) اختلاف من يتخصص به ويخالطه فيأخذ طريقته
فيما يتمذهب به ، عن المرء لا تسئل وابصر قرينه ، (والسابع) اختلاف اجتهاده
في تركية نفسه بالعلم والعمل حين استقلاله بنفسه والفاضل التام الفضيلة من
اجتمعت له هذه الاسباب المسعدة وهو ان يكون طيب الطينة معتدل الامزجة جاريا
في اصلا بآباء صالحين ذوي امانة واستقامة متكونا من نطفة طيبة ومن دم
طمث طيب على مقتضى الشرع ومرتضعا بدر طيب ومأخوذا في صغره من قبل
مربيه بالآداب الصالحة وبالصيانة عن مصاحبة الاشرار ومتخصصا بعد بلوغه
بمذهب حق ومجهدا نفسه في تعرف الحق مسارعا الى الخير فن وفق في هذه
الاشياء تتجمع فيه الخيرات من جميع الجهات كما قال الله تعالى لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم ويكون جديرا ان يعد ممن وصفه الله تعالى بقوله وانهم عندنا لمن
المصطفين الاخيار والرذل التام الرذيلة هو من يكون بعكس هذا في الامور التي
ذكرناها واعلم ان من طابت احواله اتفق بكل ماسمعه وشاهده ان خيرا وان شرا

ومن خبت احواله استضر بكل ماسمعه وشاهده وعلى ذلك دل الله تعالى بقوله والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبت لا يخرج الا نكدا فالحيث من الارض وان طاب بذره وعذب مآؤه لا ينبت الا حيثما والطيب من الارض وان كدر بذره وملح مآؤه لا ينبت الا طيبا ولذلك قال سبحانه وتعالى في كتابه تسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الاكل وقال في صفة كتابه قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى « اه وقال في موضع اخر من المفردات في تعديد اطلاق لفظة فوق « الخامس باعتبار الفضيلة الدنيوية نحو ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات او الاخروية والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة فوق الذين كفروا» اه فقد ذكر الراغب في قوله الاول للفضل ثلاث جهات فضل الجنس على الجنس وفضل النوع على النوع، وفضل الذات على الذات، وذكر في قوله الثانى للتفاضل والتفاوت بين الناس سبعة اسباب (الاول) اختلاف الامزجة والطينة والخالقة (الثانى) اختلاف حال الوالدين صلاحاً وفساداً وما يرثه الابن منها وهذا هو المعدن وما يورث عنه (الثالث) اختلاف ما تتكون منه النطفة (الرابع) اختلاف الرضاع والطعام فان الرضاع يغير الطباع (الخامس) التأديب والتربية والعادة واختلاف انواعها (السادس) اختلاف القرين والمخالط (السابع) العمل فى التزكية او التندسية اذا استقل بنفسه وبقيت عليه اسباب كثيرة من اسباب الفضل والتفضيل بل ان تقسيمه المذكور اذا فصل عاد الى اسباب كثيرة، وقد ذكر الراغب ان من اجتمعت له الاسباب السبعة فهو الفاضل التام الفضيلة ومن فقدت فيه فهو الرذل التام الرذيلة، ويفهم من قوله هذا ان ما بين ذلك درجات متفاوتة

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، والذين يستوقف النظر في كلام الراغب هو قوله بتوارث الصفات التي تتخلق بها الاب اذا صارت كالجبله واستدل عليها بذلك الاثر وقد قال بمثله كثير من الباحثين لهذا العهد في الخلق الذي تتخلق به السلالات وتحافظ عليه طبقة بعد اخرى حتى يرسخ ويتمكن في طبقاتها فيتوارث بعد رسوخه كما يتوارث الجبلي وقد غلا بعضهم فادعى التوارث حتى فيما تتخلق به الشخص ولو قرب عهده وقد ردوا عليه دعواه

(مذهب ابن حزم في اسباب الفضل)

ابن حزم معروف الحال كثير الشذوذ جريء القلم مله وزبالنصب وفيه يقول ابن خفيف قلم ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان وهو صاحب الحملات المشهورة المذكورة على الاشعري واكابر اصحابه وقد ذكر في كتابه الفصل كلاما طويلا في اسباب الفضل والتفضيل نلخص منه ما يأتي مع تعقيه برد مختصر

(تقسيم الفضل)

ينقسم الفضل عندا الى قسمين لاثالث هما (الاول) فضل اختصاص من الله بلاعمل (والثاني) فضل مجازاة من الله بعمل ، فاما فضل الاختصاص فيخص الله به من يشاء من المخلوقين * الناطق كفضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام في ابتداء خلقهم (يعنى قبل مباشرتهم الاعمال ونحوها) على الانس والجن وفضل ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سائر

الاطفال * وغير الناطق كفضل ناقة صالح عليه الصلاة والسلام وفضل مكة وفضل المدينة وفضل المساجد وفضل الحجر الاسود وفضل رمضان وفضل الايام الفاضلة والليالي الفاضلة فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلاعمل ، واما فضل المجازاة فلا يكون البتة الا للحي الناطق من الملائكة والانس والجن وهذا هو القسم الذي تنازع الناس فيه

﴿نتيجة الفضل وثمرته﴾

له نتيجتان (اولاهما) ايجاب الله تعظيم الفاضل في الدنيا على المفضول وهذه يشترك فيها كل فاضل سواء كان فضله بعمل ، او اختصاص مجرد بلاعمل ، وسواء كان ذلك الفاضل عرضا او جمادا او حيا ناطقا او غير ناطق كما امر الله بتعظيم الكعبة والمساجد ويوم الجمعة والشهر الحرام وشهر رمضان وناقة صالح عليه الصلاة والسلام وابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ثانيتهما) ايجاب الله تعالى للفاضل درجة في الجنة اعلا من درجة المفضول ، وقد يكون دخول الجنة اختصاصا مجردا وذلك للاطفال كما ذكرنا قبل

﴿قوله بفضل امهات المؤمنين رضي الله عنهن على سائر الخلق بعد الانبياء والمرسلين﴾ قال ان زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل الخلق بعد الانبياء والمرسلين لانهن في درجته صلى الله عليه وآله وسلم وفي قصوره في الجنة وعلى سرره فيها ييقن لا يد اخله الشك وفضلهن هذا فضل عمل

لافضل اختصاص مجرد لأن عملهن افضل من عمل بقية الصحابة

﴿ ايراد اوردا على نفسه وجوابه ﴾

ثم اورد على قوله هذا ما يلزمه في ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه في درجة ابيه صلى الله عليه وآله وسلم فيكون افضل من سائر الصحابة كأمهات المؤمنين (واجاب) عن ذلك بان الذي حصل لابراهيم بن رسول الله عليه وآله وسلم اختصاص مجرد اكراما لايه صلى الله عليه وآله وسلم لا يعمل كان منه لانه لم يبلغ او ان العمل ، وحينئذ فلا تصح المقاضاة بينه وبين بقية الصحابة لعدم اتحاد جهة التفضيل

﴿ ايراد آخر ﴾

ثم اورد على نفسه حديث انه لن يدخل احد منكم الجنة بعمله اي فيكون دخول المؤمنين كلهم اختصاصا مجردا ورحمة من الله وفضلا (واجاب) عن ذلك بان المنفي دخول الاستحقاق بالعمل والوجوب على الله به

﴿ استنتاج مما تقدم ﴾

ثم استنتج مما تقدم انه يمتنع يقينا ان يجازى الافضل بالانقص وعكسه وانه لا يجزى احد من اهل الاعمال الا بما استحقه برحمة الله جزاء على عمله ، والله ان يتفضل على من شاء بما شاء ، وجائز ان يقدم على ذوي الاعمال الرفيعة لانه يختص برحمته من يشاء ، ففهوم من كلامه هذا ان الممتنع من جهة الجزاء جائز من جهة التفضل

﴿ سؤال وجواب ﴾

ثم قال لوقال: قائل اي المكانين اعلى في الجنة وافضل أمكان ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ام مكان ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟ قلنا مكان ابراهيم اعلى بلاشك، ولكن ذلك المكان اختصاص له مجرد لم يستحقه بعمل ولم يستحق ان يقصر به عنه، ومواضع هؤلاء المذكورين جزاء لهم على قدر فضلهم وسوابقهم، وكذلك الزوجات ولذلك صحت المفاضلة بينهن وبين الاصحاب

﴿ سؤال وجواب آخر ﴾

ثم قال فان قال قائل انهن لولا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حصن على تلك الدرجة اي فيكون فضلهن من نوع الاختصاص المجرد (واجاب بقوله) نعم ومثل ذلك يقال في جميع الصحابة فلولا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حصلوا ايضا على الدرج التي لهم واذ قد ثبت فضلهم مع ذلك فليثبت فضلهم معه ويبقى ما كان على ما كان اي فيكون هذا الايراد مشترك الا لازم

﴿ اعتراض وجوابه ﴾

ثم بعد ان اطال الكلام في تفضيل عائشة رضي الله عنها على بقية الصحابة، ذكر انه اعترض عليه بانه يلزم على قوله هذا ان تكون امرأة ابي بكر افضل من علي رضي الله عنهما لأن امرأة ابي بكر مع

ابي بكر في الجنة في درجة واحدة وهي اعلى من درجة علي عليه السلام، ثم احاب بعد تذبذب وتذائب وترنح وتجاهل بايها الأفضل انه يحتمل ان يكون لازواج الصحابة من الصحابيات والتابعيات منازل سافلة عن فضلهن من الصحابة فينزل ازواجهن اليها ولا يرتقين الى درجاتهم العاليت

﴿ اعترض وانتقاض ﴾

ثم ذكر انه عورض بانه يلزم على ما ذكرنا ان يكون ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من جميع الانبياء والمرسلين لانهم معه صلى الله عليه وآله وسلم في درجته التي تلو كل درجة وقد استحققنا باعمالهم (واحاب) بأن الجنة دارملك وطاعة وعلو منزلة ورئاسة واتباع من التابع للمتبوع، والانبياء متبوعون والازواج تابعات فلا ينظر في التفاضل بينهم مع اختلاف الطبقة، وانما يفاضل بين المتبوعين أيهم افضل اوبين الاتباع أيهم افضل، ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل على من دونه في الفضل، ولا يجوز ان ينظر بين الاتباع والمتبوعين لأن المتبوعين لا يكونون احط درجة من التابعين قال واذا قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه يأتي مع امته فنحن مع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فالزمننا من هذا الاعتراض يلزم المعترض مثله فيما ذكرنا

﴿ اعتراض آخر ﴾

ثم قال فان قال قائل هل قال هذا احد قبلكم ، قلنا له وبالله التوفيق
وهل قال هذا أحد قبل من يخالفوننا الآن ومعنى كلامه هنا والله أعلم
انا قلنا في التفضيل بغير سلف لنا فيه ، كما قال مخالفونا فيه بغير سلف فما جاز
لهم جاز لنا ، ثم تمادى في ايرادات واعتراضات لا محل لذكرها

﴿ الرد على ابن حزم ﴾

ونقول ان تقسيمه الفضل الى قسمين لاثالث لهما خطأ بين وتأصيل
فاسد فلذلك جاءت نتائجه فاسدة باطلة ، والصواب ان الفضل ينقسم الى
ثلاثة أقسام (الاول) فضل الاختصاص (والثاني) فضل الاعمال (والثالث)
فضل مركب من الاختصاص والاعمال ، فاما فضل الاختصاص وفضل
الاعمال فقد مثل لهما واما الفضل المركب منها فقد جاء في كلامه امثلة له
ولكنه غض طرفه عنها لمكان العصية والنصب ، ولو لا اغفاله هذا القسم
لما وصل به الحال الى خرق الاجماع والقول بما لم يقل به احد قبله

﴿ تذبذب في فضل الاختصاص ﴾

قد جعل من فضل الاختصاص المجرد عن العمل فضل ابراهيم بن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لانه في درجة ابيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم
لم يفضل به بذلك على بقية الصحابة كما فضل امهات المؤمنين عليهم ، فنقول
له انك جعلت رفعت الدرجة لازما من لوازم الفضل ومهما وجد اللازم

وجد الملزوم وتعدد السبب لا يوجب اختلاف المسبب المعين ، فان قلت ان رفعة الدرجة ان كانت مسببة عن عمل اوجبت لصاحبها فضلا على غيره ، وان كان سببها الاختصاص المجرد لم توجب له فضلا قلنا لك ان هذا تحكم وفيه شمة من قول المعتزلة في علة التكليف ويلزمك ان لا تجعل لابراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلا على غيره من سائر الامة ولا اطفالها الذين ماتوا صغارا ، لانه اذا امتنع التفضيل بينه وبين سائر الصحابة امتنع لامحالة بينه وبين سائر الامة وهذا يناقض اصلك السابق ، وينفي فضل الاختصاص فلا يكون للانبياء عليهم الصلاة والسلام فضل اختصاص على غيرهم ولا لبعضهم على بعض وقد قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس فنص على تفضيلهم بما هو من قبيل الاختصاص ، وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً فنص على ما فضل به داود وهو الزبور ، ويلزم ان لا يكون للنبيين فضل على غيرهم بالنبوة لان نبوة النبي غير تقواه ونبوته اختصاص مجرد ، ومن البديهي انهم سيفضلون على غيرهم في درجات الجنة لا بالاعمال فقط لان من النبيين من لم يؤمن به احد من أمة فيمكن ان يكون لغيره من غير الانبياء من الاعمال ما ليس له مع الاجماع على افضلية النبيين على

غيرهم ، فيلزم ان ترفع درجته بنفس النبوة فالانبياء قد فضلوا على غيرهم
بالاختصاص والمواهب هنا وهناك ، وبذلك يثبت ان لرفعة الدرجة
في الجنة فضلاً سواء كان سببها العمل او الاختصاص فانه قد يكون
للشيء الواحد سببان وبهذا يظهر ان ابراهيم بن النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم افضل من جهة فضل الاختصاص الذي حصل له لكونه
ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكراما لايه كما يقال مثل ذلك
في الذرية الذين الحقوا بابائهم وان ذوي الاعمال من الصحابة افضل
من جهة شرف الاعمال وكثرة انواع النعيم لامن جهة لازمها الذي
هو رفعة الدرجة لانه ارفع درجة منهم ، واما تفضيلك ازواج رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم على سائر اصحابه لوجود لازم الفضل وهو
رفعة الدرجة وزعمت ان هذا فضل جزاء وان اعمالهن تفضل اعمال
الصحابة ، فجوابه ان درجتهم لرفيعة وقد بلغنها بفضل الاختصاص
والتفضل لابعامهن فقط ، لاناعلم ان اعمالهن لا تبلغ بهن درجة رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه يلزم عليه ان تكون اعمالهن كاعمال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقول بهذا كفر ، ويقال بمثل
هذا في زوجة كل نبي وفي زوجات الصديقين والشهداء والصالحين
فيلزم على قولك ان يكون عمل زوجة النبي الافضل مماثلا لعمله ، واعظم
من عمل كل فرد من امته ، وهكذا فان قيل ان امهات المؤمنين

رضي الله عنهن قد فضلت أعمالهن جميع أعمال السابقين الأولين لقول
الله تعالى ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها
مرتين فبسبب ايتائهن الاجر مرتين زادت أعمالهن على
أعمالهم ، قلنا وهل ساوى عمل كل واحدة منهن عمل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يلفن الى درجته فلا بد من
لا ، قلنا فبطل قولك ونقول ايضا من أين اتاهن الاختصاص بايتاء
الاجر مرتين ؟ ولم خوطبن بقوله تعالى لستن كأحد من النساء ؟
ليس ذلك من اجل وصاتهن به صلى الله عليه وآله وسلم اكراما له ؟
فهذا من فضل الاختصاص وحينئذ فلا بد من القول بالقسم الثالث
الذى هو الفضل المربك من الاختصاص والعمل ، وبه يتم الخروج من
هذه الازمات وامثالها ، ولو فرضنا انه تم ما هم به رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من طلاق سودة رضي الله عنها فاذا يقول ابن حزم في
أعمالها رضي الله عنها ؟ هل تبلغ بها درجة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كسائر الازواج الباقيات في عصمته صلى الله عليه وآله وسلم ؟
وهل يقول بفضل أعمالها التي عملتها وهي في حال الزوجية على أعمال
افضل الصحابة ؟ ولو اتصل طلاقه لها بموتها فهل تستحيل أعمالها من
المضاعفة الى النقص حتى تنزل بذلك من الدرجة توجبها المضاعفة الى
درجة امثالها من سائر النساء ام لا فيخالف قوله تعالى يانسئ النبي

لستن كأحد من النساء وماذا يقول في سراريه صلى الله عليه وآله وسلم كما رية القبطية فانهم معه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأت النص بمضاغفة اجورهن كما جاء في شان الازواج فتعين أن الحاق ازواجه صلى الله عليه وآله وسلم بدرجةه هو من محض الفضل والاختصاص ولم يبلغها باعمالهن ، والالزم الممتنع في مطلقته مثلا وهو مساواة درجتهاله أو لنسائه فان قال ، ان مضاغفة عملها ورفعة درجتها مشروط ببقائها في عصمته قلنا وبهذا صحت المسئلة ، وايضا فانه قال يمتنع جزاء الافضل بالانقص وعكسه وجوزان يقدم المتفضل عليه بمحض الاختصاص على ذوي الاعمال الرفيعة ، وهذا إقرار منه بتجويز ان يكون بعض ذوي الاختصاص أعظم درجة من ذوي الاعمال ، واذا ثبت ذلك له ثبت فضله عليه لامحالة ، وان لم يكن سبب فضله العمل لان الثمرة والنتيجة واحدة والاسم المجرد لا يجدي في صحة الفرق ، والرزق لا يتخلف معناه وفائدته اذا كان باكتساب او بغير احتساب ، وبهذا يظهر تناقضه في حكمه برفعة درجة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على درجة كل صحابي مع نفيه لازم ذلك وهو فضله عليهم ، لامتناع وجود لازم الشيء بدون ملزومه ، لانه قال ان رفعة الدرجة لازم من لوازم الفضل وذلك موجود هنا ، واما نحن فنقول ان ابراهيم عليه السلام افضل من جهة القرابة التي نال بسببها تلك المنزلة الرفيعة . وان فضله غيرا من جهة فضل العمل

وكما ان الاعمال سبب المجازاة كذلك كانت القرابة سببا لهذا الاختصاص
واما ما اوردته على نفسه بان ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ما در كن ذلك الابن صلى الله عليه وآله وسلم فانه ايراد صحيح لا يدفع
وجوابه عنه بانه يقال مثله في سائر الصحابة فلولا رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لما حصلوا على تلك الدرج التي بلغوها جواب مؤيد
للايراد . مبرهن عليه . وبه يثبت ان الازواج وسائر الصحابة ما بلغوا
الدرجات العالية الابن صلى الله عليه وآله وسلم وكان لهم حظ من فضل
الاختصاص ، به فاقت اعمالهم سائر الاعمال وبه بلغوا ما لا يبلغ الابن
﴿ اضطرابه في ام رومان رضي الله عنها وامير المؤمنين علي عليه السلام ﴾
وان تعجب فعجب ذلك الايراد الذي اوردته على نفسه وهو
انه يلزم على قوله ان ام رومان في درجة ابي بكر رضي الله عنها
ان تكون افضل من علي كرم الله وجهه وقد تجاهل في جوابه
وترنح وراوده النصب ان يفضل ام رومان ثم جبهته النصوص
والفضائل العالية ، فاضطرب ووصل به التذبذب الى النكوص والتقهقر
فلاذ باحتماله ان يكون لابي بكر رضي الله عنه منازل عالية
تعلو سائر الاصحاب ، ومنازل سافرة عن كثير منهم يلتقي فيها بام رومان
رضي الله عنها ويقال بمثل هذا في ازواج الافضل من سائر الصحابة
بالنسبة الى المفضول منهم وانما ضرب ابن حزم المثل بام رومان وعلي

كرم الله وجهه دون عمر وعثمان رضي الله عنهما لان عليا عليه السلام زوج البتول ابنة رسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي سيدة نساء العالمين وهي مع زوجها عليه السلام وقد قال لها ابوها انك اول اهلي لحوقابي ونعم السلف أنا لك فيلزم ان تكون درجتها أسفل من درجة ام رومان بل ودرجة ازواج سائر الخلفاء وبالجملة فلللامه هذا لوازم باطلة خبيثة (الاول) أنه يلزم ان لا يكون لابي بكر رضي الله عنه ازواج في درجاته العالية في الجنة، لامن الحور العين ولا غيرهن لان الادميات افضل منهن، فيلزم على القول بوجود الزوجات فيها ان تكون الحور العين او غيرهن من زوجات ابي بكر افضل من ام رومان الصحابية المهاجرة السابقة، بل ومن في درجتها او دونها من الصحابة (الثاني) ان هذا تشيت لشمل الصحابة وازواجهم وتفريق بينهم في الدار التي يجمع الله فيها شمل المؤمن ويقر عينه (الثالث) انه احتمال ان يكون لابي بكر درجات سافلة يلتقي فيها بام رومان رضي الله عنها فيقال له ان ابا بكر قد ادرك هذه الدرجات بعمله وعمله يقتضى درجات عالية لاسافلة، وايضا فان ام رومان لا تبلغ بعملها درجات ابي بكر، ولا يصح ان يدعي لاعمالها المضاعفة كامهات المؤمنين، لانه يلزم ان يدعي ذلك ايضا لكل زوجة مع زوجها اذا كانت اعمالها لا تبلغ بها درجته، او تفاوت درجاتهم فيؤدي ذلك الى تباعدهم وتفرقهم وان تنزل الزوجة

إذا كانت درجتها عالية الى درجة زوجها السافلة، ويرد ما ذكرناه بالنسبة الى زوجات الرسل مع من دونهم في الفضل من المرسلين والمؤمنين ويلزم أيضا ان تكون الاعمال موجبة للنقص للفضل لان فاطمة على ايها وعليها الصلاة والسلام لوماتت صغيرة لكات مع أخيها ابراهيم في درجة ايها عليهم الصلاة والسلام فلما بلغت الايمان والاعمال قصرت بسببها عن الوصول اليها، وبالجملة فانه يلزم على قوله ما لا يحصى من اللوازم الباطلة الفاسدة المردودة عقلا ونقلا ولكن ما على مثله يعد الخطأ.

﴿ انتقاض اصله الذي أصله ﴾

اورد على نفسه انه يلزم ان يكون ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من ابراهيم وموسى وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لرفعة درجاتهن التي استحققنها بالاعمال، لان لازم الفضل وهو رفعة الدرجة موجود فالملزوم موجود، ثم اجاب عنه بأن الانبياء في درجاتهم ذوو رئاسة وانهم متبوعون فيها وهذا جواب فاسد، لانه جعل رفعة الدرجة لازم للفضل ولايجوز انفصال اللازم عن ملزومه فالأيراد باق بحاله وهذا قول بما لم يقل به احد وتفضيلهن على الانبياء عليهم الصلاة والسلام من جهة واحدة، لانه يقول انهن بلغن درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعمالهن فلم يكتب بدعواه موازاة اعمالهن لاعماله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال بفضليها على اعمال سائر

الانبياء والمرسلين * سلمنا ان لهم من فضل الرئاسة
والمتبوعية ما ليس لهم ولكن هذا لا ينفي رفعة درجاتهم المستلزمة
لفضلهم وغاية ما يقتضيه جوابه هذا ان يكون لهم فضل آخر ليس لهم
وهو فضل الرئاسة على اتباعهم ، وقوله انه لا يجوز النظر في التفضيل
بين الاتباع والمتبوعين قول فاسد لادليل عليه فانه كما يصح النظر
بين الاتباع والمتبوعين من طبقة واحدة كذلك يصح النظر بين هذه الطبقة
ومتبوعي غيرها وقد قال في امهات المؤمنين انهن افضل من جميع الخلق
بعد الملائكة والنبين عليهم الصلاة والسلام فنظر في فضلهم الى
الاتباع والمتبوعين ، وتأتي مثل هذا الايرادات في النظر بين ازواج
سائر الانبياء وبقية افاضل الصحابة ، واما قوله انه قد صح عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انه يأتي مع امته فنحن مع نبينا صلى الله عليه
وآله وسلم فهو نقض لأصله السابق ، لان هذا من الاختصاص
اكرامه صلى الله عليه وآله وسلم لا يدرك بمجرد العمل ، وسيأتي في
كلامنا ما تنحل به كثير من هذه الاشكالات ولا مندوحة عن القول
بالفضل المركب من فضل العمل وفضل الاختصاص وقال الحافظ
ابن حجر في الفتح « وقد سئل السبكي هل قال احد أن احدا من نساء النبي
صلى الله عليه وآله وسلم غير خديجة وعائشة افضل من فاطمة فقال قال به من لا يعتد
بقوله وهو من فضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الصحابة لانهم في
درجته في الجنة قال وهو قول ساقط مردود اه وقائله هو ابو محمد بن حزم وفساده

ظاهر قال السبكي ونسأؤة صلى الله عليه وآله وسلم بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل لقول الله تعالى لستن كأحد من النساء ان تقين الخ « اه والخلاف في التفضيل بين هؤلاء منتشر لا محل لذكره والله اعلم

﴿ كلام ابن القيم في الاختيار والاصطفاء والتفضيل بها ﴾

لابن القيم كلام في ذلك مفرق في مؤلفاته تقتطف منه ما تيسر وقد وضعنا لما نقلناه تراجم تدل على مضمونه

﴿ معنى الاختيار والفضل به ﴾

« ليس المراد بالاختيار الارادة التي يشير اليها المتكلمون فان هذا الاصطلاح حادث منهم لا يحمل عليه كلام الله - اي ولا كلام رسوله - بل لفظ الاختيار في القرآن مطابق لمعناه في اللغة وهو اختيار الشيء على غيره وهو يقتضي ترجيح ذلك لمختار وتخصيصه وتقديمه على غيره وهذا امر اخص من مطلق الارادة والمشية قال في الصحاح الحيرة الاسم من قولك خار الله لك في هذا الأمر والحيرة ايضا يقول محمد خيرة الله من خلقه وخيرة الله ايضا بالتسكين والاختيار الاصطفاء وكذلك التخير والاستخارة طلب الحيرة بقال استخر الله يخرك وخيرته بين الشئين فوضت اليه الاختيار انتهى فهذا هو الاختيار في اللغة وهو اخص مما اصطلح عليه اهل الكلام قال الله تعالى والله يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الحيرة سبحانه وتعالى عما يشركون فالاختيار العام الذي هو المشية وهو الذي يعنيه المتكلمون داخل في قوله تعالى والله يخلق ما يشاء وهو اختيار قبل الخلق وقوله تعالى ويختار المراد به ههنا الاجتباء والاصطفاء فهو اختيار بعد الخلق وهو اخص ومثأخر فهو اختيار من الخلق وذلك اي الاختيار العام الذي هو بمعنى المشية اختيار من الخلق وذلك اي الاختيار العام الذي هو بمعنى المشية اختيار للخلق واصح القولين ان الوقف التام على قوله تعالى ويختار ويكون ما كان لهم الحيرة نفي اي ليس هذا الاختيار اليهم بل هو الى الخالق وحده فكما هو المنفرد بالخلق فهو المنفرد بالاختيار منه فليس لاحد ان يخلق ولا يختار سواه فانه سبحانه اعلم بمواقع اختياره

ومحال رضاه وما يصلح للاختيار وما لا يصلح له وغيره لا يشار كه في ذلك بوجه فهو سبحانه وتعالى ينفي هذا عنهم ويبين تفرده بالاختيار كما قال تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أحم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون فانكر عليهم سبحانه تخييرهم عليه واخبر ان ذلك ليس اليهم بل الى الذي قسم بينهم معائشهم المتضمنة لارزاقهم ومدد آجالهم وكذلك هو الذي قسم فضاه بين اهل الفضل على حسب علمه بمواقع الاختيار ومن يصلح له ممن لا يصلح وهو الذي رفع بعضهم فوق بعض درجات وقسم بينهم معائشهم ودرجات التفضيل فهو القاسم ذلك وحده لا غيره وهكذا هذه الآية بين فيها انفراد الخلق والاختيار فانه سبحانه وتعالى اعلم بمواقع اختياره كما قال تعالى واذا جاءتهم آية قال لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله اعلم حيث يجعل رسالته اي الله اعلم بالحلل الذي يصلح لاصطفائه وكرامته وتخصيصه بالرسالة والنبوة دون غيره « اه من زاد المعاد له

﴿ تعديد بعض المخلوقات المختارة المصطفاة ﴾

ذكر ابن القيم « ان الله خلق السموات سبعا فاختار العليا منها فجعلها مستقر المقربين من ملائكته واختصها بالقرب من عرشه وغير ذلك مما عدده قال وهذا التفضيل والتخصيص مع تساوي مادة السموات من ابين الادلة على كمال قدرته وحكمته وانه يخلق ما يشاء ويختار ومن هذا تفضيله سبحانه جنة الفردوس على سائر الجنات قال ومن هذا اختياره من الملائكة المصطفين منهم على سائرهم كجبريل وميكائيل واسرافيل وكذلك اختياره سبحانه للانبياء من ولد آدم عليه الصلاة والسلام واختياره الرسل منهم واختياره اولي العزم منهم واختياره منهم الخليلين ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما (وألهما) وسلم ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى ولد اسماعيل من اجناس بني آدم ثم اختار منهم بني كنانة بن خزيمه ثم اختار من ولد كنانة قريشا ثم اختار من قريش بني هاشم ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه (وأله) وسلم وكذلك اختار اصحابه من جملة العالمين واختار منهم السابقين

لاولين واختار منهم اهل بدر واهل بيعة الرضوان واختار لهم من الدين اكمله
ومن الشرائع افضلها ومن الاخلاق ازكاهها واطهرها واطيبها واختار امته صلى الله عليه
(وآله) وسلم على سائر الامم كما في مسند الامام احمد وغيره من حديث بهز بن حكيم
ابن معاوية بن حيدة عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انتم موفون سبعين امّة انتم اخيرها واكرمها على الله قال علي بن المديني واحد
حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده صحيح وظهر اثر هذا الاختيار في اعمالهم
واخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم في الجنة ومقاماتهم في الموقف فانهم اعلى من
الناس على تد فوقهم مشرقون عليهم ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الاماكن
والبلاد خيرها واشرفها وهي البلد الحرام « اه من زاد المعاد

اثبات المزية لما ثبت له الاصطفاء وكون الفضل ذاتيا وصفاتيا والانكار على من
زعم خلاف ذلك اوساوى بين ذوات المخلوقات المصطفاة وغيرها مما ليس كذلك
اورد ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين السؤال المشهور وهو ان الله خص
بعض الازمنة على بعض وبعض الامكنة على بعض بخصائص شرعية مع
تساويها في الذات فجعل ليلة القدر خيراً من الف شهر وجعل شهر رمضان
سيد الشهور وجعل مكان البيت افضل بقاع الارض ثم رد عليه بقوله
« فالمقدمة الاولى صادقة والثانية كاذبة وما فضل بعضها على بعض الخصائص قامت
بها اقتضت التخصيص وما خص سبحانه وتعالى شيئاً الا بمخصص ولكنه قد يكون
ظاهراً وقد يكون خفياً واشتراك الازمنة والامكنة في مسمى الزمان والمكان
كاشتراك الحيوان في مسمى الحيوانية والانسان في مسمى الانسانية بل وسائر
الاجناس في المعنى الذي يعمها وذلك لا يوجب استواءها في انفسها والمختلفات
تشارك في امور كثيرة والمتفقات تتباين في امور كثيرة والله سبحانه وتعالى احكم
واعلم من ان فضل مثلاً على مثل من كل وجه بلا صفة تقتضى ترجيحه هذا
مستحيل في خلقه وامره كما انه سبحانه لا يفرق بين المتماثلين من كل وجه
فحكيمته وعدله تأبى هذا وهذا وقد نزه سبحانه نفسه عن يظن به ذلك وانكر

عليه زعمه الباطل وجعل حكمه منكرا ولو جاز عليه ما يقول هولاء لبطلت حججه
وادلته فان مبناها على ان حكم الشيء حكم مثله وعلى ان لا يسوى بين المختلفين
فلا يجعل الابرار كالفجار ولا المؤمنين كالكفار ولا من اطاعه كمن عصاه ولا العالم
كالجاهل وعلى هذا مبني الجزاء فهو حكمه الكوني والديني وجزاؤه الذي هو
ثوابه وعقابه وبذلك حصل الاعتبار ولاجه ضربت الامثال وقصت علينا اخبار
الانبياء وامهم ويكفي في بطلان هذا المذهب المتروك الذي هو افسد مذاهب
العالم انه يتضمن مساواة ذات جبريل لذات ابليس وذات الانبياء لذات اعدائهم
ومكان البيت العتيق بمكان الحشوش وبيوت الشياطين وانه لا فرق بين هذه
الذوات في الحقيقة وان ماخصت به هذه الذوات عن هذه الذوات كان المحض
المشيتة المرجحة مثلا على مثل بلا موجب بل قالوا ذلك في جميع الاجسام وانها متأثلة
فجسم المسك عندهم مساو لجسم البول والعذرة وانما امتاز عنه بصفه عرضية وجسم
التلج عندهم مساو لجسم النار في الحقيقة وهذا مما خرجوا به عن صريح المعقول
وكاروا فيه الحس وخالفهم فيه جمهور العقلاء من اهل الملل والنحل ومساوى اللهيين
جسم السماء وجسم الارض ولا بين جسم النار وجسم الماء ولا بين جسم الهواء وجسم
الحجر وليس مع المنازعين في ذلك الا الاشتراك في امر عام وهو قبول الانقسام
والابعاد الثلاثة والاشارة الحسية وحو ذلك مما لا يوجب التشابه فضلا عن التماثل
وبالله التوفيق» وقال في زاد المعاد بعد ان افاض في ذكر خصائص البيت الحرام
«وهذا كله سر اضافته اليه سبحانه وتعالى بقوله وطهر بيتي فاقتضت هذه الاضافة
الخاصة من هذا الاجلال والتعظيم والحجة ما اقتضته كما اقتضت اضافته لعبده
ورسوله الى نفسه ما اقتضت من ذلك وكذلك اضافته عباده المؤمنين اليه
كستهم من الاجلال والحجة والوقار ما كستهم فكلمنا اضافته الرب تعالى الى نفسه
فله من المزية والاختصاص على غيره ما اوجب له الاصطفاء والاجتباء ثم يكسوه
بهذه الاضافة تفضيلا آخر وتخصيصا وجلالة زيادة على ماله قبل الاضافة ولم يوفق
لفهم هذا المعنى من سوى بين الاعيان والافعال والازمان والاماكن وزعم انه
لامرية لشيء منها على شيء وانما هو مجرد ترجيح بلا مرجح وهذا القول باطل
باكثر من اربعين وجهاً قد ذكرت في غير هذا الموضع ويكفي تصور هذا

المذهب في فسادة فان مذهبا يقتضي ان يكون ذوات الرسل كذوات اعدائهم في الحقيقة وانما التفضيل بامر لا يرجع الى اختصاص الذوات بصفات ومزايا لا تكون لغيرها وكذلك نفس البقاع واخذة بالذات ليس لبقعة على بقعة مزية البتة وانما هو لما يقع فيها من الاعمال الصالحة فلا مزية لبقعة البيت والمسجد الحرام ومتى وعرفة والمشاعر على اي بقعة سميتها من الارض وانما التفضيل باعتبار امر خارج عن البقعة لا يعود اليها ولا الى وصف قائم بها والله سبحانه وتعالى قد رد هذا القول الباطل بقوله تعالى واذا جاءهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته اى ليس كل احد اهلا لها ولا صالحا لتحمل رسالته بل لها محال مخصوصة لا تليق الا بها ولا تصلح الا لها والله اعلم بهذه المحال منكم ولو كانت الذوات متساوية كما يقول هؤلاء لم يكن في ذلك رد عليهم وكذلك قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم بعض ليقولوا أهولاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين اى هو سبحانه وتعالى اعلم بمن يشكره على نعمته فيختصه بفضله ويمن عليه ممن لا يشكره فليس كل محل يصلح لشكره واحتمال منته والتخصيص لكرامته فذوات ما اختاره واصطفاه من الاعيان والاماكن والاشخاص وغيرها مشتمة على صفات وامور قائمة بها ليست في غيرها ولا جلت اصطفاه الله وهو سبحانه الذى فضلها بتلك الصفات وخصها بالاختيار فهذا خلقه وهذا اختياره وربك يخلق ما يشاء ويختار وما اين بطلان رأيي يقتضي بان مكان البيت الحرام مساو لسائر الامكنة وذات الحجر الاسود مساوية لسائر حجارة الارض وذات رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مساوية لذات غيره وانما التفضيل في ذلك بامور خارجة عن الذات والصفات القائمة بها وهذه الاقويل وامثالها من الجنايات التى جناها المتكلمون على الشريعة ونسبوا اليها وهي بريئة وليس معهم اكثر من اشتراك الذوات في عام مع اختلافها في صفاتها النفسية وما سوى الله بين ذات المسك وذات البول ابدأ ولا بين ذات الماء وذات النار ابدأ والتفاوت بين الامكنة الشريفة واخذادها أمر اعظم من هذا التفاوت بكثير فبين ذات موسى عليه السلام وذات فرعون من التفاوت اعظم مما بين المسك والرجيع وكذلك التفاوت بين نفس الكعبة وبين

بيت السلطان اعظم من هذا التفاوت ايضا بكثير فكيف يجعل البعثان سواء في الحقيقة والتفضيل باعتبار مايقع هناك من العبادات والاذكار والدعوات، ولم تقصد استيفاء الدد على هذا المذهب المردود والمرذول وانما قصدنا تصويره والى اللبيب العادل العاقل التحاكم ولايعبأ الله وعباده بغيره شيئاً والله سبحانه وتعالى لا يخص شيئاً ولايفضله ويرجحه الالمعنى يقتضي تخصيصه وتفضيله نعم هو معطى ذلك المرجح وواهبه فهو الذي خلقه ثم اختاره بعد خلقه وربك يخلق مايشاء ويختار» انتهى وقال فيه في نسبه صلى الله عليه وآله وسلم وهو خير اهل الارض نسباً على الاطلاق فلنسبه من الشرف اعلى ذروة واعداوة كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهدله به عدوه اذذاك ابوسفيان بين يدي ملك الروم فاشرف القوم قومه واشرف القبائل قبيلته واشرف الافخاذ فخذ» اهـ

﴿ الامور التي تؤخذ من كلام ابن القيم ﴾

يتضح مما نقلناه عن ابن القيم انه جعل لكل مقام مقالا وان كلامه في مسألة الكفاءة ليس مبنيا على القول بالتسوية ومايقوله مبتدعة الشعوية ولكنه لم ير ذلك مقتضيا للقول بالكفاءة، فاقاله فيها اختيار له خالف فيه مذهب امامه احمد بن حنبل والجمهور ويؤخذ من كلامه امور

(الاول) ان الاختيار في لسان الشرع ورد بمعنى الاصطفاء اي اخذ صفوة الشيء وخلاصته والاجتباء اي اخذ جباية الشيء لالمعنى الاختيار المصطلح عليه بين المتكلمين وغيرهم فان ذاك ضد الجبر (الثاني) ان الاختيار والاصطفاء من المخلوقات يقتضي ثبوت مزية وخصوصية وترجيح وتقديم وفضل لذلك الشيء المصطفى (الثالث) انه يجوز ان

تخفى علينا المزايا التي كان الاصطفاء من اجلها (الرابع) ان هذه المزايا قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية، وان الذوات المصطفاة لايساويها مالميس بمصطفى في حقائقها ولا عوارضها (الخامس) ان اصطفاء الله للمصطفين لرسالته او الايمان به كان لمزية اخرى هي الاستعداد والصلاحية، وهي مزية ذاتية جبله الله عليها يكون بها مستعدا لما اريد به وله (السادس) ان هذا الاختيار والاصطفاء يكون للامان والازمان والاعمال والاخلاق وذوات الناس والشعوب والقبائل والانساب، وكل ذلك موجب لها خيرية ومزية وفضلا خاصا (السابع) ان الاختيار قد يتكرر فيكون الشيء خيارا من خيار من خيار وصفوة من صفوة من صفوة كما كان جنس الانسان الخيار من المخلوقات ثم كانت بنو كنانة الخيار منهم ثم كانت قريش الخيار من بني كنانة ثم كان بنو هاشم الخيار من قريش ثم كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم الخيار من بني هاشم فيثبت الاختيار لكل طبقة من هذه الطبقات على من قبلها (الثامن) ان عدم فهمنا وجه الخصوصية التي كان الاختيار لاجلها لايقدم في وجود الاختيار الموجب للفضل، لان الخصوصية هبة من الله قارنت خلق الشيء المختار اي كان خلقه على الهيئة المختارة ثم اختير، فالاختيار دال على الفضل وهو الشاهد والعلامة عليه (التاسع) ان الفضل والخيرية ووقوع الاختيار لايتوقف على سبق العلوم والاعمال لان هناك مزايا تقتضي ذلك

سواهما كما دل عليه اثبات الاختيار لما لم يسبق له شيء من ذلك
(العاشر) ان نفس الدماء والذوات لا تتساوى وذلك ان الاختيار المبني
على خيرية الذات يمنع التساوي بينها وبين ما ليس كذلك والدم بعض
الذات وجزء من اجزائها فهو تابع لها طهارة وخبثا (الحادي عشر) ان عدم
التساوي بين الذوات ودماها ليس بسبب امور عرضية بل ذاتية وصفائية
(الثاني عشر) ان تخلف ثمرات الاختيار المظنونة لا يدل على عدمه مهما ثبت
بالنص لاننا لانقطع بالمعنى الذي كان الاختيار له او لعل ذلك كان نظرا الى
الاغلب من الشيء المختار او لآن خصوصية الاختيار متوقف انتاجها
على شرائط قد تتخلف او يعارضها مانع اقوى منها وذلك كاللحبة
الموهوب لها قوة الحياة اذا تخلفت عنها شرائط الانبات من الماء
والتراب والهوى فانها لا تنبت ومثل ذلك ما لو عرض لها ما يخلق تلك
القوة ولا مانع ان يقال نحو هذا في كل شعب مختار تخلف في بعض
افراده نتائج الاختيار والله يحكم لامعقب لحكمه (الثالث عشر) ان
المعنى الذي اقتضى التخصيص بالاختيار لا بد ان يكون عطية مبتدأة
وهبة سابقة لكل معنى صدر عنه او انبني عليه والالزم التسلسل فان الاستعداد
على قدر الاستعداد والاستعداد ومواد الاستعداد هبة من المهيمن الجواد

﴿ اسباب الفضل ﴾

قد تقدم ان القرافي انهاها الى عشرين قاعدة ولو اطلعنا على كلامه

لنقلناه بنفسه ونصه وليكننا نذكر هنا ما ظهر لنا مستعينين بالله تعالى
(فمنها) الاختيار الازلي اي السابق في علم الله تعالى وهذا اصل كل فضل
وسبب كل فوز وفلاح، وعليه ينبي جميع اسباب الاختيار والتفضيل
قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وهذا
يرجع الى محض الارادة الازلية والعلم الالهي لا يدرك بخلق ولا عمل
ولا كسب ولا وسيلة، لتقدمه على كل سبب فهو صادر عن محض الارادة
المقتضية للتخصيص بالمشيئة المحضة كيف شاء الله ولمن شاء الله
(ومنها) الاستعداد الفطري والتأهل واللياقة للاصطفاء والاختيار اللاحق
لها والمرتب عليها، وهو من اسباب الفضل الظاهرة وقد قال الله تعالى
الله أعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن جرير « يقول جل ثناؤه فانما اعلم
بموضع رسالاتي ومن هو لها اهل فليس لكم ايها المشركون ان تتخبروا ذلك
علي انتم لأن تخير الرسول الى المرسل دون المرسل اليه والله اعلم اذا ارسل
رسالة بموضع رسالاته» اه في الآية دلالة واضحة ان الله يختار لرسالاته وانزال
وحيه من علم منه الأهلية لذلك وكل ذلك منه فهو الذي أهله على
علم منه سبحانه وتعالى بما أهله له ثم اصطفاه بعد ذلك له فالأهلية
وهي الاستعداد الفطري جبلة جبل الله عليها من احبه ورضيه
لرسالاته، وهذا قول المسلمين كماهم اما كفار الفلاسفة فقد جعلوا
الاستعداد للنبوة كسبياً يحصل بالعمل والتزكي والتخلق وتصفية
النفس حتى اذا صفت وتزكت وجانست الملائكة بذلك فاض

عليها الوحي وهو مبني على اصولهم الكفرية من نفي الفاعل المختار وقولهم انه فاعل بالذات وقد مال الى قولهم هذا السوداني في كتابه توجيه الاخوان وقد نقله عنه التلميذ في الصحيفة ١٨٨ من (فصله) وقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته فيه دلالة على ما تقدم من اسباب الفضل وهو العلم الازلي الذي يدل عليه قوله تعالى الله اعلم والأهلية والاستعداد اللذان يدل عليهما قوله (حيث) فالحيثية تقتضي التميز والتفرد عن غيرها كما يشعر بها سياق الآية وورودها مورد الرد على اولئك الجاحدين قال تعالى واذا جاءتهم آيتنا قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون قال النيسابوري في تفسيره « قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشریف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال آخرون بل النفوس مختلفة في جواهرها وما هياتها فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية مؤثرة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات والنفس مالم تكن من القسم الاول تصلح لقبول الوحي والرسالة » اه وكلا هذين القولين خال عن التحقيق واتحاد ماهية الارواح لا يوجب تساويها فان الناطقية في الانسان من تمام الماهية وهي تختلف في الناس ضعفا وقوة وقلة وكثرة وظهورا وخفاء كما هو مشاهد ومعلوم ولا دليل بيد مدعي التسوية الا مجرد الحدس وقد اعد الله النبي وسوى خلقه وروحه

ليجعله نبيا ثم اوحى اليه ونبأه ولا تعلم خلافا بين علماء الإسلام في فضل
روحه على روح غيره، ومجرد طهارة الروح لا يستلزم النبوة ولا يوجبها، فان
النبوة احسان وتفضل من الله تعالى على من شاء من عباد لا والاهلية لها التي
اشارت اليها الآية وتفضل واحسان منه ايضا جار على مقتضى مشيئته
وتصرفه المطلق لا اثر فيه لطبع ولا علة مادية، وقول القائل باختلاف
جواهر النفوس ان عنى به اختلاف حقائقها فباطل، وان عنى اختلافاً
فيما سوى ذلك فهو صواب ان شاء الله تعالى، وقد اخرج الحاكم في
صححه في تفسير قوله تعالى واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم الآية قصة عرض ذرية آدم عليه وانه رأى فيهم الانبياء
مثل السرج وفي رواية اسحق عن ابي هريرة موقوفا انه رأى الانبياء
على هيئتهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال مسح ظهر آدم
فاخرج كل طيب في يمينه وفي يده الاخرى كل خيث وفي رواية
اخرى عنه قال فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء وكل نفس
مخلوقة للنار سوداء وروي نحو ذلك عن ابن مسعود وابي مرة
الهمداني فني ذلك ما يستأنس به لاختلاف الارواح وتفاوتها طهارة
وخبثا وان لم تختلف ما هياتها، وبالجملة فقد اجمع المسلمون على ان النبوة
لا تكتسب وهي امر خاص فلا بدع ان يخلق الله لها استعداداً خاصاً
وكلاهما لا مدخل للكسب فيه والله اعلم، ويدل على نحو ما تقدم قوله

تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهولاء من الله عليهم من بيننا
أو ليس الله بأعلم بالشاكرين ، فني الآية دلالة على ان الحكمة في
تخصيصهم بالإيمان ما علمه الله تعالى منهم من تأهلهم للشكر واستعدادهم
له ، ومن البديهي ان الشكر على النعمة يأتي بعقب النعمة لا قبلها فليس
كل احد اهلا لقبول ما جاءت به الرسل والتصدق به ، وقال تعالى ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ، فاليرات
الكتاب وقع بعد الاصطفاء والاصطفاء وقع لليرات ، ولا يكون
الاصطفاء الا لمن قد هيأته العناية الالهية له بالاستعداد اللائق بما اصطفى
له فقد اصطفاهم ليورثهم الكتاب والاشارة في قوله تعالى ذلك هو
الفضل الكبير استظهر ابو حيان انها ليرات الكتاب واصطفاء الله
لهذه الامتة وقال النيسايوري ذلك الذي ذكر من التوفيق او من سبق
او من اليرات وقال قتادة ذلك نعمة الله والذي تدل عليه بقية
الآيات انه اشارة للاصطفاء ، ومن ذلك قوله تعالى ولقد اخترناهم على
علم على العالمين ، قالوا في تفسيرها على علم منا بانهم اهل للاختيار ومحل
له فالاهلية سابقة للاختيار وليست متأخرة عنه . فقد أهلهم للاختيار ثم
اخترهم ، وهذا هو الاختيار للرسالة والنبوة او الايمان ، وان قلت اخترهم
للتأهيل ثم أهلهم كان صوابا والله يخلق ما يشاء ويختار ، وقال الراغب في

هذه الآية « يصح ان يكون اشارة الى ايجاده تعالى ايهم خيرا وان يكون اشارة الى تقديمهم على غيرهم » اه وما تقدم تعلم ان كلا المعنيين صحيح واحدهما مستلزم للآخر وقال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، قال بعضهم في تفسيرها بنحو ما قالوا في ما تقدم ، ومن الناس من لا يشترط سبق الأهلية والاستعداد الفطري فراراً من مشابهة القول بان النبوة تكتسب ، والفرق بين القولين ظاهر جلي فان القائمين بسبق الأهلية يقولون انها استعداد جبلي يجبل الله عليه الشيء المصطفى ثم يصطفيه لما اعد له وهو الحكيم العليم الذي يهيىء اسباباً لاسباب ، وما كان من قبيل الجبلات لا يكون كسبياً وهو امتياز خاص خارج عن طوق البشر فاتفق هذا الوهم ، وقال الله تعالى قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ، قال الراغب في مفرداته « الاصطفاء تناول صفو الشيء كما ان الاختيار تناول خيره والاجتهاد تناول حياته واصطفاه الله بعض عباده قد يكون بايجاده صافياً عن الشوب الموجود في غيره وقد يكون باختياره وبحكمه وان لم يعر ذلك من الاول » اه وقال « واصطفيت كذا على كذا اي اخترت » اه فقوله تعالى ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره وفضله عليكم ولعل هذا هو الاختيار الاول للتهيئة والتأهيل ، وقوله وزاده بسطة في العلم والجسم هذا هو التأهيل بالمزية الخاصة لما اريد به وله ، وقوله والله يؤتي ملكه من يشاء هذا هو الاصطفاء الثاني الذي يجيء بعدهما وبمعناه

قوله تعالى ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، وانما قالوا ونحن احق بالملك منه لجهلهم باصطفاء الله له وبما اعطيه من الاستعداد الذي خفيت عليهم حقيقته ، وقد حكى الله عن الامم مع رسلهم نحو ذلك في قوله تعالى قالوا ان اقم الاشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ، وكان جواب الرسل بذكر منة التخصيص لهم قال الله تعالى قالت لهم رسالهم ان نحن الاشر مثلكم ولكن الله يمين على من يشاء من عباده ومثل ذلك قوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي ان هؤلاء الممتعين اضافوا الى تكذيبهم بالحق وزعمهم انه سحر اعتراضا آخر على اختيار الله لك يا محمد وتخصيصك بمنه ورحمته وقد بينه بقوله (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) اي مكة والطائف (عظيم) فان الذي له من العظمة الظاهرة يحسن معها لديهم تخصيصه باصطفاء والرسالة فقال الله تعالى منكر عليهم قيلهم واعتراضهم (اقم يسمون رحمة ربك ؟) اي ليس ذلك اليهم (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) وهي الامر الزائل والشئ الفاني (ورفنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وهذا هو التفضيل بينهم في المتاع والمراتب الدنيوية والجاه والمال وكثرة الاتباع فلم نكل هذا الى قسمتهم واختيارهم بل خصصنا من شئنا منهم بما شئنا فكيف نكل اليهم الاختيار فيما هو خير من متاع

الدنيا الذي يجمعونه (ورحمته ربك خير مما يجمعون) والآيات في هذا المعنى كثيرة وما زال الناس ينكرون المزية والخصوصية على المصطفين من العباد، وكله صادر عن العجب والغرور بالنفس والحسد كحسد آدم لابليس وادعائه انه خير منه، وكحسد اليهود لبني اسماعيل عليه الصلاة والسلام، وكحسد مبتدعة الشعوية للعرب، وحسد النواصب لاهل البيت وهو يؤل بصاحبه الى النفاق او الكفر، واعلم ان الاختيار الاول لابدان يكون بغير مزية سبقت والافيلزم الدور، وذلك انا اذا قلنا باشتراط سبق المزية لكان لا يختاره حتى يخصه بها ولا يخصه بها حتى يختاره وهذا دور وبما ذكرناه تعلم غلط السوداني وتلميذ لا في معنى الاصطفاء والاختيار (ومن اسباب الفضل) المزايا الظاهرة كالرسالة والايمان والاعمال وايرات الكتاب والاستخلاف في الارض ورفعة الدرجة بين الناس وما يتفاوت فيه الناس من الاموال والاولاد والعشائر والاتباع والجاه والأيدي والقوة والحشمة والحرف والصنائع والانساب والاحساب، فان بلغت هذه المزايا الى الغاية المقصودة كان الفضل بها فضلا دنيويا واخرويا والا فيكون دنيويا فقط، وقد ورد في القرآن التعبير عن التخصيص بها بالفضل والتفضيل قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) فهذا اثبات لوقوع التفضيل بينهم اجمالا وقوله (منهم من كلم الله) يبان لبعض اوجه التفضيل، والتكليم مزية وخصوصية ليست من باب اكثرية

الثواب في الآخرة المنبني على العمل وقوله (ورفع بعضهم درجات) تفضيل
بالمزايا التي عبر عنها بالدرجات كما قال في أهل الدنيا ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات، وبين القسمين من الفرق مثلما ما بين أهلها
قال المفسرون والبعض المبهم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً
فهذا تفضيل بالمواهب كالذي ذكر في الآية السابقة يدل على ذلك
ذكر ما فضل به داود من آيتاء الزبور، ومن ذلك قوله تعالى ان الله
اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها
من بعض والله سميع عليم فمعنى اصطفاؤه اياهم على العالمين انه فضلهم
عليهم وليس المراد به والله اعلم الاصطفاء بالرسالة فقط لان من آل ابراهيم
وآل عمران المؤمنين الذين ليسوا بمرسلين فيكون للاصطفاء على القول
الاخير معنيان معنى بالنسبة الى آدم ونوح ومعنى بالنسبة الى آل ابراهيم
وآل عمران وذلك خروج عن مقتضى الظاهر، فان قيل لعل الآية
مخصوصة بالمرسلين منهم قلنا ان المفسرين حملوها على عموم المؤمنين منهم
وقد جاء ذكر تفضيلهم في مواضع أخرى نحو قوله تعالى مخاطباً بني اسرائيل
واني فضلتكم على العالمين، وهو بمعنى الاصطفاء المسمى كما في هذه الآية
والمراد به مجموعهم كما مرّت نظائره، والقرآن يبين بعضه بعضاً ونحو ما ذكرناه
قوله تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك

على نساء العالمين فالاصطفاء الاول هو جعلها مصطفاة اي صفوة من آل عمران ، وقوله وطهرتك تميم لهذا المعنى وقوله واصطفاك على نساء العالمين اي فضلك عليهن ، وقد عقب ذلك بذكر المزايا الظاهرة التي فضلت بها في الايات التي بعدها في قوله يا مريم اقنتي لربك الخ وقوله واذا قالت الملائكة ان الله يبشرك الخ وقوله تعالى قال ان الله اصطفاه عليكم الآية اي فضله عليكم وقد عدد بعد ذلك المزايا التي فضل بها وهي البسطة في العلم والجسم وابتاء الملك وقد تقدم في الكلام على قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ان الاشارة في قوله ذلك هو الفضل الكبير الى الأيراث وهو من المزايا الظاهرة وقال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ففي الآية الامر بذكر النعمة وذكرها داع الى الشكر وامثال الامر وقوله واني فضلتكم على العالمين الخطاب فيه للمجموع والتفضيل بالنظر اليه لتكافل الشعب الواحد وتضامنه واشتراك افراده في شرف مزايا المجموع وفضل المصطفين منه وقد عدد بعد هذه الآية كثيرا من المزايا التي فضلوا بها كأغراق عدوهم فرعون وقومه وانجائهم وابتاء موسى عليه الصلاة والسلام الكتاب وقال تعالى ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب والتوبة عليهم بعد الخطيئة وبمشهم بعد الرجفة وتظليل الغمام وانزال المن والساوى عليهم ورزقهم من

الطيبات وامرهم بدخول القرية وتفجير العيون من الحجر وما عقب ذلك من ذكر العقوبات التي حلت بهم لما خالفوا الامر وتركوا اتباع الرسل وفي ذلك منتهى العبرة لهم ولغيرهم وفقنا الله لمراضيه ، وجنبنا معاصيه . وقال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما فقوله (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) فيه النهي عن تمني مزايا التفضيل واثباتها ، لأن التمني مدعاة للحسد والحسد مدعاة للبغي والايذاء لمن فضله الله تعالى ، وقد يدعو الى التبرم من قضاء الله تعالى والتمرد عليه ، وقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) تذكير بان ابواب الكسب والاعمال مفتوحة امام الكاسيين والعاملين فان كان في مزايا التفضيل مالا سبيل الى اكتسابه كالدكورة والقوة وجمال الخلق وطيب المعدن وشرف النسب ففيها ايضا ما يسر الله سبيله واقام دليله (واسألوا الله من فضله) فعنده منه خزائن لا تنفذ وخصائص لا تحصر ، وقوله تعالى (وكان الله بكل شيء عليما) فيه ايماء الى انه يضع بعلمه كل شيء موضعه ولا يضيع اجر من احسن عملا ولا يغفل عن سائلي فضله ، وقال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم في قوله (بما فضل الله بعضهم على بعض) تنبيه على ان المراد بتفضيل ذوات

الرجال على ذوات النساء وذلك انه لم يقل هنا بما فضل الله به كما قال في الآية الاولى بل قال (بما فضل الله بعضهم على بعض) فواقع التفضيل عليهم وعلى هذا فما ذكره المفسرون هنا من المزايا التي خص بها الرجل تابع لهذا الفضل الجنسي ومبني عليه اما فطرة واما شرعا ، كالعقل والحزم والعزم والقوة والفروسية والرمي والنبوة والعلم والامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة النصيب في الأرت والتعصيب في الميراث والحالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج وأن اليهم الانتساب، الى غير ذلك مما خالف فيه الرجل المرأة وقال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم في قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) مزية فضل للجنس البشري كله، وفي قوله (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) مزية لبعضهم وقد بين حكمة الاستخلاف والتفضيل بقوله تعالى (ليلوكم فيما آتاكم) وفقنا الله لشكره آمين، ولما ذكر الله تعالى ما اعد له ليريد الآجلة الساعي لها وما اعد له ليريد العاجلة المقتصر عليها عقبه بقوله كلاً عند هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظور، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فالآياتان دالتان على تكاثر اسباب

التفضيل الدنيوي والاخروي الذي أمدها اهل اليمن واهل
الشمال فكله من امداد الله وعطائه وان انقسم الى محمود العاقبة وغيره
وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير وأنا له
الحديد فتأويب الجبال والطير مع داود عليه الصلاة والسلام والالفة الحديد
له من فضل الاختصاص ليست بعمل ، وقال تعالى وورث سليمان
داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء
ان هذا هو الفضل المبين ، ومن المزايا التي وقع بها التفضيل قوله
تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فهذه الخصلة قد ورد ان
الناس يعدونها لآدم عليه السلام في موقف الحشر وعدها له موسى في
قصة المحاجة المشهورة بينه وبين آدم عليهما الصلاة والسلام وقد ورد
في حديث الاسراء الذي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه
والبزار وابو يعلى والبيهقي ان الانبياء عدوا ما خصهم الله به لما خطبوا
ليلة الاسراء فعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام الخلة والملك وكونه امته
قانتا يؤتم به وأنقذه من النار، وعد موسى عليه الصلاة والسلام تكليم
الله له وإهلاك آل فرعون ونجاة بني اسرائيل على يده وان جعل من
امته قوما يهدون بالحق وبه يعدلون، وعد داود عليه الصلاة والسلام
الملك والزبور والالفة الحديد وتسخير الجبال يسبحن والطير وايتاء
الحكمة وفصل الخطاب ، وعد سليمان عليه الصلاة والسلام تسخير الرياح

والشياطين له وتعليم منطق الطير وايتاءه من كل شيء والملك العظيم
الذي لا ينبغي لاحد والتفضيل على كثير من عبادة المؤمنين، وعد عيسى
عليه الصلاة والسلام كونه كلمة الله وان مثله مثل آدم وتعليمه الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل وان يخلق من الطين كهيئة الطير وبراء
الاكمه والابرس واحياء الموتى والرفعة والتطهير والاعادة من الشيطان
الرجيم، وعد نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم ان الله ارسله رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل الفرقان عليه فيه بيان
كل شيء وجعل امته خير امة اخرجت للناس وامتة وسطا وانهم
الاولون والآخرون وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وكونه
فاتحا وخاتما، وفي الحديث ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال لبقية
الانبياء بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبالجملة فكل ما ذكره
العلماء من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم وخصائص امته يعد من
المزايا التي يكون بها الفضل وفيها ما ليس من قبيل الثواب فهي ناقضة
لما ادعاه السوداني وتلميذاه من انحصار اسباب الفضل فيما ذكره فقط
فاستدل ال سيد العلامة عبد الله دحلان ببعض ما ذكرناه من
الآيات صحيح، وتشنيع التلميذ عليه بسبب ذلك في غير محله فانه
لم يفهم معنى الاستدلال ولاوجه الدلالة ومن جهل شيئا عاداه والله
المستعان

﴿ فصل ﴾

واما الاحاديث الدالة على الفضل بالمازيا التي ليست من قبيل الثواب
والدرجات الاخروية فكثيرة يطول استقصاؤها، فنذكر منها ما يني
بالمقصود، فمنها ماخرجه البخاري في التاريخ والطبراني والحاكم في
المستدرك وصححه وابن مردويه والبيهقي في الخلافيات عن أم هانئ
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل الله
قريشا سبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم فضل الله
قريشا اني منهم وان النبوة فيهم وان الحجة فيهم وان السقاية فيهم
ونصرهم على القيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبدوا غيرهم وانزل الله فيهم
سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم، فالخمس الاول والاخيرة
لا تدخل تحت قاعدة السوداني، والحديث يدل على ثبوت الفضل
ويستفاد من الحديث امور (الاول) ان الفضل الذي خصت به قريش
لا يجوز ان يشاركهم فيه غيرهم لقوله لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها
احد بعدهم (الثاني) ان كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم موجب
لهم فضلا على غيرهم ولا جدال في تفاوت هذا الفضل بين القريب
والأقرب (الثالث) ان من جملة اسباب الفضل اختصاص قبيلة ومثلها
اختصاص زمان او مكان بأمر شريف او فعل من افعال
الحق عظيم يوجب له فضلا به على غيره ككون النبوة فيهم ونصرهم

على اصحاب الفيل (الرابع) ان المفاخر والمآثر التي اقرها الاسلام توجب لاهلها فضلاً كالحجابه والسقاية الخ (الخامس) ان نزول شيء من القرآن مخصوصا باحد يوجب له فضلاً اذا لم يكن فيه وعيد ولاذم له (السادس) ان وجود بعض المزايا في بيت من قبيلة يسري فضله الى سائر القبيلة لان الحجابه والسقاية الخ انما كانت في بعض بيوتهم ويأتي هنا ما ذكرنا قبل من وجود التفاوت بين القريب والاقرب (السابع) ان الفضل يكون بالمزايا والخصوصيات التي ليست من قبيل الثواب ودرجاته، واخرج الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وفي رواية عند ابي داود عن اوس بن اوس ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فان صلاتكم معروضة علي الحديث وروى هذا الحديث احمد والنسائي وابن ماجه وهذه الخلال المذكورة في الحديث من اسباب فضل يوم الجمعة هكذا قال العلماء وممن نص على ذلك ابن القيم وابن العربي في شرحيهما على سنن الترمذي ونقل عن القاضي عياض انه قال «الظاهر ان هذه القضايا المعدودة ليست لذكر فضيلته لان اخراج آدم وقيام الساعة لا يعد فضيلة وانما هو بيان لما وقع فيه من الامور العظام وما يقع ليناهب العبد فيه بالاعمال الصالحة لنيل رحمة الله تعالى ودفع نقمه» ذكره الملا علي قاري في المرقاة

وهو محجوج بما رواه احمد عن سعد ابن معاذ ان رجلا من الانصار اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اخبرنا عن يوم الجمعة ماذا فيه من الخير فقال فيه خمس خصال وساق الى آخر الحديث وهو صريح في ان تلك القضايا لذكر فضيلته وبالجملة فتخصيص يوم الجمعة بوقوع هذه الحوادث العظام فيه وما آلت اليه من الخير مزية تقتضي فضله وخيريته على غيره لما قلنا آنفا ان تخصيص مكان او زمان بفعل من افعال الحق عظيم يعد منقبة له يقتضي فضله، ومثل ذلك ماورد في فضل شهر رمضان كحديث اذا كان اول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت ابواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت ابواب الجنة فلم يغلغ منها باب الحديث رواه الترمذي وابن ماجه ورواه احمد والنسائي ايضا بلفظ آخر ومن ذلك ماورد في فضل مكة والمدينة واليمن وبعض قبائل من العرب من المزايا التي لا تدخل تحت قاعدة أن الفضل بما يكون به الثواب فقط ولوتتبنا ذلك لطال الكلام وفيما ذكرنا مايفني اللبيب ويقنع طالب الحق وينقض هذه القاعدة

﴿ فصل ﴾

ومن اسباب الفضل الاضافة الى الله تعالى كما تقدم فما اضافته تعالى الى نفسه كسبته الاضافة مزية وخصوصية وفضلا وشرفا نحو قوله تعالى وطهر بيتي فاضافه الى نفسه وقوله وآمنتم برسلي وقوله تعالى ان

عبادي ليس لك عليهم سلطات وقوله تعالى فيشر عبادي
وقوله ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وقال ومن
يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب فهذه الاضافات من جملة
الاسباب الموجبة للفضل ومن آثار الاختيار والاصطفاء ونحو ذلك
الاضافة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يقال مدينة رسول الله
واهل بيته وازواجه واصحابه وحديثه وخليفته ونحو ذلك

(ومنها) المحلية كفضل المساجد لكونها محل العبادة والذكر والمصاحف
لكونها محلا لكتابة كلام الله وكتب العلم لاشتغالها على شرائع الدين
وقضل المدينة لخلو له صلى الله عليه وآله وسلم بها حيا وكونها مباءة الايمان
(ومنها) المجاورة كفضل بقية الحرم لمجاورته البيت الحرام والمسجد
الحرام وكفضل حرم المدينة وفضل المدينة لمجاورة المسجد النبوي
والروضة النبوية وفضل القبر الشريف لمجاورته جسده صلى الله عليه وآله
وسلم وفضل جلد المصحف لمجاورته المصحف ونحو ذلك وللعلماء هنا
بحث في فضل القبر النبوي تأتي على ذكر شيء منه لمناسبته قال
السمهودي « قد انعقد الاجماع على تفضيل ماضم الاعضاء الشريفة للمجاورة
ولهذا يحرم للمحدث مس جلد المصحف واعترض ذلك ابن عبد السلام في اماليه
بان معنى تفضيل مكة على المدينة وعكسه ان الله يرتب على العمل في احدهما من
الثواب اكثر مما يرتبه على العمل في الاخرى فيشكل قول القاضي عياض
اجتعت الامة على ان موضع القبر الشريف افضل اذ لا يمكن احدا ان يعبد

الله فيه « اه بتلخيص وتصرف اقول وقول ابن عبد السلام هذا لا يخفى ضعفه فان اسباب الفضل كثيرة ومزاياه عديدة، وكيف لا، واعظم اسبابه لا تأتي بجهد ولا اعمال كالنبوة والرسالة وايراث الكتاب، فان نبوة النبي ليست عين تقواه ولا عمله وهذا اجماع من المسلمين، وذهب كفار الفلاسفة الى امكان اكتساب النبوة ولما ذكرنا قال السبكي قد يكون التفضيل لذلك وقد يكون لاهل آخر ولو لم يمكن عمل، وقضية كلام ابن عبد السلام انه لا يثبت للقبر الشريف فضل على غيره من الاماكن والقبور اصلا اذا فلما ذاحر ص ابوبكر وعمر رضي الله عنهما على الدفن بجانب ذلك القبر المفضل بساكنه، وهذا خلاف اجماع المسلمين على احترامه، والاحترام لازم التفضيل، ولذلك قالوا بان قضاء الحاجة بقرب قبر نبي حرام وعليه كفر، وهذا يقتضي ان يكون لقبر النبي اي نبي كان فضل على غيره من الاماكن، واذ قد ثبت اصل الفضل فني الافضية تحكم، فان قيل واثباتها تحكم، قلنا ليس كذلك فان في جانب الاثبات ما حكاه اولئك الاعلام من الاجماع على افضليته وايضا فلو كان ما ذهب اليه ابن عبد السلام صحيحا لما ذهب احد الى تفضيل المدينة مع ما دلت عليه الاحاديث من مضاعفة الاعمال بمكة اكثر منها بالمدينة وقد ذهب الى تفضيل المدينة عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومالك بن انس رضي الله عنهم وقدم عمر رضي الله عنه بضرب من

فضل مكة على المدينة وعاتبه عتابا شديدا ولا يخفى ما يقوله للعلماء في امثال هذه المواضع، انه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل او يفصل القول في ذلك فيقال مكة افضل من جهة مضاعفة الثواب والمدينة افضل من جهات اخرى ككونها دار الهجرة ومبأة الايمان، ومنها انتشر الدين وظهر، وفيها قبره صلى الله عليه وآله وسلم وبيته واليهما هجرته وبها وفاته الى غير ذلك، وقد يكون للشيء مزايا كثيرة يفوق بها غيره لا مجموعة ويفوقه غيره اذا قويس بها مفردة، وقد نازع ابن حزم في فضل المجاورة كدعوى فضل المدينة لحديث ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة وزعم بطلان ذلك، لانه لو ثبت بذلك فضل المدينة على مكة لثبت فضل المجوفة على غيرها لانها اقرب الى المدينة، وحجة ابن حزم داحضة لانه يمكن عكسها عليه في مكة وما منع به فضل المجاور من الحل للحرم على غيره هناك يقال بمثله هنا وايضا فلا قياس في الخصائص وقال الحافظ ابن حجر «وكون تربته افضل التراب لانزاع فيه وانما النزاع هل يلزم ان تكون المدينة افضل من مكة لان المجاور للشيء لو ثبت له جميع مزاياه لكان لجار المجاور نحو ذلك فيلزم ان يكون ما جاور المدينة افضل من مكة وليس كذلك اتفاقا كذا اجاب به بعض المتقدمين وفيه نظر» اه قال السمعوني بعد نقله كلام الحافظ «قلت لم يبين وجه النظر ولعل وجهه ان الافضل لقوة اصله في الفضل يفيد مجاورة الافضية لمزية هذه المجاورة الخاصة وهي منتفية عن مجاور المجاور الا ترى جلد المصحف قد ثبتت له مزية التعظيم للمجاورة ولم يلزم من ذلك ثبوت نحوها لمجاوره» اه اقول والذي ظهر لي في وجه النظر ان بقية الحرم

المديني قد سرت اليه الافضية حتى صار حراما لمجاورته المسجد النبوي ومهبط الوحي من منزله صلى الله عليه وآله وسلم حيا وموضع قبره ميتا فكان موضع قبره افضل من المسجد. والمسجد افضل من بقية المدينة وهي افضل مما احاط بها الى آخر حدود الحرم، وهنا تنقطع خصوصية التفضيل لورود التحديد من الشارع الى تلك الغاية فسريان الفضل غير لازم، كما ان سريان التحريم غير لازم، والتحريم عنوان التفضيل ويقال بمثل ذلك في حدود الحرم المكي فان الشارع جعل للحرم الذي اقتضاه الفضل وكان كالسياج على المسجد والبيت حدودا لا يتعداها التحريم فلا يتعداها الفضل فما استلزمه ابن حزم غير لازم، وسبب الفضل واصله الذي ترجع اليه جميع الاسباب هو الاصطفاء تحقق وقوعه لما دخل في حدود الحرم دون ما سواه ولذلك لم يشرع مثل هذا التحريم لما جاور المسجد الاقصى مع انه من المساجد الثلاثة قال الحفاجي بعد ما تقدم ذكره عن ابن عبد السلام «ورد عليه تلمیذه الشهاب القرافي بان التفضيل للمجاورة والحلول كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود فلا يمسه محدث ولا يلبس بقدر لا لكثرة الثواب والا للزومه ان لا يكون جلد المصحف بل ولا المصحف افضل من غيره لتعذر العمل فيه وهو خلاف المعلوم من الدين بالضرورة واسباب الفضل اعم من الثواب فانها متهمية الى عشرين قاعدة وبينها في كتابه الفروق» اه اقول وشييه بما ذكرته ما جعله الله اثرا للتنزيه والتطهير من تحريم الزكاة على نبيه محمد

صلى الله عليه وآله وسلم ثم على اهل بيته لانتصاهم به وكونهم منه وهو منهم
واختصاصهم بذلك ، فلا يقال ينبغي ان تحرم على بقية قريش الاقرب
فالاقرب على قاعدة مجاور المجاور ، لان الشرع حد هذا الحد فلا يتعدى
والخصوصيات لا يقاس عليها

(ومنها) الجهة كفضل جهة القبلة على غيرها من الجهات وكفضل جهة
اليمن على غيرها من الجهات ولذلك ورد النهي عن البصاق الى جهة
القبلة في الصلاة ، وفضلت ميمنة المسجد على يسرته ، وجعلت اليمن
لما كان للكرامة والتشريف ، واليسار لضد ذلك وكان صلى الله عليه
وآله وسلم يجب التيمن في شأنه كاه

(ومنها) القوة على قول بعضهم في حكمة تخصيص اليمن بما خصت به
ان ذلك لكونها اقوى من اليسار ، فهذا نوع آخر من اسباب التفضيل
ويمكن ان يدخل تحته افراد كثيرة مثل قوله تعالى وزاده بسطة في العلم
والجسم فكانت بسطة الجسم من المزايا التي فضل به طالوت على سائر
قومه ، ويدخل في ذلك قوة الغرائز الانسانية كالعقل والاخلاق
الجبيلية المحبوبة وقوة الذكورة في الذكر والانوثة في الانثى وقوة
الحدس والفهم والذكاء والحفظ ونحو ذلك وفي الحديث ان المؤمن
القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خيرا وكما قال
(ومنها) قصد المكاف الى الشيء بتعبد وما فيه شرف وضدلا ، وذلك ان

لقصد المكلف وهمته اثرافيا يتوجه اليه تورثه فضلا او نقصا اعتباريا فمن ذلك فضل الجهة التي يتوجه اليها المصلي عند تحييرا في القبلة او سفرا لقول الله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله، فالجهة التي خصت بهذه المزية افضل من غيرها بها، وضد ذلك تاثير قصد المكلف في البقعة التي يقصد فيها قضاء الحاجة من الفلاة ونحوها مما ليس معدا لذلك فيقدم اليها يسرا لان البقعة صارت كالمستقدرة بالقصد المذكور، ومثل ذلك اتصاف المذبوح بالحبث بقصد الوثني ذبحه للوثن ونحو ذلك

(ومنها) النقص ولاغرابه في هذا، فكثير ما يؤل الشيء الي ضده والمراد بهذا ما يكون من نقص في الخلق وضعف في القوة فيعجز صاحبها بسببه عن بعض الاعمال فيكون نقصه عذرا له يدرك به مراتب العاملين اذا كان صادق الرغبة صحيح النية في العمل متلهفا على فوته، قال الله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيمًا، روي عن ابن عباس في قوله غير اولي الضرر انه قال هم اهل العذر وقد اجمع المفسرون على القول بأن اولي الضرر ينالون فضل المجاهدين لعذرهم واشترط بعضهم لذلك الحرص

على العمل لولا العذر والنصح لله ورسوله ، وقد جاءت الأحاديث
مبينة لذلك وهي في الصحاح والسنن فلا تطيل بنقلها ، وقال بعضهم ان
المجاهدين يزيدون على اولي الضرر بدرجة واحدة وهي درجة المباشرة
بالنفس ويساؤونهم في بقية الدرجات المذكورة في قوله تعالى وفضل الله
المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة ، وروي
هذا عن ابن جريج والاكثرون على الاول وقد روي البخاري
وغيره عن انس ومسلم وغيره عن جابر واللفظ لمسلم قال قال رسول الله
لقد خلفتم بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا ولا سلكتهم طريقا الا شركوكم
في الاجر حسبهم المرض وفي رواية البخاري حسبهم العذر وهو اعم
من الأول والذين اشترطوا النصح اخذوا من قول الله تعالى ليس على
الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا
نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، وهو ظاهر
وان كانت الآية واردة في نفي الحرج فان اشترط ذلك لحصول
الفضل اولى ، فان قيل ان الفضل الذي ادركه هذا الناقص وان شئت
قلت المعذور انما ادركه بنيته ، قلنا كلا ، انما النية شرط لاسبب ولذلك
وردت بعد حرف الشرط في قول الله تعالى اذا نصحو الله ورسوله ولأن
النية المجردة لا توجب الفضل والاجر للقاعد غير المعذور كما هو واضح ،
وبالمجلة فالعذر اما أن يكون سببا تاما للفضل او جزأ منه ، وايا كان فهو

كاف في اثبات ما قلناه

(ومنها) رفعة الموضوع وجلالته كفضل العلوم بعضها على بعض برفعة موضوعها وخلافه كفضل علم التفسير والحديث أو الفقه على ماسواها مما دونها ، ومن هذا تفضيل بعض سور القرآن على بعض كفضل سورة الاخلاص وآية الكرسي والفاحة ونحو ذلك (ومنها) كبر السن وقد ورد الأمر بتقدمه في الامامة وفي الحديث وليؤمكم اكبركم وفي الكلام عن القوم والخطاب عنهم كما في الحديث انه قال الكبر الكبر اى ليتكلم الاكبر ، وفيما ذكرنا احاديث لانطيل بها فان المقصود اثبات تعدد اسباب الفضل من غير نوع العمل والاشارة تفني اللبيب

(ومنها) فضل المتبوع فانه سبب لفضل التابع كما امتازت هذه الامة وفضلت غيرها من الامم واوتيت اجرها مرتين وفضلت بالخصائص العديدة في الدنيا والمحشر والجنة اكراما لمتبوعها الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك عدتها العلماء مع الخصائص النبوية والاحاديث الدالة على ذلك كثيرة في الصحاح وغيرها لا تخفى على مترسم (ومنها) الاولية كفضل البيت بانه اول بيت وضع للناس وهكذا الاولية في كل عمل صالح سبق صاحبه اليه كالاولية في الاسلام والجهاد والري في سبيل الله والصدقة ، فان قيل ان هذا من فضل الاعمال ، قلنا

ان الأولية من خصائص المسجد الحرام معدودة في ما فضل به غيره من بيوت العبادة ولاعمل من البيت، وانما ذلك عنوان مزيد الشرف والعناية به، والاعمال موجودة حقائقها بدون الأولية فهي معنى زائد على العمل وان تعلق به، واذ قد وجدنا الأولية اقتضت شرفا ومزية في غيره فلانواع من عدها سببا للفضل

(ومنها) القرب من المتبوع في المكان كالتقرب من الامام في الصلاة والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجلسه على عهدنا وقد مدح العلماء العمريين بانها ضجيجا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ومنها) طهارة الذات وصفاتها كطهارة ذاته صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرف ذلك اصحابه وسلف امته، فكانوا يتبركون بتفاهه وريقه ونخامته وشعره، ومنهم من شرب دمه وآخرون ادخروا شعره وعرقه وثيابه، ومنهم من اوصى بدفنها معه والاحاديث في ذلك كثيرة فمن ذلك حديث البخاري في قصة الحديبية قال فيه والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، قال الحافظ ابن حجر زاد ابن اسحق ولا يسقط من شعره شي، الا اخذوا قال «وفيه دليل على طهارة النخامة والشعر المنفصل والتبرك بفضلات الصالحين الطاهرة» اه

فكانه جعل العلة في ذلك الصلاح فحسب ، وقد ورد شرب دمه من فعل ابن الزبير ، وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن فعل مالك بن سنان اخرجه الطبراني وابن السكن في صحاحه وفيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تمسه النار ، وفي حديث عند البيهقي والطبراني انه قال لخادم ام سلمة لما شربت بوله لقد احتظرت من النار بحظار وفي قصة اخرى انه قال لسلمى امرأة ابي رافع اذهبي فقد حرم الله بدنك على النار رواه الطبراني واحاديث تبركهم بعرقه وشعره في الصحاح فلانطيل بذكرها ، وهذا كله يدل على فضل الذات النبوية ومزيتها على غيرها وهذا كاف في اثبات اصل تفاوت الذوات (ومنها) الاحوال التي تحيط بالأمم من فقر وخوف وتفرد وقلة اعوان فان تلك الاحوال تجعل للعامل والعمل عزية خاصة وفي الحديث سبق درهم الف درهم ، فحال الفقر وقلة ذات اليد التي احاطت بالمنفق حتى كان اكثر اجرا وثوابا من المنفق الف درهم من اسباب الفضل نظراً الى حاله لانه كان معه درهمان فعمد الى احدهما فاخرجه وجاء الآخر فاخرج من عرض ماله الف درهم ، فهذا انفق نصف ماله وذاك انما انفق اقل من نصفه .

(ومنها) مكان العمل فانه يوجب للعمل فضلا على مثله بمكان غيره كفضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره من الاماكن ومكان العمل

غير العمل وان تعلق به والا لما كان للمسجد الحرام فضل بذلك
(ومنها) مزية الزمن كفضل العمل ومضاعفته في شهر رمضان واحببته
في عشر ذي الحجة، وفضل الدعاء يوم الجمعة في ساعة الاجابة وبعد
النصف الاول من الليل، فسبب المضاعفة وقوع العمل في الزمن الفاضل
وفي معنى ذلك فضل اعمال الصحابة زمن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ومعيته على اعمال غيرهم وعلى اعمالهم بعده، فهذا له سببان زمنه
صلى الله عليه وآله وسلم ومعيته، لانا لانثبت الفضل الخاص لعمل من
لم يصحبه وان عمل في زمنه، ولا لعمل الصحابة بعدد الزمن والمعية
غير العمل

(ومنها) الجنسية كفضل جنس بني آدم على غيرهم وهذا ظاهر لا يحتاج
الى استدلال

(ومنها) المحافظة على الوقت فقد قال بعضهم ان الصوم في السفر
افضل من الفطر محافظة على وقته

(ومنها) مراعاة الخلاف وذلك كقولهم ان القصر في السفر اذا بلغ
ثلاث مراحل افضل من الاتمام مراعاة للخلاف لان ابا حنيفة يقول
بوجوبه وقولهم ان الاتمام في المرحلتين افضل لانه يقول بوجوبه

(ومنها) كراهة النفس الرخصة رغبة عن السنة، او طعن اهل البدع فيها
كما قال ابن المنذر اختلف العلماء ايها افضل المسح على الخفين او نزعها وغسل

القدمين والذي اختاره ان المسح افضل لاجل من طعن فيه من اهل البدع من الخوارج والروافض قال «واحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن افضل من تركه» اه وقال «الشيخ محيي الدين صرح جمع من الاصحاب بان الغسل افضل بشرط ان لا يترك المسح رغبة عن السنة كما قالوه في تفضيل القصر على الآتمام» اه من الفتح (ومنها) الذكورة فان الذكر من حيث الذكورة افضل من الانثى ولذلك خص في عقيقته بشاتين وكان له سهان من الأثر وجعلت المرأة على النصف منه في الشهادة والدية ونقصن عقلا ودينا كما صح به الحديث

﴿ من اسباب الفضل قربي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾
ومن اسباب الفضل القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسبا وسببا كفضل اهل بيته وذريته وكفضل ازواجه رضي الله عنهم وعنهن وهذا هو موضوع النزاع بيننا وبين المخالفين من الخوارج والنواصب والشعوية وادلة ذلك كثيرة سيأتي منها ما يسره الله في تضاعيف الكتاب (ومنها) المعدن الطيب والمغرس الزكي كما دل عليه حديث (تجدون الناس معادن)

(ومنها) الاتساق الى الآباء الصالحين كما دلت عليه آية وكان ابوها صالحا وحديث اكرم الناس يوسف الخ وغير ذلك فهذه عدة اسباب للفضل يظهر بها عدم انحصار الفضل فيما به الثواب فقط ولعل القراء في قد عد بعضها او كلها فاننا لم نقف على ما ذكره والحاصل ان معنى الفضل في

كلام الله وكلام رسوله كمناه في اللغة وان ما ذكره المتكلمون اصطلاح
حادث لهم خصوصا به بعض ما يتناوله

﴿ مقالة الجاحظ في فضل العرب وقريش وبني هاشم ﴾

قال « قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها * وكيف عقوها ودهاؤها *
وكيف رأيا وذاكاؤها * وكيف سياستها وتديورها * وكيف اجازها وتحسيرها *
وكيف رجاحة احلامها اذا خف الحليم * وحدة اذهانها اذا كل الحديد * وكيف
صبرها عند اللقاء * وثباتها في اللواء * وكيف وفاؤها اذا استحسن الغدر *
وكيف جودها اذا حب المال * وكيف ذكرها لاحاديث غد * وقلة صدودها
عن جهة الصد * وكيف اقرارها بالحق وصبرها عليه * وكيف وصفها له ودعاؤها
اليه * وكيف ساحة اخلاقها * وصونها لاعرانها * وكيف وصلوا قديمهم
بجديتهم * وطريفهم بتليدهم * وكيف اشبه علانيتهم سرهم * وقولهم فعلهم *
وهل سلامة صدر احدكم الا على قدر بعد غدره * وهل غفلته الا في وزن
ظنه * وهل ظنه الا كيقين غيره * وقال عمر انك لا تتفجع بعقلك حتى تتفجع
بظنك قال اوس بن حجر

الامعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقال آخر

مليح نجيح اخومازن * فصيح يحدث بالغائب
وقال بلعاء بن قيس

وابغي صواب الرأي اعلم انه * اذا طاش ظن المرء طاشت مقادره
بل قد علم الناس كيف جبالها وقوامها * وكيف ضياؤها وبهاؤها * وكيف سروها
ومجابتها * وكيف بيانها وجهارتها * وكيف تفكيرها وبداهتها * فالعرب كالبدن
وقريش روحها * وقريش روح وبنوهاشم سرها وليها * وموضع غاية الدين والدينا
منها * وهاشم ملح الارض وزينة الدينا * وحلي العالم * والسنام الاضخم *
والكاهل الاعظم * ولباب كل جوهر كريم * وسر كل عنصر شريف * والطينة
اليضاء * والمغرس المبارك * والنصاب الوثيق * ومعدن الفهم * وينوع العلم * ونهلان

ذوالهضاب في الحلم * والسيف والحسام في العزم * مع الاناة والحزم * والصفح
عن الجرم * والقصد بعد المعرفة * والصفح بعد المقدرة * وهم الانف المقدم *
والسنام الاكوم * والعلم المشمخر * والسيابة والسر * وكالهاء الذي لا ينجسه شيء *
وكالشمس لا تخفى بكل مكان * وكالذهب لا يعرف النقصان * وكالنجم المحيران * والبارد
للظمان * ومنهم الثقلان ، والاطيان ، والشهيدان ، واسد الله ، وذو الجناحين ،
وذو قرنيها ، وسيد الوادي ، وساقى الحجيج ، وحليم البطحاء ، والبحر ، والحبر ،
والانصار انصارهم * والمهاجر من هاجر اليهم او معهم * والصديق من صدقهم *
والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم * والحواري حواريتهم * وذو الشهاداتين
لانه شهد لهم * ولاخير الا لهم اوفيهم او معهم او يضاف اليهم * وكيف
لا يكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين * وامام الاولين والآخرين * وحبيب
المرسلين * وخاتم النبيين * الذي لم تتم لنبى نبوة الا بعد تصديقه والبشارة بمجيئه الذي
عم برسالته ما بين الخافقين * وظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون * اه

﴿ القول في اصناف البشر وتفاضل الانساب ﴾

واختصاص الله تعالى بعضها بالنبوة والكتاب واصطفاء الله لها وبيان ان الشعب العربي
ارقي شعوب البشر واقومه فطرة وان الله جعل ائمة الناس من ذرية ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ثم من قريش منهم

ان الله جلت قدرته ، وتعالى حكمته ، قد خلق في هذا العالم اجناسا
متقاربة متباينة ، تتقارب باصرعام ، وتباین باصرخاص ، فالعام يجمعها ،
والخاص يفرقها ، ثم نوع الاجناس الى انواع متعددة ، اظهرها لمزيد القدرة ،
وكشفا عن وجه الحكمة ، واتماما للنعمة ، وتوسعة لمداخل المنفعة ، وتمييزا
لمنازل الفضل ، ووجولا لخصوصيات ، والتفرد بالاختيار والتوحد
بالتخصيص ، وتكثيراً لمطالع العلم ومذاهبه ، ومناحي لطائفه وغرائبه ، وكلها

تجتمع في المشترك العام ، وتباين في الخاص القريب ، واقام لها سبحانه
وتعالى من القوى الخفية ، المدبرة بالقدرة الالهية ، وسنة الله
التي لا تبدل ما يحفظ عليها مقوماتها ومشخصاتها وخواصها فتعدد
افرادها ، وتكاثر اعدادها ، متباينة من حيث التشخيص الذاتي العيني
متحدة في المشتركات الجنسية ، ويمتاز بعضها عن بعض ايضا بما سوى
ذلك من صفات الانواع ولوازم الاصناف ، وكل من اقتصر من علم
هذه المعاني على ما يصل اليه الذهن من الحدود العلمية ، والاصطلاحات
الفنية ، وما يفسر به الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض الخاص
والعام دون تطبيقه على مافي الخارج فهو ضعيف في معرفة حقائق
الموجودات ، غبي عن لطائف الكائنات ، ومن ظن انه يحيط باسرارها
بالنظر المستعجل ، او القول المقتضب ، فقد قل علمه ، وضعف فهمه ،
وطاش في اقتناص شوارد التحقيق سهمه ، كلا . لا يدرك الحق في
ذاك ، ولا يطالع على اللطيف مما هنالك ، الا بغوص الفطن واستنارة
الفكر في الاجناس والانواع والاصناف ومقابلة بعضها ببعض والموازنة
بينها ، والبحث فيما تجتمع فيه ، وما تتفرق عنه ، وما يعمها وما يخص
بعضها مع الاحاطة باعراضها اللازمة والمنفكة ووجوه الاختلافات فيها ،
فمسي اذا اتقن ذلك ان يحظى بنصيب من علم ما اودعه الله فيها من
وجوه الحكم وخفايا العلم ومن قنع من معرفة النوع بانه المقول على كثيرين

مختلفين بالحقائق في جواب ماهو، وجمد عليه وحمله على الانواع قضية مسلمة كان مقصرا بنفسه ظالما لها، قد حجبها عن علم غزير، وتحقيق مفيد، وفرائد يقتبط بها، واوابد يطول العناء في اقتناصها. وكان لامحالة جاهلا بما تقتضيه حقائق الانواع في الخارج لاسيا مع اختلاف افرادها وتباين اصنافها، لايفرق بين ما تستلزمه حقيقة النوع ومالا تستلزمه، ولهذا حار بعض من النظار الذين لم يستضيؤا بانوار صاحب الشرع في معنى تفضيل العرب على من سواهم فوقعوا في تأويل النصوص الصريحة لضعف العلم، وسبق الوهم، وما اشرنا اليه يظهر في الخيل مثلا فانه نوع من انواع الحيوان فمن جمد على قوهم في حد النوع بانه المقول على كثيرين متفقين بالحقائق من غير تحرير لمعنى الحقيقة ولا كشف عن كنهها فانه يغلط لامحالة، لأن هذا الحد لا يصل به الى معرفة الاصناف التي يشملها حد النوع فانها تتباين تباينا تتعدد وجوهه وتختلف بسببه اغراض الناس فيها، فمن اراد اقتناء فرس للكرو الفر وملاقات الابطال، في حومات القتال، ومضائق النزال، لم يقنه في الحصول على بغيته النظر الى وجود الحقيقة المشتركة بين اصناف النوع دون مميزاتها الخاصة، ومن المحال العادي ان يجد صرامه في اصناف الخيل التي لاتصلح الاجر المعجلات وحمل الاثقال، اوفي هجين ومقرف، ولو اجهد نفسه في تربيته وتضميره، وقتل وقته

في تعليمه وتسييره ، فمن المحال ان يرتقي بذلك الى مرتبة جواد نجد الشهيرة ولا الى ما يقاربها ويناسبها ، بل لا يرتقى عن خواص صنفه الا قليلا ، ولا يلبث اذا حق الحقيق ، ولز المضيق ، ويس الريق ، ان يتبدل ويحزن وتتغلب عليه طبيعة اصله ويجذبه عرق اهله الى ميراثه القديم التليد ، دون مكتسبه الطريف الجديد ، (لان التخلق يأتي دونه الخلق) ، ودونك مثال آخر هو اظهر من هذا في ان الانواع تفترق الى اصناف تلزم خواصها ومميزاتها حتى تكاد تكون انواعا مستقلة انفصلت عن نوعها الاول حتى صارها جنسا او كالجنس ، بسبب ما امتازت به من الخواص الثابتة اللازمة التي لم يشاركها فيه بقية نوعها ، فانه مائل لك في النخل مثلا وهو اقرب شيء الى مشابهة الانسان من جنس النبات وقد ضربه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلا للمؤمن كما في حديث البخاري فانه نوع من انواع الشجر قد امتاز بهيئة مخصوصة في اجذاعه وسعفه وسائر مقوماته ومشخصاته وخواصه المشتركة بين افراد نوعه ، ولكن اذا تأملت اصنافه وجدت بينها فروقا واضحة يمتاز بها بعضها عن بعض عن قوى راسخة لازمة لها لزوم مقومات نوعيته ، فهي سارية في افراد صنفه كما سرت مقوماته ومشخصاته في افراد نوعه ، حتى انك لتدرك الفرق بين الصنف الذي يعرف في الجهة الحضرية بالمديني او الهجري او الحمراء

او الزجاج أو الصيق أو البطيطة أو الجفسوس حتى في لون السعف
والعراجين ، فمنها ما يميل لون سعفه الى الخضرة العميقة كالبطيطة
والصيق ، ومنها ما يميل الى الخضرة الفاتحة كالزجاج او مع شيء من
الكدرة او الحمرة كالنوع المعروف بالسريع ونحو ذلك من اصنافه ، وكما
ظهرت هذا الفرق في خضرة سعفه فقد تبعها فروق في طعمه
وخلاله وبلحه وبسره ورطبه وتمره في حجمه واستطالته وتدويره
وحلاوته ولونه وهيئة عجمه وشماريخه ، فمنها الملون بالصفرة الفاتحة
او الغامقة او الخفيفة او الحمرة كذلك ثم في اختلاف عجمه في
الكبر والصغر او الضخامة وضدها ، وقد يختص بعضه بوجود الجرم
الغريب في تمره وبسره دون بقية الاصناف كالجرم الخشبي الذي يوجد
في بسر نوع البطيطة او الصيق ولايجيء في بقية الاصناف اصلا ،
اذا عقلت ذلك فتأمل في حفظ كل صنف منها لخواصه وسريان ذلك
في افراده كافة ورسوخ ذلك في فوائده وانتقاله اليها وتأصله فيها
لا ينفك عنها ابدا ، ولو فعل بها الفارس ما فعل ، ونقلت الى اي محل ،
فانها تبقى مع ذلك حافظة لخواصها متشبهة باعراض صنفها لا تحول
عنه ولا تزول ، هذا والنخل نوع واحد ولكن اصنافه لا تحصر ، وكما وقع
هذا الاختلاف في اناث هذا النوع وقع في فحوله فان اصناف فحوله مختلفة
اختلافا كثيرا ، فمنها البين الفحولة الذي يسرع نضج ما أبر به ومنه

ماليس كذلك، ومنها ما يصلح طلعه للالقاح بعد استكمال ظهوره
وإطلاعه ومنه ما لا يصلح لذلك حتى يتشقق طلعه ويتدثى طحينه في
النتاش، ومنها ما يعظم بسببه نوى النخل المؤبربه ومنه ما يكون صغيرا
ولا تحبى، فسائل كل صنف اذا عرست الامثل اصولها وكما كانت اوائلها،
وهذه امور معروفة لا يجملها الممارسون لها وهي عندهم اوضح من
كل واضح، بل وفي مؤلفات الباحثين في علم النبات والحيوان لهذا
العصر تفصيلات كثيرة موافقة لما ذكرناه مؤيدة لما حررناه، على انه
يوجد انواع اخرى تشابه النخل بعض المشابهة في الجذور والسعف
دون الثمر واقربها شبيها به النوس ثم الصار والعزف ثم النارجيل وهذه
الانواع معروفة في الجهات الحضرمية في لصبوب الاودية ومغائضها
وتوجد في غيرها انواع كثيرة تشابه النخل مشابهة بعيدة او قريبة،
فاذا عقلت هذين المثالين الحيواني والنباتي المصرويين لتقريب
المعاني فهلم بنا نرقى الى مستوى اعلا، ومثال اجلا، نشرف منه على
الحقيقة، والمقصد الذى سلطنا لاجله هذه الطريقة. الآ وهو
وهو الانسان، وما ادراك ما الانسان، الانسان نوع لا كالانواع اقرب
حتى قيل انه لا اصناف له، وابتعد حتى قيل انما هو انواع ممتازة اقتربت
في الصورة الظاهرة والتخطيط الاجمالي واصل النطق الحسي والمعنوي،
وافترقت فيما سوى ذلك في الالوان والاخلاق ودقائق التخطيط،

وفروق الصور وغلبة الطباع على شعب دون شعب ، وكما ل بعضها في معنى الانسانيه ونقص غيره ، وما تفاوت به من الغرائز والطباع ، والحق انه نوع ذو اصناف ، ولكل صنف منها خواص ومميزات تفرق بينه وبين بقيتها ، بل لوقيل ان البعد بين اصنافه اشد من البعد بين اصناف غيره من الخيل او النخل او غيرها لكان هذا القول اولى بالصحة واقرب الى الواقع ، وانك لتري من اصناف البشر من ليس له من الانسانية الانطق اللسان وتخطيط الصورة ، وهو فيما سوى ذلك كالبهيمة ، وما اكثر الفروق في الالوان والصور والغرائز بين القوقاسي والمالقي والهندي والمغولي والصيني وهلم جرا ، فان اصناف البشر تنوف على خمسة عشر صنفا وقد صرح الباحثون في الانسان ان الزنج صنف منحط لا يقبل الترقى ابدا ، ولاحظ بعضهم ان خف الراس فيهم يلتئم قبل تمام نمو المخ اي قبل اوانه في غيرهم فيمنع المخ عن النمو ، وتدرك الفرق واضحاً اذا قابلت بين العرب مثلاً وغيرهم كالزنج أو غيرهم فيظهر لك الفرق واضحاً في اللون والصورة والعقل والغريزة والبيان ، وفي سائر مقومات الانسانية فتجدها في العرب اوضح واصرح واغزروا قوى مادة واوسع مجالاً ، واعلى مثلاً ، والطف وأشرف وتجد الصنف العربي صنفاً حياً ذابهاة واعراق طيبة وغرائز أصيلة قوية ثابتة منذ بدء التاريخ ولا تجد امة من امم الارض مثل العرب فقد بدوا من سواهم وسبقوهم في كل ميدان من تأسيس الدول

وتقنين القوانين ونشر الآداب وما لهم من محاسن الصنائع وبدائعها
وغرائب الفنون ، وفيهم ظهر أكل الأديان وأعلاها وأتمها واليقها بكل
زمان ومكان ، بل لم يعرف في التاريخ أمة عريقة في المجد الا وصلها من
العرب ، فمنهم العمالقة الذين أسسوا الممالك الواسعة في بابل والعراق وسورية
ومصر والحبشة ، وحسبك ان لغة المصريين القدماء المسماة بأهيري وغليفية
منذ نحو اربعة الاف سنة اصلها عربي كما اظهره البحث كاللغة
الاحمرية الحبشية ، فالأمم الشهيرة في بدء نهضة العالم انما كانت
منهم . وما زالت الجزيرة تفيض بهم المرة بعد المرة فما تهبط السعادة
بهم على امت الا وجددوا فيها الحياة واسسوا فيها الملك ، وقد اقاموا
المدنية والنظام في بابل منذ اربعة الاف سنة بل ستة الاف سنة
واشتهر منهم حمورابي وقد روى عن بني اسرائيل انه يارك على ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وشريعة حمورابي عربية وهي اقدم شريعة في
العالم عرف تاريخها ، وقد شادوا مملكة بمصر وهم العمالقة المعروفون
بالشاسو بل ودولة مصر التي قبلها انما كانت عربية كما اظهره البحث الآن ،
وبين لغتهم واللغة العربية تقارب ، فالشعب العربي شعب نشيط حي
ذونباهة وقابلية ، وقد ترحل منه طائفة الى ناحية من البلاد فتملكها
وتستوطنها ، فاذا استمر بها الدهر جاءت منهم طائفة اخرى جديدة
طارئة فتحل محل الاولى ، ومن العرب الامم البائدة العظيمة الشأن التي

قصها علينا القرآن كما دارم قوم هود عليه الصلاة والسلام ، وثمود قوم
نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام ، ومدين قوم شعيب عليه الصلاة
والسلام والتبابعة من دولة حمير العظيمة الشأن ، الذائعة الصيت المائلة
الانهار ، ذات الحضارة والتجارة والزراعة والصناعة والنظام ، ودول الاذواء
وبطرا وتدمر وطسم وجديس ، الى ان ختم الله لهم بالفخر الاعظم
والشرف الاكبر ببعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بني عدنان فساق الله
اليهم بذلك ما هو مذكور ومشهور ، ولم يعرف لامة من الامم ما للعرب من
العراقة والرسوخ في اقامة الممالك وتشديد معالم الحضارة والتمدن وقدم
السبق الى ذلك ، لم تقاربهم في ذلك امة من الامم في القديم والحديث
ولا يزال . البحث والتنقيب عن آثار العرب في اكناف البلاد يظهر من
فضائل هذه الامة العظيمة الشأن ، ما يجير الاذهان ، ولو واتت الاسباب على
اكتشاف آثار الدولة الحميرية والسبائية والمعينية والقنابية من دول اليمن
واثار عاد من دول الاحقاف المطمورة في الرمال ، لظهر للناس علم عظيم
يكون مثار عبرة وتبصرة ، ودولة عاد هي التي ارسل الله اليها هودا عليه
الصلاة والسلام وقد سبقت قبله فيهم رسل غيره وقد اتى هو مجددا
لشرعهم يدل على ذلك قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ اندر قومه
بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ، وقال الشيخ
الامامة احمد بن المبارك اللمطي نقلاً عن شيخه عبد العزيز

« انه كان من ولد اساعيل عليه الصلاة والسلام ولم يكن من عاد انفسهم وانما سمي اخوهم لانه كان هو وعشيرته قد ساكنوهم وعاشروهم والتحموا بهم فعدوا منهم» اي ومثل هذا شائع عند العرب كما حققه ابن خلدون قال « ونسبه هود بن عابر بن شياع بن الحرث بن كلاب بن قidar بن اساعيل قال وليست عاد الثانية كلها من ذرية اساعيل بل هود وعشيرته فقط ومنهم شداد بن عاد الذي له الخيمة العظيمة ذات العاد قال والعلماء يظنون ان ارم ذات العاد مدينة مبنية بالذهب على صفة الجنة في كلام طويل لهم وليس كذلك بل ارم اسم قبيلة عاد وذات العاد نعت للقبيلة اي صاحبة العاد لهذه الخيمة التي لكبيرهم او المراد جميع خيامهم فاني رأيت مسكنهم ووصفه بقريب مما وصف به العلماء الاحقاف» قال « وهو مسيرة تسعة ايام وكبيرهم يسكن في وسط الارض وكان من قصده يمشى حافيا عاري الرأس مسيرة اربعة ايام ونصف من كل ناحية بين الخيام لقوة العمارة فيها وكثرة الخلائق مع ضيقها عنهم وارسل الله تعالى اليهم مياها وعبونا تسيح على وجه الارض من ناحية جبال بعيدة عن بلادهم يزرعون عليها قال وخيمة كبيرهم مساحتها قدر رمية سهم واوتادها واعمدتها مطبقة بالذهب الخالص وجبالها من الحرير وقد رأيت قطعاً من ذهبها باقية الى الآن مدفونة في ارضهم وجميع خيامهم مطبقة بالمنف ولم يكن في ذلك الزمان الا الابيض منه فيه يبطنون والى هولاء القوم ارسل الله هودا الذي سبق نسبه « انتهى ومما ذكره الشيخ يعلم انها كانت زراعية صناعية ذات حكومة ونظام وانها قد سبقت لها شرائع الهية وديانة مستقيمة وانحرفت عنها فارسل الله اليها هودا عليه الصلاة والسلام وعسى ان يوفق الباحثون الى الحصول على شئ من الاثار التي فيها عبرة لاولي الأَبصار ، واما ارضهم التي اشار اليها فهي الاحقاف وقد روي انها الرمل فيما بين عمان الى حضرموت فالين، وينقسم الى شعبتين كبرى تسمى وبار والرابع الخالي والبحر السافي وصغرى تسمى صيهد وهو شمالي الجبال الجضرميه وغربها

وقال بعضهم واد بين عمان ومهرة وهذا يقع في الجانب الشرقى الشمالى لها ، وقال بعضهم انه رمل مشرف على البحر بارض يقال لها الشحر وكانت الشحر تطلق في القديم على سواحل ظفار وحضرموت وعمان وهذه اقوال متقاربة وقد صحح ياقوت في معجمه قول ابن عباس وابن اسحق وقتادة انها رمال باليمن لان الحقف الرمل المستطيل ، والمراد باليمن مايشمل ناحية حضرموت فان منازل عاد في رمالها بلاشك ، والقصد الاشارة الى ماخصت به الامة العربية من قديم الذكر وغريزة الذكاء الخاصة التي امتازت بها على الامم وسبققتها الى ذلك ، ولذلك كان من مزيتهما ان الله لم يقص علينا في القرآن الا انبياء بني عمهم من بني اسرائيل وانبياءهم كهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام واما يونس فقد بعث الى اهل نينوى من اهل الموصل وهي من مساكن العمالقة فيحتمل ان يكون المرسل اليهم عربا بعثه الله اليهم من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، كما بعث هوداً الى عاد من ذريته ، فان الله جعل النبوة والكتاب في ذرية ابراهيم من بعدا ، واما الياس فقد بعث الى قوم يعبدون صنما يسمى بعلا ويغلب ان يكونوا من بقايا العمالقة من البابليين ، وقد اكتشف الباحثون كثيرا من آثار دول اليمن ومنذ عام اكتشفوا مدافن ومحافد لهم اشتملت على غرائب الصنعة في الاواني والصور من الرخام المصنوع اجمل صنعة المخروطاتقن خرط واجمله من مداخن

واجانات ومداهن واواني جزعية من الجزع الجميل على اتقن هيئة
واجمل صنعة وبالجملة فللكلام في هذا موضع آخر، والقصد اثبات تفاوت
اصناف البشر في الفطر والغرائز والطباع وذلك بما لها من الآثار والمجد
القديم ، فقد دلنا التاريخ والبحث كما دلنا الحديث النبوي على ان صنف
العرب ارقى اصناف البشر وتجد بين بقية الاصناف البشرية الاخرى تفاوتاً
ظاهراً وقد تكفلت مؤلفات الباحثين لهذا العهد بذكر الفروق الخلقية والخلقية
بينها، ولكنهم فضلوا ابناء جنسهم تعصباً وكلامهم مردود، وكلم من صنف
من البشر لم يحفظ لهم التاريخ قديماً، ولم يعرف منهم نبيا ولا صديقا
ولا خرجوا عن الدائرة التي حصرتهم فيها امرجتهم ولا ارتفعوا عن
الدرجة السافلة التي جثموا فيها، وقد ورد في الحديث الصحيح انتقاء
الله للقبائل قبيلة بعد قبيلة كما في حديث صحيح مسلم عن واثلة بن الاسقع
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن الله اصطفى كنانة
من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم والحديث روايات اخرى في بعضها
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بني اسماعيل كنانة
الحديث وفي حديث آخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه، ثم حين فرقهم جعلني
من خير الفريقين، ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة، وحين

خلق الانفس جعلني من خير انفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا وهذا الحديث قد اخرجاه احمد والترمذي وحسنه وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي وفي لفظ آخر ان الله خلق الخلق فاختر من الخلق بني آدم الحديث فهذا فيه لفظ الاختيار، فالاصطفاء كما قال ابن العربي «أخذ الصافي من جملة معه فيها غيره وليس مثله» وقال الراغب «الاصطفاء تناول صفو الشيء كما ان الاختيار تناول خيره والاجتهاد تناول جبايته» فهذا الاحاديث حجة في ان الشعب العربي صفوة الشعوب وهو حجة دامغة على الشعوية ومن وافقهم كابن العاقب والسوداني فكناثة صفوة العرب وقريش صفوة كنانة وبنو هاشم صفوة قريش ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم صفوة بني هاشم فهذا ترق وانتخاب واصطفاء الهي دل عليه الحديث النبوي وهدانا اليه، وسيأتي الكلام على هذا الحديث ورواياته انشاء الله تعالى فهذا الاختيار والاصطفاء كان على ترتيب الاخيرية طبقة بعد طبقة بما تمتاز به كل طبقة عما قبلها مما يثبت لها من الخواص التي ترسخ على طول الازمان وتسوقها اليه القدرة الالهية، وتقلبها فيه يد الاصطناع الربانية، لما يراد منهم ولهم قال الله تعالى في حق موسى عليه الصلاة والسلام وتصنع على عيني واصطنعتك لنفسي، وقد اعلمنا الله في كتابه العزيز بهذا الانتقاء والانتخاب فقال في سورة آل عمران ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على

العالمين وقبل ذلك قال الله لنوح عليه الصلاة والسلام قلنا يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتهم ثم يمدهم
منا عذاب اليم ، فقد اقتضت القدرة الالهية بقاء ما يصلح للبقاء من
الامم التي اشتملت عناصرها على جرائم الفطر الزكية والاستعداد الحيري
وقد انحصر البقاء في ذرية نوح عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وجعلنا
ذريته هم الباقين وحصر الله في ذريته النبوة والكتاب بعدما سلف من القرون
فقال ولقد بعثنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وقد
نولا عز وجل بذرية نوح عليه الصلاة والسلام في موضع آخر فقال
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا فقد ر بعضهم اخص ذرية نوح
انهاضاً لهم الى الاسوة والافتداء بهذا الاب الشكور، واعتبر ذلك بان نوحا
دعى الله على قومه لما فسدت فطرهم فلم يبق فيها للايمان استعداد، ولا
من الرسول استعداد، قال تعالى: (وقال نوح رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديواراً، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفاراً،)
فكان وجود هولاء وبقاؤهم ضرراً محضاً لتأصل الاعراق الخبيثة الكفرية
فيهم، ولذلك قال ولا يلدوا الا فاجرا كفاراً، فقد صاروا بمنزلة امتنع معها
فيهم كل رجاء، وانمحي منهم كل استعداد. فكانوا نفاية نوع البشر فاهلكهم الله
وابقى نوحا وذريته لمكان الاستعداد فيهم فصادف الانتقاء والبقاء منهم
محلاً ومصطنعاً، ثم جاء الدور لترقي آخر في ذرية ابراهيم عليه الصلاة

والسلام فانطقه الله بما اراد ا لهم من سابقة الخير ليكون له مزية استجابة الدعوة ، وخاصة المكانه والحظوة ، وذلك في قول الله (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ، قال اني جاعلك للناس اماماً ، قال ومن ذريتي ، قال لاينال عهدي الظالمين ،) فسأل الله تعالى عند ما خص بالامامة في نفسه ان يجعل من ذريته ائمة يؤتم بهم كما جعله اماماً ، فاعطاه الله ذلك مستثنياً منهم الظالمين ، فكان في ذريته النبوة والكتاب ، كما قال تعالى في سورة الحديد (ولقد ارسلنا نوحا و ابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) وقال في سورة العنكبوت (وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ، ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ،) وقال ابن عباس في الاجر في الدنيا انه الشفاء الحسن والولد الصالح ، (وقال في سورة ابراهيم واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبي وبنى ان نعبد الاصنام ، رب انهن اضلن كثيراً من الناس فمن تبغني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ، ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقال : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعائي ،) وقال في سورة البقرة : (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا

تقبل منا انك انت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم *
ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم *) وقد استجاب الله دعوة ابراهيم
عليه الصلاة والسلام في ذريته فجعل منهم الائمة في غابر الدهر
وحاضرة وجاء الشرع الحنفي مبينا صدق هذه الدعوة شرعا كما صدقت كونا
فقال صلى الله عليه وآله وسلم الائمة من قريش ، واستجاب الله له ببعثة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم فكان دعوة ابيه ابراهيم كما ورد به
الحديث، وقوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه) اي اختبره ربه ومعنى هذا
الاختبار من العليم الخبير اظهر ما استعد له ابراهيم من الوفاء بالعقود
الشرعية والتكاليف الالهية لان الله لا تخفى عليه خافية فالمراد بالابتلاء
غايته اوسيبه، وهي الكلمات، واختلف المفسرون في الكلمات التي ابتلى
الله بها ابراهيم فقيل هي التي ذكرها الله بقوله: قال اني جاعلك للناس اماما،
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً، واذ يرفع ابراهيم القواعد من
البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم * ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا الاية، ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم الاية،
والضمير على هذا القول في فائتمن يرجع الى الله، ويكون معنى الابتلاء
الانعام او الاختبار بشكرها، فكانه ذكرها اجمالاً ثم ابتداءً في تفصيلها

ومنهم من عدد اموراً اخرى من الآداب الشرعية كلفها الله ابراهيم
(فاتمهن) اي فوفى بهن ابراهيم ومنه قوله تعالى و ابراهيم الذي
وفى، (قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي) اي ومن ذريتي
انت جاعل اماما وهذا التقدير اولى لانه هو الذي يدل عليه المذكور
وقدره بعضهم ومن ذريتي فاجعل اماما (قال لا ينال عهدي الظالمين)
ذكر المستثنيين عن الدخول تحت ما عهد الله به اليه تنبيها على
بشاعة الظلم، وأقام التصريح بالخارجين عن العهد مقام التصريح
بالداخلين فيه، تنبيهاً على ان ذلك من الثابت الذي لا يحتاج الى
أعادة له ولا اشادة به، فلم يقتض الحال الا الاعلام بما استثني منه وفي
ذلك من معنى التأكيد ما لا يخفى. وقوله تعالى (ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا امة مسلمة لك) مبين لما ذكرناه فقوله من ذريتنا يقتضي
التبويض واختلف في ملاحظه فليل لما اعلمه الله ان من ذريته ظالمون
اقتصر من الدعاء على بعض، وقيل انما عنى بهم العرب، وقد شنع ابن
جرير على القائلين به ولا وجه للتشيع فان لهذا القول مؤكدات
قولية وحالية، اما القولية فقوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
والمراد بهذا الرسول نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم وقد قال
تعالى هو الذين بعث في الاميين رسولا منهم، والمراد به نبينا صلى الله
عليه وآله وسلم كما قال هنا وابعث فيهم رسولا منهم، والقرآن يفسر

بعضه بعضا وكما قال في الآية الاخرى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وللدلالة على عموم رسالته آيات اخرى والاولى ان لا يتعدى بالخصوص موضعه . فالذرية المدعوا لها ان يبعث فيها رسولا منها هي الامة العربية ، فان قيل ان مدعي العموم يقول (ربنا وبعث فيهم) اي ذرية ابراهيم كلها ولاخلاف انه صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث الى بني اسرائيل كما انه مبعوث الى قومه ، قلنا انك قلت مبعوث الى بني اسرائيل ولم تقل منهم فهذا يدل على الفرق بين الامرين ، وايضا فانه يشارك بني اسرائيل سائر امم الارض في كونه صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث اليهم . ولكن لا يشارك العرب احد من الامم في كونه مبعوثا منهم وفيهم . وهذا القائل انما فر من التخصيص فوقع في مثله ، واما المؤكد الحالي فهو ان الكلام مع الامة العربية في تذكيرها بحال ابيها ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وما سأل لذريته من الامامة ، وتأمين البلد الحرام ، ووزقهم من الطيبات ، والدعاء بان تكون منهم امة مسلمة ، وبعثة رسول منهم فيهم ، ليعلموا ما خبا لهم القدر من السعادة ، وان هذا هو وقتها الذي فيه ظهرت فيسارعوا الى الاخذ باسبابها ، يدلك على هذا ما ذكره الله تعالى في غير هذا الموضع حكاية عن ابراهيم بقوله (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) الآيتين ، ثم قال (رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة) ، فاتي بالتبويض لانه انما اسكن بعض

ذريته بذلك الوادي وادي مكة وهم اسماعيل وولداه فهم عين المقصود
بالبعض في قوله (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) يؤيد ذلك قوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم انا دعوة ابي
ابراهيم وبشارة عيسى الحديث اخرج ابن عساكر وابن سعد واخرج
احمد وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي نحوه من
حديث العرباض بن سارية واخرج احمد وابن سعد والطبراني وابن
مردويه والبيهقي عن ابي امامة نحوه فدل ما ذكرنا على ان دعوة ابراهيم
واسماعيل عليهما الصلاة والسلام كانت خالصة للعرب وفي اخبار الله بذلك
واجابته لهما تنويه بما ادركوه من الفضل والشرف والسعادة بهذا الدعوات
فقد خصوا بهادون الامم فلهم منزلة هذا الاختصاص وقوله تعالى في ابراهيم
(ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) هو على العموم
في ذرية ابراهيم ولذلك ارجع الضمير اليه دون اسحق ويعقوب
وهو بمعنى قوله تعالى في سورة الصافات بعد ان اجري ذكر اسماعيل
وقصة رؤيا ابيه في ذبحه وبشارته باسحق جزاء على صبره ، على ذبح
بكره ، فقال (وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما) فان الضمير على
ما ذكرنا يرجع الى اسماعيل واسحق عليهما الصلاة والسلام وقد انحصرت
ذرية ابراهيم فيهما ، ويحتمل ان يكون الضمير في عليه يرجع الى
ابراهيم فيكون ذكر ذرية اسماعيل هنا ضمنا كما كان ذكر ذرية

اسحق ضمناً في آية سورة البقرة على قول مدعي العموم في
الذرية المسلمة والظاهر ما قلناه تماماً للنعمة على اسماعيل المأمور بذبجه
واسحق المبشر به جزاء لصبره، ومزيداً لشكره، وتوحيد الذرية في
سورة البقرة مع الاضافة الى ضميرها اغني ابراهيم واسماعيل مع وجود ذرية
يصلح اضافتها اليهما واخرى لاتضاف الا الى احد هما ومع التبويض
في الذرية في قوله (ومن ذريتنا) اي وبعض ذريتنا كل ذلك يدل على
ماقررناه من ان المراد بها ذريته من العرب وما سواها تكلف ويقويه ما سبق
والله اعلم باسرار كتابه، وما ذكر من التخصيص بجعل الله النبوة والكتاب
في ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو من آثار الاصطفاء الذي نصت
عليه آيته في آل عمران بقوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل
ابراهيم وآل عمران على العالمين) ودل على ذلك حديث الاصطفاء كما
ان بعثته صلى الله عليه وآله وسلم من العرب ثم من قريش ثم من بني
هاشم هو من آثار الاصطفاء والانتخاب والانتقاء المتكرر فيهم طبقت
بعد طبقة، وحالاً بعد حال، كما دل عليه الحديث وهكذا كانت الرسل انما تبعث
في انساب قومها، وفي ذلك حكمة اخرى وهو ان اكثر الناس يقصر عن درك
الحق بنفسه ويغلب على طباعه النظر الى القائل ومحلّه من الامة فهو
ابداً انما يعرف الحق بالرجال، فجعل الله رسوله من اعلا البشر محتداً
ونسباً وجعل نوابهم وورثتهم كذلك، لتقبل منهم العامة ولا تنفر عنهم

الخاصة لأن النفور عن منحطي الانساب غالب على اكثر الناس
ولتكون حجة الله اظهر وانور، فلا يكون لاعداء الرسل في ذلك شبهة
ولاما يتعلقون به اذا ارادوا الطعن فيهم والله يخلق ما يشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون

﴿ دليل على فضل النسب ﴾

اعلم ان اعظم النعم واتمها، واشملها واعمها، واجمعها لخيرات الدنيا والاخرة
هي بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهي النعمة العظمى، والمنة
الكبرى، والشرف التام في الدنيا والاخرى، وقد امتن الله بها في كتابه
العزيز فعظمها وفخمها وردد ذكرها، فقال عز من قائل كريم يسبح الله
ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم فذكر في
هذه الاية تسييح اهل السموات والارض له توطئه وتقدمه لذكر منته
العظمى، وتنبئها على انها من مظاهر قدسيته وطهارته، وعلو صفاته
وسعة ملكه، وتناهي عزته، وحكمته فلذلك وصف نفسه بالملك القدوس
اي الطاهر الذي اقتضت طهارته وعزته وحكمته ان يبعث مظهر
رحمته العظمى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لتطهير هذه الامة وتزكيتها
من ادران الكفر والشرك والفسوق والعصيان، فقال: (هو الذي بعث في
الامين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا

بهم وهو العزيز الحكيم فالاميون هم العرب والآخرون الذين لم يلحقوا
بهم هم التابعون لهم من ابناءهم وقال بعضهم ومن غيرهم على العموم
والقائل بانهم من العرب جرى على ظاهر الآية واذلك قال ابو حيان
في الحديث الوارد في نهم فارس لو فهم منه الحصر فيهم لا يجوز ان
تفسر به الآية ولكن فهم المفسرون انه تمثيل فقال مجاهد الروم والعجم
وقال مجاهد ايضا وعكرمة ومقاتل هم التابعون من ابناء العرب لقوله منهم
اي في النسب وقال مجاهد ايضا والضحاك وابن حيان طوائف من
الناس وقال ابن عمر اهل اليمن وعن مجاهد ايضا ابناء الاعاجم وعن
ابن زيد ايضا هم التابعون وعن الضحاك ايضا العجم وعن ابي روق
الصغار بعد الكبار وينبغي ان تحمل هذه الاقوال على التمثيل كما حملوا قول
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في فارس اه بتصرف وقول ابي حيان
لو فهم منه الحصر لا يجوز ان تفسر به الآية معناه ان الآية اعم من
ذلك وفي التعبير بشاعة ولذلك قال ولكن فهم المفسرون انه تمثيل
والتفسير بالتمثيل ورد كثيرا في السنة والاثار والظاهر رجوع
الضمير في منهم الى الاميين ودخول فارس وغيرهم من الاعاجم لا يقدر
في ذلك لانهم في معانهم ولانهم منهم بكونهم على دين واحد ومثل
هذا قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فانه عائد على الذرية
المتقدمة وهم العرب والرسول هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وقوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فعناه كما قال ابن جرير
« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يقول تعالى ذكره هذا الذي فعل تعالى ذكره
من بعثه في الاميين من العرب وفي آخرين منهم رسولا يتلو عليهم اياته
ويفعل سائر ما وصف فضل الله تفضل به على هولاء دون غيرهم يؤتيه من يشاء
يقول يوتي فضله ذلك من يشاء من خلقه لا يستحق الدم من حرمة الله اياه
لانه لم يمنعه حقا كان له قبله ولا ظلمه في صرفه عنه الى غيره ولكنه علم من
هو اهل له فاودعه اياه وجعله عنده» اه فالذي في هذه الآية امتنان من
الله على الاميين عامة من غير تقييد بوصف وهو نحو قوله تعالى لقد
جاءكم رسول من انفسكم، واما قوله تعالى في سورة آل عمران (لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم) فهو مقيد بوصف الايمان
فابتعث الله له صلى الله عليه وآله وسلم من الامة العربية وفيها من اعظم
النعم، واكبر المنن، واسمى الشرف، والذكر الجميل الحسن الذي لا تمحوه
الاجيال، ودل ذلك على مزيد عناية الله بهم حيث بعثه منهم بالنسب الاذني
والرحم القربية وفيهم بابتداء الدعوة فيهم اولاً وبالذات فقد خصوا في
في ذلك بجزية الاولوية وفازوا برتبة السبق، ومنهم كان المهاجرون
والانصار وبهم عبد الله حق عبادته، وان شاركهم غيرهم في النسب الابعد
من حيث الجنس، ولذلك خص الله قريشا بكونه ذكراً لهم على ما في
الروايات الصحيحة فقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسوف
تسئلون والذكر الحسن الجميل هو من لوازم الشرف والفضل، وهو مما

يرغب فيه الذين يحبون معالي الامور ويكرهون سفاسفها ولذلك قال ابوحيان « قيل وهذه الآية تدل على ان الانسان يرغب في الثناء الحسن الجميل ولو لم يكن مرغوبا فيه ما امتن به على رسوله فقال وانه لذكر لك وقومك وقال ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين والذكر الجميل قائم مقام الحياة بل هو افضل من الحياة لأن اثر الحياة لا يحصل الا من الحي واثر الذكر الجميل يحصل في كل مكان وزمان » اه اقول ومن هذا قوله تعالى ورفعتك ذكرك وقوله تعالى عقب ذكر الانبياء نوح وابراهيم وموسى وهرون وإلياس في سورة الصافات (وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين) الخ الايات فعن ابن عباس قال يذكر بخير وقال قتادة ابقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين، وروي عن السدي مثل ذلك زاد ابن زيد كما ترك اللسان السوء على فرعون واشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء اقول وهذا جزاء من الله لاهل الفضل ودعاة الحق على ما يلقونه من اعدائهم وحسادهم من التعيب والذم لهم وقد ذكر الامام الشافعي في خطبة الرسالة كونه صلى الله عليه وآله وسلم نعمة للخاصة والعامة وعنى بالخاصة قومه وبالعامة الناس وعبارته «وعرفنا خلقه (اي معاشر خلقه او خلق الله له صلى الله عليه وآله وسلم) نعمة للخاصة والعامة والنفع في الدين والدنيا به فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم وقال لتذرا ام القرى ومن حولها وام القرى مكة وفيها قومه وقال وانذر عشيرتک الاقربين وقال وانه لذكر لك ولقومك قال الشافعي اخبرنا سفيان بن عيينه عن ابن ابي نجيح في قوله وانه لذكر لك ولقومك قال يقال ممن الرجل فيقال من العرب فيقال من اي العرب فيقال من قریش

قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وما قال مجاهد من هذا بين في الآية مستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير فخص الله جل ثناؤه قومه وعشيرته الاقربين في النذارة وعم الخلق بعدهم ورفع بالقران ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخص قومه بالنذارة اذ بعثه فقال وانذر عشيرتك الاقربين وزعم بعض اهل العلم بالقران ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال يا بني عبد مناف ان الله بعثني ان انذر عشيرتي الاقربين واتم عشيرتي الاقربون « اهونقول ان رواية الشافعي اخرجها عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي بزيادة فيقال من اي قریش فيقال من بني هاشم وقد اشار الشافعي رضي الله عنه بقوله ورفع بالقران ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المعنى المراد من التفسير ولذلك اقتصر ابن جرير عليه وعبارته « وقوله وانه لذكرك ولقومك يقول تعالى ذكره وان هذا القران الذي اوحى اليك يا محمد الذي امرناك ان تستمسك به لشرف لك ولقومك من قریش وسوف تسئلون يقول وسوف يسألك ربك واياهم عما عملتم فيه وهل عملتم بما امركم ربكم فيه وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال حدثنا ابوصالح قال حدثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وانه لذكرك ولقومك يقول ان القران شرف لك حدثني عمرو بن مالك قال حدثنا سفيان « (فذكره بمثل رواية الشافعي) وروي عن السدي بمثل رواية علي بن ابي طلحة اقول ورواية علي بن ابي طلحة في التفسير من اقوى الروايات واصحها وعليها اعتمد البخاري في صحيحه واعتمدها ابو حاتم واثني عليها الامام احمد ثناء بليغا وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله تعالى في الكلام على آية والذين امنوا واتبعتمهم ذريتهم بايمان الآية ورواية الشافعي ورواية

ابن جرير من طريق سفيان الى آخر السند صحيحة أيضا قال
السيوطي نقلا عن الحافظ ابن حجر «فمن الثقات مجاهد وابن جبير ويروى
التفسير عنه من طريق ابن ابي نجيح ومجاهد رضي الله عنه والطريق الى ابن ابي
نجيح قوية» قال «ومن طريق معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن
ابن عباس وعلي صدوق ولم يلق ابن عباس لكنه انما حمل عن ثقات اصحابه فلذلك
كان البخاري وابو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة» اه وقد حمل
بعض المتأخرين الذكر على معنى التذكير والموعظة وهو صحيح
لغة وما ذكرناه صحيح لغة ورواية، والمعنى جامع لهما فان التخصيص
بالتذكير ومثله التخصيص بالندارة في قوله تعالى وانذر عشيرتاك الاقربين
من لآزمها الشرف والذكر الحسن، لانها دليل مزيد العناية الالهية
فلا يخرج كلا المعنيين عن ان يكون لازما او ملزوماً، والذي حمل اهل
الصدر الاول على تفسير الذكر بالشرف انه قد جاء في القرآن نحوه في
قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك بالاضافة الخاصة هنا وما جاء من وصف
القرآن بالذكر فعلى العموم، ويقوي القول بان المراد بالذكر في هذا الآية
الشرف تخصيصه به صلى الله عليه وآله وسلم في قوله وانه لذكر لك
وعطف القوم عليه بقوله ولقومك والمقصود ان ما ذكرناه من
انه صلى الله عليه وآله وسلم نعمة خاصة وعامة على الاميين وهم العرب
ثم من لحق بهم من شعوب العجم، ومنة عظيمة خاصة على خاصة قومه
من قريش ثم من بني هاشم وما يلزم ذلك من كونها دليل العناية الالهية
والتخصيص بالفضل انما جاء من قبل النسب، فالنسب زمام هذا النعمة

ومجرى التخصيص بها وقد دل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين على مالذوي قرياه وذوي نسبه من الاولوية وضرية التخصيص على غيرهم بالانذار وهو النعمة العظيمة واذا كانت بعثته صلى الله عليه وآله وسلم في العرب والاميين نعمة كبرى، وكان انذاره نعمة اخرى، كان التمييز والتخصيص بها فيه من معاني الفضل العظيم مافيه، واي تفضيل اعظم من تخصيصهم بالذكر الخاص، عناية بهم وتنويهاً بالحق العظيم الذي اوجبه قرابتهم منه صلى الله عليه وآله وسلم، وميزه التحامهم به، وما يقتضيه اتعام النعمة عليه صلى الله عليه وآله وسلم باتعام النعمة عليهم، وان يكونوا اوفر الناس حظاً من هذه الهداية رعاية لمكاتبهم منه في الآية من معاني الشرف ومطالع الفضل ودلائل الكرامة مايبقى على الدهر منشوراً، ويجل في الصحف متلوا ومذكوراً، وليس في الآية ولا في التخصيص بالندارة غضاضة من ذوي نسبه، كما يفهمه ذو الفهم القاصر، والذهن الفاتر، بل فيها غاية التنويه بهم، والعناية بمحلهم، واولوية حقهم واسبقية صلتهم، وان مكاتبهم منه ينبغي ان تراعى وتخص بمزيد اهتمام وتقديم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

﴿ خصوصية من خصائص النسب ﴾

ان الله خلق الانسان اجتماعيا مدنيا، قاصراً بنفسه كاملاً بغيره، لا يصلح شأنه ولا يتم امره ولا تستتب له اسباب الحياة ولا يتوفر له هناء المعيشة

الا بالاجتماع، فهو وحده لاشي، وهو مع بقية جنسه كل شيء، وقد خلقه الله على طبيعة ينساق بها الى استجلاب النافع ودفع الضار. ولكن الفطر والموائد تتفاوت في تحديد ذلك، ووراء ذلك اختلاف الرغائب، وبواعث الشهوات، ومنازع الاهواء، واختلاف الآراء، وكل ذلك مدعاة للبغي ومجاوزة الحدود، وهو اصل الضلال ومبدأ العدوان. فكان من تمام رحمة الله وحكمته الخاصة بهذا النوع ان امدا بهداية اخرى عظيمة النفع له مقومة لما اعوج من الفطرة ومرشدة لما خفي على العقل وهي هداية الأنبياء فلم يزل الله عزوجل يمدده بالراشدين من انبيائه ورسله كما قال تعالى (ثم ارسلنا رسلنا تترى) وقال (وان من امة الا اخلافيها نذير) وقال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) تيمنا منه للهداية، واقامة للحجة وقطعا للسان العذر، وكان من طبائع البشر استحسان العادة والرجوع الى التقليد، والاستمسك بالقديم، واللزوق بما ورثوه عن الآباء، مع التعصب لما الفوا، والدفاع عما اعتادوا، والمحاماة عنه، والقتال دونه. وان كان فيه هلاك العاجلة وعذاب الآجلة وعار الدهر، وضياح العمر، فلا يسمعون لداعي الحق ولا يتوجهون اليه، ولا ينتظرون به الايام بل يعاجلونه بالبطش ويسرعون اليه بالبغي قد غشي قلوبهم من محبة مازين لهم وكرهة ما فوجئوا به حجب كشيئه تحجب عنهم رؤية الحق وتعميهم، وتصممهم عن سماعه وتصميمهم، فالذي

يحاول اخراجهم عما هم فيه يعدونه غاصباً لحقوقهم، معتديا عليهم، عدوا لهم
يحاول سلبهم واضلالهم، فهو في نظرهم من اعظم الناس جرماً، واحقهم
بانزال السطوة به، والتعدي على نفسه وعرضه، كما قال الله تعالى حاكياً
عن قوم شعيب (قالوا اما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا
رهطك لرجناك وما انت علينا بمنزلة) فلم يمنعهم عن رجمه، الامخافة
قومه، فلو كان من سنته تعالى ان يبعث الانبياء والمرسلين حيث
لا منعة تمنعهم، ولا غصية تحذب دونهم، لهجم البغاة ومحبي العدوان على
الرسول منهم في اول دعوته، وعضوان بعثته، وبدء ارشادها، فلم تقم
برسول حجة، ولم تتم له دعوة، كما قال تعالى وهمت كل امة برسولهم
ليأخذوه ولكن الله اعلم بطبائع عبادها، وما تتم به اسباب حجته وتبليغ نذره،
وَأَمَنَةٌ رِساله، فلم يبعث نبيا الا في منعة من قومه كما ورد في الصحيح
بعض قومه او بمنعة اهية كما قال الله لموسى عليه الصلاة والسلام (ونجعل لكما
سلطان فلا يصولن اليكما) وفي حديث آخر وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها قال الله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام قال لو ان لي بكم قوة او آوي
الى ركن شديد، قال المفسرون في الركن الشديد انه العشيرة اخرج
ابو الشيخ عن علي رضي الله عنه انه خطب فقال عشيرة الرجل خير
من الرجل لعشيرته انه ان كف يدا عنهم كف يداً واحدة وكفوا عنه ايديا
كثيرة مع مودتهم وحفاظتهم ونصرتهم حتى لربما غضب الرجل
للرجل وما يعرفه الابحسبه، وسأتلو عليكم بذلك آيات من كتاب الله فتلا

هذه الآية (لوان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد) والركن الشديد
العشيرة فلم يكن للوط عليه السلام عشيرة فوالذي لاله غيره ما بعث
الله نبيا بعد لوط الا في ثروة من قومه وهذا محمول على الامم التي تعتمد
النسب كالعرب وقد روي هذا التفسير عن ابن عباس وابن جريج وقتادة
وروي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله او آوي
الى ركن شديد قال رحم الله لوطا كان يا آوي الى ركن شديد يعنى الله
تعالى فما بعث الله بعدة نبيا الا في ثروة من قومه اخرج البخاري في
الادب المفرد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم
وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه من طريق ابي سلمة عن
ابي هريرة رضى الله عنه ومن هذا الحديث تعلم انه كان من سنة الله
جل وعلا بعد لوط عليه الصلاة والسلام في المرسلين ان يبعثهم في انساب
قومهم وموضع العز والعدد ومكان المنعة والقوة ، ليحدثوا دنونه ويمنعوه
عمن ارادوا بسوء حتى تقوم به الحجة ، وتنتهى به الكلمة ويستعزبه الاتباع
وتبلغ به الدعوة مقطع الحجة وغاية الاعذار ، فهذه خصوصية عظيمة
لولم يكن في النسب سواها لكفت ، فهي سياج النبوة وعصمة اولى الرسالة
عن ايدي الظلمة واولى الجهالة ، ودرعهم الحصين الواقي باذن الله من شبة
اولى الدعارة والاف العادة واتباع التقليد ورعاع الفتنة ولولاها لاسكتوا
صوت الداعي قبل البلاغ ، فهي فضيلة لا تقاس بها فضيلة الاعدلتها الى ما

للنسب من فضائل وخصائص لا تجهل فالذين يطلقون القول في ذم
الانساب ووضع محلها، وانكار فضلها، قد استولت عليهم غفلة حجبتهم
عن استشفاف حكمة الله فيها فعصية النسب هي البذرة بل المركز
الذي يدور عليه محور التبليغ عن الله، حتى يجمع الله شأن المستجيبين
لرسول فتعود العصية دينية وهي جامعة اوسع من عصية النسب لانها
تضم العصائب، وتجمع اليها الاباء و الاقارب، ولكن لفضيله
النسب حق التأسيس وفضيلة السبق في هذا النفع العظيم، واذا نظرت
إلى بعثته صلى الله عليه وآله وسلم وكشفت عن المنعة التي بعث فيها
وحدثت دونه رأيت تاج هذه المكرمة، واكليل هذه المزية المعلمة، لم
يعقدا الا على راس مفاخر آل هاشم، فانهم هم عصبة وبيته وعشيرته الذين
حاموا دونه، وذاذوا عن حوضه وحدثوا بالنفس والنفيس عليه، وقد اعانهم
وشاركهم في ذلك اخوانهم من بني المطلب، فمن الذي تحمل في شأنه
صلى الله عليه وآله وسلم شظف العيش، وعداوة قريش، وشدة البؤس
والحيف، وبأساء الحصر في الحيف، وامتاز بذلك دون الناس ثلاثة عشر
سنة لم يشاركه في ذلك غيره حتى اذن الله لرسوله صلى الله عليه
وآله وسلم في الهجرة وجاء نفس الرحمن من قبل اليمن، انك إن طلبت
ذلك لم تجد سوى عشيرته صلى الله عليه وآله وسلم ولا غرو فهذا قليل
من كثير من الخصائص التي خص الله بها هذا البيت الكريم، وفي ذلك

لهم شرف عظيم، ومنقبة فضيمة، وخصوصية دون العباد في مشارق الارض
ومغاربها، واختيار من الله لهم دونهم، حتى يقوموا بحق المنعة التي كانت
سياجاً اعدها الله لبعثته صلى الله عليه وآله وسلم والله اعلم حيث يجعل رسالاته
﴿ دليل آخر واستطراد الى الكلام مع ابن خلدون رحمه الله تعالى ﴾
النسب لجمعة متينة، ووصلة مكينة، ووشيجة تخالط الاحناء، ووليجة
يخضع لتأثيرها البعيد والادنى، اعراق بمنزلة العروق التي يمتد منها
جوهر الحياة، واسباب هي من اوثق اسباب النصر والموالة، امر
مركز في الفطر السليمة تعظيمه، ومبنى مغروس في الجبال احترامه
وتكريمه، وما ظنك برابطة هي من اعظم الروابط، واحكم الضوابط،
يقوم بها معنك، في شخص سواك، فتنظر اليه كأنك ناظر نفسك،
ومشاهد ذاتك، وما اباؤك الا الكل الذي عنه انفصلت، والمبتدأ الذي
منه بدأت، وما شقيقك الا شق منك، وما عشيرتك الا اجزاء من كل
انت بعضه، فان ضيم احد منهم امضت لك فحة الضيم، وان ليم بلغ
منك ذلك اللوم، ووجدت له غضاضة، ونالتك منه حزازة، وان
أكرم احسست انك بالكرامة مقصود، وخلت ان شرفها عليك
رواق ممدود، وان فضل او نقص ثبت ميسمه عليك، وان وجه اليه
مدح او قدح رأيت كأن الخطاب موجه اليك، النسب ركن من
الاركان التي بنيت منه الامم، وتألفت به العشائر، وقامت به البيوت،

وانظر كيف يحكم للأمة بالفضل باعتبار مجموعها ، وما تفرق في بيوتها
وافرادها ، كما يحكم للنسب الخاص بالفضل باعتبار الاغلب من اصوله
وفصوله ، وان الأمة لتخاطب في الامور مخاطبة الفرد باعتبارها هيئة
واحدة متحدة متواشجة متضامنة متكافئة كل فرد منها بمنزلة عضو من جسد
واحد كما ان ذوي النسب الواحد يخاطبون في الامور مخاطبة الفرد
باعتبار تشعب بعضهم من بعض ، واتصاهم بمرق واصل واحد
ومن هنا يظهر لك عموم مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم انا اهل
البيت لا تحل لنا الصدقة أو انا آل محمد كما في رواية اخرى لمن كان
في زمنه منهم ولمن بعده لانهم يسمون اهل بيته وآله ولو طال
الايام وانفسح الدهر وكذلك تقول في كل ما ورد بهذا العنوان واعتبر
ذلك بسنة القرآن في مخاطبة الشعوب والامم ، وانظر كيف خاطب الله
فيه بني اسرائيل الموجودين منهم زمن البعثة بما فعله مع سلفهم فذكرهم
أنهم انعم عليهم وفضلهم وانجاهم من آل فرعون وانزل عليهم المن والسلوى
ورزقهم من الطيبات وظلل عليهم الغمام الى غير ذلك مما هو مذكور
في سورة البقرة وغيرها يخاطبهم بذلك كأنهم هم المفعول بهم ذلك ثم
ثنى فذكر مخالفتهم ومجاهدتهم فقرعهم وانبهم كأنهم هم الذين فعلوا ذلك
وما فعله الاسلافهم لكن لما كان ذوو النسب الواحد كالشخص الواحد
والخلف نسخة السلف وكأنهم اغصان حلت محل ما اندثر من الشجرة

حتى كأنه هو، وكان العرف يثبت للخلف ما اثبتته للسلف من المدح والقدح والفضل والشرف والنقص والضعفة خوطبوا على تقرر من ذلك وانظر الى قول الله تبارك وتعالى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين) فقد خاطبهم عز وجل خطاب مواجهة بانه انعم عليهم والنعمة قد يكون المراد بها النبوة والكتاب والملك وقد يكون المراد بها اعم من ذلك وحذف المتعلق يدل على ذلك وعلى كل فالنبوة من النعم وما كانت الا في بعضهم قال الله (اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واثامكم ما لم يؤت احدا من العالمين) فقال فيكم انبياء ولكنها نعمة عليهم باعتبار ما ينالهم من الهدى وما ينالهم من الشرف كما اعتبرت كذلك بالنسبة الى هؤلاء المخاطبين وانظر مع ذلك كيف خاطبهم بالترفضيل فقال واني فضلتكم على العالمين فواجههم بمخاطب التفضيل ولئن حملناه على المجاز وتركنا الحقيقة فانه لا يصح المجاز الامع علاقتا فاهي هذه العلاقة التي اعتبرها رب العالمين هذا الاعتبار حتى اقام الفرع مقام الاصل في هذه الامور العظام تعديد النعم وايجاب التفضيل والمطالبة بالشكر واللوم بما فعل الآباء يقول لهم (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك) (واذ قلتم يا موسى لن نصبر) (واذ قلتم نفسا) (فلم قتلتموهم) يخاطبهم بذلك ومعلوم انهم لم يقولوا ذلك وانما قاله اسلافهم ولم يكن القتل الا من بعضهم ولكنهم نسخة آبائهم ، فرع ناب مناب

اصله واخذ موضعه من الوجود فثبت له ما ثبت لاصله من مناقب ومثالب ، وصحة المواخذة بالموالاة والمحبة ، فههنا نسبة ومواخذة وهذا يدلنا على ان الاضافة النسبية امر حق معتبر شرعا وعرفا ، شرعا لما ذكرنا من خطاب الله لهم بما ذكر وكالحكم بالاسلام وضده للدرية وعرفا لان ذلك لو لم يكن معروفا عند الناس لم يجز الخطاب على ذلك لأن خطاب الناس انما يجرى على ما يعرفون ، وبذلك تعلم ان قول ابن خلدون في النسب انه امر وهمي لاحقيقة له لا يصح أفليس اكبر مفسد الزنا اختلاط الانساب ؟ وقد تسامح في هذا الاطلاق فافرط ولو تأمل لفقه اكثر مما قلنا ولكن شغف من النسب بخاصته واحدة من خواصه وهي العصبية ففعل عما سواها ، وقد عظمت في عينه هذه الخصلة حتى كاد يجعلها الكل في الكل ولم ينظر اليها من حيث تفاوت منابت الشعوب وغرائز الامم ومالها من الآثار وما يغلب عليها من الطباع بالوراثة ، وان كان قد ذكر نوعا آخر من حيث تأثير العادة والبيئة وقد خالفه علماء الاجتماع الآن فجعلوا الوراثة لما كان عليه الاباء من صحة ومرض وذكاء وحمق وغير ذلك من اكبر المؤثرات في الاخلاق والصفات والطباع ولما عاد ابن خلدون الى ذكر الفتن واراد ان يبني الاعتبارات عنها على مسألة العصبية وقع في مناقضات تدرك بالتأمل ولو كانت العصبية حقا كما زعم وانه ينبغي مراعاتها في الخلافة

لراعاها الصحابة في خلافة ابي بكر وعمر رضی الله عنهما لانتها لیساً
من بني عبد مناف الذين يزعم ابن خلدون ان العصبية كانت
فيهم والذي يستقرأ من الحوادث ان اكثر الصحابة كانوا يرونها حق القريش
عامة ويشترطون مع ذلك شرط السبق الى الاسلام والهجرة كما روي عن
عمر رضی الله عنه انه قال : ليس لطيق ولا لابن طليق فيها شيء وانهم
لم يعتبروا العصبية اصلاً واعتبر ذلك بجعل الشورى في ستة منهم
فهل كانت العصبية لجميع قبائلهم ؟ على ان الشرع قد نهى عن الدعوة
اليها وطالب العصبيات كلها بتوجيهها الى المحافظة على الدين بأن
تتحد وتوجه قواها كلها الى ما ذكر، اما الجري على عاداتها في الجاهلية من
التعصب للقبيل والسعي وراء منافع الذاتية الخاصة فقد نهى عنه الشرع
اشد النهي كما في الاحاديث المشهورة من ذم العصبية وذم الدعوة اليها
وقد حفظ التاريخ من مطالبة الصحابة وغيرهم بالشورى والتأسف على
فقدتها ما تفرغ عنه ثنایاه، وتنكشف عنه خباياه، لانه لا شورى مع العصبية
ولكن معها الاستبداد المحض على بقية العصبيات واستتباعها كما فعل ذلك
بنو امية فتلا قفوها تلاقف الكرة فغلبوا الامة واستعبدوها وقتلوا خيارها
ورفعوا شرارها فاعتبر هذا بحق وتأمله تجد لاواضحاً وتأمل قوله « ان النسب امر
وهي لاحقيقة له » مع اثباته الشرف والحسب له ومع قوله « ليس يوجد لاحد
من اهل الخليفة شرف متصل في آبائه من لدن آدم اليه الا ما كان من ذلك
للنبي صلى الله عليه واله وسلم كرامة وحيطة على السرفيين » اه وكيف يكون

الشرف بامر وهمي ويعد مع ذلك من فضائله صلى الله عليه وآله وسلم ومعلوم ان الشرف والحسب هو غير العصبية فما معنى ذلك مع قوله إنه لا فائدة للنسب الا العصبية وكيف يكون النسب امراً وهمياً لاحقيقة له وقد اثبتت عليه امور وجودية واحكام شرعية أينبني الوجودي والشرعي على وهمي؟ كلا، وفي النسب امور غيرها لا يجوز اغفالها كالتولد والبعضية والكلية والتوارث الخلقى والخلقى وغير ذلك مما يمتنع معه ان يكون النسب امراً وهمياً لاحقيقة له، واذا كان كذلك فلم جعله الله مجرى لحكمة التعارف ولم اثبت له الشرف والحسب والعصبية وبنيت عليه احكام شرعية وبالجملة فقول هذا القائل لم يسلك فيه مسلك الاستدلال الشرعي، والا فكيف يكون الامر الذي قام عليه بناء المجتمع الانساني وبه امتازت الشعوب والامم واعتبرته الشرائع وهمياً، وقد قال الله تعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) ومعلوم ان الشعب ما كانت شعبا الا بالنسب الذي يجمعه، ولا كانت القبيلة قبيلة الا بالنسب الذي جمعها واحكم وشائجها، فقوم الشعوب والقبائل هو النسب وتعارفهم كان به، فعلى قول هذا القائل ما قامت الشعوب والقبائل ولا تعارفت الا بالاوهام وقد اخبرنا الله انه جعل الناس كذلك فيكون هذا الجعل ما صدر عنه الا امر وهمي مع ان الجعل ايجاد لذات او صفة وقد قال تعالى (لتعارفوا

فذكر ان حكمة ذلك الجمل التعارف، والتعارف غير العصبية وهي
أمر زائد عليه . فكيف يقال انه لا فائدة له الا العصبية مع ان هذه فائدة
اخرى بل ما بنيت العصبية الا عليها، بل العصبية الخارجة عن حدودها
المطلوبة قد حولت حكمة النسب الذي هو التعارف الى تناكر، وهي
اصل البلاء بين الامم وحولت الشورى الاسلامية الى تغلب واستبداد
حتى نزي على امر الامة مروان واجراء مروان وايضا فان الشرع قد اعتبر
النسب في ابواب كثيرة كباب الايمان وباب الامامة الكبرى والامامة الصغرى
وباب الزكاة وباب الاولياء والكفاءة في ولاية النكاح وغيره والارث والوصية
والوقف والنفقات والعققة والاضاحي وقسمة الفيء والغنيمة والاسترقاق وفي
القصاص والعاقلة والشهادة والوكالة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وابواب
الاداب الشرعية بل وامر الندارة والدعوة النبوية فان الله يقول (وانذر
عشيرتك الاقربين) خصهم بالندارة زيادة في العناية بهم لكانهم منه صلى
الله عليه وآله وسلم وفي ذلك مزيد فضل لهم كما مر شرح ذلك فان
كان امراً وهمياً كما تقولون فيا حبذا هذا الامر الوهمي الذي يعتبره
الشرع هذا الاعتبار، ويحله هذا المحل الجليل، وبالجملة فلا يصح كلام ابن
خلدون الا بتأويل فظاهره باطل بلاشك ومن ذلك انه جعل العلة التي
حملت الشارع على جعل الائمة من قریش كون العصبية كانت لهم في
العرب وليس كما قال وانما شغف بخاصة العصبية من خواص النسب وا طرح
ماسواها وارام ان يجعل جسرا للاعتذار فما افلح ولا انجح والحق ان العلة في

ذلك دينية نسبية فقط ونعني بذلك ما خصوا به من شرف القرب منه صلى الله عليه وآله وسلم وكرامة المنبت وما يقتضيه ذلك من تعظيم الامة لهم ولم يأت هذا الدين خاصا بالعرب وعصبيتهم فتقوم شئونه وخلافته بهم مادامت عصية قريش فاذا انحلتا فلا دين ولا امام، هيهات ان العصية كما يقول هو كآين فاسد توجد وتتوثق معاقدتها ثم تنحل فتندم وما كان الشارع وهو الحكيم العليم لبني قاعدة تعد من اقوى قواعد الدين وهي الامامة على مثل ذلك ولو كان الذي جاء به سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ديننا خاصا بالعرب كما ان اليهودية خاصة ببني اسرائيل لكان كلامنا صوابا، ولكن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ارسله الله ليكون للعالمين نذيرا، والوجود مملوء بالشعوب والقبائل والعصائب، ومن المعلوم ان كل قبيلة تونس من نفسها القوة والمنعة تتناول الى ادراك هذا الامر، وتحاول ان تستتبع غيرها وذلك اصل الفتن. وما قامت الفتن في الاسلام الا عند ما تحول الامر عصية فالعصية شرمحض وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعوها فانها منتنة ولكن بني امية ما تركوها وانتزواها على الامة بالسيف فغلبوها فان الاسلام قد جاء باخوة عامة تم سائر الشعوب على اختلاف اجناسهم، فلا بد لهم من وازع وحافظ، وذلك هو الامام فلو ترك الامر هملا لا دى ان يتسامى اليه كل من آنس ان له قوة واجتمعت له عصية ولا دى ذلك الى تنازع العصائب واقتتالها وذلك هو الامر الذي

ما جاء الاسلام الا لزالته واكثر الاقتتال بين شعوب البشر واجناس الامم على الملك افلا يكون من محاسن الدين الاسلامي ان يضع للاخذين به امرا يحسم مادة الشرور ويطفى نيران التنازع عليه بلى وهو الدين التام، الذي جاء بالاصلاح العام، فكان من الحكمة ان ينص على ان الائمة من قريش لانهم قبيلة نبي هذا الدين الذي يعترف بشرفهم وقربهم وفضلهم وآثارهم كل من آمن به، ولما لهم من الفضائل الدينية التي ليست لغيرهم والتي يجتمع اهل الدين على الاقرار بها ولما خصوا به من طيب المنبت وكرم المعدن والشرف العظيم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقرع بذلك رؤس المتطاولين الى الملك والتنازع عليه، وقريش شعب ليس بالقليل لا يعدم فيهم مضطلع بهذا الامر، ولو كان الشارع انما جعل الائمة من قريش لما لهم من العصبية لجعلها في القبيلة التي زعم ابن خلدون ان العصبية ما كانت الا لها على قريش ثم على مضروهم بنو امية على مازعم، ولما بويج ابوبكر ولا عمر رضي الله عنهما ولما رشح عمر رضي الله عنه في كلامه المشهور عند وفاته عددا منهم من اكثر قبائلهم فهل يقول بانهم ما عرفوا الحكمة فلذلك جعلوها في غير نصابها من العصبية ام كان النص غير تام البيان ام لم يفهموه؟! هذا كله اذا كان الامر شورى بين المسلمين على اجتماع منهم فاذا خرج الامر عن ذلك فلا كلام لنا فيه فانها

تغلب وملك لا امامة وهذا البحث طويل لا يمكننا في هذه العجالة ان نزيد على ذكرنا ولا يزال كثير من الشعوب المتمدنة تحصر الملك في بيوت معروفة ولهذا سر يعرفه من عرف ان هبة بيوت الملك انها ترسخ على طول الزمان وفي تحول الملك من بيت الى آخر سقوط هيئته وفتح باب الاطماع للطوائف التي تسمو اليه وايضا فلودخل في الاسلام شعب آخر ذوقوة واستتبع هذه الامة بقوته لحيف منه ان يتعصب لجنسه فيسمى الى حل مقومات هذا الدين ليدغم الامة في جنسه ويدعم بها ملكه ولاشك ان اللغة من اعظم مقومات هذا الدين ومميزاته وهي له كالسياج والعربية لغة العرب ثم قريش وهي لغة الدين فمن الحكمة ان لا يجعل امام هذا الدين الامن يحافظ على لغته طبعاً وشرعاً لانها لغة القرآن الذي هو معجزة هذا الدين ومستمد احكامه وحدوده وشرائعه وهي لغة عباداته ايضاً، ولا يفلح عرب ملوكها عجم، وكلامنا هذا كله فيما اذا توفرت الأسباب وساعدت الامور والا فللضرورات احكام تخص بها، ومما اخطأ فيه ما قاله ان العصبية في قريش والعرب اجمع كانت لبني امية مع قوله انها حق فانظر كيف جهل هذا الحق المهاجرون الاولون واهل بدر واحد وبيعة الرضوان والحق أن اجماعهم على ترك العمل به هو الحجة على بطلانه وايضاً قوله ان العصبية لقريش على العرب ان اراد ان ذلك كان لهم قبل الاسلام فهو غير مسلم وقد اجتمعت قبائل الاسلام تحت راية غيرهم ورياسته وأين

ذهبت عنه قبائل اليمن وربيعة وبين مضر ما هو معروف ومتى
دخلوا في الجاهلية تحت راية قريش دع بني امية فلما ذاقوا انهم كانوا
مستبعبين لهم بالعصية، هذا الخيال الذي لاحقيقة له، نعم كانت العرب
تحترم قريشا لانهم سدنة البيت ولما ظهر لهم من عناية الله بهم في
قصة اصحاب الفيل فكانوا يسمونهم اهل الله ولكن ذلك لم يوجب لهم
استتباعا حتى ظهر الدين وبعث خاتم النبيين وقد علم الناس كيف
ظهر ومن اين بدأ ومن ناصبه وكابره، ومن ظاهره ووازره، وانما الدوران
رحى الاسلام اسباب آخر طيها خير من نشرها، ومن كان ذافطنة ورزق
اطلاعا وخبرة فلا بد ان يعرف الحق في ذلك، وبالجملة فأم المصائب
ترك الشورى واقتطاع الامر دون فضلاء الامة وما سوى ذلك فتوابع
ليست المحرك الاعظم ولا العامل الاكبر تلك امة قد دخلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعلمون، فلنرجع الى ما نحن بصدد
فقول وقد اشار المفسرون في الآيات السابقة الى شيء مما ذكرنا قال ابن
جرير ويعنى بقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين اني فضلت اسلافكم فنسب
نعمته على آباءهم واسلافهم الى انها نعمة منه عليهم اذ كانت مآثر الآباء
مآثر للابناء والنعم عند الآباء نعم عند الابناء لكون الابناء من الآباء وقال
النيسابوري والنعمة على الآباء نعمت على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم
ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة

في حق الاولاد لانهم اذا علموا ان آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجود رغبوا في هذه الطريقة، لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن اشبه اباه فما ظلم وقال ابو حيان وفي قوله يابني اسرائيل دليل على ان من اتقى الى شخص ولو بوسائط كثيرة يطلق عليه انه ابنه وعليه يابني آدم ويسمى ذلك ابا قال تعالى ملة ابيكم وفي اضافتهم الى اسرائيل تشرىف لهم بذكر نسبتهم لهذا الاصل الطيب وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن قال وهذه النعم وان كانت نعماً على آباءهم فهي ايضاً نعم عليهم، لأن هذه النعم حصل بها النسل ولان الانتساب الى آباء شرفوا بنعم تعظيم في حق الاولاد اه وقال الرازي فان قيل هذه النعم ما كانت على المخاطبين بل كانت على آباءهم فكيف تكون نعماً عليهم وسبباً لعظم معصيتهم والجواب من وجوه (احدها) لولا هذه النعم على آباءهم لما بقوا وما كان يحصل هذا النسل فصارت النعم على الآباء كأنها على الابناء (وثانيها) ان الانتساب الى آباء قد خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد (وثالثها) متى سمعوا ان الله تعالى خص آباءهم بهذه النعم لمكان طاعتهم واعراضهم عن الكفر والجود رغب الولد في هذه الطريقة لان الولد مجبول على التشبه بالاب في افعال الخير فيصير هذا التذكير داعياً الى الاشتغال بالخيرات والاعراض عن الشر اه فمعنى كلام ابن

جزير انى انعمت عليكم وفضلتكم بانعامي على آباءكم وتفضيلي لهم لانكم
بعض منهم اومسيبون عنهم ففيه اثبات الانعام والتفضيل الذى كان
للاباء لابنائهم لانهم بسبب منهم واما النيسابورى وابو حيان والرازي
فقد اشاروا الى تاويل آخر وهو ان النعم سبب لبقاء الآباء بدفع
الذبح عنهم والمظالم التي تودي الى انقطاع نسلهم وبقاء الآباء سبب
لحصول النسل وبقائه فالواسطة في الاثبات هو السببية واثاروا
ايضا الى معنى آخر وهو انه لما كان الانتساب الى آباء انعم الله عليهم
يورث الشرف كما قال الخازن وغيره وهو ايضا نعمة عظيمة
كما قال النيسابورى والرازي وتعظيم في حق الأولاد كما قال ابو حيان
جعل اثر النعمة كالنعمة وهذا تجوز في المثبت ويحتمل ان يكون كلامهم
بيان لوجه الملاسة فيكون مجازا في الاثبات ويعود الى ان ذلك من
لوازم الانتساب لانه قال ولأن الانتساب الى آباء شرفوا بنعم تعظيم
في حق الاولاد وذلك ان التعظيم من لوازم الفضل كما قاله ابن حزم
واشار الرازي والنيسابورى ايضا الى تاويل غير ما تقدم وهو ان النعم والفضل
الذى حصل للآباء كان سببا للتذكير به والتذكير به سببا لعلم الابناء
بأن ما وصل اليه آباؤهم او وصل اليهم كان بسبب لزوم الطاعة
فيكون ذلك سببا لتهييج الابناء واهاب همهم وإثارة عزائمهم فاسند
ذلك اليهم لهذا المعنى وقد جعل بعضهم ذلك كله من مجاز الحذف

على القول بانه مجاز على حد قول امرئ القيس

فان تقتلونا نقتلكم ❁ وان تقصدوا الدم نقصد

قالوا فان معناه فان قتلتهم بعضنا نقتلكم اذ لا يتصور ان يقتلوهم بعد استيعاب جميعهم بالقتل ومن استقر أهذه الآيات وقابلها بما ذكر ولا رأى انه لا يمكن

اجراء ذلك في كل موضع فما اشرنا اليه اول المقالة هو اوسع التاويلات في

مثل هذا الموضع واشملها، واقوى الملايسات واكملها، وباللله التوفيق

❁ كلام في النسب وبعض احكامه ❁

أعلم ان الكفر قد قطع كل صلة بين الكافر والمؤمن فهو قاطع

الوصلات والعلائق وسالب النسب ثم انه شرعا الا ما استثني وذلك انه حسم

مواد النصرة والموالات والموادة والارث والنفق الاخروي من الصدقة عند

والاستغفار والشفاعة له لقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم

واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان) وقوله تعالى (لا تجد قوماً

يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم

او ابنائهم او اخوانهم او عشيرتهم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا

عدوى وعدوكم اولياء) وقال لقد (ص) ان لكم اسوة حسنة في ابراهيم

والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله

كفرنا بكم وبداء بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدأ حتى تؤمنوا بالله

وحده) وقال تعالى (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) وقال تعالى (ما كان

للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ، واذا ثبت هذا للكفر فلا بد ان يثبت للايمان ضدلا ، فالايان قد ايد ووثق وقوى واحكم بين المؤمنين الاجنبيين بعض هذه الوصلات وبين المؤمنين القريين هذه الوصلات كلها فاثبت بينهما المودة والصلة والموالاتة والنصرة والميراث والنفع الاخروي والصدقة والاستغفار والشفاعة له والحاق القريب بدرجة قريبه ، ومهما وجد الايمان ثبت له هذا كله وفي الاخير كلام سيأتي ان شاء الله تعالى ولا يمنع ثبوته التقصير والمعصية فانا نصلي على الاموات من المؤمنين ونستغفر لهم في صلاتنا وتنصدق عنهم ونحج عنهم ونرجو لهم العفو والتجاوز ونطمع لهم في الشفاعة مع ما هم عليه من التقصير وانما شرع الاستغفار والدعاء والصدقة عن المقصرين بالاولى كما انه لا يئأس مؤمن ان تناله شفاعته نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مهما وجد الايمان وكما ان التقصير لم يقطع الصلة بينه وبين نبيه فلا يزال يعد من امته ثابتة له صلة التبعية به وان كان مقصرا وان كانت صلة اقوى من صلة ، فكذلك شأن المؤمن مع قريبه المؤمن كما قال الله تعالى (والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقناهم ذريتهم) وقال تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وسيأتي ايراد ما روي في معنى صلح وما المراد بالصلاح هنا وقال تعالى واولو الارحام

بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) فدل على ان
الايان وثق تلك الصلاة النسبية واكدها وانه يرجى للقريب المؤمن
بسبب قرينه ما لا يرجي لغيره لمكان الرحم والقربا كما سيأتي بسط
ذلك، واذا كان الكفر هو قاطع الاسباب والوصلات فالايان مؤيدها
ومؤكدتها وهذا قياس عكس من احسن القياسات واوضحها فقد ثبت
حكم الانقطاع بينهما لثبوت علته وهو الكفر، وانتفى الحكم لانتفاء العلة
فيثبت ضده لثبوت علته، وقول الله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم
يوم القيمة يفصل بينكم انما ورد في تلك الارحام التي قطعها الكفر
واختلاف الدين، اما الارحام المؤمنة فقد علمت ما جاء في الكتاب والسنة
في جمع الله شمل اهلها واتمام نعمته عليهم وهذا كله من تغليب جانب
الرحمة على جانب الغضب، وقد منع الله المادة والموالة والبرمع الكفر
المقارن للمحاربة والمحادثة لله تعالى زيادة في العلظة والشدة عليهم فاذا انتفت
المحادثة والمحاربة جاز البر والاقساط اليهم قال الله تعالى (لا ينهاكم الله عن
الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا
اليهم ان الله يحب المقسطين، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
واخرجوكم من دياركم ان تولوهم ومن يتوهم فاولئك هم الظالمون)، فاذا
ارتفع الكفر ارتفعت الأحكام التي علقته به جملة قال تعالى (فان تابوا واقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) والوصلات النسبية والصهرية

بين الناس على اربعة اقسام ووصلة كافر بكافر ووصلة كافر بمؤمن
ووصلة مؤمن بكافر ووصلة مؤمن بمؤمن (فالقسم الاول) قد ورد فيه
تلك الآية الآنفة الذكر اعني قوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا
اولادكم يوم القيمة ونظائرها من الآيات، وبقية الاقسام الثلاثة قد
جاء ذكرها في القرآن في نسق واحد في سورة التحريم وقد
نزل اول السورة في معاتبة عائشة وحفصة رضي الله عنهما وجاء
في آخرها ما يتضمن التخويف والحث على النهوض والسبق الى
الطاعة لذوي الانساب الصالحة والوصلات الرفيعة قال الله تعالى (ضرب
الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من
عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا
النار مع الداخلين) فهذا فيه ذكر للقسم الثاني وهو وصلة كافر بمؤمن
وتذكير لمن كان كذلك انه لا ينفعه انتسابه الى المؤمنين من سلفه مع
كفرا، ولذلك قال الله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا وقد قال بعض
المفسرين ان في ذلك تعريضا خفيا بعائشة وحفصة رضي الله عنهما وحكي
عن ابن سلام والمراد بذلك الاشادة لهما بمظهر من مظاهر الاعتبار وهو
من حيث لفظه ومعناه عام فان صيغته صيغة عموم ولا يخفى ان العرب كانوا
يعتدون بانتسابهم الى ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام ويفخرون
بها ويتولونها ويعتدون بتوليها مع اقامتهم على كفرهم فكانت هذه
الآية وامثالها شارحة لهم ولامثالهم من ذوي الانساب خيبة ظنهم وبطلان

حكهم وانه لا ينفعهم مع كفرهم لحمتا نسب ولا وصلة صهر اذ قطع الكفر أكثر العلاتق بين الكافر والمؤمن وان كان المؤمن في اقصى درجات الصلاح الا ترى الى قوله تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح كالم ينفع تينك المرأتين كونها زوجتي نبيين فخانتاهما وذلك بكفرها وهو الذي تشعربه الآية من ضربها مثلاً للذي كفروا وقد ذكر المفسرون روايات في تعيين الخيانة ليس من غرضنا نقلها فما يفهم من الآية من كونها كافرتين كاف في المقصود وهو محكي عن ابن عباس وعكرمة والضحاك قالوا فخانتاهما في الدين ويدل على ذلك لزهامع امرأة لوط عليه السلام في قرن وقد علم كفرها من القرآن في آيات كثيرة ويدل على ذلك التنظير في الآية الآتية بامرأة فرعون فهنا كان الزوجان مؤمنين والزوجتان كافرتين وفيما يأتي كان الزوج كافراً والزوجة مؤمنة ومن هذا ما ورد في سبب نزول آية وانذر عشيرتك الاقربين وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا أغني عنكم من الله شيئاً فان انذارهم هذا كان من أجل ما كانوا مقيمين عليه من الشرك والآية مكية ونظير هذا قوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فالظلم اسم عام وقد يأتي في القرآن مراداً به الشرك وقال تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا

مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم،) فهذا مع قوله ومن
يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا
وانه في الاخرة لمن الصالحين، مما يدلنا على ان من سنة القرآن ان
يذكر ذوى الانساب بما كانت عليه اباؤهم من الايمان والصلاح
استنهاضهم الى اتباعهم وبذلك يصح لهم شرف الانتساب اليهم ويكمل
لهم الانتفاع به وما في الآيات التي نفسرها قد اشتمل على الترغيب والترهيب
وانما قدم الترهيب لان السورة سوة معاتبه وفيه تذكير لهم ولا مثالمهم
بانهم لا ينتفعون بانتسابهم الى المؤمنين مع الاقامة على الكفر
وقطع لاطماعهم وآمالهم وقد جاء الترغيب ايضا في الحاقهم بصالحى
آبائهم) بقوله تعالى (والذين امنوا واتبعتم ذريتهم بايمان الحقناهم
ذريتهم) لاسيا وسورة الطور مكية فهي تحثهم على المسابقتة الى
الايمان ليلحقوا بابائهم الذين لا يزالون مستمسكين بزعمهم بموالاتهم
والتشرف بالانتساب اليهم، ومن هذا قوله تعالى (ملة ابيكم ابراهيم هو
سلك المسلمين من قبل وفي هذا) وقوله تعالى (وجعلها كلمة باقية
في عقبه لعلهم يرجعون) (وجعلها) اي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد
(باقية في عقبه) اي في ذريته فلم يزالوا يتواصون بذلك أو لم يزل
فيهم موحدون قال الله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني
ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) أو يكون الضمير
راجعا الى الله فيكون المعنى وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه وذلك

اجابة لدعائه ودعاء ابنه اسماعيل عليها الصلاة والسلام كما حكى الله تعالى عنها بقوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك) وقد روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ على الستة نفر من الانصار ليلة العقبة قوله تعالى (واذ قال ابراهيم ربا جعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) وذلك أن في تكبيرهم بدعوة أبيهم ما يثير الهمم الساكنة؛ ويهيج العزائم الكامنة، واذا علم المؤمن أن استزادته من الاعمال الصالحة من اسباب رفعة درجته بفضل الله ومن اسباب الحاق ذريته المؤمنين به زاد جداً واجتهادا وكان ذلك من دواعي المثابرة والملازمة لانه كلما عظم النفع المتوقع في العمل زادت الرغبة في الاستكثار منه فيكون ذلك من دواعي الجد لا داعياً الى الغرور وترك العمل كما زعم السوداني وتلميذه، ولذلك قال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذا كر اولادي فازيد في صلاتي على انه لاموضع للغرور فان العامل نفسه لا محل لاغتراره بعمله فان حق الله عظيم، والحائمة مجهولة، والآفات المفسدة للعمل كثيرة فمتى يأمن مكر الله من هذا حاله في نفسه فكيف بغيره من المتصلين به فالغرور لا محل له ولا يأمن احد مكر الله ولعل للانتفاع بالنسب الصالح شروطا قد لا تتحقق في النسب كما ان لقبول العمل الصالح شروطا قد لا تتحقق في العامل ومع ما ذكرنا فلا ينكر فضل العامل كما لا ينكر فضل الانتساب اليه ثم قال عز وجل (وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون اذ قالت

رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من
القوم الظالمين ، ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من
روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ،) ضرب الله
للمؤمنين اولهما للقسم الثالث وهو وصلة مؤمن بكافر فدللت الآية على
انه لا تضره هذه الوصلة ولا تنقص ثوابه ومنزله عند الله كما لم يضر
آسية ذلك وثانيهما للقسم الرابع وهو وصلة مؤمن بمؤمن وهو قوله تعالى
(ومريم) وحسن عطفه على ما قبله كونها مثلين للمؤمن إما
من حيث الوصلة بكافر وهو ما اقتضاه اولهما وإما بمؤمن وهو
مادل عليه ثانيهما وقد نالت مريم بتصديقها وتحصين فرجها ما لم ينله
غيرها ممن ليس في منزلتها من بيوت الصلاح ومنازل الاصطفاء
فنالت مرتبة الصديقية قال الله تعالى (وامه صديقة) وحازت الشرف
الاكبر بأمة عيسى عليه السلام وما ظهر لها وعلى يديها من الكرامات
ولهذا جاء ذكرها في سورة آل عمران بعد آية الاصطفاء المعقبة بقوله
تبارك وتعالى ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، و(من) في قوله
(ذرية بعضها من بعض) تقتضى تحقيق النسبة والبعضية المتلازمة
ولذلك قال البغوي بعضهم من بعض بعضهم من ولد بعض وقال ابو حيان
«ومن للتبعض حقيقة اي متشعبة بعضها من بعض في التناسل» اهـ والقول
بالحقيقة مقدم على القول بالمجاز وهو كونهم بعضهم من بعض في الطاعة

والإيمان فان ذلك غير مقصود ولا خاص بالذرية لاسيما والمقام مقام
الاشادة بتخصيص المحل بالاصطفاء وافراده بالذكر وانما يعبر عند الاصطفاء
للدين بمثل قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله
اصطفى لكم الدين فهنا اصطفاء ان اصطفواؤهم انفسهم واصطفاء الدين
لهم ولكل محل وفضل، ويدل على ما ذكرنا من معنى البعضية قوله تبارك
وتعالى في سورة النساء فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم
بايمانكم بعضهم من بعض اي بعضهم متشعب من بعض من حيث الاصل
الاول هكذا قال الاكثر من المفسرين اما ابن جرير فجعل بعضهم فاعل
اي فليتكح بعضهم من بعض من فتياتكم ومن ذلك ايضا قوله تعالى
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ذكرهم بما يقتضي تشابكهم
وتواشجهم من حيث التماسل في الارحام لان ما بينهم منها هو
السبب الذي جمعهم مع وصف النفاق على عصية بعضهم لبعض
فاسباب تمالئهم على النفاق كانت راجعة الى صلاة نسبية قومية
نفسانية فوصفهم بها لانها هي المؤثرة عليهم في ذلك بخلاف المؤمنين
فقد قطعوا الوصلات التي بينهم وبين غيرهم من لم يدن بدينهم قريبا كان
او بعيدا وجمعهم الدين على اختلاف انسابهم فلهذا قال فيهم والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ولم يقل بعضهم من بعض لما ذكرنا وقدم
ذكر البعضية بمقب آية الاصطفاء على ذكر الموالات وان كان يصح

ذكرها هناك ايضا لما قلنا ان المقام مقام تنويه باصطفاء من ذكرهم
الله تعالى وجعل الانبياء منهم والكتاب والدين السماوي فيهم وفي
ذريتهم ومن تبعض منهم وهذا واضح ويدل على ما ذكرنا في تأويل قوله
تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ان راس المنافقين اذ ذاك
كان عبد الله بن ابي وكان المنافقون من قومه وكانوا يتعصبون له ويلتفون
حوله وقد جاءت الاشارة الى ذلك في الحديث لما قال عمر رضي الله
عنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعني اضرب عنق هذا المنافق يعني
ابن ابي فقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا ترعد له انوف كثيرة يثرب
فان قيل ما فائدة ذكر البعضية هنا مع ان ذلك معلوم قلنا فائدتها ما اشرنا
اليه من ان الحامل لهم على التكالب على النفاق وتعصب بعضهم لبعض
فيه هي العصية الجاهلية التي ينهى عنها الشرع فالآية تنعى عليهم
ذلك ولذلك قابله بقوله في المؤمنين، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض فذكر لهم صفة الموالاة والنصرة والتعاقد على الدين واخلاص
الدعوة لله لالعصية وفائدة ذكر ذلك في آية آل عمران التنويه بظهور
آثار الاصطفاء لابراهيم وآله عليه وعليهم السلام في الذرية التي تشعبت
عنه وتبعضت منه كما سبق والمقصود ان قوله تعالى وكانت من القاتنين
قد تكون من فيه لابتداء الغاية اي ولدت منهم لانها من اعقاب هارون
اخى موسى عليه السلام ذكر هذا غير واحد من المفسرين منهم

الزمخشري والنيسابوري وابو حيان والرازي والبيضاوي والنسفي واقتصر
عليه الخازن فقال وكانت من القاتنين اي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها
لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله وقاله البغوي وقد يكون المراد
بالقاتنين الجنس اي من جملة القاتنين المطيعين لله من غير اشارة الى
معنى اصلها الطيب ومحلها الكريم الامن حيث ما يفيد التقسيم
والمقابلة بما قبله (فان قلت) لم لم يذكر الوصلة الصهرية بين زوجين
مؤمنين وعدل عنه الى ضرب المثل بمریم عليها السلام (قلنا) عدل عن
ذلك لما قلنا ان اول السورة نزل في عتاب من ذكرنا من امهات المؤمنين
الطاهرات رضي الله عنهن فلا يحسن بالمقام ذكر ذلك مع ان ذلك قد
ذكر في مواضع آخر مثل قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهون، هم وازواجهم في ضلال على الارائك متكئون ونحو قوله تعالى
جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم
وهذا يشمل عموم اهل الجنة اما الخاص بهن فمثل قوله تعالى يا نساء
النبي لستن كأحد من النساء ان اتقين فانهن انما كن كذلك لما اشعرت
به الاضافة اليه صلى الله عليه وآله وسلم من انهن نساؤه فبلغن بالتبعية التي
هي الوصلة به تلك المنزلة الرفيعة من الكون معه صلى الله عليه وآله
وسلم وليس ذلك باعمالهن اذ لا يبلغ احد عمله صلى الله عليه وآله وسلم
ولا تقواه فالتقوى شرط لسلامة المزية لهن لا لخصوفا يؤيده ورود

ذلك بحرف الشرط لا التعليل ، فنسأل الله ان يلهمنا تقوالا فانها مفتاح كل خير والسبب الموصل اليه ، وفي ذكر مريم عليها السلام اهاة بالازواج رضي الله عنهن ومن في معناهن ان يسعوا الى ما وصلت اليه مريم عليها السلام ، فان هن من الوصلة بالقاتين من آل ابراهيم مثل ماها ولاشيء ادعى الى اثاره الهمة ، وتحريك العزيمة ، من ذكر مناقب النظير والاعراء بالمسابقة الى ما وصل اليه . والنهوض الى مساماته ، لاسيا والمثل مضروب بانثى مثلهن . وانت اذا تأملت ما قلناه في تاويل هذه الآيات وما ترمي اليه وجدته من احسن ما قيل فيها لاسيا واللفظ يساعد عليه . والمعنى لا ياباه والمقام مقام تبين حالة الوصلات النسبية بين اهلها ، ومريم عليها السلام لم تكن لها وصلة باحد الاسلفها الصالح اذ لم يكن لها زوج فصح ضرب المثل بهذا للمؤمن المنتسب الى مؤمن ذي خصوصية ومزية وما يرجي له مع التقوى وسلوك سبيل سلفه من اتمام النعمة عليه كما اتمها عليهم . قال الله تعالى حاكيا عن يعقوب في مخاطبته لابنه يوسف عليه الصلاة والسلام وكذلك يجتديك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك حكيم عليم . وقد اقتضت حكمته ان يكون لمظاهر هدايته مواضع مخصوصة تطلع منها بدورها ، ويشرق من آفاقها نورها ليكون ذلك ادعى الى قبولها والتصديق بها ، لانها اتت من معدنها

المعهود، وفاضت من منهلها المورود، والحاصل ان ضرب المثل بمريم عليها السلام وما نالته من الاصطفاء والتطهير والاصطفاء الثاني الذي هو بمعنى التفضيل وما تبع قيامها بحق الاتباع من تخصيصها بولادة نبي الله عيسى عليه السلام من غير ذكر هو دليل على فضل الانتساب الى السلف الصالح لان قوله تعالى يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك الاولى ان يكون المعنى (اصطفاك) باصطفائه آل ابراهيم عليهم السلام وكونك منهم اذ لا يقال ان المعنى اصطفاك من آل ابراهيم عليه السلام لان فيهم من هو افضل منها بيقين ولا ان معنى ذلك اصطفاك لامومة عيسى عليه السلام ونحو ذلك من الكرامات لان ذلك فيما يظهر هو معنى قوله تعالى ثانيا (واصطفاك على نساء العالمين) وذلك سر ضرب المثل بها هنا للقسم الرابع هذا ماظهر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فني وأستغفر الله إن الله غفور رحيم

﴿ الكلام على قول الله تعالى وكان ابوهما صالحا ﴾

ذكر السيد العلامة عبد الله دحلان هذه الآية مستدلًا بها وتعقبه التلميذ في (فصله) مفندا لكلامه واستدلّاه فنورد كلام التلميذ ونرد المردود منه ويأتي خلال ذلك مدلول الآية وما يؤخذ منها والله الهادي الى سواء السبيل قال التلميذ في صحيفته ١٢٣ «الجواب اولاً المفهوم من مدلول الآية ان الغلامين كانا صغيرين لم يبلغا الحلم ولم يخاطبا بشيء

من العبادات حتى تكون المسألة مما نحن فيه « اه وتقول لاشبهة في بطلان كلامه من وجوه (الاول) ان الاستدلال بهذه الآية على فضل النسب الصالح صحيح واضح وقد استدل بها سلف الامة وعلمائها وكفى بهم حجة في ذلك (الثاني) أن مفهوم كلامه ان النزاع انما هو في فضل النسب الصالح او نفعه بالنسبة الى الكبير لا الى الصغير ولما كانت الآية واردة في غلامين صغيرين فلا دلالة فيها على ذلك ولا وجه لما قاله لان وجه الاستدلال بها ان صلاح ابيها سبب تام او جزء سبب في حفظ ما لها والعناية بها ورابطة هذا السبب هو النسب فثبت فضله لامحالة ولو فرض تخلف تأثير صلاح الاب بالنسبة الى الكبير لم يكن ذلك لبطلانه من اصله ولكن لعدم ما يقويه او ما يكمله او لوجود مانع (الثالث) ان الآية دالة على انها حفظا في ما لها لصلاح ابيها قبل ان يبلغا اشدهما وبعد ان بلغاه فان الله تعالى يقول فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما فقد حفظا في ذلك في صغرهما الى بلوغهما وبعد بلوغهما لان الاستخراج لم يقع الا بعده كما دلت عليه الآية فالذي قال فيه التلميذ انه المفهوم هو في الحقيقة غير المفهوم قال: «ثانيا ان الله سبحانه قد اخبر ان سبب حفظ ما لها حتى يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ولم يقل ان سبب ذلك صلاح ابيها ولا صلاح غيره وهو سبحانه لا يحصر عليه ولا يحصر على رحمته فهو يرحم من يشاء وذكروا صلاح ابيها انما هو خبر من الاخبار اخبرنا الله به في معرض القصة ليس هو سبب حفظها

ولا سبب حفظ ما لها فلا شاهد فيه « اهـ ونقول ان في كلامه هذا خطأ كثيرا واغلاطا فاحشة عربية واصولية وفيه نسبة العبث الى الله عز وجل والكلام عليه من وجوه (الاول) في تحقيق دلالة الآية على ان صلاح ايهما من اسباب العناية بهما (الثاني) بيان ان ما ذكره الله تعالى من وقوع ذلك رحمة منه من المؤكد لما نستدل عليه وان جميع الاسباب التي اوصلت المرحومين الى الرحمة هي من رحمته ايضا (الثالث) بيان انه يمتنع ان يكون في كتاب الله ما يورد لمجرد الاخبار لالعبرة او دلالة كما يفعل اهل الاساطير والروايات لاسيا اذا سيق الكلام لبيان اسباب ما تقدم ووجه الحكمة فيه والاخبار بتأويله كما في هذه الآية ومنتظم القول في ذلك مع الرد على بقية كلامه في ثلاثة فصول فنقول

﴿فصل﴾

اعلم ان من القواعد المعروفة المسلمة بين علماء الاصول والفروع ان الفاء قد تأتي للسببية لاسيا في العاطفة جملة اوصفة فتارة تدخل على المسبب نحو زيد فاضل فاكرمه فالأكرام مسبب عن الفضل والفضل سبب له فما قبلها في صورة المثال علة لما بعدها ومثل ذلك قولك ضربه فاجعه وضربه فسكى فالضرب علة للايجاع وعلة للبكاء ، وكقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه ، فالوكر علة القضاء عليه وسببه ونحو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فالتلقي سبب التوبة وعلتها وقوله تعالى والسارق

والسارقة فاقطعوا أيديها فالسرقة علة القطع وامثلة ذلك كثيرة، وقد تدخل على السب فتكون بمنزلة لام التعليل نحو اخرج منها فانك رجيم، واكرم زيدا فانه فاضل واقطع فلانا فانه سارق، فما دخلت عليه الفاء في هذه الامثلة سبب لما قبله كما هو ظاهر، فقد دخلت على ما هو الشرط في المعنى كما ان الاولى دخلت على ما هو الجزاء في المعنى، وقد يكون الحكم منبئيا على سببين او جزئي سبب - على الخلاف المشهور في مسمى العلة - معطوف احدهما على الآخر بالواو فيشتركان في السببية للحكم المنبئ عليهما كما في قوله تعالى (فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فهذا بيان وتأويل لما فعله الخضر وانكره عليه موسى عليهما الصلاة والسلام ومعنى التأويل هنا اظهار ما توول اليه تلك الافعال بيان عللها واسبابها التي اقتضتها ووجوه الحكم والمصالح المؤدية اليها، فذكر لما فعله من تعيب السفينة سببين (الاول) انها لمساكين بقوله (فكانت لمساكين يعملون في البحر) (والثاني) الخوف من اخذ الملك لها بقوله (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وفي الثاني منها اشارة ضمنية الى ان ذلك التعيب هو عين الاصلاح، واما الحكم المسبب عن هذين السببين فهو قوله (فأردت ان أعيبها) وانما وسطه بينها لنكتة ذكرها صاحب الكشاف ونقلها عنه النيسابوري وابو حيان واقراها واوردها

ابو السعود وغيره وعبارة الكشاف «فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسيب
عن خوف الغضب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب (قلت) النية به التأخير وانما
قدم للعناية ولان خوف الغضب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكانت
بمنزلة قولك زيد ظني مقيم» اه وعبارة ابي السعود «ولعل تفريع ارادة تعيب السفينة
على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغضب عليها مع ان مدارها كالا الامرين للاعتناء
بشانها اذ هي المحتاجة الى التأويل وللإيدان بان الاقوى في المدارية هو
الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغضب
في حقهم ايضا» اه اما في الآية التي نحن بصددها وهي قوله تعالى (واما
الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما
صالحا) فقد ذكرت الاسباب في نسق واحد معقبة بذكر المسبب وهو
المشار اليه بقوله فاراد ربك الآية لتقاربها في المعنى المقتضي للغاية وان
كان السبب الاخير اقواهما اعني قوله تعالى (وكان ابوهما صالحا) كما سيأتي
شرحه ثم قال عزوجل (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان
يرهقهما طغيانا وكفر افاردنا ان يبدلها ربهما خيرا منه زكاة واقرب
رحما) ففي هذه الآية من لطائف التعبير ومحاسن الكنايات ما يثير
الأريحية ويبعث العجب وذلك انه قال (فكان ابواه مؤمنين) فذكر
احد طرفي السبب وطوى الطرف الآخر وهو كون الغلام كافرا اكتفاء
بما يفهم من قوله فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فانه لو كان مؤمنا لما
خشينا ذلك منه، وتنويناها بأصل السبب الأهم وهو كونها مؤمنين على
ان المفسرين قالوا ان في الكلام حذف وان المعنى وكان الغلام كافرا وكذا

وجد في مصحف أبي وقرأ ابن عباس واما الغلام فكان كافرا وانما عطف قوله (فخشينا) بالفاء على ما قبله دون الواو لانه مسبب عما قبله فكون الغلام كافرا وابواه مؤمنين تسبب عنه الخشية عليهما ان يرهقهما اي يغشاها طغيانا وكفرا تعصبا لدينه واستطالة بقوته على ضعفهما وبشبابه على شبيتهما، وتسبب عن الخشية قتل الغلام، فأدجج هذا المسبب واغفل ذكره واقام مقامه ذكر حكمة اخرى في قتله غير سلامة ابويه المفهومة من المقال والمقام ، اشارة اليه من احسن وجوهه واحمد غاياته فقال : (فأردنا ان يبدلها ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما) (خيرا منه زكاة) اي طهارة (واقرب رحما) اي عطفا وشفقة عليهما فحذف مسبب الخشية الحقيقي وهو قتل الغلام، واقام احدي الحكمتين المتربتين عليه مقامه لانه غير مقصود لذاته ، وذلك لانه لا يقتل كل كافر فما اكثر الكافرين على وجه الارض ، فلو كان ذلك مقصودا لذاته لسارع الى قتلهم، وانما اوقعه لما ترتب عليه من السلامة لابويه والمصلحة بتبديلها خيرا منه، فالاولى نجاه والثانية غنيمه، وخصها بالذكر الصريح باقامتها مقام المسبب المحذوف، لانها اظهر دخولا في جانب التفضل والاحسان من مجرد السلامة، والضمير في قوله فخشينا فاردنا للخضر عليه السلام وعليه الاكثر ويرشحه الاتيان بضمير الغيبة في ربها وقوله فيما يأتي فاراد ربك ، ومن جوز اسنادها الى الله تعالى جعل المعنى على التشبيه

والاستعارة كاستعمال لعل وعسى في القرآن نظراً لحال المخاطبين، فعنى الحشية على ذلك الكراهة اي فكرهنا كراهة من خاف سوء العاقبة (فان قلت) لم لم يعطف الفعل الاخير بالواو على الفعل الاول كما وقع ذلك في الآية المتقدمة والآية التالية (قلنا) لم يعطفهما بالواو لما اشرنا اليه سابقا وذلك ان في الكلام تفريرا وترتيبا فكونهما مؤمنين وهو كافر تسبب عنه الحشية عليهما من الارهاق فحسن عطف فعلها بالفاء، والحشية عليهما تفرع عنها الارادة بقتله ان ييدلها ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما فعطف على ما قبله بالفاء ايضا، وأما ما تقدم وما يأتي فقد عطف احد جزئي السبب بالفاء وعطف عليه الثاني بالواو التي تقتضي ادخاله في معنى السببية ثم قال تعالى: (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري) ففرع ارادته تعالى بلوغهما الاشد واستخراجهما الكنز على ان الجدار ليتين وان تحته كنزاهما وان اباهما صالح، فهذه الثلاثة الامور هي سبب اقامة الجدار ليقب لهما كنزهما فلا يطلع عليه احد، ولا تمتد اليه يد، كما ان كون السفينة لمساكين وراهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا هما سبب تعيبها الذي هو تعيب في الظاهر وسلامة واصلاح في الباطن، فقد تألف السبب هناك من امرين كما تألف هنا من ثلاثة، وقوله (فكان لغلامين يتيمين في المدينة) عطفه

بالفاء لانه جزء حرف الشرط الذى هو أما ومسببه، وهو ايضا وما بعده سبب لقوله (فاراد ربك) وقال (وكان تحته كنزهما وكان ابوهما صالحا) فعطف هذين الفعلين عليه بالواو، فصارهما حكم سابقهما لانها مسبيان عما قبلها وسبيان لما بعدهما مثله، وقد عبر عن المسبب الذى هو اقامة الجدار بحكمته المقصودة فانه قال (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) لما ذكرنا في الآية التى قبلها، ولان المقام مقام تأويل وايضاح واظهار حسن مافعله الحضر وجريانه على الوجه المحمود المقصود ولا يتبين ذلك الا ببيان السبب والمسبب عنه، ولما كانت الافعال معلومة لهما لأن موسى عليه الصلاة والسلام رأى الحضر عليه السلام حين فعلها كان المهم بيان حكمتها لاهي في نفسها، فلذلك أتى بحكمة الفعل بدلا عن الفعل فقال فيما قبلها (فاردنا ان يبدلها ربهما) الخ ولم يقل فقتلناه، وقال هنا (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) الخ ولم يقل فأقمنا الجدار لأنه بذلك يظهر حسن مافعله الحضر عليه السلام وجوازه في ظاهر الحكم كما كان جائزا في الباطن فالاسباب المذكورة مؤثرة في حكم اعيان تلك الأفعال، والا لما صح جعلها تأويلا يدفع اللائمة ويبين جواز الفعل، (فان قيل) لم لم يعبر في قصة السفينة بحكمة الفعل دون الفعل كما عبر بها في قصة الغلام والغلامين فانه قال (فأردت ان اعيبها) (قلنا) ان الفعل الواقع من

الحضر عليه السلام هو خرق السفينة قال الله تعالى (فلما ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلهما) فعدل عنه الى قوله (فأردت ان أعيبها) لان تعيب السفينة هو الذي يدفع عنها نظر الطامع فيها والغاصب لها ومع اكتشاف الفعلين له ظهر المراد من التعيب انه عين الاصلاح كما سبق نقله عن صاحب الكشف فقد عدل عن الفعل الذي هو الخرق الى ما يظهر به حكمته وهو قوله (فأردت ان اعيبها) فكان الأمر في سياق القصص الثلاث واحدا (فان قيل) ان السبب في قصة الجدار تألف من ثلاثة امور كونه لعلامة يتيمين في المدينة وكون تحته كنزهما وكون ابيهما صالحا كما تألف في قصة السفينة من سببين فما هو الأهم من هذه الأمور الثلاثة؟ (قلنا) اما كون تحته كنزهما فليس بالمهم وانما هو مع الجدار العين التي جرى الفعل فيه وانما اهتم به لغيره كما ان السفينة انما ذكرت لانها مجرى القصة والموضع الذي وقع عليه وفيه الفعل فالاهتمام بها كان عناية باهلها لابلها فهي تابعة كالجدار والكنز هنا فالمهم اذاً امران كونه لعلامين يتيمين في المدينة وكون ابيهما صالحا فايهما الاقوى في مدار العناية واغوى تأثير في اقتضاء الفعل؟ والذي يظهر والله اعلم ان اليتيم هنا يقابل المسكنة في اصحاب السفينة، وصالح الاب يقابل الايمان في ابوي الغلام المؤمنين، وكلاهما مقتضى للعناية والاقوى منهما صلاح الأب لأن ما متعلقه الدين اقوى وامكن من غيره، ولما

ورد فيه عن ابن عباس وغيره كما سيأتي وايضا فان المسكنة انما احتملت تعيب السفينة ، وايمان الابوين قد احتمل القتل الذي هو الخس في الظاهر من تعيب السفينة فكان احتمال ذلك اقوى دلالة على قوة تأثيره ، فيقال بنظيره هنا في المقابلة بين يتم الغلامين وصلاح أيهما فصلاهما اقوى السيين في التأثير ، واما النكتة في قوله فاردت فأردنا فاراد ربك فقد ذكرها المفسرون واجمعهم قولاً في ذلك البيضاوي قال « ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعيب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام واججاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لامد خل له في بلوغ الغلامين . اولا لأن الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج اولاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط » اه

﴿ ذكر كلام المفسرين في معنى الآية والروايات الواردة فيه ﴾

اما ابن جرير فسياتي ماروا الا وقال النيسابوري « وفي قوله وكان ابوها صالحاً دلالة على ان صلاح الابهاء يقيد العناية باحوال الابناء عن جعفر بن محمد رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء » اه وقال البغوي « وكان ابوها صالحاً قيل اسمه كاشح . وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح ايها وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته وعشيرته واهل الدويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم قال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذا ذكر ولدي فازيد في صلاتي » اه وقال الخازن نحو كلام البغوي وقال النسفي « وكان ابوها قيل جدما السابع صالحاً ممن يصحني وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ايها قال فابي وجدي خير منه » وقال في الجلالين « وكان ابوها صالحاً حفظا

بصلاحه في انفسهما وما لهما » قال في حاشية الجمل عليه مانصه « قوله وكان ابوها صالحاً ظاهر اللفظ انه ابوها حقيقة وقيل هو الاب السابع قاله جعفر بن محمد وقيل العاشر فحفظا فيه وان لم يذكر اصلاحه وكان يسمى كاشحاً قاله مقاتل واسمها معها دنيا ذكره النقاش ففيه ما يدل على ان الله يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وان بعدوا عنه وقد روي ان الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته وعلى هذا يدل قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قرطبي » له وقال البيضاوي « وكان ابوها صالحاً تنبيه على ان سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينها وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحاً واسمه كاشح » اه وقال الرازي « فاراد الله ابقاء ذلك الكنز على ذينك اليتيمين رعاية لحق صلاح ابيهما » اه وقال ايضا « الفائدة الثالثة قوله وكان ابوها صالحاً يدل على ان صلاح الالباء يفيد العناية باحوال الالباء وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الصالح سبعة آباء وعن الحسن بن علي انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فأبي وجدي خير منه قال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون » اه وقال ابو السعود وكان ابوها صالحاً تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وقال ابو حيان « وحفظ هذان الغلامان بصلاح ابيهما وفي الحديث ان الله يحفظ الرجل الصالح في ذريته » اه وقال ابن كثير « وكان ابوها صالحاً فيه دليل على ان الرجل يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والاخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم الى اعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما ولم يذكر لهما صلاحاً وتقدم انه كان الاب السابع والله اعلم » اه وقال صاحب الكشاف « (وكان ابوها

صالحاً) اعتداد بصلاح ابئها وحفظ لحقه فيهما» اه وقال صاحب روح
البيان نحو ما ذكرناه عنهم فهؤلاء ثلاثا عشر من المفسرين يقولون
بما قلناه ولا نعلم لهم مخالفا وتقلوه عن النقاش والقرطبي ايضا وعن
الحسين بن علي رضي الله عنهما وعن ابن عباس وجعفر بن محمد رضي
الله عنهم وسعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر ونقل عن جابر بن عبد الله
وعن الشعبي ومقاتل بن سليمان وكعب الاحبار ووهب بن منبه
وسليمان بن سليم وخيشمة احد الاعلام وقاله ابن حجر الهيثمي في
الزواجر فهؤلاء سبعة وعشرون حبراً من احبار الامة المحمدية
يؤيدون ما قلناه ويوثقونه، ويخالفون ما قاله الخصم وينكرونه، وقد
اخرج الروايات في ذلك ابن المبارك وسعيد بن منصور واحمد
في الزهد وابن ابي حاتم والحاكم وابن مردويه وابن ابي شيبة وعبد
بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن عساکر فهؤلاء اثنا عشر
حافظاً اخرجوا هذه الروايات في كتبهم وتفسيرهم وقد اخرج ذلك ابن
ابي حاتم في تفسيره وقد التزم ان يذكر فيه اصح ما ورد وقد اخرج
ابن جرير رواية ابن عباس قال «حدثنا موسى بن عبد الرحمن قال حدثنا
ابواسامة عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير قال قال ابن
عباس في قوله وكان ابوهما صالحاً قال حفظا لصلاح ابئها وما ذكر منها صلاح
حدثنا ابو كريب قال حدثنا سفيان عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد
بن جبير بمثله» اه وقول ابن عباس رضي الله عنهما وما ذكر عنهما صلاح

اي فلو كانا صالحين لذكر صلاحهما لأئ المقام مقام ايضاح للاسباب التي روعيت لها مصالحتهم في تلك الافعال، وحيث ان يكون لها صلاح ولكن صلاح ابيهما أعظم فكان هو مدار العناية فلم يكن لصلاحها تأثير أو لا يكون لهما صلاح فحفظا لصلاح ابيهما وهذا من فقه ابن عباس رضي الله عنهما وغوصه على دقائق التفسير لان ما بالنفس اولى بان يكون مداراً للعناية واولى بالذكر فدل عدم ذكره على عدمه اوضعه، وقد روى ابن جرير رواية ابن عباس عن راويين من شيوخه وهما موسى بن عبد الرحمن وابو كريب فاما موسى فرواه عن ابي اسامة واما ابو كريب فراواه عن سفيان كلاهما عن مسعر فاما موسى بن عبد الرحمن فهو ابن سعيد الكندي المسروقي ابو عيسى الكوفي احتج به الترمذي والنسائي وابن ماجه قال فيه النسائي ثقة وقال ابن ابي حاتم صدوق ثقة وذكره ابن حبان في الثقات (١) واما شيخه ابواسامة فهو حماد بن اسامة القرشي مولاهم احد الاعلام ومن اعظم من روى له الستة واحتجوا به وعظمه الأئمة ووثقوه فوثقه احمد واثني عليه ووصفه بشدة الضبط والكيس والصدق وصحة الكتاب ووثقه ابن معين وابن سعد والعجلي وابن قانع وذكره ابن حبان في الثقات وقد اخطأ الذهبي في الميزان فنقل فيه قولاً نسبته إلى سفيان الثوري وهو غلط انما قاله

(١) كل ما نذكره من الجرح والتعديل فهو من التهذيب ولسان الميزان ومقدمة الفتح او تعجيل المنفعة كلها للحافظ ابن حجر وقد نذكر شيئاً عن الذهبي من الميزان او التذكرة اه مؤلف

سفيان بن وكيع وهو ضعيف لا يعاب بقوله والمنقول عن سفيان الثوري فيه انه قال ما بالكوفة شاب اعقل من ابي اسامة واما ابو كريب فهو الحافظ الحجة محمد بن العلاء الهمداني احد رجال الصحيحين ومن اعظم من روى له الستة واحتجوا به واجمعوا على توثيقه، واما شيخه سفيان فهو ابن عيينة المعركة التي لا تتنكر والعلم الشاهر بنفسه عن ان يوصف ويشهر، اجمع الائمة على توثيقه والاحتجاج به فلانظيل القول فيه، واما مسعر فهو ابن كدام الهلالي العامري الرواسي ابو سلمة الكوفي احد الاعلام روى له الستة واحتجوا به واجمع الائمة على توثيقه واثنوا عليه الثناء البليغ، واما عبد الملك بن ميسرة فهو احد الاعلام روى له الستة واجمعوا على توثيقه والاحتجاج به، واما سعيد بن جبير فالكلام في وصفه من باب السماء فوقنا والارض تحتنا حجة لا يسأل عن مثله وامام من الائمة وعلم من اعلام الأمة، فالسند صحيح وثيق متين مروى عن ابن عم رسول الله صلى عليه وآله وسلم ترجمان القران حبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقد اخرج السيوطي هذا الرواية عن ابن المبارك وسعيد بن منصور واحمد في الزهد وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم قال وصححه ولا ريب ان الامة كلها تعتمد قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية ولا تقيم معه وزنا تخيلات التلميذ ولا شيخه ومن لم يفعل كذلك فليس منها، ولذلك اطبق المفسرون على ذلك كما ذكرنا لك عن مشاهيرهم المتداولة تفاسيرهم (فان قلت) ان هذا موقوف على

ابن عباس رضي الله عنه ولم يصرح برفعه، (قلنا) لك لايشك احد ان ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهم وسعيد بن جبير ونحوهم ممن ذكرنا قد خصهم الله بتوقد الاذهان وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الأخذ وحسن الادراك وسرعته والعربية طبيعتهم وسليقتهم والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرتهم وعقولهم فهم ادق الناس فهما لمعاني كتاب الله وابدعهم استخراجاً ولايشك احد انهم اعرف منابدالات الالفاظ واساليب العربية واشارات الكلام ومعاريضه ومدخله ومناحيه فما فهموا من الآيت اولى بالاعتماد من كل فهم، وقد علمت مما تقدم في تفسير الآيت وبنائنا له على القواعد العربية ان الآيت تكاد تكون نصا في هذا المعنى ان لم تكن ظاهرا فقط وقد قال ابن القيم بعد ان تكلم على حكم الاحتجاج باقوال الصحابة مانصه « فان قيل هذا حكم اقوالهم في احكام الحوادث فأتقولون في اقوالهم في تفسير القرآن هل هو حجة يجب المصير اليها قيل لا ريب ان اقوالهم في التفسير اصوب من اقوال من بعدهم وقد ذهب بعض اهل العلم الى أن تفسيرهم في حكم المرفوع قال ابو عبد الله الحاكم في مستدركه وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع ومراده انه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج لا انه اذا قال الصحابي في الآيت قولا قلنا ان هذا القول قاله رسول صلى الله عليه وآله وسلم او قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله وجه آخر وهو ان يكون في حكم المرفوع بمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين لهم معاني القرآن وفسره لهم كما وصفه تعالى بقوله لتبين للناس ما نزل اليهم فبين لهم القرآن بيانا شافيا كافيا واذا اشكل على احد منهم معنى سئله عنه فوضحه له كما سئله الصديق عن قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به

فبين له المراد وكما سأله الصحابة عن قوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
فبين لهم معناها وكما سأله ام سلمة عن قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا
فبين لها انه العرض وكما سأله عمر عن الكلاله فاحاله على آية الصيف التي في
اخر السورة وهذا كثير جدا فاذا نقلوا لنا تفسير القران فتارة ينقلونه عنه بلفظه
وتارة بمعناه فيكون مفسروا بالفاظهم من باب الرواية بالمعنى كما يروون عنه
السنة تارة بلفظها وتارة بمعناها وهذا احسن الوجهين والله اعلم « اه كلامه
وهو كلام حسن في بابه وقد ذكر السيوطي في الدرالمشور روايات اخرى تعتبر
من الشواهد والمتابعات في معنى الآية قال ((واخرج ابن ابي حاتم عن
ابن عباس قال ان الله يصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده ويحفظه في ذريته
والدويرات حوله فما يزالون في ستر من الله وعافية واخرج ابن مردويه عن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يصلح بصلاح
الرجل الصالح ولده وولد ولده واهل الدويرات حوله فما يزالون في حفظ الله
مادام فيهم واخرجه ابن المبارك وابن ابي شيبة عن محمد بن المنكدر موقوفا
واخرج احمد في الزهد عن كعب قال ان الله يخلف العبد المؤمن في
ولده ثمانين عاما واخرج ابن ابي شيبة واحد في الزهد وابن ابي حاتم عن
خيشمة قال قال عيسى ابن مريم عليه السلام طوبى لذرية المؤمن ثم طوبى لهم
كيف يحفظون من بعده وتلا خيشمة وكان ابوها صالحا واخرج عبد بن حميد وابن
المنذر عن وهب قال ان الله يصلح بالعبد الصالح القبيل من الناس واخرج ابن
ابي حاتم من طريق شيبة عن سليمان بن سليم بن سلمة قال مكتوب في التوراة
ان الله ليحفظ القرن الى القرن الى سبعة قرون وان الله يهلك القرن الى القرن
الى سبعة قرون واخرج احمد في الزهد عن وهب قال ان الرب تبارك وتعالى قال
في بعض ما يقول لبني اسرائيل اني اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس
لبركتي نهاية واذا عصيت غضبت ولعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد واخرج احمد
عن وهب قال يقول الله اتقوا غضبي فان غضبي يدرك الى ثلاثة ابناء واحبورضاي
فان رضاي يدرك الامة « اه وقد اخرج ابن جرير مارووه عن سيدنا

جعفر الصادق بسند فيه راويان لم اجدهما في اللسان ولا تهذيب التهذيب
وستأتي روايات اخرى في الكلام على آية والذين آمنوا واتبعتهم
ذريتهم بايمان الآيت انشاء الله تعالى شاهدة لما ذكرنا وهذه كلها تعتبر
مما يستأنس بها فليس بها الاحتجاج بل الاحتجاج بنفس الآية فانها قد
دلت على ان صلاح الاب من اسباب الرحمة والعناية الالهية بذريته
وذلك مثبت لفضل النسب الصالح والحمد لله على فضله على ذوي الفضل
والله ذو الفضل العظيم

﴿ بقية الرد على التلميذ في كلامه على هذه الآية ﴾

قال التلميذ في صفحة ١٢٣ من (فصله): «ان الله سبحانه قد اخبر ان سبب حفظ
مالها حتى يبلغا اشدها ويستخرجا كنزها هو محض رحمته تعالى اذ قال (ويستخرجا
كنزها رحمة من ربك)» اه وجوابه (اولا) ان رحمة الله هي السبب الذي
اليه تنتهي جميع الاسباب وحينئذ فلا يمتنع ان تكون هناك اسباب موصلة
الى رحمته هي من رحمته فان رحمة الله سبب لكل سبب فهي سبب
التوفيق للاعمال والثواب ودخول الجنة بل سبب كل فضل ونعمة وصلت
الى احد من عباده فان رحمته عز وجل وسعت كل شيء كما وسع علمه
كل شيء (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) والاسباب الكونية
يتسلسل بعضها ببعض حتى تنتهي الى مسبب الاسباب وهذا
الانتهاء اليه لا ينفي كونها اسبابا (ثانيا) ان تعيب السفينة لحفظها على
المساكين هو رحمة من الله وتبديل الابوين المؤمنين خيرا من

ولدهما الكافر بعد قتله رحمة من الله أيضا ومع ذلك فقد ذكر لها الله اسبابا قد اتينا على بيانها وتفصيلها (ثالثا) ان يقال وقد اخبر الله ان سبب حفظ ما لهما واقامة الجدار لهما كونهما غلامين يتيمين في المدينة وكون تحته كنز لهما وكون ابيهما صالحا فكما اخبر الله بهذا السبب اخبر بذلك ولا مانع من تسلسل الاسباب حتى تنتهي الى مسيبتها عز وجل (رابعا) ان قوله تعالى (رحمة من ربك وما فعلته ان امرى) كما يحتمل ان يكون علة لقصة الغلامين يحتمل ان يكون علة لما فعله الخضر عليه السلام في القصص الثلاث كما قاله بعض المفسرين ويقويه تعقيبه بقوله (وما فعلته) اي كل ذلك (عن امرى) (ذلك) اي ماضى جميعه (تأويل مالم تسطع عليه صبورا) فظاهر السياق يدل على رجوع الكلام لما وقع جميعه (خامسا) انه يلزمه من نفي ان يكون ما ذكره الخضر عليه السلام اسبابا ان يأتي بتأويل آخر غير ما حكاه الله في كتابه يظهر به حسن هذه الافعال وصحتها ولا يكون ذلك حتى يجحد ما حكاه الله عز وجل ويرداه قال: «ولم يقل ان سبب ذلك صلاح ابيهما ولا صلاح غيره» اه ونقول بل دل كتاب الله تعالى ان صلاح ابيهما من اسباب حفظهما لو رودة على الاسلوب المفيد للسببية والمثبت لها ولا يلزم لثبوتها ان يقول (وسبب ذلك صلاح ابيهما) فان للعلة مسائل متعددة وما في الآية احدها وهو من قسم الظاهر الذي يتلو النص فلا يجوز العدول عنه ويلزم منكره ان يقول

بمثل ذلك في نظائره فيقول في قول الله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) : ليس السرقة سبب القطع لان الله تعالى لم يقل انها سببه واذا قال القائل : ضربه فاجعه ان الضرب ليس سبب الوجع لانه لم يقل انه سببه ، فيزيل الالفاظ عن مدلولاتها ، ويحيل معانيها ويقصر بها دون غاياتها ، وفي هذا احالة معاني القرآن والحديث واللغة وتبديلها ويلزمه أن لا يجعل كون السفينة لمساكين في البحر وكون وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا علة لتعييبها ، ولا كون ابوا الغلام مؤمنين والغلام كافرا والخشية عليها ان يرهقها طغيانا وكفرا وارادة تبديلها خيرا منه واقرب رحمة لقتله ، لانه لم يقل في ذلك كله ان كذا سببا لكذا ، ونتيجة هذا ان الخضر عليه السلام لم يخبر موسى بتأويل شيء منها قط وان قوله (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) خلاف الواقع فلا تأويل ولا ميثاق اليه وهذا هو التحريف بل التكذيب والجحود قال : « وهو سبحانه لا يحصر عليه ولا حصر على رحمته فهو يرحم من يشاء » اه قلنا نعم ولهذا رحم الغلامين لئتمهما وصلاح ايتهما قال « وذكر صلاح ايتهما انما هو خير من الاخبار اخبرنا الله به في معرض القصة ليس هو سبب حفظهما ولا حفظ ما لهما فلا شاهد فيه » اه ونقول انه يستبعد من احاد الحكماء او العقلاء ان يورد في سياق تأويل قصة او حكم وفي اثناء الكلام عن عللها واسبابها مالا تأثير له في التأويل

والعلية ، وذلك ان افعال الحكيم واقواله تصان عن العبث فكيف
باحكم الحاكمين وبالجملة فذكر مالا تأثير له مع المؤثر غير جائز من
آحاد العقلاء فضلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قاله العلماء
فاما في كتاب الله فغير جائز اجماعا لانا اذا نفينا وروده للعلية لم يكن
مفيدا ولا يجترئ مؤمن على القول به وان قطع التلميذ بان في كتاب
الله ماهو من نوع الاخبار التي لا تورد لفائدة ولا تدل على عبرة فان
ذلك بمعنى اللغو والباطل الذي نزه الله كتابه عنه بقوله : (وانه لكتاب
عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد) فما قطع به التلميذ مخالف للمقيدة والاصول واللغة والنقل والاجماع
والحق ان هذه الآية كمنظائرهما دالة على أن للنسب الصالح تأثيرا في
الجملة في الحفظ اورفعة الدرجة او جمع الشمل اورحمة الله لصاحبه كآية
اللاحاق وقوله تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم
وذرياتهم وكحديث ادخال الله الآباء الجنة بفضل رحمتهم للابناء ، وكجعل الله
النبوة والكتاب في ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد ذكرها الله في
معرض الامتنان عليه وهذا مبسوط في محله قال : «نعم من المحتمل ان يكون ابوهما
قد كان دعى لهما بالخير والحفظ وقبل الله دعاه فيهما» اه وجوابه ان هذا الاحتمال
لادليل عليه ، ومما يبعث العجب هنا تركه ما يدل عليه الكلام وتقتضيه
القواعد وتؤيد الا نظائر ، وما قاله المفسرون وثبتت به الرواية عن ابن عباس
ترجمان القرآن رضي الله عنهما ورجوعه الى هذه الاحتمالات التي لادليل له

عليها الفظي ولا عقلي ولا نقلي ومع هذا فنقول له على فرض حصول هذا الدعاء انه يدل على فضل آخر للنسب الصالح كما دعى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لذريته وقد سبق شرح ذلك قال: «ولكن ليس ذلك مخصوصا بمتسب ولا بغيره بل يجوز ان يدعوا اي احد من المسلمين لاي احد منهم فيستجيب الله دعاءه فيه كما يجوز ان لا يستجيب له سواء كان منسوبا او غير منسوب» اه
ونقول ان كلامه هذا مبني على ان قوله تعالى (وكان ابوهما صالحا) مجرد خبر لم يورد لكونه سببا وقد علمت بطلانه واحتمال ان يكون قد دعى لهما ابوهما، وقد علمت انه لا دليل عليه، وما تفرع على الباطل وما لا دليل عليه كان باطلا، ودعاء المسلمين بعضهم لبعض ليس من موضوع النزاع وفضل النسب الصالح لا تدفعه هذه المماحكات الباردة قال: «بل ليس بلازم ان يستجيب الله كل دعوة من رسله فضلا عن غيرهم فقد دعى ابراهيم لايه فلم يستجب الله له» اه وجوابه ان هذا خارج عن موضوع النزاع ايضا ولم يستجب الله لابراهيم عليه الصلاة والسلام في ابيه حين استغفر له لكونه مشركا وقد قطع الشرك كل صلة ونسبة فليس مما نحن فيه قال «ودعى نوح لابنه فلم يستجب الله له بل خوطب بقوله فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعطتك ان تكون من الجاهلين قال رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والاتغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين» اه وقد تكلمنا على هاتين الآيتين فيما مضى من ردنا على (الصورة) وفيه كفاية ونقول هنا ان عدم استجابة الله لنوح عليه الصلاة والسلام في ولد لا تنفي فضل النسب الصالح فقد استجاب الله لابراهيم عليه الصلاة والسلام

في ذريته وهم كثير لا واحد فهذه بتلك وقد عد العلماء في فضائل كثير من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعى له فكان نفس دعائه لهم وتخصيصه اياهم به منقبة لهم وقد قال الله تعالى (وصلوات الرسول) اي دعواته (الا انها قرينة لهم) فمتى دعى صلى الله عليه وآله وسلم لاحد اثبتنا له فضلا بذلك وكان قرينة له كما اخبرنا الله تعالى بذلك وايضا فان شأن الاستجابة مغيب عنا فانها قد تكون بالتعجيل او التأجيل الى الآخرة او دفع مثلها من البلاء فلا يجوز ان يطلق القول في عدم استجابة الله لمؤمن فضلا عن نبي مرسل وايضا فانا ثبت لصاحب العمل الصالح فضلا مع ان شان الثواب مغيب عنا وليس كل عمل بمقبول، ولاندرى بما ذايختم لصاحبه والخاتمة الحسنة ليست بلازمة له ، ومع ذلك فانا ثبت له الفضل بناء على غلبة الظن ، فكذلك القول في دعائه صلى الله عليه وآله وسلم لمن دعى له من اهل بيته واصحابه الا ما خرج بدليل مخصوص، وبالجملة فان عدم اللزوم او تحققه في منشأ الفضائل لا يمنع من اثباتها فان اكثرها مبني على امور ظنية كأكثر ادلة الاحكام بل وترتيب الافضلية انما كان ظنيا كما قاله المحققون لحفاء الشأن الاخروي وهذا مجازاة (للتلميذ) والافليس النزاع في الدعاء وقبوله قال : «ودعى محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قريش او هم ان يدعوا عليهم فخطب بقوله تعالى (ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون)» اه ونقول ان نهيه صلى الله عليه

وآله وسلم عن الدعاء عليهم او عدم استجابة هذه الدعوة خاصة راجع الى ما خص الله به قريشا في سابق علمه وما سبق لهم من دعوة أبويهم ابراهيم واسماعيل عليهم الصلاة والسلام لهم بان يبعثه صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ففيها حجة على (التلميذ) لاله وايضا فان ورود النص بعدم الاستجابة في هذه الدعوة بعينها لا يدل على عدم استجابة دعائه صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا ولا عدم لزومها لقول الله (وصلوات الرسول الا انها قريبة لهم) وقد قال العلماء ان دعاءه صلى الله عليه وآله وسلم مستجاب قال: «واما قولهم ان الائب المذكور كان الائب السابع او العاشر فلا اصل له» اه وتقول ان الاستدلال على الاعتداد بصلاح الاب كان بنفس الآيتة وهذا الاثر لا يؤثر في صحة الاستدلال ولا بطلانه صحح او بطل قال: «واما خبر ان الله يحفظ الرجل في ذريته فهو خير باطل والحديث المروي فيه كذب موضوع من موضوعات محمد بن عبد الرحمن البيهقي قال فيه الحافظ المقدسي ليس بشيء في الحديث وقال الحافظ الذهبي في الميزان قال ابن حبان في البيهقي هذا حديث عن ابيه بنسخة شبيهة بما تاتي حديث كلها موضوعة ثم اورد هذا الخبر في موضوعاته ونصه ان المؤمن يعمل بالطاعات يحفظه الله في سبع قرون من ذريته وكذلك اوردته الحافظ المقدسي في الموضوعات ونص ابن حجر العسقلاني على انه حديث كذب» اه قلت هذا الحديث لم يورده السيد العلامة عبد الله دحلان وانما اوردته (التلميذ) تكثراً برده والطعن في سنده شنشة اعرفها من اخزم فان كان هذا الاثر باطلا كما يقول فان الآيتة ليست بباطلة وبها الاستدلال لابه وقد اعاد (التلميذ) هنا الشبهة التي ذكرها شيخه في (الصورة) ورددناها عليه فيما تقدم من عشرة

اوجه فراجع (الخطأ الثالث والاربعون) في الصحيفة ١٤٧ وما بعدها
﴿ الكلام على قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقناهم
ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرء بما كسب رهين ﴾
اعلم ان السوداني وتلميذه قد حادا في تأويل هذه الآية عن سواء
السبيل ، وخالفا صريح الرواية وظاهر التنزيل ، ونابذا أئمة التفسير
والتأويل ، وأتيا ببدع من القول لاجحة لها عليه ولادليل ، وزعموا ان
ما حكاه الأئمة ، وتناقله علماء الامة ، مخالف لمذهب اهل السنة
والجماعة ، فكانت قلانا ان اهل السنة والجماعة ، قد خرجوا عن السنة
والجماعة ، وقد أورد الأئمة في ذلك روايات أصحها واشهرها واظهرها
وابينها دلالة ، واكثرها طرقا ورواة ، ما حكاه ابن جرير في تفسيره وهو
ظاهر الآية الذي لا يجوز العدول عنه قال : « واولى هذه الاقوال بالصواب
واشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل القول الذي ذكرنا عن سعيد بن جبير وهو (والذي
امنوا واتبعتهم ذريتهم) الذين ادركوا الايمان (بايمان) وامنوا بالله ورسوله (الحقناهم)
بالذين امنوا (ذريتهم) الذين ادركوا الايمان فامنوا في الجنة فجعلناهم معهم في
درجاتهم وان قصرت اعمالهم عن اعمالهم تكريما لا بآئهم وما التناهم من اجور
عملهم شيئا وانما قلت ذلك اولى التأويلات به لأن ذلك الاغلب من معانيه وان كان
للاقوال الاخر وجوه » اه ثم قال ((وقوله (وما التناهم من عملهم من شيء) يقول
تعالى ذكره وما التنا الآباء يعني بقوله وما التنا الآباء وما نقصناهم من اجور اعمالهم
شيئا فناخذة منهم فنجعه لا بنائهم الذين الحقناهم بهم ولكننا وفينا اجور اعمالهم والحقنا
ابنائهم بدرجاتهم تفضلا منا عليهم والأت في كلام العرب النقص والبخس)) اه
هذا القول هو الذي اشاد به الأئمة وتناقلوه ، ولو كانت مخالفا

للكتاب والسنة كما يقول المعتز لانكروا، ولما طرزوا به تفاسيرهم
ومسانيدهم، وقد روي بالروايات الصحيحة الثابتة عن ابن عباس
وابن مسعود وابن عمرو ورواه سعيد بن جبير وقال به ورواه عمرو
بن مرة وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي
وشعبة بن الحجاج ومحمد بن بشار ومؤمل بن اسماعيل العدوي ومحمد
بن بشر ومحمد بن المثني ومحمد بن جعفر غندر وقاله الضحاك وابن زيد
ورواه ابن وهب ورواه العوفي والكلبي عن ابن عباس وقال بنحوه
الشعبي وهو مروى عن مجاهد وقول الحسن وقتادة على ما نختاره والربيع
بن انس ومنذر بن سعيد وابن ابي نجيح والنخعي وابي مجلز ورفع غير
واحد الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالجملة فهو قول من نقلت لنا
اقوالهم من الصحابة واعلام التابعين لم ينقل لنا خلاف في ذلك يصح
الرجوع اليه الا في الذرية هل المراد بهم الكبار ام الصغار ام كلا النوعين
وقد رواه ائمة المفسرين في تفاسيرهم فرواه سعيد بن منصور في سننه
في جزء التفسير وهناد بن السري وابو حاتم في تفسيره وابن المنذر
وابن جرير وعبد بن حميد والحاكم والبيهقي والبزار وابن مردويه
والطبراني وابونعيم وابن ابي شيبة والديلمي والبغوي
والثعلبي والواحدي وابن عطية والنيسابوري والزنجشري والرازي
وابو حيان والسيوطي والبيضاوي والنسفي والحازن والجلالين

وهو في تفسير ابن عباس وروح البيان وابن كثير وابي السعود ورواه
الطحاوي والحاكم في مستدرکه والضياء المقدسي في المختارة وناهيك به اتقانا
واحتج به ابن القيم واعتمدا وقال به شيخه ابن تيمية وارتضاه والقسطلاني
والزرقاني وابن حجر الهيتمي والحافظ السخاوي وغيرهم ممن لانطيل بذكرهم
واذ قد صحت الرواية به عن ابن عباس رضي الله عنه فلا معدل عنه
لوجوه (الاول) انه قد خص بعلم التفسير وبذ فيه كافة الصحابة بدعوة
النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بذلك وقد قال له صلى الله عليه وآله
وسلم اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل رواه احمد وفي رواية البخاري
اللهم علمه الكتاب وقال ابن مسعود رضي الله عنه نعم ترجمان القرآن هو
وقال ابن عمر هو اعلم الناس بما انزل الله على محمد وورد فيه ايضا نعم
ترجمان القرآن انت رواه الطبراني في الكبير (الثاني) ان تفسير الصحابة
مقدم على تفسير غيرهم بل قال بعضهم بانه حجة (الثالث) انه من اهل
بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الرابع) شهادة الصحابة له بذلك كابن
مسعود وابن عمر رضي الله عنهم وسوال مثل عمر رضي الله عنه له (الخامس)
انه من تفسير القرآن بالقرآن قال السيوطي في الاتقان
«من اراد تفسير الكتاب العزيز طلبه اولا من القرآن فما اجل منه في مكان فقد
فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر» اه
اقول وهذه الآية من المبسوط الذي فسرت ما اجل في غيرها من الآيات
كآية جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
فانه لا تظهر كيفية جمعهم في الجنة مع تفاوت اعمالهم الا بما بينته هذه الآية

من الالحاق الذى يتم به جمع شملهم في درجة واحدة وذلك فائدة ذكرهم اذالدخول مرجو لكل صالح وان تفاوتت الدرجات فلا بد من معنى وفائدة لجمعهم وهو ما ذكرناه ومثل ذلك قوله تعالى (إن اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون) فان العاملين تتفاوت اعمالهم تفاوتاً عظيماً يتبعها تفاوت درجاتهم وتباعدها فلولا ما بينته آية الالحاق من الحاق الله القاصر بالكمال لما عقل كيف يكونون على الارائك في ظلال الاشجار هم وازواجهم مع تفاوت الدرجات التفاوت العظيم البعيد التابع لتفاوت الاعمال ومتى تصل زوجات فضلاء الامة كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم الى مثل اعمالهم ، ومتى يبلغن باعمالهن درجاتهم الرفيعة ، فلولا ما من الله به على المؤمنين من الحاق ابائهم وازواجهم وذرياتهم بهم لما كانت الادارة يتشتمت فيها شمل عائلة المؤمن والعباد بالله فالحمد لله على فضله واحسانه (السادس) انه مماوردت به السنة كما سيأتي قال السيوطي «فان اعياه ذلك طلبه من السنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له وقد قال الشافعي كما حكم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس بما اراك الله في آيات اخر وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا اني اوتيت القرآن ومثله معه يعني السنة فان لم يجده من السنة رجع الى اقوال الصحابة فانهم ادري بذلك لما شاهدوه من القران والاحوال عند نزوله وما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح وقد قال الحاكم في المستدرک ان تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع » اه ونقل عن الامام ابي طالب الطبري

من اثناء كلام له في آداب المفسر قوله «ويجب ان يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن اصحابه ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات واذا تعارضت اقوالهم وامكن الجمع بينها فعل» اه ونقل عن ابن تيمية من جملة كلام قوله ((وبالجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين الى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا اعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم اعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله)) اه ونقل عن الزركشي كلاما في الاخذ بتفسير الصحابي وهو قوله ((الثاني الاخذ بقول الصحابي فان تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قاله الحاكم في مستدرکه وقال ابو الخطاب من الحنابلة يحتمل ان لا يرجع اليه اذا قلنا ان قوله ليس بحجة والصواب الاول لانه من باب الرواية لا الرأي قلت ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين بان ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول او نحوه مما لا مدخل للرأي فيه ثم رايت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال ومن الموقوفات تفسير الصحابة واما من يقول تفسير الصحابة مسند فاما يقوله فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم في المستدرک فاعتمد الاول والله اعلم)) اه ومن هذا تعرف ان ما نقل عن ابن عباس من القسم الاخير وهو ما لا مدخل للرأي فيه فحكمه حكم المرفوع في الاحتجاج به والله يتولى هداك وقال ابو حيان ((واعلم ان القرآن قسان قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد والاول اما ان يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم او الصحابة او رؤس التابعين فالاول يبحث فيه عن صحة السند والثاني ينظر في تفسير الصحابي فان فسره من حيث اللغة فهم اهل اللسان فلا شك في اعتماده او بما شاهدة من الاسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ ان تعارضت اقوال جماعة من الصحابة فان امكن الجمع فذاك وان تعذر قدم ابن عباس لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشره بذلك حيث قال اللهم علمه التأويل وقد رجح الشافعي قول زيد في الفرائض لحديث افرضكم زيد واماما ورد عن التابعين فحيث جاز الاعتقاد فيها سبق فكذلك والواجب الاجتهاد» اه (السابع) انه مما لا يقال من جهة الرأي فله حكم المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الحافظ ابن حجر في ثبوت الفكر «ثم الاسناد اما ان ينتهي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تصرحا او حكما

من قوله او من فعله او تقريره » قال في الشرح « ومثال المرفوع من القول حكماً لانصرح بما يقوله الصحابي الذي لم يأخذ عن الاسرائيليات مما لا مجال للاجتهاد فيه ولاله تعلق بيان لغة او شرع كالاخبار الماضية عن بدو الخلق واخبار الانبياء والآية كالملاحم والفتن واحوال القيمة وكذا الاخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص او عقاب مخصوص وانما كان له حكم المرفوع لان اخباره بذلك يقتضي مخبراً له ولا مجال للاجتهاد فيه (وذلك) يقتضي موقفاً للقائل به ولا موقف للصحابة الا النبي صلى الله عليه وآله وسلم او بعض من يجبر عن الكتب القديمة فلماذا وقع الاحتراز عن القسم الثاني واذا كان كذلك كان له حكم ما لو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مرفوع سواء كان ماسمعه منه او عنه بواسطة » اه وبهذا تعرف ان قول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية له حكم المرفوع وبقي لوجوب الاخذ به ادلة اخرى ومرحجات سناتي على تفصيلها ان شاء الله اما الروايات في ذلك فهي كثيرة ولنذكرها وقفنا عليه منها مع الكلام على شيء من اسانيدھا مع ما يتخلل ذلك من مناقشة التلميذ وشيخه ثم نذكر ما وقفنا عليه من كلام العلماء في ذلك مع ما يقتضيه المقام من تكميل او استدراك

﴿ روايات سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴾

الرواية الاولى - ابن جرير - حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان قال ان الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته وان كانوا دونها في العمل ليقرا الله بهم عينه

الرواية الثانية - ابن جرير - حدثنا مؤمل قال حدثنا سفيان عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى ليرفع ذرية المؤمن

في درجتهم وان كانوا دونهم في العمل ليقر بهم اعينهم ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء ولنذكر ما عملت يدا (التلميذ) من الخلط في هاتين الروايتين والغلط في اساء الرجال وغيره ثم نعود الى ذكر بقية الروايات فنقول

﴿ مناقشة التلميذ في خلطه بين الروايات وغلطه في اساء

الرجال وصفاتهم ودرجتهم من العدالة والثقة ﴾

قال السيد العلامة عبد الله دحلان^(١) في كتابه في كلامه على هذه الآية مانصه «قال ابن جرير في تفسير الآية (ماملخصه) حدثنا ابن بشار عن عبد الرحمن عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير وعن ابن عباس في هذه الآية» فساق ملخصا مما تقدم نقله عن ابن جرير قال التلميذ في الرد عليه «فصل واما آية والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم الآية ففيها تاويلات بعضها صواب حلي وبعضها دون ذلك ومن جمله ما نقله دحلان وذووه من تفسير ابن جرير ملفقا من اخبار المرجئة المردودة كما سيتضح ذلك لكل ذي لب من القراء والمستمعين» اه ونقول ان الذي اوردها ابن جرير اربعة عشر رواية وكلها ترمي الى معنى واحد وليس فيها ما يصح ان يطلق عليه انه اختلاف الاختلافهم في مراجع الضائر وقد اورد في الدر المنثور خمس روايات زيادة على ما اورده ابن جرير واورد الطحاوي عدة منها في كتابه مشكل الآثار وكلها ترمي الى معنى واحد ولحقاء الجمع على (التلميذ) ظن ان بين تلك الروايات تناقضا وليس الامر كما ظن ولذلك لم يذكر ابن القيم في كتابه حادي الارواح اختلافا بين

(١) قد اقتصرنا من بعد هذا الموضع على لفظة (السيد) فليتبه اه مؤلف

المفسرين في معنى الآية الا اختلافهم في المراد بالذرية وعبارته « وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار او الكبار او النوعان على ثلاثة اقوال » اي اما الالحاق والرفع الى الدرجة التي لم يبلغوها باعمالهم فلم يختلفوا فيه ولذلك قال وهو يحكي قول القائلين ان المراد بالذرية الكبار مانصه « فهذا يدل على انهم دخلوا باعمالهم ولكن لم يكن لهم اعمال يبلغون بها درجة ابائهم فبلغهم اياها وان تقاصر عملهم » اه وكذلك حكى هذه الاقوال بعض من ذكرناهم من المفسرين فهم موافقون للسيد فيما نقله وما نقلوا وما قالوا الا نحو ما نقله وقاله، وحسبه ان يكون ذو ولا جميع مفسري ومحدثي الامة من ابن عباس الى يومنا هذا الامن ابتغى غير سنتهم ، وسلك غير سبيلهم ، ولم يحك البغوي في الآية الا قولين وهو من التفاسير التي تعتمد النقل وقد اثنى عليه ابن تيمية وبمثل قول هؤلاء المفسرين قال ابن تيمية كما سيأتي نقل عبارته فقول التلميذ «(من اخبار المرجئة المردودة)» مردود عليه فقد تلقاها الامة بالقبول واعتمدوها ولو كانت من اقوال المرجئة لما ارتضوها ولما فسروا بها الآية وكيف يفسرون كتاب الله بمعنى من المعاني ثم يخالفونه الى قول آخر، فان كان ما دلت عليه الآية هو مذهب المرجئة فقد وافقوا الحق في ذلك ولا يضر اهل السنة موافقة المرجئة بهم في امر من الامور فان الحق مشترك بين اهل، وهذه الكلمة التي اوردتها (التلميذ) من كلمات التنفير التي يغتر بها الانصار وضعاف العقول ، ومثله مثل من يقول

لك لا تشرب العسل فانه من شراب اليهود وهذا النوع هو الذي
يسميه اهل المنطق بالشعريات وما يعرج على مثله ذوقهم وعقل
قال التلميذ « وقد مال الى هذا القول بعض المفسرين على غير حجة واضحة
ولكنهم معذورون لانهم بنوا ذلك على ما نقل اليهم من الاقوال والاخبار مع عدم
العلم بما يطرق تلك الاخبار من اوجه الضعف التي علمها غيرهم من العلماء ونبهوا
عليها لان الله تعالى لا يكلف احداً بما لا علم له به بعد بذل وسعه » اه
ونقول بل مال الى هذا القول كل المفسرين الذين وقفنا على
تفاسيرهم لا بعضهم بحجة واضحة وهي صحة الآثار به واجماع المفسرين
عليه ووروده عن الصحابة وهو مما لا يقال من قبل الرأي فله حكم
المرفوع وهم والحمد لله عالمون برجال الاسانيد واقوال الفرق واوجه
الخلاف وفيهم الحفاظ والمحدثون ومن لا يخفى عليهم شيء من احوال
الرجال كالحافظ ابن جرير الطبري والضياء المقدسي والطحاوي
والحافظ السخاوي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم وحسبك حجة على التلميذ
وشيخه شيخاهم المعتمدان لديهم وهما ابن القيم وابن تيمية فأنهما
لا ينكران انها من اهل الحفظ والحديث والمعرفة بأحوال الاسانيد ورجالها
وقوله « من اوجه الضعف التي علمها غيرهم من العلماء » الخ يظهر انه عنى
بالغير نفسه او هو وشيخه فأنهما خالفا جميع المفسرين والمحدثين فلا يصدق
ذلك الاعليهما ولا ادري ماذا أقول في هذه الدعاوي العريضة

لقد هزلت حتى بدت من هزالها ❀ كلاها وحتى سامها كل مفلس
قال « واما نحن فان اتبعنا هذا الخطأ مع علمنا بطلان الخبر الوارد فيه عن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوعى اصحابه ومع علمنا بان هذا التأويل مخالف لمذلول ماصح وتواتر من آي الكتاب وصحيح السنة فلسنا بمعدورين لأن الله تعالى لا يسأل احداً عن فهم غيره وانما يسأله عما صح عنده من الكتاب والسنة بقطع النظر عن قبله وعمن بعده فربما مبلغ اوعى من سامع» اه وتقول انظروا الى الدعاوى العريضة اسمعوا اقوال المجتهدين أفليس من اعجب العجب أن تخطيء الامة المحمدية وعلماؤها ومفسروها ومحدثوها في معنى آية من كتاب ربهم ثلاثة عشر قرناً ولا يتنبه احد منهم لهذا الخطأ وينفرد التلميذ عنهم اليوم بمعرفة الصواب فلعمري من هو الاولى ان يكون مع الحق وان يكون الحق معه؟ أهو وشيخه ام جميع المفسرين ومن روى ذلك من المحدثين؟! واما قوله بمخالفته لمذلول ماصح وما تواتر من آي الكتاب وصحيح السنة (كذا) فهو من التضليل والتحريف فان ما ورد في تفسيرها وقال به العلماء واعتمدوه لا يخالف صحيحاً ولا متواتراً، وهو حق في نفسه وحسبك ان المعتزلة القائلين بتخليد اهل الكبائر من المؤمنين في النار يجوزون ان يفضل الله بما شاء على من شاء وهذا من ذاك وهو قول اهل السنة والجماعة ومن اسمع ما في كلامه من العجرفة تعريضه بانه اوعى من جميع سلف الامة فعنده ان جميعهم لم يفهموا الايات والاحاديث في ذلك حق الفهم ولم يعوها ولكنه وحده هو الذي وعها ولذلك قال قرب مبلغ اوعى من سامع فهل سمع السامعون بمثل هذا التنفج والتشبع والدعوى العريضة فاذا اضفنا الى ذلك شكه في كتاب الله لما يفهمه كلامه من ان في كتاب الله ما ليس بصحيح ولا متواتر ظهرت لك حقيقتا

الرجل قال « وقد نقل ايضا ابن جرير اقوالا عديدة عن المتقدمين في تأويل هذه الآية ونقل ايضا القول الذي افق به الاستاذ في صورة جوابه فلماذا نقل دحلان وذووه هذا القول وتركوا ماسواه بغير دليل ان كانوا يريدون الحق ثم هم بغير خجل يشنعون عليه كأنه اتى بمنكر من القول مع وضوح وجهه وظهور حجته وانما اعتمد الاستاذ ذلك الوجه لكونه اقرب الى الصواب من غيره عنده وذلك لكثرة ما يؤيده من آيات واحاديث كما سيري طلاب الحقائق كلامه المفصل في تفسير هذه الآية ولا يقول عاقل ان مجرد فهم احد بغير دليل شرعي يكون حجة على احد او دليلا على بطلان القول الذي اعتمده هذا على فرض تكافؤ الاقوال فكيف والبرهان قائم على حقيقة ما اعتمده الاستاذ اه وجوابه اما قوله «ان ابن جرير نقل اقوالا عديدة» الخ فستعلم انها كلها ترجع من حيث اصل المعنى الى قول واحد وليس القول الذي قاله من جملتها وانما اتى هو وشيخه من عدم الفهم لكلام الائمة وقله العلم بقواعد التفسير وآدابه وذلك ان الاصطلاحات العلمية والمواضع الفنية لم تحدث الا بعد انقضاء عصر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم وما كانوا يجرون في كلامهم على اساليب المتأخرين وما كانوا الاعرابا قحاف منهم من يفسر الشيء بلازمه ومنهم من يفسره بملزومه ومنهم من يفسره بفرد من افراده او بمثل يضربه له فاذا رأى ذلك الغبي ظنه اختلافا في المعنى وما هو الا اختلاف في التعبير فحسب واذا اطلع على اقوالهم صاحب الهوى والفرس حملها على ما يهواه، وادارها الى ما يراه، وهم رضي الله عنهم بعيدون عن الاصطلاحات الحادثة كل البعد وقد نص على ما ذكرنا لا كثير من العلماء قال الزركشي « وربما يحكى عنهم عبارات مختلفة الالفاظ فيظن من لافهم عنده ان ذلك اختلاف محقق فيحكيه اقوالا وليس كذلك بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى

من الآية لكونه اظهر عنده اولى مجال السائل وقد يكون بعضهم يجبر عن الشيء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده وثمرته والكل يؤول الى معنى واحد غالباً فان لم يمكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم ان استويا في الصحة عنه والا فالصحيح المقدم « اه وقال ابن تيمية « والخلاف بين السلف في التفسير قليل وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان احدهما ان يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير معنى الاخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم الصراط المستقيم بعض بالقرآن ابي اتباعه وبعض بالاسلام فالقولان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهم به على وصف غير الوصف الاخر كما ان لفظ صراط يشعر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وامثال ذلك فهؤلاء كلهم اشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها الثاني ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض انواعه على سبيل التمثيل وتنبية المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه »

وضرب ابن تيمية لذلك امثلة كثيرة فليرجع اليه من اراده في الاتقان للسيوطي فقد نقله عنه وقال عقبه انه نفيس جدا وفي كلام ابن القيم نحو هذا وستعلم من جمعنا بين الاقوال انه لا اختلاف ولا تضاد بينها وانها ترجع الى معنى واحد واما قوله « ان ابن جرير نقل ايضا القول الذي افتي به الاستاذ في صورة جوابه الخ » فجوابه ان الذي افتي به استاذنا وفصله فيما يأتي لاجوده في تفسير ابن جرير، ودخلان وذوولا نقلوا ذلك القول وتركوا ما سوا الالانه اصح الروايات واقواها سندا وماتركوا الالرواية التي فيها ابهام واجمال يستطيع المتهوكون من الوعيدية ان يحولوها الى هوامم بضروب من التأويل لاجمالها وابهامها ولانها تفسير بالنظير

لابا لمعنى نفسه ولضعف سندها لأن في اسنادها قدريان والمسئلة هذه يخالف فيها بعض المبتدعة من القدرية وقتادة قائل تلك المقالة منهم والراوي عنه سعيد بن ابي عروبة قدرى ايضا ولانها مارويت الا عن تابعي فكيف يتركون قول الصحابة وفيهم ترجمان القرآن لقول قتادة مع ما هو عليه من المذهب المخالف لمذهب اهل السنة والجماعة وقوله ((ثم هم بغير خجل يشنعون عليه)) جوابه نعم يشنعون عليه لانه تتبع ما تشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله واما الخجل فان صاحب الحق لا يخجل والله لا يستحي من الحق واما كونه اتى بمنكر من القول فنعم واما ان يكون له وجهها واضحاً وحجة ظاهرة فلا ومن قبله بقول الائمة انكر وجهه وعرف بطلان حجته وقوله «وانما اعتمد الاستاذ ذلك الوجه لكونه اقرب الى الصواب من غيره عنده» جوابه اما هذا فحق وصدق ولكنه ابعد شيء عن الصواب عند سلف الاممة ومفسريها واما قوله «لكثرة ما يؤيده من الايات والاحاديث» الخ فباطل ولا مؤيد له ولا مصحح وما ذكره من الايات هي الآيات التي يستدل بها المعتزلة على مذهبهم المعروف وقوله «ولا يقول عاقل ان فهم احد» الخ نقول ولا يقول عاقل ان فهم التلميذ وشيخه اصح من فهم الصحابة والتابعين ومفسري الأمة اجمعين واذا عرض على العقلاء فهم ابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم وفهم سلف الاممة من المفسرين والمحدثين مع فهمه وفهم شيخه فلا يشك احد ان كلا

منهم سيتخذ كلامهم حجة بينه وبين الله ويستعين به على فهم الآية ويرمي بما قاله خاف ظهراً وأما قوله «ان البرهان قائم على حقيقة ما قاله الاستاذ» فبخلاف الواقع فان البرهان قائم على بطلانه من غير شك قال (ولنذكره ولاضعف الوجه الذي نقله دحلان ملفقا من تفسير ابن جرير من جهة النقل ليكون النظر مقصورا على جوهر الآية فنقول هذا الخبر الذي نقله ابن جرير عن ابن عباس لا يصح بطريقه لان في سنده اولا شعبة وهو ضعيف في الحديث ضعفه محمد بن عبد الله بن نمير وقال فيه انه لم يكن في شيوخنا اكثر غلطا منه وقال ابن معين انه كثير الغلط جدا وفي سنده هذا الخبر مؤمل قال فيه البخاري انه منكر الحديث وكفى بذلك من جرح وقد نقل الحافظ الذهبي في الميزان عن البخاري انه قال كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه وقال ابو زرعة في حديث مؤمل خطأ كثير وفي سنده ايضا سفيان بن الحسين ويقال ابو الحسين وهو ممن لا يحتج بحديثه فضلا عن خبره وفيه ايضا عمرو بن مرة وهو من المرجئة في سنده هذا الخبر ثلاثة من الضعفاء الذين لا يحتج باخبارهم ويكفي وجود واحد منهم في سلسلة الخبر دليلا على ضعفه مع عدم وجود من يتابعه من الثقات فما بالك بخبر اجتمعوا في سنده جميعهم بحيث يرويه ضعيف عن ضعيف عن مبتدع فلا ريب انه اوهى من بيت العنكبوت)) اه وتقول ان في كلامه اضاليل وابطال، ونحن نذكرها بالتفصيل (الاول) ان السيد ساق سندا واحداً من روايات ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الرحمن عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد زيدت واو في نقله فقيل وعن ابن عباس غلطا اذ ليس عند ابن جرير رواية بهذا السند موقوفة على سعيد بن جبير وقد فهم زيادتها ابن العاقب فلذلك قال «هذا الخبر الذي نقله ابن جرير عن ابن عباس» اه اذاً فالذا تطوع

التلميذ فنقل طريقين (فان قيل) لعله اراد زيادة الايضاح وان الخبر لا يصح من هذه الطريق التي ذكرها السيد ولا من الطريق الثانية فليس للخبر طريق صحيحة (قلنا) اذا كان هذا قصده فلم يذكر بقية طريقه عند ابن جرير وهي ست طرق فاذا ما اقتصر عليها الا لكثر بجرح رجالها (الثاني) انه زعم ان في كل سند ثلاثة ضعفاء ممن جرحهم وهو غير صحيح فانه جرح شعبة وسفيان بن الحسين وعمرو بن مرة ومؤمل ولم يجتمع ثلاثة من هؤلاء في طريق من الطرق التي اخرجها ابن جرير اصلا لما سيأتي فما الداعي الى هذا الافك والاختلاق ولعل هذا من الادوات التي لا يتم له الاجتهاد الا بها والزمان ابو العجب (الثالث) انه قال في سفيان انه سفيان بن حسين ويقال ابو الحسين ونقل ما قيل فيه من الجرح وهذا غلط فاضح فليس لسفيان بن حسين ذكر في روايات ابن جرير اصلاً فان الذي عند ابن جرير روايتان فيهما سفيان بن عيينة وهو المراد عند الاطلاق كما هو مصطلح المحدثين ورواية فيها سفيان بن سعيد الثوري فمن اين ظفر التلميذ بسفيان بن الحسين فانظروا الى مبلغ علم الواصلين مراتب الاجتهاد نعوذ بالله من الغرور (الرابع) قد عرفنا من عادته انه اذا لم يجد في السند من يجرحه خلط اسم احد الرواة بغيره ممن يحتمل الجرح كما فعل هنا اذ ابدل بسفيان بن عيينة سفيان بن الحسين وابدل فيما يأتي بيزيد بن حيان التيمي يزيد البلخي وغير ذلك مما سيربك واذا وجد

في موضوع النزاع حديثاً ضعيفاً سارع الى ايراد الكلام عليه ليتسع له مجال الثثرة كما فعل هنا وكما فعل في الكلام على آية وكان ابوها صالحاً وهذا ليس من افعال طلاب الحق (الخامس) انه قال في سفیان بن الحسين وهو ممن لا يحتج بحديثه فضلاً عن خبره وهذا مجازفة فانه من الثقات المحتج بهم علق له البخاري وروى له مسلم والاربعة ولم يضعفوه الا في حديث الزهري وليس هذا من حديثه ولذلك قال الحافظ في مقدمة الفتح ضعفه احمد بن حنبل وغيره في الزهري وقوله في غيره وقد ترجم له في تهذيب التهذيب ونقل توثيقه في حديث غير الزهري عن يحيى بن سعيد وابن معين وابن ابي شيبة والنسائي والعجلي وابن سعد وابن عدي وابن خراش والبزار ، وقول ابي حاتم فيه مما انفرد به ولم يتابعه عليه احد (السادس) انه جرح عمرو بن مرة احد الكبار بالارجاء وهو جرح غير مفسر فلا عبرة به لانقسام الارجاء الى ما يصح الجرح به وما لا يصح فنفصل ذلك على وجه لا تجدها مجموعاً في كتاب فنقول

﴿ معنى الارجاء وتحقيق القول فيه ﴾

قال الحافظ ابن حجر « الارجاء بمعنى التأخير وهو عندهم على قسمين منهم من اراد به تأخير القول في الحكم في تصويب الذين قاتلوا بعد عثمان ومنهم من اراد تأخير القول في الحكم على من اتى الكبائر وترك الفرائض بالنار لان الايمان عندهم الاقرار والاعتقاد ولا يضر العمل مع ذلك » اه وقد اقتضب الحافظ القول في ذلك اقتضاباً والمقام يحتاج الى زيادة بسط لما وقع في ذلك من الخبط

والخلط فنقول الأرجاء مأخوذ من ارجأ الأمر اذا أخره وينقسم بحسب اختلاف الاصطلاح الى اربعة اقسام (الاول) اطلاق المرجئة على من قال بتأخير علي عليه السلام من الدرجة الاولى في الخلافة الى الرابعة فهو مقابل الشيعي وعليه تكون المرجئة والشيعية فرقتين متقابلتين وهذا الاطلاق غير مشهور ولا مستعمل وان اطلقه بعضهم ولم نر فيما بيدنا من كتب الجرح والتعديل جرحا بهذا القسم منه (الثاني) ان يراد به تأخير القول في الحكم على من اتى الكبائر وترك الفرائض بالنار لأن الايمان عندهم الأقرار والاعتقاد ولا يضر العمل مع ذلك وهذا القسم قلما يجرح به احد اليوم ومتأخرو الاشعية أو اكثرهم يتقلده (القسم الثالث) اطلاقه على غلاة المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الايمان عمل كما لا ينفع مع الكفر عمل وهذا يكثر في اهل الشام سابقا ويقول به بعض النواصب وهو مذهب ملوك بني امية والقوم على دين ملوكهم وقلما يجرح الناصبي احدا بهذا القسم (القسم الرابع) ان يراد به تأخير القول في الحكم بتصويب احدي الطائفتين المتقاتلتين بعد عثمان رضي الله عنه وقد اتفق على الجرح بهذا النوع فريقان متقابلان من جهتين مختلفتين فالفريق الاول يقول من ارجأ القول في الطائفتين كان معاديا لعل علي السلام لانه لم يحكم بتصويبه فلم يواله ولانه لا ولاء الا ببراء اي لا يصح توليه لمن لم يعاد من قاتله وفسقه واشاد بلعنه فهو مجروح

العدالة والفريق الثاني وهم اخابث النواصب يقولون من ارجأ القول فيها كان مجروح العدالة لتوقفه عن تخطئة امير المؤمنين علي عليه السلام وعن غير ذلك من اقوالهم العفنة فيه رضي الله عنه وارضاه وقد قال الحافظ ابن حجر انه لا جرح بهذا النوع كما ذكره في تهذيب التهذيب في ترجمة الحسن بن محمد بن الحنفية فقد جرحه مغيرة بن مقسم بالأرجاء وقال فيه هو اول تكلم في الأرجاء كما جرح عمرو بن مرة به فقال لم يزل في الناس بقية حتى دخل عمرو في الأرجاء فتهافت الناس فيه وكان مغيرة ناصبياً غالباً فكان يرى ان من توقف عن تخطئة امير المؤمنين علي عليه السلام وعن سوء القول فيه كان مجروحاً ساقط العدالة فمثل هذا يلزم منه جرح مغيرة بن مرة لا عمرو فان عمراً مجمع على توثيقه والاحتجاج به وقد اثنوا عليه الثناء البليغ فارجع الى ترجمته في تهذيب التهذيب وقد ظهر لك بما ذكرنا ان مرمى به عمرو لا يقتضي جرحاً وان جارحه به وهو مغيرة بن مقسم الناصبي هو المجروح واقل ما يقال فيه انه جرح غير مفسر لانقسام الأرجاء الى ما يصح به الجرح وما لا يصح وفي أرجاء المغيرة وحزبه يقول المأمون العباسي

اذا المرجي سرك ان تراه * يموت لحينه من قبل موته

فجدد عندك ذكرى علي * وصل على النبي واهل بيته

وقد ذكر ابن تيمية نفسه في بعض كتبه ولا تذكر موضعه الآن ان عمراً

ابن مرة روى في المنام قليل له ما فعل الله بك قال غفرلي بحب علي بن ابي طالب وذكر امرأ آخر ثم قال ابن تيمية انه لما عرف الحق فتمسك بحب علي غفر له او قريبا من هذا والحاصل انه قد اختلط في كتب الجرح والتعديل الجرح بالارجاء القادح وغير القادح ولا سبيل الى معرفة ذلك وتمييزه الا بالنظر الى الجارح فان كان ناصبيا كان جرحه به ساقطا لأن اكثر قدماء النواصب كانوا مرجئة في الايمان وكان اكثر ملوك بني مروان كذلك والقوم على دين ملوكهم فلا يجرحون الا بالارجاء الذي نسبناه اليهم في القسم الرابع ولهذا الخلط الذي ذكرنا فيه تناقض كلام بعضهم في اول من قال بالارجاء واعني به ابن تيمية^(١) فانه قال في كتاب الايمان له « وقال ايوب السخيتاني انا اكبر من دين المرجئة ان اول من تكلم في الارجاء رجل من اهل المدينة من بني هاشم يقال له الحسن وقال زاذان امينا الحسن بن محمد فقلنا ما هذا الكتاب الذي وضعت وكان هو الذي أخرج كتاب المرجئة فقال لي يا ابا عمرو ولوددت اني كنت مت قبل ان اخرج هذا الكتاب او أضع هذا الكتاب » اه ثم قال في موضع آخر « وكان أول من قاله حماد بن سلمان » اه وقد توفي الحسن بن محمد بن الحنفية سنة خمس وتسعين وقيل سنة احدى ومائة اما حماد بن سليمان فقد توفي سنة عشرين ومائة وقال الذهبي في ترجمة ذراهمداني « قال احمد لابأس

(١) جمع بعض محققي عصرنا من مناقضات ابن تيمية لحوماثي ورقة كالقول بالشيء ثم تقيضه أو القول بصحة امر لعله كذا ثم القول بفساد أمر آخر لنفس تلك العلة من وجه واحد وكره الباطل بالباطل والفساد بالفساد والازراء باهل البيت وكبار الائمة ومدح الخوارج بالدين مراغمة للاحاديث المتواترة بانهم مرقوا منه ولا محل للتعميل هنا اه مؤلف

به هو اول من تكلم الارزاء « اه ويظهر الصواب بما ذكره الحافظ بن
عساكر في تاريخه ^(١) في ترجمة الحسن قال « وقال عثمان بن ابراهيم بن
حاطب اول من تكلم في الارزاء الحسن بن محمد كنت حاضرا يوم تكلم وكنت
مع عمي في حلقة وكان في الحلقة جحذب وقوم معه فتكلموا في علي وعثمان وطلحة
والزبير فاكثروا والحسن ساكت ثم تكلم فقال قد سمعت مقاتلكم ولم أر شيئا امثل
من ان يرجأ علي وعثمان وطلحة والزبير فلا يتولوا ولا يترأ منهم ثم قام فقمنا
فقال لي عمي يابني ليتخذن هولاء هذا الكلام اماما قال عثمان فقال به سبعة رجال
يقدمهم جحذب من تيم الرباب ومنهم حرملة التميمي فبلغ اياه محمد بن الحنفية
ما قال فضر به بعضا فشجه وقال لا تتولى ابك عليا ودخل مسيرة عليه فلامه على
الكتاب الذي وضعه في الارزاء فقال لوددت اني كنت مت ولم اكتبه « اه
ولما كان مغيرة بن مقسم ناصبيا قال في الحسين بن محمد هو اول من
تكلم في الارزاء وقال في عمرو بن مرة لم يزل في الناس بقيت
حتى دخل عمرو في الارزاء فتهافت الناس فيه وقد علمت نوع
الارزاء الذي يجرح به مغيرة الحسن وعمراً اذ لا يرضيه منهما
الا تخطئة امير المؤمنين عليا عليه السلام وسوء القول فيه وبما
ذكرناه تعلم ان مثل هذا يقتضي جرح المغيرة نفسه لا الحسن ولا عمرو
وقد احتج ائمة الحديث بعمرو ووثقوه وخرجوا له وقد رأيت بعد كتابة
ما تقدم ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قد تكلم في الأجزاء في الايمان
ففي حديث رواه البخاري ومسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم كلمة وقلت الثانية قال من مات يشرك بالله دخل النار وقلت

(١) نقل هذا من تهذيب المطبوع اه مؤلف

من مات لا يشرك بالله دخل الجنة فينبغي ان يحمل هذا على العاقبة
او حصول العفو فيكون دليلا لاهل السنة الذين يقولون بانه لا يخلد في
النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان كما صحت به الاحاديث ورأيت نحوه
في تاريخ ابن عساكر (١) في ترجمة الحارث بن عمير الزبيدي الحارثي
فذكر صحبته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وذكر قصة طويلة فيها ان
معاذا امر ان يطلب تفسير القرآن عند ثلاثة عويمر ابي الدرداء
وسلمان الفارسي وعبد الله بن مسعود وساق القصة الى قوله
« ثم انطلق الى الكوفة فجعل يحضر مجلس ابن مسعود غدوة وعشية فيينا هو
في المجلس اذ قال له ابن مسعود ممن انت يا ابن اخي فقال له انا امرؤ من اهل
الشام فقال نعم الحي اهل الشام لولا واحدة فقال له الحارث وما تلك الواحدة
قال لولا انهم يشهدون على انفسهم انهم من اهل الجنة فاسترجع الحارث مرتين او ثلاثا
ثم قال صدق معاذا حين حذرني زلة العالم والله يا ابن مسعود ما انت الا احد رجلين
اما رجل اصبح على يقين من الله ويشهد ان لا اله الا الله فانت من اهل الجنة واما رجل
مرتاب لا تدري اين منزلك قال صدقت يا ابن اخي انها زلة مني فلا تؤاخذني بها»
وفي دواوين السنة احاديث مروية عن معاذا بن مسعود تشهد لما في هذا
القصة ويؤخذ من ذلك ومن مواضع اخرى تركنا الاماع اليها تفاديا من
ذكرها ان الأرجاء الحادث بعد المائة والذي اختلفوا في اول من قال به هو
الأرجاء في القول في الحكم بتصويب احدي الطائفتين المتقاتلتين بعد
عثمان وان الجرح به قد جاء متقابلا كما شرحنا من قبل ثم اشترك لفظه

بين المعنيين وتنازعتهم الطوائف ونقل الجرح به على علته ولاوجه للتمييز
الاما ذكرناه آنفاً ، وانظر كيف ذكر عمرو بن مرة بحب علي عليه السلام
ورماه بعض النواصب بالارجاء وكيف قالوا في ترجمة الفضل بن دكين
انه حافظ حجة الا انه يتشيع من غير غلو ولاسب ثم نقلوا فيه عن
ابن معين انه اذا ذكر انسانا فقال هو جيد واثنى عليه فهو شيعي واذا قال
فلان كان مرجئا فاعلم انه صاحب سنة لابس به نقل هذا الذهبي
في الميزان فهذا الفضل يجرح بالارجاء لانه شيعي ، والمغيرة يجرح
بالارجاء لانه ناصبي ، فهذا هو القسم الرابع وقد ترامت الطائفتان
بالجرح به من وجهين متقابلين ولعل القسم الرابع انما بني على القسم الثاني
ثم تقاسمت الطائفتان المنكرتان له من هولاء وهولاء في حمله على من لا يقول
بقولها فيمن لا يتوليان كما قال القائل

هوى ناقتي خلني وقد امي الهوى * واني واياها لمختلفان

واكثر الاختلاف في الاهواء والشيع انما تفرع عن الاختلاف في
السياسة (من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ولما ذكرنا شواهد
اخرى لانطيل بها فاشدد يدك به فانه خلاصة بحث طويل والله اعلم
(السابع) اطلاقه القول بضعف مؤمل وهو ابن اسمعيل العدوي مولاهم
ترجم له في التهذيب وحكى توثيقه عن ابن معين وابي داود والساجي
وابن سعد وابن قانع واسحق بن راهويه وما عابوا عليه الا الخطأ
لانه كان يحدث من حفظه ومن اجل ذلك قال محمد بن نصر انه يتوقف

في حديثه اذا انفرد وهو هنا لم ينفرد بل تابعه الثقات كما في الرواية الاولى فان رجالها رجال الصحيحين وله متابعات غيرها وقد اخرج له النسائي والترمذي وابن ماجه وعلق له البخاري ذكر ذلك في تهذيب التهذيب وحينئذ فمؤمل يحتج بحديثه وخبره في مثل هذا الموضوع لوجود المتابعات وموافقة الثقات واطلاق التلميذ القول فيه خطأ وقصور (الثامن) تضعيفه شعبة وما ادراك ما شعبة؟ ما اخرتنا الكلام عليه الا لطوله ولم يسمع في القديم والحديث، ولم ينقل عن احد من رجال الحديث، انه ضعف رواية لأن شعبة في سندها بل كان يعدون وجود شعبة في السند من علامات صحته واسباب ترجيحه فكانوا يصححون به الحديث اذا رواه ويوثقون به الراوى إذا روى عنه لانه لا يروى الا عن ثقة ولا يحدث الا بما كان محفوظا ولذلك ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب جميع من روى عنهم ليكون بمثابة التوثيق لهم وقال في خطبة الكتاب بعد ان ذكر انه قد يقتصر على ذكر بعض شيوخ المترجم او من عليه رقم الصحيحين منهم مانصه « ولا اعدل عن ذلك الا بلصحة مثل ان يكون الرجل قد عرف من حاله انه لا يروى الا عن ثقة فاني اذكر جميع شيوخه او اكثرهم كشعبة ومالك وغيرها» اه ولذلك نقل الحافظ في ترجمة توبة ابو صدقة الانصاري عن الذهبي مستدركا مانصه « وقرأت بخط الذهبي بل هو ثقة روى عنه شعبة يعنى وروايته عنه توثيق له » اه وكان الذهبي يقول « اذا رأيت سندا فيه شعبة فاشدد يدك به » وقال ابن القيم « اذا كان شعبة في حديث لم يكن باطلا » وكان اذا اراد توثيق رجل قال « وحسبه رواية شعبة عنه » او اراد تقوية حديث قال « ولكنه

حديث فيه شعبة)) وقال ((وشعبة حامل لواء هذا الحديث وقد قال بعض ائمة الحديث اذا رأيت شعبة في اسناد حديث فاشدد يدك به)) وقال الحافظ ابن حجر ((انه لم يكن يروى من حديث اشياخه الا ما كان محفوظا)) وقد شنع الحافظ ابن حجر في اللسان على عبد الله الكعبي احد رؤس المعتزلة لذكره شعبة فيمن يعد كثيرا الخطاء وعد ذلك الغاية في سوء الفهم فليقابل هذا بما ذكره (التلميذ) ومرتبة شعبة عند علماء الحديث عظيمة حتى قال الشوكاني في كتابه ارشاد الفحول ((ومن طرق التزكية ان يروي عنه من عرف من حاله انه لا يروي الا عن عدل كيجي بن سعيد القطان وشعبة ومالك فان ذلك تعديل كما اختاره الجويني وابن القشيري والغزالي والآمدى والصني الهندي وغيرهم قال الماوردي وهو قول الخدق)) اه وكان شعبة يعدل عندهم مائة راوثة وعدالة وقوة قال الشوكاني وهو يذكر وجوه الترجيح ((ثانيهما ترجيح العدالة فانه رب عدل يعدل الف رجل في الثقة كما قيل ان شعبة بن الحجاج يعدل مائة)) اه ويعز في رواية البخاري وسلم مثل شعبة اما ثناء الائمة عليه فكثير وعظيم وفي تهذيب التهذيب منه جملة صالحة ولا حاجة بنا الى نقل شيء من ذلك وقد ظهر لك الفرق بين ائمة الاسلام والتلميذ فانهم يصححون الاحاديث بوجود شعبة في اسانيدھا وهو يضعفھا به وهم يرجحون ما كان من روايته وهو لا يقيم له وزنا كما فعل هنا وكما فارقه في الدنيا فيخشى ان يفارقهم في الآخرة فاي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ومن العجب انهم مع هذا الجهل المركب يدعون الاجتهاد اللهم بصرنا بعيوب انفسنا ولا تكلنا الى انفسنا طرفة عين (التاسع) عدم انصاف التلميذ وتلونه وتقلبه

كل يوم تبدي صروف الليالي ❀ خلقا من ابي سعيد غريبا
فبينما هو يضعف شعبة هنا ويسقط مارواه ويقول بعدم جواز الاحتجاج
به اذا هو يحتج بحديثه في موضع آخر حيث وافق غرضا في نفسه
كما فعل مثل ذلك في غندر فاين الانصاف الذي يتبجح به هو
وشيخه وسيأتي ذكر هذا في موضعه ان شاء الله تعالى (العاشر) انه قال
« فني سند هذا الخبر ثلاثة من الضعفاء الذين لا يحتج بأخبارهم » الى ان قال
« مع عدم وجود من يتابعه من الثقات » وهذا على تقدير صحة قوله بضعفهم
باطل ايضا لوجود المتابعات كما استراه في الروايات الآتية فكيف به وهم ثقات
ودعوا الضعف باطالة لا اصل لها كما بسطنا احوال الذين جرحهم

﴿ عود الى ذكر بقية روايات سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه ﴾
(الرواية الثالثة) - ابن جرير - حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهرا بن سفيان
عن عمرو بن مرة الجدلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
ان الله تبارك وتعالى ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته ثم ذكر نحوه غير انه قرأ
(واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقناهم ذرياتهم)

(الرواية الرابعة) - ابن جرير - حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال
حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا سفيان بن سعيد عن سبعة عن عمرو بن مرة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه

(الرواية الخامسة) - ابن جرير - حدثنا ابن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال
حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال في هذه الآية (والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان) قال المؤمن ترفع له ذريته
فيلحقون به وان كانوا دونه في العمل

اما درجة هذا الروايات من الصحة فقد صححها الحاكم والضياء المقدسي

والحافظ السيوطي والحافظ السخاوي والقسطلاني وابن حجر الهيتمي وغيرهم وقد اخرجها عن ابن عباس رضي الله عنهما سعيد بن منصور وهناد وابن المنذر وابن ابي حاتم في تفسيره وقد التزم ان يخرج اصح ما ورد والحاكم والبيهقي في سننه والقسطلاني في المواهب والسمهودي وابن حجر الهيتمي وغيرهم، ورجال الرواية الاولى رجال الصحيحين وفيها شعبة فوجودة فيها زيادة تصحيح لها ورجحان، ورجال الثانية من رواة الصحيحين ايضا الامثمل وقد علمت توثيقه واما كلام البخاري فيه فلم يتابعه عليه احد وانما عابوا عليه الخطأ وهو مأمون هنا لعدم تفردا، ورجال الثالثة من رجال الصحيحين الامهران وقد وثقه ابن معين وابو حاتم والدارقطني وشكى بعضهم من غلظه ولا تضره هذه الشكوى الامع الانفراد والا ابن حميد وهو محمد بن حميد بن حيان التيمي الحافظ الشهير اثني عليه احمد وحدث عنه يحيى ووثقه وتكلم فيه آخرون وعابوا بالاكثر وغيره وقد اخرج له الترمذي وابو داود وابن ماجة وحديثه مقبول في المتابعات، ورجال الرواية الرابعة من رجال الصحيحين الاموسى بن عبد الرحمن المسروقي فقد اخرج له الترمذي والنسائي وابن ماجة مجمع على توثيقه وثقه النسائي وابو حاتم وابن حبان، ورجال الخامسة كلهم من رجال الصحيحين وهو سند فيه شعبة كما يقول ابن القيم وحسبك به

﴿شواهد هذه الروايات﴾

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التي

وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم بعدان ذكر أنه يدخل مع الرجل ابوه وولده وزوجته الجنة وان لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله اياه « حدثنا ابو هاشم قال حدثنا يحيى بن يمان العجلي قال حدثنا شريك عن سعيد قال يدخل الرجل الجنة فيقول اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجتي فيقال لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ثم قرأ اجنات عدن التي وعدتهم الآية « وهذا هي الرواية السادسة وقد ذكرها السيوطي في آية سورة الرعد وعزى اخراجها الى ابن ابي حاتم وابو الشيخ وقال ثم قرأ اجنات يدخلونها ومن صلح يعنى من آمن بالتوحيد بعد هولاء من ابائهم وازواجهم وذرياتهم قال « واخرج ابن ابي حاتم عن ابي مجاز رضي الله عنه في الآية قال علم الله تعالى ان المؤمن يجب ان يجمع الله له اهله وشمله في الدنيا فاحب ان يجمعهم له في الآخرة » اما سند رواية ابن جرير فهو حسن فأبو هاشم هو ابو هشام الرفاعي وقد كتب على الصواب في تفسير سورة الرعد وسورة الدخان من ابن جرير واسمه محمد ابن يزيد بن محمد العجلي ترجم له في تهذيب التهذيب اخرج له مسلم والترمذى وابن ماجه وذكر توثيقه عن ابن معين والمجلى وقال البرقاني ثقة امرني الدارقطني ان اخرج حديثه في الصحيح وضعفه اخرون واما يحيى بن يمان العجلي ابو زكرياه الكوفي فقد ترجم له في تهذيب التهذيب اخرج له البخارى في الادب المفرد ومسلم في صحيحه والاربعة وذكر توثيقه عن ابن معين ويعقوب بن شيبه والمجلى وضعفه بعضهم تضعيفا هينا واما شريك

فهو ابن عبد الله الكوفي القاضي ترجمه في تهذيب التهذيب علق له مسلم في الصحيح والاربعة مجمع على توثيقه ولم يتكلم فيه الا ابن القطان والجوزجاني من جهة المذهب^(١) ولا يؤخذ بقولهما في هذا الموضوع ومن الشواهد (الرواية السابعة) عند ابن جرير - حدثني علي قال حدثنا ابو صالح قال حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله (وان ليس الانسان الامسعي) قال فانزل الله بعد هذا (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم) فادخل الله الابناء بصلاح الاباء الجنة وهذا الرواية ذكر في الدر المنثور انه اخرجها ابوداود والنحاس كلاهما في الناسخ والمنسوخ وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس بمثل ما تقدم وقد ذكر نحو هذا الامام ابو محمد بن حزم في كتابه في الناسخ والمنسوخ فقال « قوله تعالى (وان ليس للانسان الامسعي) نسخت بقوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان) الاية يجعل الولد الطفل يوم القيمة في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الاباء في الابناء والابناء في الاباء ويدل على ذلك قوله تعالى (اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا) اه فهو ممن يقول بان المراد بالذرية في الاية الصغار ولكنه عمم الشفاعة كما ترى وقد سبقه الى مثل هذا الامام العلامة هبة الله بن سلام بن نصر بن علي المفسر البغدادي في كتابه في الناسخ والمنسوخ وهو كتاب جليل في هذا الفن جمعه من خمسة وتسعين تفسيراً سمعها من المفسرين والمحدثين وذكر أسانيداً الى المأثور منها آخر كتابه

(١) لانه اتخذ طائفة من اهل البيت من الحريق كما تكلموا في ابي عبد الله الجدلي بل والصحابي عامر بن الطفيل من اجل ذلك اه مؤلف

(الرواية الثامنة) - ابن جرير - حدثني المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله ابؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا يقول اطوعكم الله من الاباء والابناء ارفعكم درجة يوم القيامة لان الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم في بعض » وقد حكى هذه الرواية البغوي عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وزاد « فان كان الوالد ارفع درجة يوم القيامة في الجنة رفع الله ولده وان كان الولد ارفع درجة رفع اليه والده لتقر بذلك اعينهم » اه
والرواية السابعة والثامنة من اقوى الاسانيد وأصحها ومتنها مما لا يقال من قبل الرأي فلها حكم المرفوع ونقل السيوطي عن الحافظ ابن حجر وهو يحكي طرق تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مانصه « ومن طريق معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وعلي صدوق ولم يلق ابن عباس لكنه انما حمل عن ثقات اصحابه فلذلك كان البخاري وابن ابي حاتم يعتمدون على هذه النسخة » اه وقال في الاتقان مانصه « وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصي كثرة وفيه روايات وطرق مختلفة فمن جيدها طريق علي بن ابي طلحة الهاشمي عنه قال احمد بن حنبل بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن ابي طلحة لورحل فيها رجال الى مصرقا صدأ ما كان كثيرا اسنده ابو جعفر النحاس في ناسخه قال ابن حجر وهذه النسخة كانت عند ابي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وهي عند البخاري عن ابي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس واخرج منها ابن جرير وابن ابي حاتم وابن المنذر كثيرا بوسائط بينهم وبين ابي صالح وقال قوم لم يسمع ابن ابي طلحة من ابن عباس التفسير وانما اخذه عن مجاهد وسعيد بن جبير قال ابن حجر بعد ان عرفت الوسطة وهو ثقة فلاضير في ذلك اه

(الرواية التاسعة) ابن جرير - حدثني محمد بن الحسين قال حدثنا احمد بن

المفضل قال حدثنا اسباط عن السدي قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نعمنا قال بعضهم في نفع الاخرة وقال بعضهم في نفع الدنيا

قال السيوطي في الاتقان نقلاً عن الخليلي في الارشاد « وتفسير اسماعيل السدي يورد باسانيد الى ابن مسعود وابن عباس وروى عن السدي الأئمة مثل الثوري وشعبة لكن التفسير الذي جمعه رواه اسباط بن نصر واسباط لم يتفقوا عليه غير ان امثل التفاسير تفسير السدي » اه وعقبه السيوطي بقوله « وتفسير السدي الذي اشار اليه يورد منه ابن جرير كثيراً من طريق السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا ولم يورد منه ابن ابي حاتم شيئاً لانه التزم ان يخرج اصح ماورد والحاكم يخرج منه في مستدركه اشياء ويصححه لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس (١) فقط دون الطريق الأول » اه ومنه يعلم درجة هذه الرواية

﴿ رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه ﴾

(الرواية العاشرة) روى الكلبي عن ابن عباس في قول (بايمان) اي بايمان الذرية في الدنيا (الحقناهم) اي بالاباء (ذريتهم) في الاخرة في درجة اباؤهم ويقال (والذين امنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن ندخلهم الجنة (واتبعتم ذريتهم) الصغار في درجاتهم (بايمان) بايمان الذرية يوم الميثاق (الحقناهم) بالاباء يقول الحقنا بدرجات الاباء ذريتهم المدركين اذا كانت درجة اباؤهم ارفع (وما التناهم من عملهم من شيء) يقول لم تنقص من درجة الاباء وثوابهم لاجل الحاق الذرية بهم » اه وذكر ابن القيم في كتابه حادي الارواح عن الكلبي رواية اخرى قال « وقال الكلبي عن ابن عباس ان كان الاباء ارفع درجة من الابناء رفع الله الابناء الى الاباء وان كان الابناء ارفع درجة من الاباء رفع الله الاباء الى الابناء وقال اعطوا مثل اجور اباؤهم ولم ينتقص الاباء من اجورهم شيئاً » ولعل هذا الرواية اصح

(١) كذا في الاصل ولعله وناس من الصحابة او مؤلف

من التي سقناها بل ذكر السيوطي في الاتقان نحوها فقال «واخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله (والذين امنوا واتبعتم ذريتهم) قال هم ذرية المؤمن يموتون على الاسلام فان كانت منازل ابائهم ارفع من منازلهم ألحقوا بابائهم ولم ينقصوا من اعمالهم التي عملوا شيئاً» وقد علمت ان ابن ابي حاتم قد التزم ان يخرج في تفسيره اصح ماورد وهذا شهادة لرواية الكلبى وليست عنه لان طريقه ليست من شرط ابن ابي حاتم بل قالوا ان طريق الكلبى اوهى طرق ماروي عن ابن عباس قال السيوطى لكن قال ابن عدي في الكامل للكلبي احاديث صالحة وخاصة عن ابي صالح وهو معروف بالتفسير وليس لاحد تفسير اطول منه ولا اشبع انتهى ولكن قد علمت ضعفها ووهنها

(الرواية الحادية عشرة والثانية عشرة والثالث عشرة والرابعة عشرة)

رواية العوفى عن ابن عباس ورواية الضحاك وابن زيد فمن ذكر رواية العوفى عن ابن عباس البغوي في معالم التنزيل «قال ورواية العوفى عن ابن عباس اخبر الله عزوجل انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجة عمل ابائهم من غير ان ينقص الاباء من اعمالهم شيئاً فذلك قوله (وما التناهم من عملهم من شيء) اى نقصانهم يعنى الاباء من عملهم من شيء» اه بحذف ذكر القرآت وذكرها ابن جرير فقال «وقال اخرون بل معنى ذلك (والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم) التي بلغت الايمان (بايمان الحنابهم ذرياتهم) الصغار التي لم تبلغ الايمان (وما التنا الاباء من عملهم من شيء) ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال حدثني ابي قال حدثني عمي قال حدثني ابي عن ابيه عن ابن عباس قوله (والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحنابهم ذرياتهم) يقول الذين ادرك ذريتهم الايمان فعملوا

بطاعتي الحقتهم بايمانهم الى الجنة واولادهم الصغار نلحقهم بهم حدثت عن الحسين قال سمعت ابا معاذ يقول اخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله (والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقتهم ذرياتهم) يقول من ادرك ذريته الايمان فعمل بطاعتي الحقتهم بابائهم الجنة واولادهم الصغار ايضا على ذلك)) في هذه الرواية حمل الذرية على الكبار والصغار فقوله (واتبعتهم ذرياتهم بايمان) حملوا الذرية فيه على الكبار وقوله (الحقتهم ذرياتهم) حملوا الذرية فيه على الصغار وفيه تقييد اللاحق للكبار بالاتباع بالايمان في الجملة وانما قلنا في الجملة لان اتحاد الناس وتساويهم في الايمان والاعمال من قبيل الفروض المحالية في العادة وذلك معنى قوله تعالى (ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم) ولأن لفظ اللاحق يشعر بالحاق قاصر بكامل وبمثل ذلك قال المفسرون ونقله ابن القيم عنهم كما سيأتي اما اسانيد هذه الروايات فرواية العوفي قال فيها السيوطي ((وطريق العوفي عن ابن عباس اخرج منها ابن جرير وابن ابي حاتم كثيرا والعوفي ضعيف ليس بواه وربما حسن له الترمذي)) اه والعوفيون بيت حديث وهم يتوارثون رواية هذه الصحيفة أباً عن جد فاما محمد بن سعد فهو ابن محمد بن الحسن بن عطية العوفي قال الخطيب كان لنا في الحديث وروى الحاكم عن الدارقطني انه لا بأس به واما ابوه سعد فقد تكلم فيه احمد بانه جهمي وهو معدود في الضعفاء في ذيل الميزان واما عمه فهو الحسين بن الحسن ضعفه يحيى والنسائي وابو حاتم واما ابوه فهو الحسن بن عطية قال ابو حاتم ضعيف الحديث وقال البخاري ليس بذلك روى له ابو داود واما ابوه فهو عطية بن سعد العوفي في روى له ابو داود

والترمذى وابن ماجه والبخارى فى الادب المفرد قال احمد ضعيف الحديث وقال ابو حاتم يكتب حديثه وكذلك قال ابن عدى وثقه ابن سعد وضعفه آخرون وحجتهم فيه التشيع وتقديمه امير المؤمنين عليا كرم الله وجهه على الكل فسنده هذه الرواية مقبول فى المتابعة واما رواية الضحاك فقد قال فيها السيوطي «وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة فان الضحاك لم يلقه» اه وقال عن الحافظ بن حجر «منهم جويبر بن سعيد وهو واه روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم وهو صدوق لم يسمع من ابن عباس شيئاً» اه فهذه الرواية منقطعة بل معضلة لقول ابن جرير حدثت عن الحسين وحنيفة فتكون الرواية موقوفة على الضحاك فهي من قسم تفاسير التابعين لا الصحابة فلا تقدم على ماروي عن الصحابة رضي الله عنه بل قيل ان الضحاك ليس بتابعي قال ذلك العجلي وانكر غير لا ان يكون شافه احداً من الصحابة ذكر ذلك في تهذيب التهذيب واما الراوي عنه هنا فهو عبيد بن سليمان الباهلي قال ابو حاتم لاباس به وقال هو احب الي من جويبر وعكس ذلك ابن معين وذكره ابن حبان فى الثقات، واما ابو معاذ فهو الفضل بن خالد النحوي ذكره السبوطي فى طبقات النحاة وقال ذكره ابن حبان فى الثقات، واما الحسين فهو الحسين بن الفرج فلا احسبه الا الحياط قال ابو نعيم فيه ضعف وقال ابو الشيخ ليس بالقوى وكان احمد ويحيى لا يرضيانه وابن جرير انما يروى عنه بواسطة فهاتان الروايتان كما علمت ومع ذلك فليستا

مناقضتين للروايات الصحيحة المتقدمة انما فيها زيادة الجمع بين الذرية الصغار والكبار وهذه الرواية اختارها الواحد من المفسرين وذكرها غيره واما رواية ابن زيد فقد ذكرها ابن جرير ايضا قال بعد ما تقدم « وقال اخرون نحو هذا القول (اي قول العوفي والضحاك) غير انهم جعلوا الهاء والميم في قوله (الحقنا بهم) من ذكر الذرية والهاء والميم في قوله (بهم ذريتهم) من ذكر الذين وقالوا معنى الكلام والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم الصغار وما التنا الكبار من عملهم من شيء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قال ادرك اباؤهم الاعمال التي عملوا فاتبعوهم عليها واتبعتهم ذريتهم التي لم يدركوا الاعمال فقال الله جل ثناؤه وما التناهم من عملهم من شيء قال يقول لم نظلمهم من عملهم من شيء فننتقصهم فنعطيه ذرياتهم الذين الحقناهم بهم الذين لم يبلغوا الاعمال الحقهم بالذين بلغوا الاعمال » اه قوله وفي اول العبارة نقص بينه ما في الرواية بعدها وقد ذكر ابن جرير رواية اخرى عن ابن زيد فقال « حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما التناهم من عملهم قال يقول لم نظلمهم من عملهم من شيء لم نتقصهم فنعطيه ذرياتهم الذين الحقناهم بهم (الذين) لم يبلغوا الاعمال الحقهم بالذين قد بلغوا الاعمال وما التناهم من عملهم من شيء قال لم نأخذ عمل الكبار فيجزيه الصغار (الصغار) (١) ادخلهم برحمته والكبار عملوا فدخلوا باعمالهم » اه اقول وفي رواية ابن زيد تعسف وحمل للضائر على غير المحدث عنه وفي ذلك منافاة للاولى ولما تقتضيه البلاغة وليس هذا التأويل المفكك النظام باولى ولا التيق ولا ارضن مما تقدم لاسيا وهو من تفاسير التابعين فلا يقدم على تفاسير الصحابة

(١) زدنا لفظي الذين والصغار ليستقيم الكلام وقد سقطتا من الاصل فجعلناهما بين بين اه مؤلف

رضي الله عنهم وانما يعتبر كالشاهد للروايات المتقدمة الصحيحة لموافقته لها في اصل المعنى لانهم جعلوا اللاحق للذرية الصغار الذين لم يدركوا الاعمال بالذرية الكبار الذين قد بلغوا الاعمال فجعل من لم يعمل كمن عمل فضلاً ورحمة منه تعالى وكرامة لابائهم حيث ساوى بين ذرياتهم الكبار بما هداهم له من الاعمال والصغار اعطاهم بمحض الفضل ما اعطى الكبار بلا عمل منهم ولا بد ان يكون محط المعنى هو اللاحق الكبار والصغار بالاباء لان ذلك هو الذي يدل عليه لفظ اتبعناهم من جهة اللغة كما سيأتي ذكر ذلك اما سند هذه الرواية فقد قال الحافظ ابن حجر في الاستيعاب ونقله عنه السيوطي مانصه ((ومن تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم تفسير زيد بن اسلم من رواية ابنه عبد الرحمن عنه وهي نسخة كبيرة رويها ابن وهب وغيره عن عبد الرحمن عن ابيه وعن غير ابيه وفيه اشياء كثيرة لا يسندها لاحد وعبد الرحمن من الضعفاء وابوه من الثقات)) اه فقد سقط من سند ابن جرير عبد الرحمن اكتفاء بما هو المعروف من سند المذکور فيما تقدم فاما يونس فهو ابن عبد الاعلى وابن وهب هو عبد الله بن وهب المصري صاحب مالك وهما من المشاهير

❖ ماروي عن سعيد بن جبير وعامر الشعبي من كبار التابعين

وهما الخامسة عشرة والسادسة عشرة ❖

قال ابن جرير ((وقال اخرون بل معنى ذلك والذين امنوا واتبعتم ذريتهم بايمان الحقائهم ذريتهم فادخلناهم الجنة بعمل ابائهم وما اتنا الالباء من عملهم من شئ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت

داود يحدث عن عامر انه قال في هذه والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقائبهم
ذرياتهم وما التناهم من عملهم شئ فادخل الله الذرية بعمل الاباء الجنة ولم ينقص الله
الاباء من عملهم شيئاً قال فهو قوله وما التناهم من عملهم من شئ حدثنا ابن المثنى
قال حدثنا ابن ابي عدي عن داود عن سعيد بن جبير انه قال في قول الله الحقائبهم
ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شئ انه قال الحق الله ذرياتهم بابائهم ولم ينقص الاباء
من اعمالهم فريدة على ابنائهم» اه اقول اما قول الشعبي فادخل الذرية بعمل الاباء
الجنة فمعناه تفسره رواية سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الآتية فانه
قال الرجل يكون له القدم في الاسلام ويكون له الذرية فيدخل الجنة
فيرفعون اليه فالمراد بالدخول في كلام الشعبي دخول خاص فان عمل
ابائهم الصالح هو السبب الذي رفعوا به ولو لم يكن لهم ذلك
العمل لما كانوا الاكسائر الناس ممن ليس لايه قدم وليس في
كلام سعيد ابن جبير ايهاً فلامحل لتشنيع التلميذ ولا السوداني على ذلك
وهذا الراوية من روايات التابعين فلا تقدم على كلام ابن عباس ولا ماروي
عنه وهي شاهدة له بالاتفاق في اصل المعنى وان اختلف التعبير اما
سندهما ففي السند الى عامر الشعبي يونس بن عبد الاعلى ثقة غير
مدافع من رجال الصحيح والمعتز بن سليمان التيمي من رجال
الصحيحين اجمعوا على توثيقه، وداود هو ابن ابي هند القشيري مولاهم
من رجال صحيح مسلم واخرج له الاربعة والبخارى في التاريخ
واجمعوا على توثيقه، واما عامر فهو الشعبي اشهر من نار على علم وقد
ارهدف التلميذ وشيخه القلم على هولاء الثقات فوصفهم بعد حكايته هذا
القول بالابتداع وقال انهم كانوا مرجئة وقد بهتهم وهتك اعراضهم

وبدعهم وهم من فضلاء الامة وجمال العلم الثقات الموثوق بهم لم يذكر احد منهم ببدعة لا ارجاء ولا غيره وسيلقاهم بين يدي الحكم العدل والله ولي المؤمنين ، واما السند الى سعيد بن جبير ففيه محمد بن المثنى وقد علمت مما سبق انه من رجال الصحيحين لامطن فيه احتج به سائر الائمة ولم يكن مبتدعا ولا مرجئا وابن ابي عدي هو محمد بن ابراهيم احتج به الائمة ووثقوه وهو من رجال الصحيحين وداود هو ابن ابي هند وقد سبق ذكره ، واما سعيد بن جبير فهو طود السنة الراسخ وعلمها الباذخ ، وقد قال فيه قتادة كان سعيد ابن جبير اعلم الناس بالتفسير والرواية عنه مقدمة على الرواية عن قتادة لكثرة من لقيه من الصحابة واختصاصه بحبر القرآن ابن عباس وشهادة قتادة له بذلك وقال الثوري خذوا التفسير عن اربعة فذكر اولهم سعيد بن جبير

السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون الروايات

المنقولة عن ابراهيم بن جرير والربيع بن انس وقتادة ﴿

لم يذكر البغوي ولا السيوطي في الدر المنثور شيئا عن هؤلاء ولكن ابن جرير نقل عنهم اربع روايات قال « وقال اخرون انما عني بقوله الحقناهم ذريتهم اعطيناهم من الثواب ما اعطينا الاءاء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سمعت ابراهيم في قوله واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقناهم ذرياتهم قال اعطوا مثل اجور ابائهم ولم ينقص من اجورهم حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن مسلم عن ابراهيم واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقناهم ذرياتهم قال اعطوا مثل اجورهم ولم

ينقص من اجورهم شيئاً « هاتان الروايتان عن ابراهيم غير منسوب
وقد رايت في تفسير ابي حيان مانصه « وقال النخعي المعنى اعطيناهم اجورهم من
غير نقص وجعلنا ذريتهم كذلك » واعلمه ظن ان ابراهيم هذا هو ابراهيم
بن يزيد النخعي وليس كذلك فيحتمل انه ابراهيم بن جرير البجلي
ذكره في تهذيب التهذيب كان من التابعين قال فيه ابن القطان مجهول الحال
ولم يسمع من ابيه ووثقه بعضهم في نفسه والذي يغلب على ظني ان المذكور في
هذه الرواية هو ابراهيم بن الحكم بن ابان وهو الاولي بل المتعين اجمعوا على
ضعفه وله رواية في التفسير ضعيفة كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر
اما قيس بن مسلم فهو من رجال الصحيحين وكان مرجئاً واما سفيان
فهو ابن عيينة واما عبد الرحمن فهو ابن مهدي وابن بشار هو محمد بن دار
من رجال الصحيحين كل هؤلاء رجال مشاهير لكن في السند قيس وهو
مرجئ فان كان (التلميذ) وشيخه لا يقبلان احاديثهم ولا اقوالهم فهذا
احدهم قال السيوطي في الدر المنثور « واخرج هناد وابن المنذر عن ابراهيم في
الآية قال اعطي الاباء مثل ما اعطى الابرار واعطي الابرار مثل ما اعطى الابرار » اه
فهذه الرواية ترجع الى ما قدمنا فعننا الحقنا بهم ذريتهم فاعطيناهم مثل
ثوابهم فضلاً منا ورحمة فابراهيم جعل اللاحق في اثابة الله لهم على
الاعمال القليلة بثواب الاعمال الكبيرة ولو كان مراده انهم اتيوا باعمالهم كما
اتيوا باعمالهم كما يثاب كل مؤمن بعمله من غير الحاق بدرجة اباؤهم التي لم
يبلغوها لقال اتيوا باعمالهم كما يثاب كل مؤمن بعمله واي مزية لهم اولاً بائهم

في الاخبار بانهم يثابون على اعمالهم فانه من المعلوم ان كل مؤمن يثاب على عمله سواء كان من ذرية الذين آمنوا أو من ذرية الذين كفروا وما معنى بناء الكلام في الآية على الذين آمنوا وما فائدة ذكر الذرية وما معنى اللاحق وايضا فانه يلزم على قول (التلميذ) وشيخه ان تكون الآية خاصة بمن بعد الصحابة وهو تخصيص بغير مخصص كما سنبين ذلك فيما يأتي ان شاء الله تعالى (فان قيل) ان (التلميذ) بنى الكلام على انه هل يثاب الذرية الكبار مثل ثواب اباؤهم او ينقصون عنهم بسبب تأخر زمانهم كما نقص ثواب من جاهد بعد الفتح عن جاهد قبله (قلنا) هذا بناء على وهم باطل فانما عظم الثواب لمن قبل الفتح لما اقولا من الشدة وقلة الانصار وعدم موافات الامور بخلافه بعد الفتح فقد انقضت الشدائد وسهل الايمان والجهاد لظهور حجج الدين وتظاهر آياته ورسوخ قوته وتكاثر اعوانه على ان من المتفق عليه ان سورة الطور مكية وسورة الحديد مدنية فلا ترد الآية لجواب سوال لم يأت بعد ما يوجبها وليس من سنة القرآن ايراد الفروض النادرة في المسائل كما يفعل اهل التفاريع الفقهية وسياتي مزيد بسط لهذا ان شا الله تعالى

قال ابن جرير قال (يعني ابن حميد) حدثنا حكام عن ابي جعفر عن الربيع واتبناهم ذرياتهم بايمان يقول اعطيناهم من الثواب ما اعطيناهم وما التام من عملهم من شيء يقول ما نقصنا اباؤهم شيئا» اه اقول رواية الربيع هذه صريحة فيما قلنا فان الربيع يقول ان الذرية اعطوا مثل ثواب

الآباء والمراد بالثواب ثمرته وهي الدرجة او دخول الجنة او غير ذلك فهو تفسير اعم مما قبله واشمل ولهذا قال ما نقصنا آباءهم شيئاً فظهر ان ههنا الخاق لهم بابائهم لم يستحق باعمالهم تكريمة لآبائهم والافامعنى دفع توهم النقص من اعمال الآباء لاعطاء ذريتهم مثل عملهم ان لم يكن ذلك من اجلهم رعاية لهم فظهر ان قول الربيع بل وابراهيم وقتادة موافق للروايات المتقدمة غير ان ظاهر كلامهم يدل على ان المراد بالذرية الكبار وهو قول الحسن البصري ويدل على ذلك ما نقله البغوي وابو حيان عن الربيع من تخصيصه آية وان ليس للانسان الاماسعى وعبارة البغوي « وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان يعنى الكافر اما المؤمن فله ماسعى وماسعى له » اما الكلام على سند هذا الرواية فقد قال السيوطي نقلاً عن الحافظ ابن حجر « من تفاسيرهم (اي التابعين) تفسير الربيع بن انس عن ابي العالية واسمه رفيع بالتصغير الرياحي بالمشاة التحتية والحاء المهملة وبعضهم لايسمى فوق الربيع احداً وهو يروى من طرق منها رواية ابي عبد الله بن ابي جعفر الرازي عن ابيه عنه » اه اقول وقد ذكر ابن جرير السند كاملاً في غير هذا الموضع فقال عن حكاهم عن ابي عبيد الله عن ابي جعفر عن ابيه وقد حذف هنا ابو عبيد الله اختصاراً او سقطاً من قلم الناسخ اما حكاهم فهو ابن مسلم الكنازي من رجال صحيح مسلم ثقة وقوله عن ابي جعفر هو الرازي والربيع هو ابن انس البكري قال ابو حاتم صدوق وذكره ابن حبان في الثقات وقال الناس يتقون ما كان من رواية ابي جعفر عنه لان في

احاديثه عنه اضطرابا كثيرا وقد رملا آخرون بسوء الحفظ والانفراد
بالمناكير عن المشاهير، واما ابنه ابو عبيد الله راوي نسخته هذا فقد
تكلموا فيه قال محمد بن حميد كان فاسقا سمعت منه عشرة الاف حديث
فرميت بها ونقل علي بن مهران انه كان يقول طابق من لحم احب الي
من عمار بن ياسر نعوذ بالله وكان يقول في عمار انه كان فاسقا هذا
ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمى عماراً الطيب المطيب وقال
مليء عمار ايمانا من مشاشه الى قدمه فابو عبيد الله ضعيف لا تعتمد
روايته ولكن يعتبر بها وقد علمت موافقتها لغيرها كما بيناه

قال ابن جرير: «حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله
والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم كذلك قالها يزيد ذرياتهم بايمان الحنابلة ذرياتهم قال
عملوا بطاعة الله فالحقهم الله بآبائهم» اه قيد قتادة الحاق الذرية بدرجات
الآباء بعملهم بطاعة الله، وهذا يفيد انه يحمل الذرية على الكبار وانه
يشترط للحاق العمل بطاعة الله وليس مراد من كلامه هذا ان الآية انما تدل
على ان الله يشيب ذرية الذين آمنوا على اعمالهم اذا عملوا بطاعة الله فقط من
غير ان يكون لهم إحاق بدرجات آباءهم التي لم يبلغوها باعمالهم فان هذا كلام
بارد لا يمتلئه سياق الآية ولا مدلول الفاظها ولو كان هذا مراد قتادة لقال
عملوا بطاعة الله فآبائهم الله على ما عملوا كما اثنى آباءهم واثنى كل
مؤمن على عملهم بطاعة الله ولكنه قال «فالحقهم بآبائهم» فهذا الروايات
الاربع كلها تصرح ومنها ما يوميء الى ما ذكر في الروايات السابقة من حصول

الالحاق وتفضل الله على الذرية بما لم تبلغه اعمالهم لان اعطاءهم مثل اجور ابائهم واعطاءهم من الثواب مثل ما اعطى اباءهم والحاق الله لهم بابائهم لما عملوا بطاعة الله كل ذلك لا يتحقق الا بوجود الالحاق والتفضل لان تساوي الناس في اعمالهم وايمانهم من ضروب المحال العادي والفروض البعيدة كما سيأتي الاستدلال عليه وقد رأيت التصريح بالالحاق في رواية قتادة مع ما يؤيد تأويلنا رواية الربيع من تخصيصه اية وان ليس للانسان الاماسعى وبذلك تعلم ان السوداني وتلميذاه قد نسبا الى الربيع وقتادة ما لم يقوله وهذه عبارة السوداني نقلها عنه التلميذ بنصها قال «القول الاول ما قدمناه بان معناه الحقايبهم ذرياتهم في اعطاء الثواب وانهم لا ينقصون عن قبلهم في الثواب لاجل تأخرهم في الزمن مع مساواتهم لمن قبلهم في الايمان والاعمال وهو قول قتادة والربيع» اه فقابل بين قول الربيع وقوله هذا باذنيه وارداه وزياداته فقد قال الربيع «واتبعناهم ذرياتهم بايمان يقول اعطيناهم من الثواب ما اعطيناهم وما التناهم من عملهم من شيء يقول ما نقصنا اباءهم شيئا» فقوله ما اعطيناهم اي مثل ما اعطيناهم وهذا متضمن لالحاقهم بهم في ذلك اما السوداني فقال الحقايبهم ذرياتهم في اعطاء الثواب اي نفس الاعطاء لالثواب نفسه وليس هذا قول الربيع ولا قتادة والاثابة بمثل ثوابهم اذا تساوت الاعمال لالحاق فيها ومما ينبغي التنبيه عليه هنا ان الضمير في التناهم قد ارجعه جميع المفسرين الى الاباء وأرجعه السوداني الى الذرية ونسبه اليهما فقوله ما لم يقوله كما سيأتي نصه على ذلك فقول السوداني قول مخترع مبتدع داخل تحت قول ابن تيمية اذ قال «وبالجملة من عدل عن

مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا اعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم اعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله « اه
﴿ الرواية عن عبد الله بن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم
وابي مجلز رحمه الله ﴾

وهي الرواية الحادية والعشرون وقد ذكرها ابن القيم فقال « قال ابن مسعود في هذه الآية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون اليه لتقربهم عنه وان لم يبلغوا ذلك » اه قال في الاكتفاء في مناقب الخلفاء والرياض النضرة في مناقب العشرة «(قد جاء في بعض طرق حديث ابن عمر فقال رجل لا بن عمر يا ابا عبد الرحمن فعلي قال ابن عمر علي من اهل البيت لا يقاس بهم احد علي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في درجته ان الله عز وجل يقول والذين امنوا واتبعتم ذريتهم بايمان الحقنابهم ذريتهم فاطمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في درجته وعلي مع فاطمة اخرج الحافظ ابو الحسن علي بن احمد بن نعيم البصري في جزئه في فضل الثلاثة)) اي وكان كما ذكر الخطيب شديد العصبية في السنة (١) «(واخرج ابن المنذر عن ابي مجلز في الآية قال يجمع الله له ذريته كما يجب ان يجمعوا له في الدنيا»

﴿ الروايات المرفوعة في معنى الآية ﴾

قد روي هذا الخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا من طرق اخرى فقد ذكر ابن القيم ذلك فقال «(وذكر ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك اظنه حكاه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة سأل عن

(١) قد يوصف بمثل هذا من كان شديد النصب ولذلك وصف بالعصبية فتأمل كتب الجرح والتعديل اه مؤلف

ابويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك او عملك فيقال يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به ثم تلا ابن عباس والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الى اخر الاية» وقال «وروى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ليرفع ذرية المؤمن اليه في درجته وان كانوا دونه في العمل ليقربهم عنه ثم قرأ والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقايبهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء قال ما نقصنا الاباء مما اعطينا البين» اه وروى الحديث الاول الطبراني في الصغير وتبرع (التلميذ) بايراده فقال «حدثنا عبد الله بن ابان الدقيقي البغدادي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ابو عبد الله حدثنا شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة فذكر محوه ثم قال الطبراني «لم يروه عن سالم الا شريك تفرد به ابن غزوان» وقد نقل ابن العاقب عقبه ما قيل في ابن غزوان وسالم الافطس ظنا منه ان الحديث لم يرو الا من طريقها نقول الطبراني «لم يروه عن سالم الا شريك تفرد به ابن غزوان» مع انه قد روى مرفوعا من طرق أخرى وانما قصر الطبراني التفرد على هذا السند وهذا أمر ينبغي ان يتفطن له فان كثيرا من الحفاظ قد يذكر حديثا ثم يعقبه بقوله غريب او باطل او ضعيف وانما يعني انه كذلك بتلك الرواية او بذلك السند فقط فاذا رآه الجاهل ظن ان المراد بذلك متن الحديث والامر بخلافه وقد اخرج الطبراني في الكبير وهذا الحديث قد ذكره الزرقاني في شرح المواهب فقال اخرج ابن مردويه وصححه الضياء المقدسي عن ابن عباس رفعه فذكره، اما الحديث الثاني فقد اخرج

الطبراني والبزار وابن مردويه وابو نعيم والبغوي والثعلبي قال البغوي
«اخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي اخبرنا ابو اسحق الثعلبي اخبرني
الحسين بن محمد بن عبد الله الحديشي حدثنا سعيد بن محمد بن اسحق الصيرفي
حدثنا محمد بن عثمان بن ابى شيبة حدثنا جبارة بن المغلس حدثنا قيس بن الربيع
حدثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فذكر له به واستعلم مما نذكره من الطرق المرفوعة عن الطحاوي والنحاس والحافظ
عبد الغني المصري انه يرتقى الى درجة الصحيح وكفى بتلك الشواهد تقوية
له لاسيما وقد صححه الضياء المقدسي وسيأتي ذكر قيس بن الربيع اما جبارة
بن المغلس فقد روى له ابن ماجه ترجمه في تهذيب التهذيب وقال
«عن ابن نمير صدوق وقال مسلمة ثقة ان شاء الله وقال صالح جزرة كان رجلا صالحا
سألت ابن نمير عنه فقال كان لان يخرج من السماء الى الارض احب اليه من ان يكذب وقال
عثمان بن ابى شيبة جبارة اطلبنا للحديث واحفظنا قال وامرني الاثرم بالكتابة عنه فسمعت
معه عليه بالتخاب» اه ملته قطا وتكلم فيه اخرون في حديثه في رتبة حديث السنن

﴿ روايات الطحاوي في مشكل الآثار ﴾

ذكر الطحاوي في مشكل الآثار له روايات في الآية ومنها ما هو
مرفوع فلا بأس بايرادها قال « بيان مشكل حديث عبد الله بن عباس الذي
يرفعه بعض رواته الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويوقفه بعضهم على ابن
عباس في قوله عز وجل والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقناهم ذرياتهم
* حدثنا ابراهيم بن مرزوق ثنا ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة ثنا عمرو بن مرة
سألت سعيد بن جبيرة عن هذه الآية والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان * قال قال
ابن عباس المؤمن يرفع الله له ذريته ليقر الله عينه وان كانوا دونه في العمل (قال)

ابو جعفر هكذا يحدث شعبة بهذا الحديث عن عمرو بن مرة لا يجاوز به ابن عباس ،
واما الثوري فكان يحدث به عن شيخ له يقال له ساعة عن عمرو بن مرة فيروي
محمد بن بشر العبدي عنه انه رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويروي
محمد بن يوسف الفريابي عنه انه اوقفه على ابن عباس (كما حدثنا) ابراهيم بن ابي
داود ثنا احمد بن شعيب الكوفي ثنا محمد بن بشر عن سفيان عن ساعة عن عمرو بن
مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال ان الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته وان لم تبلغها في العمل ليقربها
عنه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان * حدثنا عبد الله بن محمد بن
سعيد بن ابي مریم حدثنا الفريابي حدثنا سفيان حدثني ساعة حدثني عمرو بن مرة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولم يرفع قال ان الله عزوجل ليرفع ذرية المؤمن
في درجته ليقربهم عنه وان كانوا دونه في العمل (قال ابو جعفر) وقد روى هذا
الحديث ايضا عن عمرو بن مرة قيس بن الربيع الاسدي فلم يجاوز به عن ابن
عباس (كما حدثنا) ابن ابي مریم ثنا الفريابي ثنا قيس بن الربيع عن عمرو بن
مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ثم ذكر مثله (١) حديثه عن الفريابي عن
سفيان عن ساعة وزاد ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الآية (قال ابو
جعفر) وهذا الحديث فنحن نحيط علما ولولم نجد احدا من رواه رفعه الى النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ان ابن عباس لم يأخذة الا عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم اذ كان الذي فيه اخبار عن الله عزوجل بمراده في الآية المذكورة وذلك
مما لا يؤخذ من غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم تأملنا نحن ما في هذا الحديث
فوجدنا فيه رفع الله تعالى ذرية المؤمن الذي هم ذريته ليقربهم عنه والحاكم
ايام به ووجدنا غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المؤمنين قد دخل في ذلك
فعلنا بذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ادخل في ذلك منهم وانه في الحاق

الله عزوجل به ذريته المتبعة له بالايان ليقربه بذلك اولى من سائر المؤمنين سواء وانما كان ذلك لسائر المؤمنين سواء ليقرب به عينهم (١) كان له في ذريته المتبعة له بالايان اولى وكانوا بذلك منه اخرى والله نسأله التوفيق» اهـ

﴿ رواية الحافظ ابي عبد الله الحاكم صاحب المستدرک ﴾

اخبرنا محمد بن علي الصنعاني بمكة ثنا اسحاق بن ابراهيم بن عباد ابناً عبد الرزاق ابناً الثوري عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزوجل الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم قال ان الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وان كانوا دونه في العمل ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم يقول وما نقصناهم

﴿ رواية الحافظ عبد الغني المصري ﴾

قال في كتابه المؤتلف والمختلف في اسم حيد بن علي البلخي ابو علي حدثنا عنه ابو يعقوب الباوردي قال حدثنا ابو علي حيد بن علي البلخي قال حدثنا جعفر بن محمد بن عمران قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا سفيان هو الثوري وساق الحافظ عبد الغني نحو سند الطحاوي ومثنه ثم قال «ورواه احمد بن اشكاب عن محمد بن بشر فرعه» اهـ وقد رواه النحاس من طريق احمد بن شعيب

﴿ ذكر كلام ابن القيم في معنى الآية ﴾

قال ابن القيم في كتابه حادي الارواح بعد ان ذكر الحديثين السابقين مانصه وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار او الكبار او النوعان على ثلاثة اقوال واختلافهم بني على ان قوله بايمان حال من الذرية التابعين او المؤمنين المتبوعين فقالت طائفة المعنى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم في ايمان فأتوا من الايمان بمثل ما أتوا به الحقناهم بهم في الدرجات قالوا ويدل على هذا قراءة واتبعتم ذرياتهم فجعل الفعل في الاتباع لهم قالوا وقد اطلق الله سبحانه الذرية على الكبار كما قال ومن ذريته داود وسليمان وقال ذريته من حملنا مع نوح وقال

(١) لعله اعينهم

وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وهذا قول الكبار العقلاء (١) قالوا ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه ان الله يرفع ذرية المؤمن الى درجته وان كانوا دونه في العمل لتقربهم عنه فهذا يدل على انهم دخلوا باعمالهم ولكن لم يكن لهم اعمال يبلغون بها درجة اباؤهم فبلغهم اياها وان تقاصر عملهم عنها قالوا وايضا فالايان هو القول والعمل والنية وهذا انما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى ان الله يجمع ذرية المؤمن اليه اذا اتوا من الايمان بمثل ايمانه اذ هذا حقيقة التبعية وان كانوا دونه في العمل (٢) رفعهم الله الى درجته اقرارا لعينه وتكميلا لتعظيمه وهذا كما ان زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه في الدرجة تبعا وان لم يبلغن تلك الدرجة باعمالهن وقالت طائفة اخرى الذرية ههنا الصغار والمعنى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم في ايمان الاباء والذرية تتبع الاباء وان كانوا صغارا في الايمان واحكامهم من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك الا فيما كان من احكام البالغين ويكون قوله بايمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين اي واتبعناهم ذرياتهم بايمان الاباء قالوا ويدل على صحة هذا القول ان البالغين لهم حكم انفسهم في الثواب والعقاب فانهم مستقلون بانفسهم ليسوا تابعين الاباء في شيء من احكام الدنيا ولا احكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بانفسهم ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان اولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة اباؤهم ويكون اولاد التابعين البالغون كلهم في درجة اباؤهم وهلم جرا الى يوم القيامة فيكون الآخرون في درجة السابقين قالوا ويدل عليه ايضا انه سبحانه جعلهم معهم تبعا في الدرجة كما جعلهم تبعامعهم في الايمان ولو كانوا بالغين لم يكن ايمانهم تبعا بل ايمان استقلال قالوا ويدل عليه ان الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الاعمال في حق المستقلين واما الاتباع فان الله سبحانه يرفعهم الى درجة اهليهم وان لم يكن لهم اعمالهم كما تقدم وايضا فالخو

(١) اي الذرية الكبار الخ (٢) في الاصل المنقول عنه في الايمان فليحرر

العين والخدم في درجة اهليهم وان لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فانهم يرفعون الى حيث بلغتهم اعمالهم وقالت فرقة منهم الوجه ان تحمل الذرية على الصغار والكبار لان الكبير يتبع الاب بايمان نفسه والصغير يتبع الاب بايمان الاب قالوا والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والابن والاب كما قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اي اباءهم والايان يقع على الايمان التبعي وعلى الاختيارى الكسبي فمن وقوعه على التبعي قوله فتحرير رقبة مؤمنة فلوا عتق صغيرا جاز قالوا واقوال السلف تدل على هذا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقربهم عيونهم ثم قرأ هذه الآية وقال ابن مسعود في هذه الآية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون اليه لتقربهم عنه وان لم يبلغوا ذلك وقال ابو مجلز يجمعهم الله له كما كان يجب ان يجتمعوا في الدنيا وقال الشعبي ادخل الله الذرية بعمل الاباء الجنة وقال الكلبي عن ابن عباس ان كان الاباء ارفع درجته من الابناء رفع الله الابناء الى الاباء وان كان الابناء ارفع درجة من الاباء رفع الله الاباء الى الابناء وقال ابراهيم اعطوا مثل اجورهم ولم ينقص الاباء من اجورهم شيئا قالوا ويدل على صحة هذا القول ان القراءتين كالأيتين فمن قرأ واتبعهم ذريتهم فهذا في حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل اليهم كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ومن قرأ واتبعناهم ذرياتهم فهذا في حق الصغار الذين اتبعهم الله ايام في الايمان حكما فدللت القراءتين على النوعين قلت واختصاص الذرية ههنا بالصغار اظهر لثلايلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في الصغار فان اطفال كل رجل وذريته معه في درجته والله اعلم اه

﴿ الكلام على مقاله ابن القيم في معنى الآية ﴾

الذي نقلناه عن ابن القيم غاية في بابه في البسط والشرح وتحرير الاقوال وفي كلامه مواضع تستحق التنبيه (الاول) انه لم يحك

عن المفسرين الاثلاثة اقوال كلها راجعة الى الذرية لا المؤمنين
التأخرين كما زعم السوداني وتلميذنا (الثاني) ان الاقوال الثلاثة
كلها مجمعة على ان اللاحق واقع بمحض الفضل الواسع حتى للذرية
الكبار ذوي الاعمال التي لم تبلغهم الى درجة اباؤهم (الثالث) انه قال
فأتوا من الايمان بمثل ما أتوا به ومراده بالمثلية مطلق المشابهة
لاجميع وجوهها ولذلك قال بعد ذلك مانصه «يرفع الله ذرية المؤمن الى
درجته وان كانوا دونه في العمل» وقال ايضا «فهذا يدل على انهم دخلوا اي
الجنة باعمالهم ولم يكن لهم اعمال يبلغون بها درجة اباؤهم فلنعم اياها وان تقاصر
عملهم عنها» اه وهذا يخالف اشتراط السوداني المساواة في الايمان
والاعمال وفي كل جليل وحقير من كل وجه وبكل صفة لانه لا للاحق مع استيجاب
المساواة والاتباع لا يستلزم الاتباع^(١) وليس كل من أتبع أتبع وقال ايضا
«فيكون المعنى ان الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن اليه اذا أتوا من الايمان بمثل
ايمانه اذ هذا حقيقة التبعية وان كانوا دونه في العمل اقراراً لعينه وتكميلاً لنعيمه
وهذا كما ان زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه في الدرجة وان لم يبلغن
تلك الدرجة باعمالهن» اه فقد بان لك انه عنى بالمثلية في الايمان مطلق
المشابهة وصرح بنقص اعمال التابع ولم يشترط ان يكون للتابع من انواع الاعمال
ولا كميتهما للمتبوع ولذلك ضرب المثل بازواجه صلى الله عليه وآله وسلم فانهم
يقصرون عنه ايماناً وعلماً وعملاً فان له صلى الله عليه وآله وسلم من الاعمال ما ليس

(١) الاول بالوصل وتشديد التاء بمعنى قفو الاثر والثاني بالقطع وسكون التاء بمعنى
الادراك وبمعناه قرأتى واتبعتهم وأتبعناهم اه مؤلف

لهن مثله ولا ما يقاربه بل ولا لسائر الأمة وهكذا القول في ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (الرابع) ما احتجت به الطائفة القائلة بان المراد بالذرية الصغار من أنه يلزم ان يكون الاخرون في درجة السابقين ليس بشيء فان هذا لا محذور فيه واذا ورد بمثله النص وجب قبوله فان العقول لا مدخل لها في مثله ولا حكم ولا يلزم اذا كانوا في درجة واحدة ان يتساوى نعيمهم ومقامهم وثوابهم فقد يجتمع الاثنان والثلاثة في قرية او دائرة ثم تتفاوت حالهم تفاوتاً عظيماً فلا يلزم من الحاق الذرية بدرجة اباؤهم السابقين ان يكون لهم مثلاً لابائهم من القصور والحدود والخدم والنعيم والتحف والمواهب والمفهوم من درجات الجنة انها منازل وجهات متفاوتة في العلو فقد يعطى بعض اهل الدرجات من كثرة النعيم ما لم يعطه من هو اعلا منزلة منه ولا يلزم من رفعة الدرجة كثرة النعيم كما لا يلزم من السبق الى دخول الجنة رفعة المنازل لاسيما ان كان الاعلا انما رفعت درجته تبعاً كما ان زوجاته صلى الله عليه واله وسلم في درجته وبينهن وبينه بون شاسع فان له من المواهب والنعيم العظيمة ما ليس لهن مثله ولا ما يقاربه كالحدود والخدم كما ورد عن سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال وفي المسند من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ولو ان العالمين اجتمعوا في احداهن

وسعتهم ولا مانع ان يختص الصالح وذريته بناحية في الجنة كما
تختص بعض الشعوب في الدنيا بقارة من القارات الارضية وما
ينحو نحو هذا خلاصة محاوره وقعت بين السيد العلامة المحقق
ابي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين مع عالم مدني قال (المدني)
ان تفضيل عائشه على فاطمة قطعي لان عائشة في درجة النبي صلى الله
عليه واله وسلم وفاطمة في درجة علي فقال (السيد ابو بكر) ايا ارفع درجة
محمد ام درجة ابراهيم خليل الرحمن؟ قال درجة محمد قال: اذا فعائشة بل
ومارية وجميع من ولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ارفع وافضل
من ابراهيم وموسى وعيسى لانهم ملحقون بمحمد في درجته وهي قطعا
ارفع واعلا فوجهم (المدني) لفساد دليله وطلب الحاضرون من السيد
ابي بكر بيان ما عندنا فيما قاله المدني فقال: ان لكل سعيد مقام معلوم
خصصه المولى به وبتلك المقامات الخاصة المفاضلة واما ما كان باللاحق
فوجود الملحق في درجة الملحق به كوجود الندماء والزوجات والسراري
والطهارة في قصر الملك لا يكونون به افضل من الوزراء والقضاة
والمقتنين والقواد ولكل درجات مما عملوا به وقد روى عن عائشة
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال يا رسول الله انك
لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من اهلي واحب الي من ولدي
واني لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى آتيك فانظر اليك واذا
ذكرت موتي وموتك عرفت انك ان دخلت الجنة رفعت مع النبيين

واني اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه واله وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا قال الحافظ ابو عبد الله الضياء المقدسي لا اعلم باسناد هذا الحديث بأسا فهذا إلحاق بالمحبة وان قصر العمل ومن هذا المعنى حديث المرء مع من احب وهو حديث صحيح ثابت مشهور وايضا فاذا جاز ان تكون الذرية الصغار في درجة اباؤهم وليس لهم ايمان استقلالي ولا عمل يرجعون اليه الا فضل الله ونعم المرجع هو فجواز مثل ذلك للذرية الكبار اولى فان ايمانهم الاستقلالي لم يزدحم الاخيراً (الخامس) دليل الفرقة القائلة بان الذرية تم الصغار والكبار قوي وكذلك قولهم في الايمان التبعية ويؤيده قراءة واتبعناهم وتخصيص الذرية باحدهما فقط يحتاج الى دليل فانها تحتل النوعين والرواية عن ابن عباس دليل صالح للقولين معاً والقول بانهم الصغار فقط يلزم منه ان يكون من لا ايمان ولا عمل له اصلاً اولى بالفضل ورفعة الدرجة ممن له ايمان وعمل وهذا وان كان لا يمتنع عقلاً ولكن القلب الى شمول الآية للنوعين الصغار والكبار أميل والله اعلم

﴿ ذكر القرات والاعراب واللغة وما تعلق بذلك في هذه الآية ﴾

قرأ ابو عمرو (واتبعناهم) بقطع الالف ونون العظمة (ذرياتهم) بالالف على الجمع وكسر التاء فيهما لقوله (الحقناهم وما التناهم) ليكون الكلام على نسق واحد

أما أتبع في اللغة فهو من الاتباع بقطع الالف وسكون التاء وهو الادراك
واللحاق قال في المخصص «أتبع القوم (اي بقطع الالف وسكون التاء) اذا كانوا
سبقوك فلحقهم وتبعهم اذا مروا بك فضيت معهم» اه قال في المفردات يقال أتبعه اذا
لحقه قال فأتبعوهم مشرقين ثم أتبع سببا وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة فأتبعه
الشیطان فاتبعنا بعضهم بعضا» اه وكل هذا بمعنى لحق ومن ذلك قوله تعالى
فأتبعهم فرعون بجنوده اي فالحقهم اياهم وكان الكسائي يقرأ فأتبع سببا
بقطع الالف وسكون التاء اي لحق وادرك وفي المثل أتبع الفرس
لجامها وأتبع الناقة زمامها وأتبع الدلو رشاءها كل ذلك يضرب
للامر باستكمال المعروف واستتمامه وعلى الاخير قول قيس بن الخطيم
اذا ما شربت اربعا خط مزري ❀ واتبعته دلوى في السماح رشاءها
ويقال أتبعه الشئ اذا جعله تابعا له وقرأ نافع واهل المدينة (وأتبعتهم)
بوصل الالف وتشديد التاء بعدها وتبأ التأنيث الساكنه ذريتهم
بالافراد وضم التاء (الحقناهم ذرياتهم) بالجمع وكسر التاء وقرأ ابن كثير
والكوفيون (وأتبعتهم) كقراءة نافع (ذريتهم) بالافراد في الموضعين مع رفع
الاولى ونصب الثانية وقرأ ابن عامر (وأتبعتهم) كقراءة نافع (ذرياتهم) بالجمع
فيهما مع الرفع في الاولى والكسر في الثانية اما أتبع بالوصل وتشديد التاء
فهو في اللغة من الاتباع بمعنى قفو الاثر يقال تبعه وأتبعه الاخير
بتشديد التاء اذا مشى خلفه وقفي اثره قال ابو عبيد أتبعتهم مثل افعلت
اذا مروا بك فضيت معهم ويقال مازلت أتبعهم حتى أتبعتهم اي حتى

ادركتهم ونقل في المخصص عن ابي عبيد أتبعتم القوم اذا كانوا
سبقوك فلحققتهم وأتبعتمهم اذا مروا بك فضيت معهم الاول بالقطع
والثاني بالوصل ، اما قوله الحقناهم فانه من الحق والحاق وهو الادراك
يقال لحقته لحاقا ولحوقا والحقته ايالا وبه ويقال الحقت زيدا بعمر وأتبعته
ايالا فلحق به وقوله وما انتاهم قرأ ابن كثير بكسر اللام والباقون بفتحها
وهو من الالت وهو النقص كذلك قال علماء العربية وبذلك قال
المفسر ولا فرواه ابن جرير بالاسانيد الصحيحة عن ابن عباس ومجاهد
والربيع بن انس وفسر بعضهم الالت بالظلم وهو تفسير بالمجاز اذا
الظلم يستلزم النقص فرواه من طريق واحد عن ابن جبير ز من اخريين عن
قتادة والضحاك اما ابن زيد فجمع بينهما فقال وما التناهم لم نعلمهم من
عملهم من شيء لم ننتقصهم فنعطيه ذرياتهم
اما الاعراب فقوله تعالى (والذين امنوا واتبعتمهم ذرياتهم) مبتدأ وصلته، خبره
(الحقنا) واجاز ابو البقاء ان يكون (والذين امنوا) في موضع نصب بفعل محذوف
تقديره واكرمنا الذين امنوا وقال الزمخشري والذين امنوا معطوف على
بحور عين اي قرناهم بالحوار العين (وبالذين آمنوا) اي بالرفقاء والجلساء منهم
كقوله اخوانا على سرر متقابلين ثم قال الزمخشري (بايمان الحقناهم
ذرياتهم) اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا
بدرجتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم فيكون الجار
والمجرور متعلق بالحقنا وقد رد ابو حيان قول الزمخشري فقال ولا يتخيل

اعجمى مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره وانتصر السمين
للزنجشري فقال قلت أما ما ذكره ابو القاسم من المعنى فلاشك في
حسنه ونضارته وليس في الكلام العربي ما يدفعه بل لو عرض
على ابن عباس وغيره لا عجبهم وای مانع معنوی او صناعي يمنعهم وقوله
(واتبعناهم) يجوز ان يكون معطوفا على الصلوة ويكون (والذين آمنوا) مبتدا
ويتعلق بايمان باتبعناهم ويكون المعنى (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم)
الصغار بايمان اى جعلناهم في حكمنا مؤمنين تبعاً لابائهم المؤمنين (الحقناهم)
اى بالذين آمنوا (ذرياتهم) المذكورين في الدرجة وان لم يبلغوا الايمان
والاعمال الاستقلاليين ويجوز ان يكون واتبعناهم معترضا بين المبتدأ
والخبر قاله الزنجشري وقوله بايمان يجوز ان يتعلق باتبعناهم ويجوز
ان يتعلق بالحقنا وهو قول الزنجشري وقاله ابو حيان وهو مقتضى رواية ابن
عباس والجمهور قال الزنجشري فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه
الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية
الداني المحل كأنه قال بشيء من ايمان لا يؤهلهم لدرجة الالباء الحقناهم بهم اه
(ومن) مباحث اللفظ مراجع الضائر المنصوبة والمجرورة في الآية وهي
عائدة عند الجمهور على الذين آمنوا في (اتبناهم وذرياتهم وبهم وذرياتهم
الثانية والتناهم وعملهم) وهذا احسن الاقوال واجلاها وهو الموافق
لمقتضى قواعد البلاغة وما خرج عن ذلك فهو خارج عن الأصل
قال السيوطي «قاعدة الاصل توافق الضائر في المرجع حذراً من التشبث ولهذا

لما حوز بعضهم في (أن اقد فيه في التابوت فاقد فيه في اليم) ان الضمير في الثاني للتابوت وفي الاول لموسى عابه الزمخشري وجعله تافراً مخرجاً للقرآن عن اعجازه فقال والضائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجئة لما يؤدى اليه من تنافر النظم الذي هو أم اعجاز القرآن ومراعاته اهم ما يجب على المفسر اه وجعل ابن زيد الضمير من قوله الحقائهم يرجع الى الذرية الكبار وهم المذكورون في قوله اتبعناهم ذريتهم بايمان وجعله من قوله ذريتهم الثانية وقوله ألتناهم من عملهم راجع الى الذين آمنوا فيكون المعنى والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم الكبار بايمان اي بايمان الذرية الكبار انفسهم الحقائهم اي الذرية الكبار ذريتهم اي ذرية الذين آمنوا الصغار وما ألتناهم اي ما ألتنا الكبار من عملهم من شيء فنعطيه الصغار هكذا قال بلفظ الكبار والمراد بذلك الاباء كما يدل عليه اول عبارته فراجعه ، وخلاصة المعنى ان الله يجمع للمؤمن ذريته الكبار والصغار في الجنة الكبار بايمانهم انفسهم والصغار بفضل رحمة الله اياهم اما السوداني فجعل الضائر كلها ترجع الى الذين آمنوا الا في قوله تعالى التناهم فاضطرب قوله فيه فارجمه مرة الى الاباء والذرية ومرة الى الذرية فقط لكن لا بالمعنى الذي قاله ابن زيد ، واعلم ان قول ابن زيد ضعيف لما فيه من تفريق الضائر واحسب ان الذي حمله على ذلك هو جعله الذرية الثانية غير الاولى وحمله على ذلك اعادتها بالاسم الظاهر دون ضميرها وهذا ليس بدليل لان اعادة ذلك بالاسم الظاهر دون المضمرة هو ما تقتضيه البلاغة وبيان ذلك ان جملي قوله تعالى والذين آمنوا وقوله واتبعتمهم ذريتهم بايمان

وان كانا في حكم جملة واحدة لانها جزء الصلة ولان الخبر انما انبنى عليها معا
ولكن الجملة الاولى هي الاصل والجملة الثانية منبئية عليها فهي كالقرع والاولى
بجزئها هي المحدث عنها فلا بد ان تكون الضائر العائدة اليها مرتبة
ترتيبها فيقدم الضمير الراجع الى الذين آمنوا على الضمير الراجع الى
الذرية وذلك هو الذي تطلبه البلاغة فلما قدم في الخبر الضمير الراجع
الى الذين آمنوا وهو الهاء والميم من قوله الحقناهم لم يبق محل للاتيان
بضمير الذرية فعدل عنه الى الاتيان بالاسم الظاهر وهو ذريتهم ولو
قال الحقناهم بهم اي الالباء للزم تقديم ضمير الذرية على ضمير الذين آمنوا
وفيه تشويش للنظم وقلب للترتيب وهذه نكمتنا لم ار من نبه عليها

﴿ الكلام على الاعتراض والاحتراس الواقعين في هذا الاية ﴾

اتفقت الروايات المنقولة على الاشارة الى ما في قوله تعالى وما التناهم من
عملهم من شيء من الاحتراس لدفع توهم ان اجور الالباء تنقص بسبب
الحاق ذريتهم بهم ونقل ذلك عن ابن عباس وابن جبير والشعبي
والضحاك وابن زيد ومجاهد والربيع بن أنس وقال ذلك غيرهم وقد عقد
الامام العلامة ابو نصر احمد بن محمد الحدادي فصلاً للجمل المعترضة
في كتابه المدخل لعلوم القرآن فساق امثلة كثيرة الى ان قال
« ومثله في القرآن والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بايمان الحقناهم ذرياتهم وما التناهم
من عملهم من شيء ثم اعترض كلام اخر وهو قوله كل امرئ بما كسب رهين
ثم رجع الى ذكر المتقين فقال وامتدناهم بفاكهة الاية» اه كلامه وهو اعم مما
يسميه النحاة بالجملة المعترضة ولعلماء البيان فيه اصطلاح خاص ومما لم ينبه

عليه الشيخ رحمه الله تعالى ان لكل اعتراض مما ذكره نكته اما جليلة او خفية فمنها ما يأتي اتماماً لمكملات الخبر واطرافه ووجوهه ترفيها على السامع، وكفا لشواغله وما يشججه مما يجول بخاطره عند سماعه اول الكلام كالواقع في هذه الاية وذلك أن المؤمن اذا سمع ما قصه الله تعالى من نعم اهل الجنة ومزيد كرامتهم وما هم لا قولا انبعث في قلبه الرجاء واشتدت الرغبة وتصور كينوته في ذلك النعيم ومن طباع البشر ان احدهم اذا تصور نعيماً او راحة تتجدد له يكون اول ما يخطر له اجتماع شمله فيها بذريته لتقر عينه بمشاركتهم له في نعمته وتقلبهم في اذيال كرامته، فجاءت هذه الاية معترضة بين الآيات التي فيها تعداد نعم اهل الجنة ووصفه وتفصيل انواعه مبينة للسامع حكم ما يحتلج بضميره، وينتزع خياله وتتوق اليه نفسه، وفي قوله وما ألتناهم من عملهم من شيء اعتراض آخر جاء للاحتراس عما يتوهم ان المؤمنين اذا الحقت بهم ذرياتهم نقص ذلك من اجورهم وثواب اعمالهم فاخبر الله ان هذا اللاحق للاحق بمزيد الكرامة والنعيم الذي اعطوا فهو مزيد فضل على فضل لا ينتقص به من اجورهم شيئاً، وللاعتراضات اسباب اخر منها وروده لتتيم حكم كما في قوله في هذه الاية كل امرئ بما كسب رهين فان الوهم يذهب بالسامع اذا سمع حكم الله في المؤمنين وذرياتهم الى ان معرفة الكافرين تلحق ابناهم المؤمنين او ان سنته تعالى في اهل الجحيم كسنته في اهل النعيم فدفع الله ذلك

بذكر حكم اهل الذنوب بقوله كل امرئ بما كسب رهين لان اصحاب الجنة قد فككت رهانهم قال الله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فلا تكون هذه الجملة فيهم والقران يفسر بعضه بعضا، ومما اتى لدفع التوهم قوله تعالى لانكف نفسا الاوسعها بعد قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اذ قد يتوهم ان العمل الصالح لا يكون نافعا الا اذا بلغ فيه صاحبه فوق الوسع والى ما وراء حد الطاقة فجاءت هذه الجملة تفتح باب اليسر وتغلق مدخل الحرج، ومنها الرد على شبهة اونهاها كالجمله المعترضة بعد حكايته عن اليهود قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اي لا تصدقوا بالنبوة والكتاب الا لمن تبع دينكم فقوله تعالى ان الهدى هدى الله جملة معترضة جاءت رادة عليهم قولهم اي ان الهدى من عندنا وببيدلا يؤتية من يشاء ويجعله على يد من يشاء فليس لكم ان تدعوا احتكارا، ومنها الا ستطراد الى الموعظة والتذكير وهذا كثير في القرآن كالاغراض الواقع بعد قوله تعالى وابراهيم اذ قال لقومه الايات في سورة العنكبوت ثم عاد الى بقية القصة وهناك اسباب اخرى لانطيل بشرحها ولا بن القيم رحمه الله تعالى كلام في الاحتراس المذكور في هذه الاية فلنورده تماما للفائدة واستظهارا لما ذكرنا قال في اعلام الموقعين وهو يذكر الاحترازات ودفع التوهيمات «ومن ذلك قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقابهم ذريتهم وما التناهم من عملهم شيئا لما اخبر سبحانه بالحق الذرية ولا عمل لهم باباؤهم في الدرجة فربما توهم متوهم ان يحط الالباء الى درجة الذرية فدفع هذا التوهم بقوله وما التناهم من عملهم من شيئا اي ما نقصنا الالباء شيئا من

اجور اعمالهم بل رفعنا ذريتهم الى درجتهم ولم نحطهم من درجاتهم بنقص
اجورهم ولما كان الوهم قد يذهب الى انه يفعل ذلك باهل النار كما يفعله باهل
الجنة منع هذا الوهم بقوله كل امرئ بما كسب رهين» اه وذكر ذلك في كتابه اقسام
القرآن بعبارة اخرى فقال « فصل ثم اخبر سبحانه عن تكميل نعيمهم بالحاق
ذرياتهم بهم في الدرجة وان لم يعملوا اعمالهم لتقرا عينهم بهم ويتم سرورهم وفرحهم
واخبر سبحانه انه لم ينقص الالباء من عملهم من شئ بهذا اللاحق فينزلهم من
الدرجة العليا الى الدرجة السفلى بل الحق الالباء بالالباء ووفر على الالباء اجورهم
ودرجاتهم ثم اخبر سبحانه ان هذا انما فعله في اهل الفضل واما اهل العدل فلا
يعمل بهم ذلك بل كل امرئ بما كسب رهين فني هذا دفع لتوهم التسوية بين
الفريقين بهذا اللاحق كما ان في قوله وما ألتناهم من عملهم من شئ دفع لتوهم
حط الالباء الى درجة الالباء وقسمة اجور الالباء بينهم وبين الالباء فينقص اجر
اعمالهم فدفع هذا التوهم بقوله وما ألتناهم من عملهم من شئ اي ما نقصناهم » اه

﴿ كلام ابن تيمية ﴾

قال : « من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الابعمه فقد خرج عن الاجماع وذلك
باطل من وجوه كثيرة (احدها) ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل
الغير (ثانيها) ان النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم يشفع لاهل الموقف في الحساب
ثم لاهل الجنة في دخولها (ثالثها) لاهل الكبائر في الخروج من النار
وهذا انتفاع بسعي الغير (رابعها) ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في
الارض وذلك منفعة بعمل الغير (خامسها) ان الله تعالى يخرج من النار من
لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم (سادسها) ان اولاد
المؤمنين يدخلون الجنة بعمل ابائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير (سابعها) قال
تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما صالحا فانتفعا بصلاح ابيهما وليس من
سعيهما (ثامنهما) ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو

من عمل الغير (تاسعها) ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير (عاشرها) ان الحج المنذور او الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير (حادي عشرها) المدين قد امتنع صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه ابوقتادة وقضى دين الاخر علي بن ابي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو من عمل الغير (ثاني عشرها) ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن صلى وحده الارجل يتصدق على هذا فيصلى معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير (ثالث عشرها) ان الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا اقضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير (رابع عشرها) ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير (خامس عشرها) ان الجار الصالح ينفع في الحيا والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير (سادس عشرها) ان جليس اهل الذكر يرحم بهم ولم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره (سابع عشرها) الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره (ثامن عشرها) ان الجمعة تحصل باجتاع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعث بالبعث (تاسع عشرها) ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد رفع الله العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير (عشروها) ان صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فانه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولاسعي له فيها (حادي عشرها) ان الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولاسعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز ان تأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة» اه كلام ابن تيمية منقولاً عن حاشية الجمل على الجلالين

﴿ تعديد بعض المواضع المنتقدة من كلامه على هذه الآية ﴾

﴿ الاول ﴾

في قوله « واما اية والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم الخ ففيها تأويلات بعضها صواب جلي وبعضها دون ذلك » اه وذلك أن المنقول في تأويل الآية ثلاثة اقوال في الذرية هل المراد بها الكبار او الصغار او كلا النوعين وما ذكره هو وشيخه قول لها مخالف لهذه الاقوال كلها فاذا كان بعضها صواباً جلياً فما بالها خالفها كلها والصواب فيها ؟

﴿ الثاني ﴾

قال : « ومن جمله مانقاه دحلان وذووه من تفسير ابن جرير ملفقا من اخبار المرجئة المردودة كما سيتضح ذلك لكل ذي لب من القراء والمستمعين » اه وهذا خطأ فان الذي نقله السيد هو الذي اجمع عليه ارباب النقل وحفاظ الحديث وتراجمة القرآن ونقل بالاسانيد المعتمدة على الوجه الذي تقوم به الحجة ولا ينافي مذهب اهل السنة والجماعة بل هم القائلون به والمرتضون له وان خالف مذهب الخوارج

﴿ ال ٣ وال ٤ وال ٥ وال ٦ ﴾

قال : ((وقد مال الى هذا القول بعض المفسرين على غير حجة واضحة ولكنهم معذورون لانهم بنوا ذلك على ما نقل اليهم من الاقوال والاخبار مع عدم العلم بما يطرق تلك الاخبار من اوجه الضعف التي علمها غيرهم من العلماء ونهوا عليها لائن الله تعالى لا يكلف احداً بما لا علم له به بعد بذل وسعه واجتهاده)) اه فقوله ((مال اليه بعض المفسرين)) خطأ بل مال اليه جميع المفسرين الذين وصلنا

الينا تفاسيرهم وقد عددناهم فيما مضى وقوله ((بغير حجة واضحة)) خطأ ثاني فان ييدهم الحجة الواضحة التي يجب المصير اليها وهي السنة المبينة للقرآن وقوله ((لكنهم معذرون لانهم بنوا الخ)) ما تقدم صوابه ان يقال انهم مشكورون وأن الاخبار التي نقلت اليهم لايسع عالما من علماء المسلمين تركها واطراحها «مع عدم العلم الخ» فيه تجهيل لهم كافة وثناء على نفسه وتزكية لها والحق انهم عالمون بها فعلم الرجال واقوال الفرق انما نقل عنهم وقوله «التي علمها غيرهم من العلماء وبنوا عليها» يشير بهذه الجملة الى نفسه لامحالة لانه وحده الذي ادعى بطلانها والتنبيه على ما فيها فقد علم ما لم يعلمه مفسرو الامة وحفاظها ورواتها وعدل بهم ورجح عليهم لانهم جهلوا فعدروا اما هو فعلم ما لم يعلموا واصاب واخطوا فلم يكتف بمساواتهم حتى ادعى الرجحان عليهم !!

﴿ال ٧ وال ٨ وال ٩ وال ١٠﴾

قال : «واما نحن فان اتبعنا هذا الخطأ» اه نقول قد علمت ان مرادنا بالخطأ مقاله ائمة هذا الامة قال : «مع علمنا بطلان الخبر الوارد فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او عن اصحابه» اه نقول قد علمت ان الخبر مروى برواة الصحيحين وغيرهم بطرق عديدة وزعمه العلم ببطلانه هو الجهل المركب قال : «ومع علمنا بأن هذا التأويل مخالف لمذلول ماصح وما تواتر من آي الكتاب وصحيح السنة فلسنا بمعذرين» اه نقول ان التأويل الذي ذكره هو المخالف لمذلول الكتاب السنة وقول علماء الامة لانا نقلناه

عنهم ومفهوم قوله «متواتر وضح من آي الكتاب» ان بعض آي الكتاب لم يتواتر عندنا ولم يصح فاننا لله وانا اليه راجعون

﴿ ال ١١ وال ١٢ وال ١٣ وال ١٤ ﴾

قال ((لأن الله تعالى لا يسأل احدا عن فهم غيره)) اه نقول ان هذا الاطلاق خطأ فان العالم مأمور بالتعليم والتفهيم والجاهل مسئول عما فهم وعلم قال: ((وانما يسأله عما صح عنده (١) من الكتاب والسنة)) اه نقول قد علمت ان الكتاب كله صحيح متواتر وقد تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون فمردد التلميذ الفاظ «متواتر وضح من آي الكتاب» و«عما صح عنده من الكتاب» الالحاجة في نفس يعقوب والله المستعان قال: «يقطع النظر عن قبله وعن بعده» نقول انما يصح له هذا لو كان مجتهدا مطلقا ولم تصح السنة بخلاف قوله والواقع خلافه والعلماء كما نقلوا لنا الفاظ العلم نقلوا لنا معانيه قال «فرب مبلغ اوعى من سامع» اه معنى كلامه هذا ان الأمة والحفاظ نقلوا تلك الاخبار ولكنهم لم يعوها ولم يفهموها حتى ترجمان القرآن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم قد اخطوا فيها وانما وظيفتهم التبليغ اليه فقط وهو الواعي الفهم لاهم بل هو اوعى منهم وافهم بخ بخ !!

واذا كانت هذه رتبة التلميذ فما بالك برتبة الشيخ؟! لقد استنت

الفصال حتى القرعى

(١) قال الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه * ومن انتم حتى يكون لكم عند *

﴿ال ١٥﴾

قال: «وقد نقل ابن جرير اقوالا عديدة عن المتقدمين في تأويل هذه الآية» اه ان مانقله عنهم هو الصواب الذي يجب الاخذ به قال ((ونقل ايضا القول الذي افتي به الاستاذ في صورة جوابه)) اه نقول انه اشترط في (الصورة) لتحقيق اللاحق ان تكون الذرية مؤمنة كاملة الايمان وقضية كلامه ان الذرية الناقصة الايمان والصغار منها لا يلحقون بابائهم ولم ينقل ابن جرير قولاً على هذا الوجه اصلاً واشترط له هنا المساواة بين الاباء والابناء في الايمان والاعمال والحال الخ ماسياتي فقد ناقض نفسه وهذا لم ينقله ابن جرير أيضاً

﴿ال ١٦ وال ١٧ وال ١٨﴾

قال: «فلماذا نقل دحلان وذووه هذا القول الذي نقلوه» جوابه نقلوه لانه الحق والصواب قال «وتركوا مساواة بغير دليل ان كانوا يريدون الحق» اه الحق انهم ما تركوا شيئاً من المنقول واما ما قاله التلميذ وشيخه فهو مبتدع غير منقول ولا محفوظ فلذلك تركوه قال: «ثم هم بغير خجل يشنعون عليه كأنه اتى بمنكر من القول مع وضوح وجهه وظهور حجة» اه جوابه انهم يشنعون عليه ولا ينجلون قولاً بالحق وردا للباطل وصاحب الحق لا ينجل ولأنه اتى بمنكر من القول لم يسبقه الى القول به احد وقوله «مع وضوح وجهه وظهور حجة» جوابه كلابل هو قاتم الوجه داخض الحجة ليس له اصل يرجع اليه ولا سند يعول عليه كما علم ذلك مما سبق

﴿ ال ١٩ ﴾

قال ((وأما اعتمد الاستاذ ذلك الوجه لكونه اقرب الى الصواب من غيره عنده)) اه
قد علمت ان الذى قاله فى صورة الجواب والذى قاله هنالم ينقله ابن جرير
اصلا وعلى فرض انه نقله فقد اعتمدا شيخه وليس بصواب عنده لانه قال
« لكونه اقرب الى الصواب عنده » اى انه خطأ ولكنه اقرب الى الصواب اى
وليس به فانظر كيف يعتمد ما يعتقد انه خطأ ثم لا يقنع بذلك حتى يفتي
به وانظر كيف اتى بقاصمة الظهر فى قوله « وذلك لكثرة ما يؤيده من الآيات
والاحاديث كما سرى طلاب الحقائق كلامه المفصل فى تفسير هذه الآية »
اه نقول آمنا بالله وآياته فان الذى يعتقد به كل مؤمن ان آيات الله
واحاديث رسوله لا تؤيد الخطأ البعيد ولا القريب ولكن التلميذ
وشيخه يقولان انها تؤيده فنسأل الله الثبات على الايمان

﴿ ال ٢٠ ﴾

قال : ((ولا يقول عاقل ان مجرد فهم احد بغير دليل شرعي يكون حجة على احد
او دليلا على بطلان القول الذى اعتمده)) اه نقول ان الذى نقله الأئمة
ليس مجرد فهم بلا دليل بل هو اما نقل حكمه حكم المرفوع الى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم او فهم نفس الدليل الذى هو الآية وكلا
هذين الامرين حجة قاطعة فهما اما دليل بين واضح يستغنى فيه بظاهر
نظمه عن باطن علمه ، او فهم مقرون بشاهده ، مشفوع ببيان مقاصده ،
اما القول الذى اعتمده فلا هو منقول فيرجع اليه ، ولا معقول فيوثق به ،

﴿ ال ٢١ ﴾

قال ((هذا على فرض تكافى، الاقوال فكيف والبرهان قائم على حقيّة ما اعتمده الاستاذ)) اه نقول ان الذى اعتمده ليس بقول منقول عن احد من الأئمة حتى ينظر فى التكافى وعدمه ولكنه تحريف للتنزيل ، ورد للتأويل ، ولا برهان ولا دليل ، والله على ما نقول وكيل

﴿ ال ٢٢ الى ٣١ ﴾

في قوله ((ولنذكر او لاضعف الوجه الى قوله فلا ريب انه اوهى من بيت العنكبوت)) وقد انتقدنا في هذا الجملة عشرة مواضع سبق ذكرها فى اول الكلام على الآية

﴿ ال ٣٢ ﴾

انه ذكر هنا الحديث المرفوع الذى اخرج الطبراني فى معجمه من طريق ابن غزوان عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا وقد سبق ذكر متنه فى كلام ابن القيم ولم يذكر الروايات المرفوعة فى هذا الباب وقد سقنا رواية البغوي وابن مردويه وروايات الطحاوى والحافظ احمد بن اشكاب وابن النحاس وكلها مرفوعة فيتقوى بعضها ببعض وان كان الاصح الوقف على ابن عباس رضى الله عنهما وحينئذ فله حكم المرفوع كما سقنا الادلة على ذلك من كلام العلماء رضى الله عنهم فاغنى عن الاعادة فاقصرا على ايراد هذا الحديث بهذا الرواية جار على عادته التى اشرنا اليها من قبل

﴿ ال ٣٣ ﴾

انه بعد انقضاء كلامه على الحديث المذكور قال: ((قال ابن جرير اختلف اهل التأويل في ذلك فقال بعضهم (والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم) المؤمنون في الجنة وان كانوا لم يبلغوا باعمالهم درجات ابائهم تكريمة لابائهم المؤمنون وما ألتنا اباؤهم المؤمنون من اجور اعمالهم من شيء)) اه فان فيها اختلافا يسيرا لان ابن جرير قال ((اختلف اهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه)) الخ وقال ((واتبعناهم ذرياتهم)) وهذا مما يختلف به المعنى

﴿ ال ٣٤ ﴾

ثم قال ((وهذا القول هو الذي نقاه دحلان في مجموعته مع التصرف فيه)) ونقول انه تصرف لا يضر فان ابن جرير قال ((ان الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته وان كانوا دونه في العمل ليقرا الله بهم عينه)) ونقله السيد بعد ان قال « ما ملخصه » هكذا « ان الله تبارك وتعالى ليرفع للمؤمن ذريته وان كانوا دونه في العمل ليقربهم عينه » فاین التصرف المخل بالمعنى وانما هو تلخيص باسقاط الاسم الظاهر واقامة المضمرة مقامه في قوله « ليقربهم عينه » فلا محل لتجني التلميد

﴿ ال ٣٥ ﴾

ثم قال ((وهو من الوجوه التي اسندها ابن جرير الى ابن عباس وقد تقدم قريبا ان في سنده ثلاثة من الضعفاء الذين لا يعتمد على اخبارهم كما تقدم ان الحديث المروي في هذا المعنى باطل)) اه نقول وقد تقدم قريبا ان ابن جرير اسندها الى ابن عباس من خمس طرق منها طريقان برجال الصحيحين وثلاثة

برجال الصحيحين والسنن وان لها حكم المرفوع ولها شواهد مقبولة
تزيدها قوة ومثانة وان هناك طرقا مرفوعة غير ما ذكره ان لم تكن
صحيحة فهي حسنة

(ال ٣٦ وال ٣٧ وال ٣٨ وال ٣٩ وال ٤٠)

في قوله ((ثم قال ابن جرير وقال آخرون بل معنى ذلك (والذين آمنوا واتبعتهم
ذرياتهم بايمان الحقناهم ذرياتهم) الصغار (وما ألتنا) الكبار (من عملهم من شيء))
وهذا القول غير بعيد عن الصواب ويؤيده قراءة وأتبعناهم وهو احد القولين الوجهين
اللذين ارتضاها الاستاذ في تفسير الآية)) اه في كلامه هذا مواضع متقدمة
(الاول) انالم نجد في تفسير ابن جرير قولاً بهذا اللفظ الذي ذكره ولكن
بعد التأمل والمقابلة والاستدلال بما سيأتي عنه ظهر لنا انه يعني هذا القول
فدونكه فقابله بما ذكره ليظهر لك انه يرى القداة في عين اخيه ولا يرى الجذع
في عينه، وانه انكر من التصرف على السيد ما لا يخل بالمعنى وارتكب ما اخل
بالمعنى والمبنى من غير تنبيه عليه قال ابن جرير «وقال آخرون بل معنى ذلك
والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم التي بلغت الايمان بايمان الحقناهم ذرياتهم الصغار
التي لم تبلغ الايمان وما ألتنا الاباء من عملهم من شيء» اه فقال ابن جرير
((ذرياتهم التي بلغت الايمان)) فاسقط هو الموصول والصلة لانها تنص على
الحاق الذرية الكبار التي بلغت الايمان وهذا ما لا يريد التلميذ ولا شيخه
فلا باس عندهما باسقاط ذلك وان خالف الامانة في النقل وقال ابن
جرير «وما ألتنا الاباء من عملهم» فقال التلميذ «وما ألتنا الكبار» فهذا تصرف
مخل (الثاني) ان هذا القول اسنده ابن جرير الى ابن عباس بسند

لا يرتضيه المحدثون وقد تقدم الكلام في رجاله آفاً واسنداً الى الضحاك بسند معضل وقد تقدم الكلام فيه وفي رجاله فانظر ماذا يختارون وماذا يتركون

قد عرفناك باختيارك اذ كما * ن دليلاً على اللبيب اختياره (الثالث) انه قال ((وهذا القول غير بعيد من الصواب)) اي فهو خطأ قريب ومع ذلك فقد ارتضاه شيخه (الرابع) انه لم يكتف بالحكم عليه بالخطأ حتى قال «ويؤيده قراءة (واتبعناهم) فهذه القراءة عندنا تؤيد الخطأ وهي من القرآن فعندنا ان القرآن يؤيد الخطأ وهذه قاصمه الظهر والعياذ بالله تعالى (الخامس) انه قال ((وهو احد القولين الوجهين الذين ارتضاها الاستاذ فما اکتفی بانه خطأ وان القراءة تؤيد حتى وصفه بانه وجيه وان شيخه ارتضاه فما ظنك به لو كان خطأ بعيداً اذا لكان عندنا اوجه من كل وجيه!! وهلم جرا

(ال ٤١)

قال : «ثم قال ابن جرير وقال آخرون نحو هذا القول غير انهم جعلوا الهاء والميم في قوله (الحقنا بهم) من ذكر الذرية والهاء والميم من قوله (بهم ذريتهم) الثانية من ذكر الذين وقالوا معنى الكلام (والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم) الصغار (وما ألتنا) الكبار (من عملهم من شيء)) اه نقول ان في عبارة ابن جرير سقطاً لم يتفطن له التلميذ ويدل عليه امران (الاول) قوله (واتبعتم ذرياتهم الصغار) فانما الاتباع للكبار (الثاني) نفس الرواية التي حكاها ابن جرير عن قائله هذا القول ونصها ((قال ادرك ابناؤهم الاعمال التي عملوا فاتبعوهم

عليها واتبعتم ذرياتهم التي لم يدركوا الاعمال فقال الله جل ثناؤه وما التناهم من عملهم من شيء قال يقول لم نظلمهم من عملهم من شيء فننتقصهم فنعطيه ذرياتهم الذين الحقناهم بهم ، الذين لم يبلغوا الاعمال الحقةم بالذين قد بلغوا الاعمال» اه وقال في موضع آخر عنهم ايضا «وما التناهم من عملهم من شيء قال لم يأخذ عمل الكبار فيجزيه الصغار ادخلهم برحمته والكبار عملوا فدخلوا باعمالهم» اه فبا لتأمل والمقابلة بين هذه الجملة يظهر ان في العبارة سقطا ولا يظهر المعنى بدونه وقد تقدم تحرير ذلك

(ال ٤٢ وال ٤٣)

قال: ((ثم قال ابن جرير وقال آخرون بل معنى ذلك (والذين آمنوا واتبعتم ذرياتهم بايمان الحقناهم ذرياتهم فادخلناهم الجنة بعمل ابائهم (وما ألتنا) الالباء (من عملهم من شيء) وهذا الوجه اشد اشكالا وابغدها عن الصواب كما سيأتي بيانه ومستند قائله هو ذلك الحديث الباطل الذي تقدم ذكره عن ابن غزوان الكذاب)) اه فقوله «ان هذا الوجه اشد اشكالا» الخ لامعنى له فان الباء في قوله بعمل ابائهم نسبية اي بسبب عمل ابائهم الصالح لانه سبب الكرامة التي اكرم الله بها الالباء في ابنائهم ونحو ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون اليه لتقربهم عينه وقد نقل ابن القيم هذا القول ولم يستشكاه ولو ذكر التلميذ معاني الباء التي اوصى السيد بحفظها لما غلط هنا وكيف يكون معناها على ما فهمه وهو يقول وما (ألتنا) الالباء (من عملهم من شئ) فهذا يبين ان عمل الالباء باقيآهم يجوزوا به في انفسهم واكرموا به ابنائهم والحاصل انه ليس في هذا القول اشكال ولا منافاة لغيره من الاقوال وانما هو تنوع في

التعبير فحسب فاما ان تحمل الذرية على الصغار فلا اشكال لان المراد بالعمل هنا سببه وهو الايمان والتعبير بالسبب عن المسبب شائع سائغ بل قد نقل هو عن شيخه «انه قد يطلق الايمان ويراد به نتيجة من نتائج العالية او غاية من غاياته المقدسة او اثر من آثاره اللازمة لمن استكمله او برهان من براهينه الكمالية» اه
وحينئذ فقد يطلق العمل ويراد به الايمان وهو جزء منه والجزئية من علائق المجاز واما ان تحمل الذرية على الكبار فكذلك لانه لولا صلاح ابائهم وعملهم العظيم الذي وصلوا به الى المقام الكريم وعظم شأنه وجزالة مثوبته لما بلغت بهم الكرامة الى الرعاية في اولادهم فالعمل سبب لما ذكر فلا إشكال فيه اصلاً واما قوله «ومستند قائله» الخ فهو مما لا يفهم لان ابن جرير حكى هذا القول عن الشعبي ولعل ابن غزوان ما حدث بهذا الحديث الا بعد موت الشعبي بمائة سنة فهل انقلبت العصور او بعثر من في القبور فقام الشعبي من قبره يلتبس الحديث فيرويه عن ابن غزوان ام ماذا؟ لعمرى ان تحقيق هذا التلميذ لا يعرفه غير لا ونحمد الله على العافية من فهمه، واما سعيد بن جبير فهذا نص ماروالا ابن جرير عنه «قال الحق الله ذرياتهم بابائهم ولم ينقص الالباء من اعمالهم فيرده على ابائهم» اه
فاسناد لا هذا القول اليه غير صحيح

﴿ ال ٤٤ ﴾

قال «ثم قال ابن جرير وقال آخرون انما عنى بقوله (الحقنا بهم ذرياتهم اعطيناهم من الثواب ما اعطينا الالباء) وهذا القول الاخير هو الذي اعتمده استاذنا في تفسير الآية لموافقته لظاهر آيات القرآن وصحيح السنة ومطابقتها لحكمة التشريع ولعدم

مناقضته لشيء من آيات التنزيل وهو أيضا قول طائفة من المتقدمين كقتادة
والربيع وغيرهما « اه وجوابه ان هذا القول يدل أيضا على ان للنسب
الصالح مزية خاصة ليست لغيره لانه يفيد ان الله الحق ذرية
الذين آمنوا بابائهم فاعطاهم من الثواب مثلما اعطى الآباء لان قوله الحقنا
يدل على الحاق من لا يستحق بمن يستحق فالذرية لم تبلغ باعمالها ثواب
الآباء ولكن الله الحقهم بهم فضلا ورحمة ولا يكون المعنى ان الله اثنائهم بلا
الحاق بمن يعملوا ثوابه على ثوابهم لان مجرد الاثابة ليس خاصا بذرية
الذين آمنوا بل عام لكل مؤمن سواء أكان من ذرية الذين آمنوا ام
من ذرية الذين كفروا اذا كان مؤمنا فحمل ذلك المعنى الخاص على العام
اهدار له وأضاعة لالفاظه ومعناه وليس في ما ذكره مناقضة لظاهر القرآن
ولا صحيح السنة ولا حكمة التشريع وان هول به التلميذ وقوله «وهو ايضا قول
طائفة من المتقدمين» من هم ولم لم يعددهم وقوله «كقتادة والربيع وغيرهما» جوابه
كلا ودونك ما نقله ابن جرير عن قتادة قال «عملوا بطاعة الله فالحقهم الله بابائهم»
فقول قتادة كقول غيره لا مخالفة بينها الا ما يشعر به قوله عملوا بطاعة الله من
اشتراطه للحاق عمل الذرية بطاعة الله وانه حمل الذرية على الكبار البالغين
وعلى ذلك فالهزية للنسب الصالح موجودة وليس كل من عمل صالحا الحق
بذوي الدرجات العلى فليس فيه ما يشفي غيظ التلميذ ولا شيخه واما
الربيع فقد قال ابن جرير عنه «يقول اعطيناهم من الثواب ما اعطيناهم وما ألتاهم
من عملهم من شيء يقول ما نقصنا آباءهم شيئا» اه فلو لم يكن الحاق

لهم بابائهم باعطائهم من الثواب ما لا تستوجبه اعمالهم لما كان
لقول الربيع مانقصنا اباؤهم شيئاً معنى ولكان الاولى به ان يرجع
الضمير الى الابناء او الالاء والابناء فاما وقد ارجعه الى الالاء فقط فلا
يحتمل الا ما ذكرنا من ان الالحاق واقع ماله من دافع حتى على قول
قتادة والربيع وايضا فالرواية عن قتادة فيها قدرتان فلا يؤخذ
بروايتهما في مثل هذا وان كان اكثر القدرية يجوزون التفضل
ولكنهم يقولون بتخليد كل من عمل كبيرة في النار وبأخراجه عن
مسمى الايمان فلا يحملون قوله تعالى واتبعتم ذريتهم بايمان على المؤمنين
العصاة وان كان يصدق عليهم الاتباع بايمان لما ذكرنا من مذهبهم وايضا
فان الذي في رواية قتادة فالحقهم الله بابائهم فذكر الملحق والملحق به
وسكت عما الحقوا فيه فيهل اراد به الدرجة او الثواب او دخول الجنة لادليل
على التعمين والاولى ان يجمل على ما يوافق قول الجمهور ولو تحققنا مخالفت
قتادة لهم فلا يقدم قوله على اقوال الصحابة ومن هو اكثر منه علما من التابعين
وابعد عن البدع والاهواء وايضا فانا قد ذكرنا ان اهل الصدر الاول قد
يعبرون في التفسير عن الشيء بنظيره او فرد من افراده او لازم من
لوازمه ولاريب ان الثواب او الاجر يكون بدخول الجنة ورفعة الدرجة
فيها وجمع الشمل باهله ونحو ذلك فاذا اثيب الالاء بدرجة مثلا
واعطي الابناء على قول هؤلاء مثلا اعطي الالاء والحقوا بهم فيها كان
مرجع الروايات كلها الى معنى واحد وكان الخلاف بينها لفظيا

﴿ ال ٤٥ والى ال ٥٠ ﴾

بعد ان استدل بقوله تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم
الآية وقد تقدم القول فيها قال : « وبما ان كثرة الاقوال والتأويل في الآية
ليست بحجة مالم يعين احدها نص اللغة او برهان العقل او توقيف الشارع بتفسيرها
وانه لم يصح شيء من ذلك عن الشارع مما سوى القرآن لزم ان تقطع النظر عن
كل ما سواه وتنظر في الآية ومدلولها مع ملاحظة غيرها من الايات الواردة في
هذا المقام اذ القرآن يفسر بعضه بعضا» وفيه امور (الاول) قوله « بما ان كثرة
الاقوال » الخ مفهومه ان قلتها حجتا ولو لم يعين احدها نص اللغة الخ وذلك
خطأ (الثاني) ان الاقوال المنقولة عن الصحابة هي التي عينها نص اللغة وهم
اهل اللغة الموثوق بهم في نقلها وقد قال العلماء انه يتعين الرجوع في معاني
الالفاظ الى الصحابة والتابعين سواء كانت لغوية او شرعية لانهم اهل
اللغة والامانة في النقل وقد تقدم كلام في ذلك اول الباب وعلى هذا
فنص اللغة قد عين ذلك القول الذي قاله الصحابة واعتمده ائمة
الامة لانهم في نقلهم لمعنى الآية الذي له حكم المرفوع نقلوا الالفاظ التي
تنص على المعنى فاجتمع في روايتهم المعنى المراد واللغة المنصوصة (الثالث)
قوله ((وبرهان العقل)) وجوابه انه يكتفى منه في مثل هذه الامور ان لا يجملها
وجائز في العقل ان يشيب الله عباده الصالحين بما شاء ويشفعهم فيمن شاء
ولامدخل للعقل في الامور الاخروية وقد حكمه اناس فيها فكان عاقبة
امرهم الحيلولة او تأويلاً يؤل اليه (الرابع) في قوله ((وتوقيف الشارع)) فقد
تقدم ان ماروي عن ابن عباس بالاسانيد الثابتة له حكم المرفوع فهو بمنزلة

التوقيف من الشارع فقد اجتمع على تأييد القول المعتمد الصحيح في تفسير الآية نص اللغة وبرهان العقل وتوقيف الشارع (الخامس) قوله (وانه لم يصح شيء من ذلك عن الشارع مما سوى القرآن) الخ وهو باطل فقد صح فيه ما بمثله تقوم الحجة وتتضح المحجة والحمد لله (السادس) قوله ((وتنظر في الآية ومدلولها مع ملاحظة غيرها من الآيات)) الخ ستعلم انه اخرجها عن مدلولها وقد علمت ان هذه الآية مفسرة لقوله تعالى (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وزواجهم وذرياتهم) وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون) وانه لا تظهر فائدة التخصيص بذكرهم في الآية الاولى ولا كيفية اجتماعهم بازواجهم المؤمنات مع التفاوت العظيم بين اعمالهم واعمالهن في الآية الثانية الا بما بينتة هذه الآية من الحاق الذرية بابائها وفي معناها الزوجات

﴿ ال ٥١ الى ال ٥٨ ﴾

ثم بعد ان قضى التلميذ كلامه نقل ما يأتي عن كتاب لشيخه سهالا توجيه الاخوان الى آداب القرآن وقد نقل عنه قطعا في كتابه هذه مملوءة بالاغلاط الدينية والتاريخية والاخلاقية بحيث تحتمل مؤلفا خاصا بها فاما بالك بالكتاب كله وان الناظر فيما يأتي ليظن انه ما لفه الا ليحرف به القرآن لا ليفسره قال بعد ايراد تمهيد مانصه ((ثم ذكر في هذه الآية انه تعالى يلحق المتأخرين من المؤمنين بالمتقدمين في اثابتهم مثل ثواب المتقدمين على اعمالهم بان يدخلهم الجنة بها كما ادخل متقدميهم او يعطيهم فيها ما اعطاهم من النعيم او يرفعهم بها الى درجات من قبلهم ان ساوهم في الاعمال الصالحة والايان والاخلاص والحال

اه وتقول ان الله قال في اليهود (يجرفون الكلام عن مواضعه) وقال
افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) وقال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
 جحر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن؟ فاذا لم يكن كلام
السوداني هذا تحريفا لكتاب الله تعالى فليس في الدنيا تحريف وبيان
 هذا من وجوه (الاول) أن نص الآية وصريح لفظها ومعقول معناها
 الذي لا يمتري فيه عربي ولا عجمي عقل مدلول الفاظها ان الذين آمنوا
 واتبعتهم ذريتهم بايمان او اتبعهم الله ذريتهم به يلحقهم بهم ولا ينقص
 اباؤهم من عملهم شيئا فهنا اناس آمنوا وذرية اتبعتهم بالايمان او اتبعها الله
 اياهم فالحق الله بهم ذريتهم في الجنة فجاء السوداني فحرف الذين آمنوا
 الى المؤمنين المتقدمين وهذا يعم كل مؤمن متقدم سواء كان ابا ام ابنا وسواء
 أكانت له ذرية ام لم تكن واذا كانت له ذرية فقد تكون كافرة أو مؤمنة
 وقد تكون له ذرية ولكن تقدمته في الايمان فلفظة «المؤمنين المتقدمين»
 تم هذا كله واما الذي في الآية فخاص بمؤمنين لهم ذرية اتبعتهم بايمان
 (والثاني) انه حرف قول الله تعالى واتبعتهم ذريتهم بايمان الحنابلة ذريتهم
 الى قوله «انه تعالى يلحق المؤمن المتأخرين» فان لفظته هذه تم كل مؤمن
 متأخر عن متقدم وكل متقدم بالنسبة لقوم فهو متأخر بالنسبة لآخرين
 وهلم جرا اما اول المؤمنين على الاطلاق فهو محمد رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم وبقية الامة يصدق على كل فرد منها انه من المتقدمين
 والمتأخرين وليس بيد السوداني فصل يفصل به بين هولاء وهؤلاء
 وايضا فالمؤمنون المتأخرون قد يكونون ابناء وقد يكونون ابناء وقد
 يكونون متقدمين في الزمان متأخرين في الايمان وعكسه وقد يكونون
 من ذرية الذين آمنوا أو من ذرية الذين كفروا وبالجملة فمدلول
 قوله «المؤمنين المتأخرين» اعم من مدلول قوله تعالى «واتبعتم ذريتهم بايمان»
 فقد جاء الى حكم خاص في موضع خاص فعممه (الثالث) ان الله
 قال (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان) والصلة في معنى
 الصفة لانها معرفة لموصولها كما ان الحال في معنى الخبر فكأنه قال
 (والمؤمنون المتبعين لهم ذريتهم بايمان) فخالفه السوداني وعرفهم
 بخلاف ما عرفهم الله به فقال انهم المؤمنون المتقدمون فاحال هذا العلم جهلا
 يبينه (الوجه الرابع) وهوان قوله (والذين امنوا واتبعتمهم) كانت فيه صلة
 الذين جملة قوله (امنوا) وما عطف عليها وهو قوله (واتبعتمهم ذريتهم) وفي
 قول السوداني «المؤمنون» كانت ال فيه موصولة وصلتها اسم الفاعل وقوله
 المتقدمون صفة تزيد قيدا يخالف به ما تفيده الصلة في الآية من التخصيص
 بالمؤمنين الذين لهم ذرية اتبعتمهم بايمان (الخامس) ان الذي في الآية ان الله يلحق
 الذرية المتبعة لابائها بايمان بهم والسوداني يقول ان الذرية هم المؤمنون
 المتأخرون وان الله يلحقهم بالمؤمنين المتقدمين لابائهم فخراف مدلول
 التابع والتبوع والملحق والملحق به (السادس) انه من المتفق عليه بين

اهل العلم ان ذرية الذين آمنوا انما تطلق على ابنائهم لا على جميع
المؤمنين المتأخرين عنهم وهو قد حمل لفظ الذرية على غير معناها
فخالف الوضع والشرع (السادس) ان قوله تعالى قبل هذه الآية
(ان المتقين في جنات ونعيم، فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم،
كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ، متكئين على سرر مصفوفة
وزوجناهم بحور عين ،) يم جميع المؤمنين متقدميهم ومتأخريهم وقد
قال السوداني ان المراد بقوله بايمان انه الايمان الكامل فالآية الاولى
شاملة لكل مؤمن كسائر آيات القرآن المؤذنة بدخول كل مؤمن الجنة
وحينئذ فعطف قوله والذين امنوا على ما تقدم يؤذن بخرجه الذرية
عن عموم ما تقدم والعطف يقتضى التغاير والقول بان قوله تعالى ان
المتقين الآية مخصوص بالمتقدمين من المؤمنين فقط دعوى بلا دليل
وكل احد يحسنها (السابع) وحينئذ فان قال السوداني ان قوله تعالى
ان المتقين في جنات ونعيم عام في جميع المتقدمين والمتأخرين فلا معنى
لقوله «في اثابهم مثل ثواب المتقدمين على اعمالهم بان يدخلهم الجنة بها كما ادخل
متقدميهم» لاخبار الله بانهم في جنات ونعيم لا فرق بين متقدمهم ولا
متأخرهم وان قال انه خاص بالمتقدمين فما الدليل على التخصيص ولو
عارضه غيره لا يقال بل هو خاص بالمتأخرين فما الفصل بين قوله وقول معارضه

﴿ ال ٥٩ وال ٦٠ ﴾

انه ناقض نفسه فبعدان فسر الآية بما تقدم عاد فذكر ان في الآية مسائل

وقال « المسألة الاولى هل ذريات المؤمنين الصغار الذين لم يخاطبهم الله بالايان والعمل يكونون تابعين لآبائهم » الخ فقد جعل من مسائل الآية هنا مسألة الذرية الصغار وفيما تقدم جعل المراد منها المؤمنين المتأخرين لا الذرية الصغار فقط او الصغار والكبار ثم قال في الجواب « تفيد الآية ان الله سيلحقهم حكما بآبائهم ويتبعهم ايامهم في ادخالهم الجنة معهم كما كانوا تابعين لهم في الدنيا » الخ وهذا غير جار على معنى الآية ولاسياقها فان الذي في الآية (واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقناهم ذريتهم) فالاتباع في الايمان والالحاق في الجنة واما هو فجعل الالحاق حكما والاتباع في ادخالهم الجنة وهذا خلاف ما في الآية

﴿ ال ٦١ الى ال ٦٧ ﴾

في قوله « المسألة الثانية هل الذرية الكبار المكلفون بالايان وما يلزم كاملا من الاعمال الصالحة والبعث عن كباثر الاثم والفواحش يعطون ثواب اعمالهم الصالحة كاملة كمن قبلهم » وفيه أمور (الاول) ان هذا من اسئلة المتعجرفين ولم ترد الآية جوابا عنه ولو كانت واردة مورد الجواب عنه لقل فيها ونحزي ذرية الذي آمنوا أو نعطي ذرية الذي آمنوا ثواب اعمالهم كاملة والذي في الآية انما هو اخبار عن الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان بان الله يلحق ذريتهم بهم من غير ان ينتقص من اجور آباءهم شيئا لان الذرية (الثاني) مفهوم عبارته ان غير ذرية الذين آمنوا الكبار الخ لا يعطون اجورهم كاملة لان الآية انما خصت هؤلاء على زعمه (الثالث) تخصيصه التكليف بالبعث عن كباثر الاثم والفواحش يفيد انهم غير مكلفين بالبعث عما دون ذلك وهذا تشريع جديد (الرابع) انه لا يقول باثابتهم اذا لم

تكن اعمالهم الصالحة كاملة فقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)
منسوخ عنده ومعلوم ان الكمال يقابل النقص لا الفساد والبطالات
فانه قال « يعطون ثواب اعمالهم الصالحة كاملة » فقوله كاملة حال فلا ثواب لهم
عنده في غير تلك الحال (الخامس) انه اشترط لاعطاء الثواب على
اعمالهم الصالحة كاملة مانصه « اذا امثلوا او امر الله واؤتمروا بما امرهم به من
صالح الاعمال واتهوا اعانها هم عنه » اه ومفهومه ان من عصى منهم او ترك
امراً لا يثاب على بقية عمله وهذا مذهب جديد ومذهب المعتزلة ان
الكبيرة تحبط العمل لا الصغيرة (السادس) انه قال « اذا امثلوا او امر الله »
ثم قال « واؤتمروا بما أمرهم به من صالح الاعمال » فما الفرق بين مفهوم العبارتين
(السابع) في قوله « او ينقصون من اجر اعمالهم لتأخر زمن ايجادهم عنهم او زمن
عملهم » وتقول الحق ان الله سبحانه يوفى كل عامل عمله واذا اقتضى
الزمن مثلاً ان يكون ثواب اعمال اهله دون ثواب من قبلهم
فلا يقال فيه انهم نقصوا من اجرهم فان اعتقاد مثل هذا خطأ
والصواب ان يقال انهم وفوا اجر اعمالهم كاملاً كما وفي من قبلهم
اجرهم وتفاوت الاجور يتبع تفاوت الاعمال وانما عظم ثواب العاملين
قبل الفتح لعظم عملهم على عمل من بعدهم وبهذا يعلم ما في قوله
(ويكون الابناء اكثر ثواباً من الابناء مع مساواتهم لهم في العمل والايمان والحال) الخ

﴿ ال ٦٨ والى ٧٤ ﴾

قوله في جواب ذلك السؤال المتعم « فين تعالى حكمه في هذه الآية على هذه

المسألة) اه قوة كلامه توهم ان هناك سوا الا كان من اناس وجوابا من الله عليهم لأن الكلام مفترض فقط ثم قال « بان اللاحق يكون ملحقا في الثواب بالسابق على العمل الواحد هما تساوى فيه الاخلاص والاحسان والحال) اه وفيه امور (الاول) انه ذكر في السؤال المساواة في العمل والايان والحال وهنا زاد المساواة في الاخلاص والاحسان والحال فهل المساواة معتبرة فيها كلها ام في بعضها؟ لان المشروط في الجواب غير المذكور في السؤال وهذا داع الى حيرة السائل والناظر فياله من تحرير (الثاني) قوله « بان اللاحق » وهذه لفظة تم كل لاحق لاذرية الذين آمنوا وهذا غير ما في السؤال وغير ما في الآية (الثالث) قوله « يكون ملحقا في الثواب بالسابق على العمل الواحد) فهذا يفيد ان اجره غير مساو لاجر السابق ولو تساوت اعمالهم لانه انما الحق به الحاقا ولا الحاق مع المساواة وهذا يناقض ما يحاوله في الجملة (الرابع) قوله « بالسابق » فان السابق يعم كل مؤمن سابق ايجاده وزمانه سواء كان له ذرية ام لا والمذكورون في الآية هم الاباء المؤمنون وذريتهم لاكل سابق ولاحق وايضا فان سؤاله عن الذرية الكبار وابائهم وجوابه عن السابق واللاحق وهذه نوبة عصبية (الخامس) قوله « على العمل الواحد) مفهومه ان العمل المتعدد او المجموع يخالف ما ذكر (السادس) قوله « وهذا مستفاد من قراءة والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم الخ بنسبة فعل الاتباع الى الذرية) اه عبارته هذا من اقوى الادلة على ان الرجل لا يفرق بين لفظة السابق واللاحق والاباء والذرية ولا ما بين معانيهما من البعد فهذا يستدل باحدهما على الآخر او انه يتعمد التحريف ولي اللسان بآيات القرآن والله

المستعان (السابع) قوله «لكون المقصود بها هم المكلفون بالاتباع المخاطبون بالايان وبما يلزمه من امثال اوامر الله واجتناب ما نهى عنه» فان عبارته تشعر بان غير هولاء ليسوا مكلفين بالاتباع لان قوله هم المكلفون يفيد البصر ولا يكون الضمير ضمير فصل لعدم مطابقته اسم الناسخ و لرفع ما بعده

﴿ ال ٧٥ ﴾

انه ساق ايات من القرآن ليؤيد بزعمه ما قدمه وقد رد ابن القيم في كتاب الروح على بعض المبتدعة في معنى ما ذكرناه فنكتفي بنقله قال «وكذلك قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون على ان هذه الآية اصرح في الدلالة على ان سياقها انما ينفي عقوبة العبد بعمل غيره واخذه بجريرته فان الله سبحانه قال فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون الا ما كنتم تعملون فني ان يظلم بان يزداد عليه في سيئاته او ينقص من حسناته او يعاقب بعمل غيره ولم ينف ان ينتفع بعمل غيره لاعلى وجه الجزاء فان انتفاعه بما يهدى اليه ليس جزاء عمله انما هو صدقة تصدق الله بها عليه وتفضل بها عليه من غير سعي منه بل وهبه ذلك على يد بعض عباده لاعلى وجه الجزاء» اه وقوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من اعمالكم شيئاً) انما يدل على ان الله لا ينتقص العامل اجر عمله لاعلى امتناع ان يزيد له من فضله كرامة في نفسه وذريته وهذا مطابق لقوله في الآية التي نحن بصددتها (وما ألتناهم من عملهم من شيئ) ومثله قوله (ولن يتركم اعمالكم) وقوله (انا لانضيع اجر من احسن عملاً) فليس في رفع درجة ذرية المؤمنة اليه اضاءة لعمله وانما في ذلك زيادة في تكريمته مع توفر اجره عليه وردة اليه وهكذا القول في سائر الآيات التي اوردها غير مواردنا

واستدل بها على غير ما تدل عليه وحملها ما لا تحمل فليقس في ردها على ما ذكرناه فقد طال القول في رد تحريفاته ولا يزال الشوط بطينا فارجع الى الالم

﴿ ال ٧٦ ﴾

ذكر بعد ما تقدم مسألتين لا تخرج عن نحو ما تقدم ثم بحثا طويلا في الايمان وفي ذلك مواضع منتقدة تقتصر على بعضها فرارا من هذا التطويل الممل قال ((ومن هذا القسم اى القسم الذى اطلق فيه لفظ الايمان واريد منه الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة كلمة الايمان التي في قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بالاخلاف بين من يعتبر قولهم من المحدثين والمفسرين)) وفيه امران (الاول) انه نقل هنا عدم الخلاف بين المفسرين والمحدثين وقد علمت انه خالفهم جميعا في معنى الآية (الثاني) قوله «بين من يعتبر قولهم» فهذه اللفظة فيها مغامز ومخادع حتى اذا قيل له خالفك فلان المفسرا والمحدث سهل عليه ان يقول انى قد قلت «بين من يعتبر قولهم» وهذا غير معتبر ونظير هذا ما تقدم في (صورة الجواب) في تعريفه للمناح ثم قال «ولكن الخلاف في كلمة بايمان هل معناها بايمان كذلك الايمان المذكور قبله فيكون المراد منه الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة من امثال او امر الله واجتناب منهياته والتسليم لاحكامه وهو الوجه الوجه او ان معناها بايمان ماسواء كان مجردا عن الاعمال ام مقرونا بها» اه ونقول لم ينبني الخلاف بين اهل النقل من المفسرين على ما ذكره اصلاً وانما انبنى على الخلاف في المراد بالذرية فمنهم من قال هم الصغار فكان المراد بقوله بايمان ما يفيد التنكير من التعظيم وهو ايمان الاءاء او التقليل وهو ايمان الصغار

التبعي الحكمي ومنهم من قال المراد بهم الكبار فقوله بايمان يدل على ان لهم ايمان واعمال لما تفيداه جملة واتبعتهم ولكن الاتباع لا يستلزم اللحاق بهم في اعمالهم ولا مساواتهم فكان قوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم دال على انهم الحقوا بهم اذ قصرنا عنهم وقد تقدم في كلام ابن القيم قريبا مما ذكرنا اما الاشعرية فدونك ما قاله النيسابوري في تفسير آية سورة المؤمن «قال اهل السنة المراد بمن صلح اهل الايمان منهم وان كانوا ذوي كبر» اه وقال في تفسير آية سورة الرعد «قال ابن عباس يريد من صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم» اه

﴿ ال ٧٨ الى ٨٤ ﴾

في قوله «وان معناها بايمان ما سواء كان مجردا عن الاعمال ام مقرونا بها وهذا الثاني يردده قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا) اذ قد بين الله في هذه الاية ان الايمان الذي لم يكسب صاحبه فيه خيرا اي عملا صالحا لا ينفعه يوم القيامة على ما فهمه كثير من اذ كياء المفسرين وعليه فكلمة وقع في الكتاب والسنة من لفظ الايمان المرتب عليه الفوز عند الله يكون مقصودا به الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة» وفيه امور (الاول) انه ذكر للايمان قسمين القسم الاول الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة كما سبق آنفا والثاني ايمان ما اي شيء من ايمان اي ما يصح ان يطلق عليه اسم الايمان سواء كان مجردا عن الاعمال أم مقرونا بها وهذا تحته قسمان ايمان مجرد عن الاعمال وايمان مقرون بها لكنه لم يبلغ الى درجة الكمال وقد اعتمدان القسم الثاني لا ينفع وانه ليس بالمراد في الاية (الثاني) انه قد اغفل الايمان التبعي وهو ايمان الاطفال

والصغار لم يذكره في الاقسام المزايدة هنا وهذا يناقض مامضى اول كلامه مع قول التلميذ انه قريب من الصواب وانه احد القولين الذي ارتضاها (الثالث) قوله بان الايمان المجرد عن الاعمال لا ينفع صاحبه يوم القيامة هو مذهب المعتزلة والخوارج اما اهل السنة والجماعة فانهم يقولون بانه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فالصدام في هذه المسئلة بين السوداني واهل السنة والجماعة وأدلتهم على ذلك مبسطة في كتب الاصول فلانطيل بنقلها (الرابع) ان الخوارج يكفرون من عمل كبيرة من الكبائر وان اقام سائر اركان الدين واستكثر من الاعمال الصالحة فلا ينفعه ذلك بل تذهب هذه الكبيرة ايمانهم وتحبط اعماله ويخلد بها في نار جهنم مع الكافرين الجاحدين المفسدين كل الافساد والمقارفين لكل السيئات والمعرضين عن جميع الاعمال الصالحات لافرق بينه وبينهم في ذلك ولا يطلق عليه اسم المؤمن بل هو كافر اسما وحكما * والمعتزلة يقولون بمثل قولهم اذا عاجله الموت قبل التوبة فيقولون بتخليده في النار بها ولا يسمى عندهم مؤمنا ولا كافرا ولكنه في منزلة بين المنزلتين ومما تقدم وما يأتي يعلم ان السوداني ليس متقلدا مذهب اهل السنة والجماعة هنا ولكنه اما معتزلي او خارجي (الخامس) قضية كلامه ان صاحب الايمان الناقص وان لم يتمكن من الاعمال او تمكن وعمل عملا صالحا لا ينال الفوز عند الله بذلك لانه حصر الفوز في الايمان الكامل المقرون بالعمل الصالح وهذا لا اعلم

احدا يقول به من جميع الأمة مع اجماعهم فيما أعلم على نجاته من
اسلم فشهد شهادة الحق ثم مات او قتل بعقب ذلك وايضا فان كمال
الايان ينقسم الى كمال واجب وكمال مستحب ثم الكمال الواجب منه
ما يخرج بسبب تركه من الايمان الى الكفر كجد الضروريات الدينية
ونحو ذلك ومنه ما ليس كذلك وبالجملة فلم يوافق على كلامه هذا
احد من اهل السنة (السادس) قوله «اذ قد بين الله في هذه
الاية ان الايمان الذي لم يكسب صاحبه فيه خيرا اى عملا صالحا لا ينفعه يوم القيامة»
كلام من ابطل الباطل واعظم الافتراء على الله وكتابه فان
الآية غير واردة في يوم القيامة وانما هي واردة في حكم الناس
عند ورود الآيات كنزول العذاب على الامة بكفرها او عصيانها فان
ايان من آمن واطاع عند نزول الآية لا ينفعه وعلى ذلك قول الله تعالى
فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الحزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين وقد تكاثرت
الاحاديث في ذلك وكلها تصرح بان المراد بالآية طلوع الشمس من
مغربها ولا يلزم من عدم نفع الايمان المجرد والمقرون بالعمل مع
طلوعها ان يكون الحكم يوم القيامة كذلك لورود الاحاديث بالفرق
بين الأسرين وانه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وسنة
الله في معاقبة الامم والجماعات في الدنيا غير سنته في معاقبة الافراد يوم
القيامة وقد قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل

مثقال ذرة شرا يره) فلا يقاس احدهما بالآخر ولا يحمل عليه فانه قياس مع الفارق (السابع) ان قوله «على ما فهمه كثير من اذكياء المفسرين» انما يعنى بهم المعتزلة كالزحشري واضرابه فهم الاذكياء عندنا ومفهومه ان من لم يفهم ذلك كان بليدا فيه غمز ولمز لاهل السنة وهكذا شان اهل البدع فانهم يصفونهم بالبله والجمود لما عندهم من العجب بانفسهم والدعاوي الكبيرة ومن نظر في كتابه هذا عرف ان عندنا من ذلك اضعاف ما عند سلفه (الثامن) ان علماء السنة قد اجابوا عن ذلك بجوابين (احدهما) ان هذه الآية من قبيل قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا وقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وقوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ونحو ذلك من الآيات وقد اجمع اهل النقل على ان الآية نزلت فيما يقع عند قرب الساعة وانحلال العالم وطلوع الشمس من مغربها قال الحافظ ابن حجر «فاذا شوهد ذلك حصل الايمان الضروري بالمعينة وارتفع الايمان بالغيب فهو كالايمان عند الفرغرة وهو لا ينفع» اه فهمي اخبار عن عدم قبول الايمان والتوبة اذا نزل العذاب وانكشف الحجاب (ثانيها) ما اجاب به ابن المنير وابن الحاجب والطبي وابو حيان في تفسيره ونقله الحافظ في الفتح عن السمين بنصه وفصه «منطوق الآية انه اذا اتى هذا البعض لا ينفع نفسا كافرة ايمانها الذي اوقعته اذ ذاك ولا ينفع نفسا سبق

ايمانها وما كسبت فيه خيرا فعلق نفي نفع الايمان باحد وصفين اما نفي سبق الايمان فقط واما سبقه مع نفي كسب الخير ومفهومه انه ينفع الايمان السابق وحده او السابق ومعه الخير ومفهوم الصفة قوي فيستدل بالآية لمذهب اهل السنة من ان الايمان لا يشترط لصحته العمل « اه وقال ابن الحاجب في اماليه « الايمان قبل محيي الآيه نافع ولو لم يكن عمل صالح غيره ومعنى الآيه لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها العمل الصالح لم يكن الايمان قبل الآيه او لم يكن العمل مع الايمان قبلها فاختصر للعلم « اه وقال ابن هشام في المغني « لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا اي ايمانها وكسبها والآيه من اللف والنشر المرتب وبهذا التقدير تندفع شبهة المعتزلة كالزمنشري وغيره اذ قالوا سوى الله تعالى بين عدم الايمان وبين الايمان الذي لم يقتزن بالعمل الصالح في عدم الانتفاع به وهذا التأويل ذكره ابن عطية وابن الحاجب « اه اقول على تسليم صحة دلالة الآيه على ما فهمه الزمنشري فهو حكم خاص بذلك الوقت اما العذاب الاخروي فالواجب الاخذ فيه بما ثبت في بقية الآيات والاحاديث الصحيحة جمعا بين النصوص ولان السنة مبينة للقرآن ومن اراد الزيادة على ما ذكرناه فليرجع الى مؤلفات اهل السنة الحافلة ففيها ما يشفي ويكفي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ سؤال وجوابه ﴾

(فان قيل) اذا كنتم تقولون بنفع الايمان في الآخرة ولو قل وبان صاحب الكبيرة لا يكفر ولا يخلد بها في النار كما يخلد المشركون والكفار فما تقولون فيمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا اوقارف الكبار واصر على الاثام ومات مؤمنا بالله ورسوله واليوم الآخر غير انه لم يتب وله ابناء

صالحون فهل يلحق بهم في الجنة ويدخل تحت عموم آية اللاحق
(فالجواب) ان القول في ذلك ينبي على معرفة مذاهب الناس في
الايان فالخوارج والمعتزلة يقولون ان الايمان هو مجموع ما امر الله به
ورسوله وهو الايمان المطلق فاذا ذهب شيء منه كان صاحبه في النار
خالدا مخلدا وصاحب الكبيرة عند الخوارج كافر وعند المعتزلة لامؤمن ولا
كافر فلا يسمى مؤمنا وليس له في آيات الوعيد نصيب فلا يدخل في ضمن
الآية وهذا هو الذي قال به السوداني واما ائمة اهل السنة والجماعة على
اختلاف اقوالهم فاتفقوا على انه لا يدخل في النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من ايمان ومن ترك الكبائر وقارف الصغائر كان من اهل الوعد وان كان
ناقص الايمان وان صاحب الكبيرة لا يدخل في النار وهو من اهل الوعد
كما انه من اهل الوعيد والله اعلم باسرار كتابه فليشمر للدرجات الراغبون
وليعمل لمثلها العاملون ولا يلو من الخلط الانفسه والى الله المصير

﴿ ال ٨٥ الى ال ٨٦ ﴾

قال بعد استدلاله على ان الايمان المرتب عليه الفوز عند الله يكون مقصودا
به الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة: « ومعنى الآية على هذا الوجه والله
اعلم هكذا (والذين آمنوا) اي ايمانا تاما مقرونا بالاعمال الصالحة من امثال اوامر الله
واجتناب منيياته (واتبعتهم ذريتهم) المكلفون (بايمان) اي في ايمان كامل كذلك
اي كايان ابايهم الكامل المقرون بالاعمال الصالحة (الحقناهم) اي بالاباء (ذريتهم)
المؤمنين الايمان المذكور في الثواب اوفى الدرجة اوفى ادخال الجنة (وما ألتنام)
اي وما حكمنا عليهم بنقص شيء من ثواب اعمالهم لاجل تأخر ايجادهم او وقت
اعمالهم مع مساوات ايمانهم واعمالهم لمن قبلهم كما اننا لم نحكم بمؤاخذا احد بذنب

احد بل كل امرئ بما كسب رهين وله سعيه بدون تنقيص ولا نجس متقدما كان
او متأخرا، وفيه مواضع (الاول) ان هذا الآية من آيات الوعد ولا أعلم خلافا
في عمومها لمن عدى اهل الكبار من المؤمنين كما ان الخطاب بيا ايها الذين
آمنوا يعم الفريقين منهم (الثاني) ان قوله «آمنوا اي ايماننا تماما» يخرج به
المؤمن الذي اجتنب الكبار وامثل الاواصر ولكنه قارف الصغائر مع انه
لا خلاف انه من اهل الوعد وقد قال الله تعالى (ان تحببوا كبار ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) مع نقصان ايمانه بفعل الصغائر عند
من يقول الايمان قول وعمل واعتقاد وهو داخل في عموم الآية عند غيرهم بلا
ريب فلا سلف للسوداني في هذا القيد (الثالث) انه لم يترك مجالاً
للريب في هذا القول الذي تفرد به دون الامّة كلها فقال ((ايماننا تماما
مقرونا بالاعمال الصالحة من امثال او امر الله واجتناب منهيته)) ومعلوم ان
مجتنب الكبار وان كفرت صغائره باجتنابها فانه غير داخل تحت كلامه
وليس له نصيب في وعد الآية ولا بشارتها عنده (الرابع) انه اراد بالايمان
التام الايمان الكامل لا مقابل الناقص وهذا خطأ أخش ومخالفة لسائر
الامة اطم واعظم يدل على ذلك قوله فيما مضى «ومن هذا القسم اي القسم
الذي اطلق فيه لفظ الايمان واريد منه الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة
كلمة الايمان التي في قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بايمان بلا خلاف بين
من يعتبر قولهم من المحدثين والمفسرين «اه وما ادعاه باطل بلا خلاف بين
من يعتبر قولهم من سائر الامة فضلا عن المحدثين والمفسرين ويدل ايضا
على ان مرادنا بالتام الكامل قوله هنا «واتبعتم ذريتهم المكلفون

(بايمان) اي في ايمان كامل كذلك اي كايان ابايهم الكامل» الخ
(الخامس) قوله «الحقناهم اي بالاباء ذريتهم المؤمنين الايمان المذكور» وهذا
خلاف ما سبق من تفسيره الذين آمنوا بالمؤمنين المتأخرين
(السادس) قوله «في الثواب او في الدرجة او في ادخال الجنة» ماذا اراد بالمعطف
بأوالابهام او الشك وكلاهما لاخير له فيها ومتى عين احده هذه الثلاثة توجهت
عليه انتقادات اخرى كما يعلم مما مضى وما يأتي (السابع) ان اللاحق
لا يكون بحسب الوضع اللغوي الا اذا اعطي الابناء ما لم يبلغوه باعمالهم
سواء كان اللاحق في الثواب ام في الدرجة ام في ادخال الجنة (الثامن)
ان الاثابة عامة لكل مؤمن لا خاصة بذرية الذين آمنوا (التاسع) ان ادخال
الجنة عام لكل مؤمن حتى اهل الكباير ومن كان في قلبه مثقال ذرة من
ايمان بعد اخراجهم من النار هذا مذهب اهل السنة والجماعة فتخصيصه
ذرية الذين آمنوا باللاحق في ادخال الجنة لم يقل به احد من
المسلمين قبله (العاشر) انه لم يكتف بتقييد اللاحق الذرية بابائهم
« في الثواب او الدرجة او ادخال الجنة » بكونهم مؤمنين كاملي الايمان الخ
حتى اشترط مساوات ايمانهم لايمانهم واعمالهم لاعمالهم وهذا يقتضي
اتحاد الاباء والذرية في الاعمار والاعمال كيفية وكمية ومن كل وجه
وبكل صفة حتى لو زاد عمر احد الفريقين على الاخر بنفس واحد
او تسبيحة او تحميدة امتنع الحاقه به فلا يدخل الجنة او لا يثاب
ولا يلحق بدرجته فلو حلف حالف ان مثل هذا الخز عبلات لم تطرق

سمع مفسر ولا محدث ولا متكلم ولا اصولي منذ ظهر الاسلام الى اليوم لم يحنت ودونك ما قاله الشيخ محمد عبده في تفسيره ردا عليه بلسان جارة القريب قال: « على ان المساواة في الايمان بالدين بين شخصين بحيث يكون ايمان احدهما كايان الآخر في كفيته وانطباقه على المؤمن به وما يكون في نفس كل منهما من متعلق الايمان يكاد يكون محالا فكيف ايمان امم وشعوب كثيرة مع الخلاف العظيم في طرق التعليم والتربية والادراك » اه فاذا اضيف الى ذلك تفاوت الناس في العلوم واختلاف اعمالهم وكيفياتها والحالات المصاحبة لها ودرجات الاحسان والاخلاص زاد امكان التساوي في ذلك بعدا على بعد وصار حمل الآية على هذا المعنى حملا لها على محال عادي او عقلي فكان ابطالا لمعناها واهدارا لها فوجب نبذها (الحادي عشر) انه ارجع الضمير في قوله وما التناهم الى الذريرة وهذا خلاف قول المفسرين كما تقدم (الثاني عشر) مفهوم قوله « وما التناهم اي وما حكمنا عليهم بنقص شيء من ثواب اعمالهم لاجل تأخر ايجادهم او وقت اعمالهم مع مساوات ايمانهم واعمالهم لمن قبلهم » انه قد حكم عليهم بنقص شيء من ثواب اعمالهم اذا لم يساؤوا من قبلهم ايمانا وعملا وهذا خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة فقد تضافرت النصوص على ان الله يوفي كل عامل عمله ولا يظلم ربك احدا

﴿ ال ٩٧ ﴾

انه عاد الى الكلام على الايمان وزعم انه لا يتصور وجود التوبة ولا تقوى الله واتباع سبيله ولا نهى النفس عن الهوى من خوف الله الا

بوجود الايمان الكامل وهذا عبارته «اذتقوى الله والتوبة اليه واتباع سبيله ونهي النفس عن الهوى خوفا من مقامه لا يتصور وجودها الا بوجود الايمان الكامل» وهذه داهية تلحق بدواهيه السابقة ونتيجة كلامه هذا مع ما سبق ان التوبة غير ممكنة اصلا لاستلزامها الدور لان صاحب الايمان الناقص لا يتصور منه وجود التوبة ولا يكون كامل الايمان اذا عصى فليس في الدنيا تائب ولا توبة

﴿ ال ٩٨ الى ال ١٠٣ ﴾

انه قال «المبحث الثالث في ماورد في الآية من التأويلات اختلف اهل التأويل في مدلول هذه الآية وما يحتمله بقطع النظر عن غيرها على اقوال القول الاول ما قدمناه بأن معناه الحقنا بهم ذرياتهم في اعطاء الثوب وانهم لا ينقصون عن قبلهم في الثواب لاجل تأخرهم في الزمن مع مساواتهم لمن قبلهم في الايمان والاعمال وهو قول الربيع وقتادة وغيرها من المتقدمين وهو الموافق لظواهر نصوص الكتاب والسنة والمناسب لحكمة التشريع» وفيه مواضع (الاول) انه قال «اختلف اهل التأويل» الخ وانهم قالوا اما قالوا بقطع النظر عن غيرها وقال فيما سبق انه هو اولها مع النظر الى غيرها من بقية الايات الخ وقال هنا في هذا القول وهو الموافق لظواهر نصوص الكتاب الخ فهل قطع القائلون به النظر في تأويله عن بقية النصوص ام وصلوه هذا كلام لا يلتزم بعضه ببعض (الثاني) ان ما قدمه مخالف لما ذكرنا هنا فانه قال في موضع «ثم ذكر انه تعالى يلحق المتأخرين من المؤمنين» الخ وهذا خلاف ما ذكره هنا قطعاً وقال في موضع آخر «بأن اللاحق يكون ما حقا

في الثواب بالسابق» الخ وهو خلافه ايضا وقال في موضع ثالث «الحقنا اي بالاباء ذريتهم المؤمنين الايمان المذكور في الثواب» الخ وهنا قال «الحقنا بهم ذرياتهم في اعطاء الثواب اوفي الدرجة اوفي ادخال الجنة» والالحاق في الاعطاء غير الالحاق في الثواب وهذا امر رابع غير الثلاثة المذكورة فيما قبله فقوله «القول الاول ما قدمناه» الخ غير صحيح فان الذي قدمه غير هذا وقد ذكرنا الفاظه بنصها فيما سبق (الثالث) انه نسبة الى الربيع وقتادة وغيرهما من المتقدمين وما قالوا به قط فان الربيع يقول «اعطيناهم اي الذرية من الثواب ما اعطيناهم اي الاباء» والسوداني يقول «الحقنا بهم ذريتهم في اعطاء الثواب» ولا يخفى ان الالحاق في اعطاء الثواب غير اعطائهم مثل ما اعطى ابائهم من الثواب وقال الربيع «وما التناهم من عملهم من شيء يقول ما نقصنا اباءهم شيئا» فارجع الضمير في التناهم للاباء وهم الذين لم ينقصوا شيئا بسبب الحاق ابائهم بهم وقال السوداني «وانهم لا ينقصون عن قبلهم في الثواب» فارجع الضمير الى الابناء وهذا خلاف قول الربيع ولم يشترط الربيع لاعطائهم مثل ثواب ابائهم ان يساووهم في الايمان والاعمال ولكن السوداني اشترط لذلك عدم نقص الذرية عنهم فيه فاشترط المساواة في الايمان والاعمال وحاصل هذا انه اخترع قولاً ورقشه وزوقه ثم اخرجهم الى الناس وقال لهم هذا قول الربيع فغرد بهم وظلم الربيع بن انس بنسبته اليه ما لم يقله ونشره في الاقطار فنسأل الله التثبيت والثبات (الرابع) ان قتادة انما قال «عملوا بطاعة الله

فالحقهم الله بابائهم» فلا ذكر فيه للمساواة في الايمان والاعمال ولا للملحق فيه هل هو الثواب او الدرجة او دخول الجنة ولا لتأخر الایجاد وتفاوت الازمنة وانما هي كلمة مجملة كما ترى فتحمل على ما يوافق كلام غيره من العلماء فمن اين علم السوداني بانه عنى بها هذا القول الذي جعل له متونا واردا فاوذا يالا (الخامس) انه قال « وغيرها من المتقدمين » ولم يذكر احدا منهم لان المقصود مجرد التهويل والتشبع ولو بالباطل وقد روي ابن جرير عن ابراهيم ما قد منا ذكره وهو موافق لما شرحناه هنا من قول الربيع وقتادة وقد نقلناه على وجهه (السادس) قوله « وهو الموافق لنصوص الكتاب » الخ قد علمت ان ما قال به المفسرون في هذا الاية من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يخالف نصا ولا ظاهرا وانما اراد بهذه الجملة تهويل الامر واطراف الى ذلك المناسبة لحكمة التشريع كأنه يجوز رد النصوص القرآنية والسنن النبوية اذا لم يرها مناسبة لما يسميه حكمة التشريع وهي صنجة وهمية ما صاغها الا ليزن بها كلام الله ورسوله فيقبل ماشاء ويرد ماشاء

﴿ ال ١٠٤ الى ال ١٠٦ ﴾

في قوله « القول الثاني ان المقصود في الآيه الاولاد الصغار الذين لم يكلفوا بالايمان ولا بغيره الذين كانوا تابعين لابائهم في الدنيا فيلحقهم الله بابائهم في ادخالهم الجنة كراما منه لهم ولا بابائهم ويؤيده قراءة واتبعناهم كما تقدم ويروي ذلك عن ابن عباس والضحاك وابن زيد ومن تبعهم من المتأخرين » اه وفيه مواضع (الاول) ان ابن جرير على استقصائه للماثور في التفسير لم ينقل عن احد من السابقين انه حمل الذرية على الصغار فقط وان نقل هذا القول ابن

القيم فيما سبق نقله عنه ولكنه لم يعين من قال به وإنما قال وقالت طائفة والأغلب أنها من المتأخرين لقوله فيما بعد عندما حكى قول الحاملين لها على الذرية الكبار البالغين : قالوا وعلى هذا تدل أقوال السلف الخ (الثاني) ابن الذي رواه ابن جرير عن ابن عباس من طريق العوفيين وهي طريق لا يرضاها المحدثون حملها على الكبار البالغين والصغار وقد تقدم ذكرها وروى عن الضحاك بسند فيه مجهول نحو ذلك وقال ابن زيد بنحوه فقول السوداني «ويروى ذلك عن ابن عباس» الخ لا أصل له فلم يرو عنهم هذا القول البتة (الثالث) ان المروي عن ابن عباس في رواية العوفي «الحقتم بابائهم الى الجنة» وفي رواية الضحاك «الحقتم بابائهم في الجنة» والسوداني يقول «الحقتم بابائهم في ادخالهم الجنة» وزاد «كرما منهم ولا بائهم» ولم يرد هذا اللفظ في شيء من روايات ابن جرير والسوداني لم يذكره مستندا فيما نقله هنا والله اعلم

﴿ ال ١٠٧ ﴾

ثم حكى قول ابن عباس المشهور وزعم انه روي من طريق بعض المرجئة وقد رددنا هذا الزعم فيما سبق وذكر قول الشعبي واعترضه لقوله «فادخلناهم الجنة بعمل ابائهم» وقد وجهناه آنفاً فارجع اليه ثم ذكر بعض الايات التي يضعها ذوو البدع في غير مواضعها وقد رأينا لابن القيم كلاماً في ذلك في كتاب الروح رده على من اعترض

مدلول هذه الآية بقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فقال
« والجمع بين الآيتين غير متعذر ولا ممتنع فان الابناء تبعوا الآباء في الآخرة كما
كانوا تبعاهم في الدنيا وهذه التبعية هي من كرامة الآباء وثوابهم الذي نالوه بسعيهم
واما كون الابناء لحقوا بهم في الدرجة بلا سعي منهم فهذا ليس هو لهم وانما هو
للآباء اقر الله اعينهم بالحاق ذريتهم بهم في الجنة وتفضل على الابناء بشيء لم يكن
لهم كما تفضل بذلك على الولد ان والخور العين والخلق الذي ينشئهم للجنة بغير
اعمال والقوم الذين يدخلهم الجنة بلاخير قدموه ولا عمل عملوه » اه وله كلام

ايضا في حادي الارواح لم يحضرنى الان فليراجع

﴿ ال ١٠٨ ﴾

ان التلميذ عاد الى النعمة الاولى فكرر ما قاله من ان المراد بالايان
في الآية الايمان الكامل الخ اي لا التام ولا الناقص وقد علمت ان
صاحب الاول من اهل الوعد قطعا وان الثاني كذلك اذا لم يكن
من اهل الكبائر بالاخلاف واعاد ذكر المتأخر في الزمان والمتقدم بدلا
عن الآباء والذرية وقد تقدم بيان ما في ذلك من التحريف

﴿ ال ١٠٩ ﴾

انه قال « ولا شتبه معنى هذه الآية على كثير من الناس وسكوت غالب المفسرين
عن تفصيل احكامها احتجنا الى هذا الشرح الطويل » وليس هذا بصحيح
فان العلماء قد تكلموا عليها بالكثير الطيب وقد نقلنا عنهم في ذلك
ما كفى وشفي وتركنا ما سوى ذلك خوف الاطالة وقد علمت انه
ما ازداد بشرحه الطويل هو وشيخه الاتهاقتا وغلطا والله يهدي

مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿ الامور المرجحة لقول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ﴾
وهي كثيرة نعد منها ما تيسر على وجه مختصر (الاول) انه قول ابن
عباس رضي الله عنهما المشهود له من صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله
وسلم واجلاء اصحابه وقد مضى ذكر امور غير ذلك تقتضي ترجيح قوله
على قول غيره (الثاني) انه قد وافقه عليه ابن مسعود وابن عمر رضي
الله عنهما وفي ذلك زيادة قوة وصحة واعتبار (الثالث) ان له حكم المرفوع
فانه بمنزلة قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه مما لا يقال
من قبل الرأي وقد مضى الاستدلال على ذلك (الرابع) ان قول الصحابة
مقدم على قول غيرهم لانهم اهل اللغة وهي سليقة وطبيعة لهم وقد
شاهدوا التنزيل وفهموه وعرفوا معانيه عن مبلغه وعندهم من دلالة
القرائن والنظائر والاشارة ونحوه مما لا يدركه المبلغ الغائب ما ليس عند
غيرهم فا قالوا مقدم من هذه الجهات كلها (الخامس) انهم فهموا التنزيل
بذهان صافية خالية عن الاصطلاحات المستحدثة والبدع والاهواء
المضلة والمشاغبات اللفظية وقد اخذوا بقلوب سليمة ظاهرة وقرائح
حاضرة فهم اولى باصابة الصواب (السادس) انه روي برواة الصحيحين
ورواة السنن وله متابعات وشواهد وطرق متعددة فهذه قوة السند
وذاك قوة المتن مضافا اليهما كثرة الطرق وناهيك بقول اعتضد بموافقة
اللغة وقوة السند وصحة المتن وكثرة الطرق (السابع) انه لم ينقل لنا
خلاف ما قالوه في معنى الآية ولذلك لم يحك ابن القيم فيها الا ثلاثا

اقوال لا يؤيد الماثور منها الاقولين ولم ينقل قول قتادة الذي جعله
السودنى قولاً رابعاً وظن ان فيه ما يلائم مذهبه وهذا يدل على احد
اصرين اما موافقة قول قتادة لقول غيره واما ضعفه وعدم ارتقائه الى
درجة الاعتبار فجعلوه كأن لم يكن

وليس كل خلاف جاء معتبراً * حتى يكون له حظ من النظر
(الثامن) ان الروايات التي جعلها ابن جرير اقوالاً موافقة لقول ابن عباس
رضي الله عنهما في جوهر المعنى وان اختلفت فيما كان اللاحق فيه هل
هي الدرجة او الاجر فكانت كالاصل التي ترجع اليه ولا يرجع اليها
(التاسع) انه ابين منها واوضح وفي قول غيره اقتضاب واختصار فكان
البين الواضح المبسوط اولى بان يجعل اصلاً ومرجعاً (العاشر) ان قتادة
كان قد رى رأساً في القدر وكان سعيد بن عمروة كذلك في رواية
قتادة قد ريان وهذه الآية مما يتعلق بما فيها الخلاف بين القدرية واهل
السنة (الحادي عشر) ان رواية الربيع بن انس توافق قول ابن عباس
رضي الله عنهما لا قول قتادة (الثاني عشر) ان رواية ابراهيم ضعيفة
لضعف ابراهيم بن الحكم بن ابان كما تقدم (الثالث عشر) اننا قد بينا ان الروايات
جميعها متفقة على القول باللاحق من غير اشتراط المساواة في الايمان والاعمال
ولا يظهر بينها فيه اختلاف الا في المراد بالذرية هل هم الاطفال الصغار
والكبار البالغون او الكبار فقط وعلى هذا فلا خلاف عندهم فيما حاول
السوداني دفعه ومنعه بكل حجر ومدبر (الرابع عشر) انه يفرض وجود الخلاف

فهذا قول الجماهير من المفسرين الصحابة ومن بعدهم وقولهم اولى بالصواب من قول فرد شاذ ولولا ذلك لما كان للقول بالاجماع معنى لان اتفاق جمهور العلماء على قول يلى اجماعهم عليه في القوة والرحمان (الخامس عشر) ان السوداني قد اشترط في الموعودين بهذا الآية امرين الايمان الكامل والمساواة للمتقدمين في الايمان والاعمال فكامل الايمان عنده ليس منهم حتى يتساوى ايمانه واعماله بايمان واعمال من قبله لتفاوت رتب الكمال وتعددتها فخرج بقوله اهل الايمان الكامل مع عدم التساوى والمؤمنون القائمون بامر الله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللطم ان ربك واسع المغفرة لانه لا خلاف انهم ليسوا من اهل الايمان الكامل مع مقارفتهم للصغائر ولا خلاف بين المسلمين انهم من اهل الوعد لا الوعيد وبهذا يتضح سقوط قوله لمخالفته اجماع الامة واذا ظهر بطلان قول السوداني ظهر صحة قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهم وابن جبير والضحاك وابن زيد وابي مجلز وسائر المفسرين الذين عددناهم اول الكتاب رحمهم الله تعالى (السادس عشر) انه خصص بالاية اهل الايمان الكامل فاخرج بذلك غيرهم عن مدلولها بلا حجة مع انهم من اهل الوعد فكان كالتخصيص بغير مخصص وهذا مما يضعف به قوله ويقوى به قول جماهير المفسرين (السابع عشر) ان الذين حملوا الآية على الذرية الذين ماتوا صغارا قبل ان يبلغوا اوان التكليف قد استظهروا

بقراءة واتباعهم ذرياتهم وقالوا هذا هو الاتباع الحكمي وانما قالوا باتباع حكمي في مطلق الايمان لافي ايمان الاب المطلق والا للزم ان يكون ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من غيره ايمانا ودرجة لانه ملحق حكما بايمان ابيه صلى الله عليه وآله وسلم الذي يفوق كل ايمان سواه واذا صح الحاق ذى الايمان الحكمي بدرجة ابيه الرفيعة فلم لا يصح الحاق ذى الايمان التكليفي مع ما عنده من العمل والطاعة والاتباع؟ ويترتب على منع ذلك ان يكون من لم يعمل اولى بالفضل والكرامة ممن عمل وان بلوغه الى درجة الايمان والعمل لم يزد الا نقصا وتدلليا فكان قوله الجمهور اولى لعدم استلزامه ما ذكر (الثامن عشر) ان قراءة واتباعهم ذرياتهم كما يحتمل ان المراد بها الذرية الصغار كذلك تحتمل ارادة الكبار وفي نسبة الاتباع الى الله فيها ايماء الى انهم لم يدركوا اباؤهم في ايمانهم ولكن الله اتبعهم اياهم اتباعا ويكون الباء بمعنى الملازمة والسببية اي ملتبسين بايمان او بسبب ايمان فكان اتباعهم لهم مع ايمانهم النفسي كاتباع الذرية الصغار ولا ايمان لهم نفسي بل اولى (التاسع عشر) ان قراءة واتباعهم ذرياتهم بايمان تدل على اتباع الذرية لابائهم واقتنائها آثارها ولكنها لا تدل على ادراكها فكان قوله تعالى الحقابهم ذرياتهم مبينا لفضل الله عليهم في الحاقهم بمن قصروا عنه (العشرون) انه ليس في هذه الجملة الاقراءتان هما واتباعهم بنسبة اتباعهم لهم الى الله واتباعهم بنسبة الاتباع اليهم ولا قراءة

بلفظ أتبعتمهم ذريتهم بقطع الهمزة وسكون التاء اي ادركتهم فكان
ورود الآية بهاتين القراءتين دون ما سواهما دليلا على ما بيناه (الحادي وعشرون)
ان جملة الحقائهم ذرياتهم تدل على الحاق قاصر بكامل وهو يؤيد قول
المفسرين وينفي قول مدعي اشتراط المساواة في الايمان والاعمال والكمال
فيهما ايضا (الثاني والعشرون) ان يقال ان الثواب بمثابة العوض والعمل
بمثابة المعوض عنه ومع تساوي السلع وتماثلها من كل وجه يتمتع في
العقل واللغة ان يقال الحقت ثمن هذه البضاعة بثمن هذا اذ لا الحاق
مع التساوي بينه الوجه (الثالث والعشرون) وهو ان يقال هل الدرجة
او الثواب الذي اعطيته الذرية هو ثواب ما عملوه سواء بسواء ام اكثر
مما يستحقونه بعملهم ام ثواب ما لم يعملوه فان كان الاخير فلا يسمى
ثوابا وانما هو تفضل وان كان الاول فلا الحاق مع التساوي وما هي الا
اعمالهم وفوا ثوابها وليس في التوفية الحاق وان كان الثاني فهذا يظهر
فيه معنى الالحاق لانهم رفعوا الى درجة لا يستحقونها الحاقا لهم بابائهم
هذا اذ احملنا الذرية على الكبار البالغين ذوي الايمان والاعمال اما اذا
حملناها على الذرية الصغار فلا يصح حمل الالحاق على الالحاق في الثواب
اذ لا اعمال لهم وانما هو الحاق في الدرجة فقط وهناك مرجحات تعلم
مما سبق والله اعلم

﴿ فضائل اهل البيت عليهم السلام وتعدد بعض المؤلفات فيها ﴾
لما كان التلميذ وشيخه قد نصبوا انفسهما لعداوة آل محمد صلى الله عليه

وآله وسلم ورضيا بذلك حفا ونصيبا في دنياهما واخراهما ، فاطهما لهم
المكروه من القول ، والحديث من السب ، والطعن الشنيع ، والقذف
الفظيع ، ووحدا منا قبهم وفضائلهم ، وحقرا او اخرهم كما صفرا أو ائلمهم ،
وطعنا في الاحاديث الصحيحة الواردة فيهم وقد ملأت دوواين الاسلام ،
وكتب الائمة الاعلام ، بغير بينة مقبولة ، ولا حجة معقولة ، ثم اجتهدا في
الدعاية الى بغضهم وعداوتهم ، وحمل الحقد في القلوب لهم ، واطالا في
التشنيع والتنديد بهم ، وبالغا في نشره بالاساليب المختلفة عداوة الله ورسوله
وتنقيصا لخيرته من خلقه ، بتنقيص اهل بيته وذوي قرياه وتنفيرا عن
الاسلام ونكايه له بتحقيير البيت الذي منه ظهر نوره ، وسطعت بدوراه ،
حسن^(١) منا ان نعقد ابوابا نذكر فيها انموذجا من فضائلهم ومناقبهم
نصرا له صلى الله عليه وسلم وللدين الذي جاء به ، وقياما بالحق الواجب
له ولاهل بيته ، غير مبالين بما ينا لنا بسبب ذلك من اعدائهم من
سب وتنديد ، وتهديد به ووعيد ، فقد جعلنا اعراضنا وقايتا لعرض
أكرم خلق الله على الله ، والمطهرين من اهل بيته وذوي قرياه كما قال
حسان رضي الله عنه

فان ابي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم فداء

وكما قال الكميتم رحمه الله تعالى

(١) جواب لما

وتناولت من تناول بالغيبة اعراضهم وقل اکتامي
معلنا للمعالنين مسرا للمسرین غیر دحض المقام
مبديا صفحتي على المرقب المعلم بالله عزتي واعتصامي
ما ابالي اذا حفظت ابالقاسم سم فيهم ملامت اللوام
لا ابالي ولن ابالي فيهم ابدارغم ساخطين رغام
ولعمري ان فضائلهم كالبجر لا تغاص اثباجه ، والموج لا تنقطع افواجه ،
والسحب لا يبعد قطرها ، والنجوم لا يستطيع حصرها ، بل هي النهار الطالع
يستدل به ولا يستدل عليه ، والنور الساطع يعشو كل مستبصر اليه ،
والمحور الذي دارت حوله الفضائل ، والمرکز الذي انبعثت عنه
مناقب الا واخر والا وائل ، والمرجع الاصل لفضيلة كل فاضل ، وكال
كل كامل ، ومن قصد حصر مناقبهم فقد ابتغى الى الممتنع سيلا ،
ورام منه امرا مستحيلا ، فعلى السعيد بحبهم ، والمغتبط بودهم وقربهم ،
والمتشوف الى الاطلاع على ما لهم من المناقب ، وما خصوا به من
الخصائص والمواهب ، أن يرجع الى ما كتبه الائمة في ذلك فقد الفوا
وصنفوا في ذلك الدواوين النافعة ، والمؤلفات الجامعة فمن الف في
ذلك الامام الحافظ الناقد الحجة عبد الرحمن بن ابي حاتم صاحب التأليف
في علم الجرح والتعديل المتوفى سنة ٣٢٧ ، ومنهم الحافظ الامام
ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ له كتاب ثناء
القرابة على الصحابة وثناء الصحابة على القرابة ، ومنهم الحافظ الجليل

الامام ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الانصارى المعروف بالذ ولاي المتوفى سنة ٣١٠ له كتاب الذرية الطاهرة ، ومنهم الحافظ الامام ابو محمد الحسن بن احمد بن صالح الهمداني السبيعي الحلي المتوفى سنة ٣٧١ له كتاب التبصرة ، بفضائل العترة المطهرة ، ومنهم الحافظ ابو عبد الله محمد بن ابي المظفر يوسف الزرندي المدني له كتاب نظم درر السمطين ، في ذرية السبطين ، وكتاب معراج الوصول الى معرفة فضائل آل الرسول ، ومنهم حافظ الخبابة عبد العزيز بن محمد بن مبارك الجنابذي البغدادي له معالم العترة النبوية ، ومعارف اهل البيت الفاطمية ومنهم المحدث المكثر الحافظ ابو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي الحنفي مؤلف مسند الامام ابي حنيفة له كتاب مناقب اهل البيت ، ومنهم الحافظ ابو جعفر احمد المعروف بالمحب الطبري له ذخائر العقبي ، في مناقب ذوى القربى ، ومنهم الشريف العلامة الفقيه والمحدث علي بن عبد الله السمهودي المدني له كتاب جواهر العقدين ، في فضل الشرفين ، ومنهم الشيخ الحافظ ابو عبد الله ابن الابار له كتاب درر السمط ، في خبر السبط ، ومنهم الحافظ السيوطي له كتاب احياء الميت ، بفضائل اهل البيت ، ومنهم الشيخ العلامة احمد با كثير الحضرمي له كتاب وسيلة المال في عدد مناقب الآل ، ومنهم الشيخ العلامة احمد بن عبد القادر الحفظي له كتاب عقد اللآل ، في فضائل الآل ، ومنهم السيد العلامة العارف بالله فريد

عصره عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس له كتاب عقد اللآل ، في فضائل
الآل وكتاب عقد الجواهر ، في فضائل اهل البيت الطاهر ، ومنهم السيد
العلامة احمد بن علوي جمل الليل العلوي له كتاب الذخيرة ، ومنهم الشيخ
العلامة حسن العدوي الحزراوي له استطرادات الى ذكر مناقب اهل البيت
في كثير من مؤلفاته كمشارك الانوار ونحوها ، ومنهم الشيخ العلامة الصبان
له كتاب اسعاف الراغبين ، في سيرة المصطفى وفضائل اهل بيته
الطاهرين ، ومنهم الشيخ العلامة عبد الله بن محمد الشبراوي المصري
له كتاب الاتحاف ، بحب الاشراف ، ومنهم الشيخ الحافظ محمد بن
علي الشوكاني له كتاب وبل الغمام ودر السحابة ، في مناقب القرابة
والصحابية ، ومنهم السيد العلامة المحقق العارف بالله عبد الله بن عمر بن
يحيى العلوي له رسالة جامعة في فضائل اهل البيت وللشيخ العلامة
محمد بن سعيد بابصيل خلاصة من ذلك ، ومنهم حافظ العصر العلامة
حسن الزمان بن محمد قاسم ذوالفقار الهندي له كتاب القول المستحسن ،
في فخر الحسن ، وكتاب الفقه الاكبر ، وفيهما من مناقب اهل البيت
كثيرا طيبا ، ومنهم عالم العصر الشيخ العلامة يوسف بن اسماعيل النبهاني
له كتاب الشرف المؤبد ، لآل محمد ومنهم العلامة المحقق المتفنن الشريف
الأصيل السيد ابو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي له كتاب
رشفت الصادق ، من بحر فضائل بني النبي الهادي ، الى غير ذلك مما
اغفلنا ذكره ، اولم يبلغ الينا علمه ، اما المؤلفات المخصوصة بمناقب بعضهم

او قبيلة منهم فهمى كثيرة ومن اشبلها واعمها واعظمها مناقب امير المؤمنين علي كرم الله وجهه افضل اهل البيت وخيرهم وسيدهم بعد مشرفهم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمنها كتاب مناقب علي للامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وكتاب خصائص علي للحافظ النسائي، وكتاب ينابيع الموالاه في طرق حديث من كنت مولاه فعلي مولاه للحافظ ابن جرير الطبرى في مجلدين، وكتاب طرق حديث الطير في مجلد وقد صنف فيه جماعة غيره منهم الحافظ ابن مردويه والحافظ ابو عبد الله الحاكم وصاحبه الحافظ ابو طاهر محمد بن احمد بن حمدان الخراساني الرحالة المصنف والحافظ ابو مسعود السجستاني اخرج حديث الموالاه عن مائة وعشرين من الصحابة، والحافظ الحجة المكثر احمد بن سعيد بن عقدة له كتاب الموالاة في حديث من كنت مولاه اخرجه فيه عن مئة وخمسة من الصحابة قال الحافظ ابن حجر وفي اسانيد ابي جواد وحسان وكان الحافظ ابو العلاء العطار الهمداني يقول اروي هذا الحديث بمائتي طريق وخمسين طريقاً ولم يحدث محمد بن محمد الجزري الشافعي كتاب اسنى المطالب، في مناقب المولى علي بن ابي طالب، ولاي عبد الله الحاكم جزؤ في فضائل الزهراء البتول على ايها وعليها الصلاة والسلام، وقد استدرك في المستدرک كثيراً من الاحاديث في فضائل اهل البيت وتعقب الذهبي شيئاً منها وقد اخطأ في مواضع من تعقبه ولفقيد الاسلام الشهيد عبد الحميد الزهراوي رحمه الله تعالى مؤلف في

مناقب ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها وبالجملة فالمؤلفات في هذا
الشان كثيرة وفي هذه الكتب الخاصة كثير من مناقبهم العامة بل
قلما يخلو كتاب من كتب الاسلام عن ذكر شيء من فضائلهم
او الاشارة الى شيء منها وبالجملة فان مناقب اهل البيت الطاهر،
وما لهم من الفضائل والمفاخر، قد ملئت بها الاسفار، وسارت سير المثل
في الاقطار، وبلغت مبلغ الليل والنهار، واذ كرهننا ما خبرني به بعضهم
قال ان بعض المبطلين بجذام النصب من اهل هذا العصر وكان عربيا
ركب البحر مرة فضمه السفر الى بعض المتعلمين من الصينيين في
احد السفن البخارية فلما ادنى التعارف احدهما الى الاخر اخذا
يتداولان اطراف الاحاديث، من قديم وحديث، حتى افضى ذلك
الشانيء المبطل الى ذكر السادة الاشراف فاخذ يقصبهم ويعيبهم ويحقر
شانهم ويستصغر قديهم ويقذف ماشاء من رجيع بطنه، ودغل قلبه
قال فلم يستمر في مقاله حتى استشاط ذلك الصيني غضبا وقال: له انك
ما تريد بما تسمعي من اكاذيبك الا ان تسمني بسمة البلاهة والغباوة
كأنك لا تعلم اني متعلم متخرج من المدارس العالية قد قرأت التاريخ
واطلمت عليه وعرفت اول أمركم وقديمه وما كنتم عليه قبل الاسلام
وانه لولا منة الله عليكم بهذا البيت لما عدكم الناس في الامم قال فكأنما
القمه حجرا وهناك نظائر هذه القصة لا محل لذكرها ولسنا بصدد نزع
هذا البحر الذي لا تنقطع امداده، ولاعد الرمل الذي يستحيل تعدادة

من رام عد القطر عد طويلا، وانما تعرض من ذلك لما تكلم فيه (التلميذ)
من تلك المفاخر العظيمة، والمناقب الكريمة، مع الاتيان ببله من ذلك
الفرات العذب، تبرد بها غلة الاحباب، ونظم لثاليء من كبار اللؤلؤ
الرطب، نزين بها جيد الكتاب، ومن اراد الاستقصاء والزيادة،
والمبالغة في الاستفادة، فليرجع الى ما ذكرناه من المؤلفات وما لم نذكره
يجد فيها الكثير الطيب، في الكثير الطيب

فهم الكثير الطيب المدعو لهم * من جدم عند الزفاف الاتمي
والله الموفق والمعين

(ايجاب الحلول في النار يلبغض اهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم)
هذه الترجمة للامام الحافظ ابي حاتم محمد بن حبان ترجم بها في صحيحه
المستجاد لما اخرجه من حديث سليم بن حيان عن ابي المتوكل
الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لا يبغضنا اهل البيت رجل الا ادخله الله النار وسليم بن حيان
هو الهذلي وابو المتوكل هو علي بن داود الناجي البصري وكلاهما من
رواة الصحيحين واخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط
مسلم عن محمد بن فضيل عن ابان بن تغلب عن جعفر بن اياس عن ابي
نضرة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله
الله النار محمد بن فضيل وجعفر بن اياس هو اليشكري البصري يكنى

ابا بشر وكنية والده ابو وحشية كلاهما من رجال الصحيحين وaban
بن تغلب و ابو نضرة هو المنذر بن مالك بن قطعة العوقي من رجال صحيح
مسلم واستشهد بالاخير البخاري وللحديث شواهد كثيرة فمنها ماخرجه
الحاكم قال حدثنا ابو جعفر احمد بن عبيد بن ابراهيم الحافظ الاسدي
بهمدان ثنا ابراهيم بن الحسين بن ديزيل ثنا اسمعيل بن ابي اويس ثنا
ابي عن حميد بن قيس المكي عن عطاء بن رباح وغيره من اصحاب ابن
عباس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال يا بني عبد المطلب اني سألت الله لكم ثلاثا ان يثبت
قائمكم وان يهدى ضالككم وان يعلم جاهلكم وسألت الله ان يجعلكم
جودا نجدا رحماء فلو أن رجلا صنف بين الركن والمقام فصلى وصام ثم
لقي الله وهو مبغض لاهل بيت محمد دخل النار هذا حديث حسن صحيح
على شرط مسلم ولم يخرجناه اه قلت اقرا الذهبي واسمعيل وابولة من رجال
صحيح مسلم وحميد بن قيس وعطاء بن رباح من رجال الصحيحين واخرجه
بن ابي خيثمة في تاريخه من حديث حميد بن قيس بنحوه سندنا وامتنا واخرج
الديلمي في مسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عن النبي صلى الله عليه
عليه وآله وسلم انه قال من ابغضنا فهو منافق واخرجه الامام احمد في
مناقب امير المؤمنين علي عليه السلام بلفظ من ابغض اهل البيت فهو
منافق وعن ابي بكر بن البهلول من طريق طلحة بن مصرف رحمه الله
تعالى قال كان يقال بغض بني هاشم نفاق ويشهد له حديث جابر بن

عبد الله رضي الله عنه قال ما كنا نعرف المنافقين الا يبغضهم عليا اخرجهم
احمد واللفظ له واخرجه الترمذي بلفظ ان كنا نعرف المنافقين نحن
معشر الانصار يبغضهم عليا ومعنى رواية جابر صحيح مقبول ولا اشكال
في حصره معرفة المنافقين في بغضه عليه السلام كما هذى به بعض ذوى
التعصب المذموم لأن بغضه اظهر علامات النفاق لا يعترض عندهم الشك
فيها بخلاف ماسوى ذلك من علاماته كالتخلف عن صلاة العشاء ونحوها
فانه قد يظن ان للمتخلف عنها اعدارا يجوم حولها الشك في نفاقه ولا عذر
في بغضه عليه السلام فكان دليلا واضحا على نفاق صاحبه لا يعترض فيه
شك وبمثله تحصل المعرفة وعن الحسن بن علي رضي الله عنه انه قال
لمعاوية بن خديج يامعاوية اياك وبغضنا فان رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم قال لا يبغضنا ولا يحسدنا احد الا زيد عن الحوض يوم القيامة
بسياط من نار اخرجه الطبراني في الاوسط بسند ضعيف ولكن بمعناه
صحيح وذكر له السهمودي اصلا آخر عند الطبراني من طريقين احدهما
ضعيف ورجال الثاني منها ثقات الاعلى بن طلحة مولى بني امية قال
الهيثمي لم اعرفه ثم عدد السهمودي شواهد اخرى لانطيل بها (قلت)
ولعل علي بن طلحة هذا هو مولى بني العباس وهو ثقة لامولى بني امية
فاتقل ذهن الراوي من بني العباس الى بني امية والله اعلم ومن الاحاديث
الصحيحة في معنى حديث الباب ما اخرجهم الطبراني في الكبير عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بغض بني هاشم والانصار كفر وبغض العرب نفاق قال الشيخ العزيزي في شرح الجامع الصغير اسناده حسن صحيح وانما كان بغض بني هاشم كفرا لانهم البيت الذي ظهر الاسلام منه كما ان الانصار هم القبيل الذي نصره فلا يبغضهم احد له دين وجعل بغض العرب نفاقا لكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم وبعث فيهم فلا يبغضهم الا من عند ادسية نفاق وقد رأينا الملحدين والمتجددين في هذا العصر كيف يتتدى ضلالهم والحادهم ببغض العرب ثم يلجون ظلمات الكفر الى حيث أقت . ولم يجعل بغضهم كفرا كبغض بني هاشم والانصار فرقا بين القريب والاقرب كالفرق بين الاعم والاخص واللازم والالزم ويشهد لذلك ما اخرجه الترمذي عن سلمان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله قال تبغض العرب فتبغضني قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا يعرف الا من حديث ابي بدر شجاع ابن الوليد (قلت) فيحتاج به لصحة الاحتجاج بالحديث الحسن كالصحيح ولذلك قال ابن تيمية في الاقتضاء عقب ايراد له مانصه «وهذا دليل على ان بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر او سب الكفر ومقتضاه انهم افضل من غيرهم وان محبتهم سبب قوة الايمان لانه لو كان تحريم بغضهم كتحریم بغض سائر الطوائف لم يكن ذلك سببا لفراق الدين ولا لبغض الرسول بل كان يكون نوع عدوان فلما جعله سببا لفراق الدين وبغض الرسول دل على ان بغضهم اعظم من بغض غيرهم وذلك دليل على انهم افضل لان الحب والبغض يتبع الفضل فمن كان بغضه

اعظم دل على انه افضل ودل حينئذ على ان محبته دين لاجل ما فيه من زيادة الفضل ولان ذلك ضد البغض ومن كان بغضه سببا للعذاب لخصوصه كان حبه سببا للثواب وذلك دليل الفضل وقد جاء ذلك مصرحاً به في حديث آخر رواه ابو طاهر السلفي « اه ثم ساق الحديث وكلاماً طويلاً بعدة وحينئذ فاذا كان هذا الحديث دليلاً على ان بغض العرب كفر او سبب الكفر فهو على ان بغض بني هاشم كذلك او ضح دلالة لانهم خاصة العرب وصميمهم وما ثبت للفرع لعلته ، فهو للاصل لتلك العلة اثبت وهو فيه اظهر واقوى ، وبه اولى واخرى ، واذا كانت محبتهم سبب قوة الايمان كانت محبة بني هاشم من اسباب نفس الايمان وهذا المفهوم قد جاء مصرحاً به في حديث صحيح تقدم اول الكتاب وسيأتي في محله ان شاء الله تعالى قال صلى الله عليه وآله وسلم والله لا يدخل قلب امرئ ايمان حتى يحبكم الله ولقرايتي فكان دخول الايمان الى قلب اي انسان متوقفاً على حبهم فيكون بغضهم اقوى اسباب الكفر او من اقواها اذ لا شك انه اقوى في السببية من بغض العرب لانه اعظم جرماً وفحشاً فتكون دلالة هذين الامرين على افضليتهم اظهر واصرح لان محبتهم اوجب وأكد وبغضهم اشنع واشد ، ومحبتهم من اقوى دعائم الدين وموجبات الثواب ، كما أن بغضهم من اعظم الآثام وموجبات العذاب ، وبالجملة فكل ما اثبتته ابن تيمية للعرب بدلالة هذا الحديث فهو لبني هاشم اثبت وبهم اولى ، وكانوا احق بها واهلها ، مع ما ورد فيهم خاصة مما هو ابين دلالة واصح متناً وسنداً ، واذا انعمت النظر في هذه الاحاديث عرفت ان

السنن النبوية يؤيد بعضها بعضا ويصدق بعضها بعضا فلما كانت بنو هاشم
والانصار اقرب مكانة منه صلى الله عليه وآله وسلم واشد لصوقا به
كان بغضهم كفرا وكان بغض العرب نفاقا لانهم دونهم في ذلك واذا
كان بغضهم كفرا كانت محبتهم ايمانا ودينا يدان الله به ويتقرب به اليه
فجاءت الاحاديث يصدق بعضها بعضا لما صرح به حديث ابي سعيد
الخدري الصحيح ان الله يدخل مبغضهم النار وبئس القرار (ان الله
جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) ولما دل الحديث على ان
بغض العرب سب لبغضه صلى الله عليه وآله وسلم لقوله لسلمان رضي الله
عنه لا تبغض العرب فتبغضني فعطف الجملة الاخيرة بفاء السببية ومتى
وجد السبب وجد المسبب فتى وجد بغض العرب في قلب انسان
وجد بغضه صلى الله عليه وآله وسلم لاحالة وقد لا يشعر به صاحبه
كان^(١) من الواضح ان بغض بني هاشم اقوى في العلية لان
يكون سببا الى بغضه صلى الله عليه وآله وسلم لاحالة وانما يعلم وجه السببية
في ذلك وسرها من عرف سير الاخلاق والوجدانات في نفوس الناس
واستتباع بعضها بعضا، ومنها ما يخفى فلا يدرك الابنور النبوة وانك
لترى كثيرا من الناس تخيل اليه نفسه انه يجب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وانه ناصر لدينه بعلمه وقلمه ولسانه وليس عنده من
المحبة الصحيحة المطلوبة شرعا لاقليل ولا كثير، وانما عنده خيالات

واوهام اقامهاله الشيطان ، وما يتحرك فيما يسميه هو محبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصراً له الا بدواعي نفسية ، واغراض دنيوية ، كستها الدعوى والرضا عن النفس كسوة الحق فلا يشعر هذا المفرور المخدوع بما في قلبه من الشنآن والبغضاء له صلى الله عليه وآله وسلم لانها بوادر تسبق الفكر وتحتجب عن الشعور وتلطف عن الفطن القوية . ولا شك ان شانيء اهل البيت من اول او اول من يصدق عليه هذا ، ولو حاسب نفسه وايد بتوفيق وبصيرة لعرف الحقيقة ، وانى له بذلك وهو لا يكون بهذه المثابة حتى يضلله الله على علم ويختتم على سمعه وقلبه ويجعل على بصره غشاوة . وانا نعلم من طبائع الناس واثر المحبة فيهم ان من احب احدا منهم محبة صادقة سرت منه الى من يلوذبه حتى يستعظم محاسنه ويعمى عن مساويه كما ورد في الحديث حبك الشيء يعمى ويصم فان ظهر له منه شيء سبق الى قلبه حسن الظن ووجه العذر وخف على قلبه منه مائقل من غيرلا هذا وهو انما يجب امراً من عرض الناس فما باله يدعي محبة رسول الله عليه وآله وسلم وهو يبغض اهله ويشنأ ذريته ، ويحيل محاسنهم مساوي ، وحقائقهم دعاوى ، هذا مالا يصح له ابدا .

وبالجملة ففي حديث ابي سعيد وعيد شديد لكل شانيء ابتر بادخال النار وفيه دلالة على ان بغض اهل البيت من كبائر الذنوب وفواحشها وليس كبغض غيرهم ، واذا كان بغض العرب سبباً للكفر

فالك بيفضهم وهم هم، ومن وسائل الملحدين في هذا العصر انهم يسلكون في الدعوة الى الارتداد عن الاسلام والتخلي عنه سبيل اثاره البغضاء للعرب بتقيح لغتهم وتعييبها وذب اساليبها واستثقالها والترغيب في استجداد اساليب اخرى غير المنقولة عنهم والظعن في حروف كتابتهم والدعوة الى تركها واستعمال الحروف الاجنبية ثم يتدحرجون الى الظعن في الاحكام والآداب الاسلامية ودعوى انها لا توافق العصر الحاضر وانها مانعة من الرقي ويعنون بالرقي اللحاق بالامم الغربية ذوات العزة والسلطان والصناعة الى اساطير كثيرة من هذا النوع وما بهم الارقة الديانة وضعف البصيرة ولهم شره وحرص شديد ان على ترويح شرهم وسعي اليه حثيث ولم نرهم ادر كوا بغيتهم في قوم مثل القوم الذين استجابوا لهم الى بغض العرب فما تابعوهم على ذلك حتى سارعوا الى الالحاد وركضوا اليه ركضا فكان ذلك مصداق حديث سلمان السابق ذكره آنفا والحاصل أن تأثير بغض بني هاشم والانصار في افساد قلب صاحبه حتى يعمى ويضل ويستحوذ عليه الشيطان ويتغلب عليه الهوى اعظم من تأثير بغض العرب ولذلك جعله في الحديث كفرا كما توعد عليه بادخال النار وكلا الامرين شر وبلاء وفتنة ولذلك سمع بعض غلاتهم يقول ان النصراني احب الينا منهم وقال آخر المجوس من الصينيين خير منهم (فان قيل) ما تقولون في قوله صلى الله عليه وآله وسلم بغض بني هاشم والانصار

ككفر وبغض العرب نفاق هل يؤخذ بظاهرها فيحكم بكفر المبغض
وارتدادها وحرمة مناكحته واجراء احكام الردة عليه (قلنا) لا يقال انه
ككفر يخرج عن الملة ولكنه كفر دون كفر كما قال سلف الامة في
نظائر ذلك كما روى عن ابن عباس في قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته
وكتبه ورسوله اي كفر دون كفر ونقل نحو هذا القول عن غيره من المتقدمين
ولكن ذلك يدل على غلظ الوعيد وعظم هذه المعصية وتأصل النفاق
في القلب وصاحبه بصدد الموت على سوء الخاتمة اذا لم يتداركه الله بتوبة
صادقة، وحديث الطبراني عن الحسن السبط على جده وابويه وعليه
الصلاة والسلام وان كان سنده ضعيفا فان متنه صحيح لانه بمعنى
حديث ابي سعيد الخدري وفيه زيادة ولا يحسدنا احد ويشهد لها
ماورد في تفسير قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من
من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما
فقد فسر الفضل هنا بالنبوة وهو يوافق قوله تعالى هو الذي بعث في
الامين رسولا منهم الى قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم وقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا الى قوله ذلك هو الفضل الكبير فسمى ذلك فضلا كما فسر قوله
تعالى قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا اي بالنبوة والكتاب قال قتادة
حسدوا هذا الحي من العرب على ما آتاهم الله من فضله بعث منهم نبيا

ففسدوهم على ذلك وبمثله قال ابن جريح واختلفوا في هذا الموضوع فقال بعضهم عنى الله به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ونقل هذا عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي وقال قتادة هم العرب والقول الثاني يعود الى الاول لانه ما كان فضلا على العرب الا بعد ان كان فضلا عليه صلى الله عليه وآله وسلم وقد روي عن سيدنا جعفر الصادق على ابائه وعليه السلام انه قال نحن الناس اي المرادون في هذه الآية وهذا مما لا شك فيه لانه متى جاز حمله على العرب وهم القبيل العام له صلى الله عليه وآله وسلم كان جواز حمله على اهل بيته اولى ولذلك كان حاسدا اهل البيت انما يحسدوهم على ما ناله من الشرف به صلى الله عليه وسلم وهذا من نعمة الله عليه في اهله وعترته فمن حسدوهم فانما حسدوهم على نعمته انعم الله بها على نبيه واحب خلقه اليه فيهم واستثقل نعمة الله عليه اذ بلغت اليهم وافيضت منه عليهم فحاسدوهم حاسدله بأبي هو وامي كما ان مبغضهم متسبب الى بغضه صلى الله عليه وآله وسلم ونظير ذلك ما ورد في الحديث الآتي ذكره الا من احب العرب فبجبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم (فان قيل) ان بغض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفر لا شك فيه ولم يقل احد بكفر النواصب ولا الشعوية وانما قيل فيهم انهم مبتدعة (والجواب) ان التكفير بمعنى الاخراج عن الملة والحكم بالردة لا يجوز الا بأمر صريح لا شك فيه وان سلم الناصبي او الشعوي من التكفير فلا يسلم من ان يحكم بنفاقه كما حكم بتبديعه ولا يخلو

قلب مبتدع عن نفاق وقد كان على عهد صلى الله عليه وآله وسلم
من المنافقين من يتكلم فيه صلى الله عليه وآله وسلم ويستهزئ به
ويحاكيه في مشيته وحر كته ويغنى له الغوائل ويمالى عليه اعداءه سرا
ويكيد للاسلام واهله كما نطق به القرآن وتواترت به الاخبار ومع ذلك فلم
يزل صلى الله عليه وآله وسلم يعاملهم معاملة اهل الاسلام حتى توفاه الله مع
انهم في الدرك الاسفل من النار كما صرح به القرآن فحكمهم في الدنيا
غير حكمهم في الآخرة وبالجملة فشأن هولاء الحسدة كشأن اولئك الذين
فرحوا واستبشروا بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعيش له ولد
فكانوا يحبون انقطاع نسله وذلك أن حاسدي اهل البيت يحبون انقطاع
الشرف الطيني والديني المتوا صل في اهل بيته فيسمعون الى اطفاء نورهم
بكل وسيلة، ولهم جهد عظيم في تأويل النصوص الواردة في شأنهم
بما يضعف به مدلولها ويصغر خطرها حسدا من عند انفسهم ان يكون
له صلى الله عليه وآله وسلم من النعمة والكرامة في اهله وقبيله ما يبلغ
هذا المبلغ (ام لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون الناس نقيرا)

وما اشرنا اليه هو قول المفسرين في قوله تعالى ان شانك هو الابتر
قالوا هو العاص بن وائل كان يقول ان محمدا ابتر لاقب له فانزل الله تعالى
على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم انا اعطيناك الكوثر فاما الكوثر فقد
روى عن ابن عباس انه الخير الكثير وفي رواية اخرى انه نهر الحوض
الموعود به في الآخرة ترده هذه الامة وروى عن سعيد بن جبير بسند

صحيح انه جمع بين روايتي ابن عباس وقال ان النهر من الخير الذي اعطاه الله اياه وقد رايت بعض من فسر القرآن من اهل عصرنا عند ما وصل الى ذكر الحوض جمجم القول فيه ولم يفصح واورد القول بصيغة تدل على الشك والتردد مع ان مذهب اهل السنة والجماعة الايمان به واحاديثه متواترة وقد رويت عن خمسة واربعين من الصحابة وامام المكذبين به هو ابن مرجانة يوم يدعى كل اناس بامامهم ذكرت هذا للتلايفتر به بعض من لاعلم عنده والمقصود هنا ان الخير الكثير الذي اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لا يحصره حاصر، ولا يأتي عليه قلم كاتب، منها ما هو في نفسه كالنبوة والكتاب والمقام المحمود والشفاعة والمنزلة العظيمة عند الله، ومنها ما هو في اهل بيته وعشيرته، ومنها ما هو في اصحابه وانصاره، ومنها ما هو في امته فالؤمن الصادق يفرح بفضل الله السابع عليه صلى الله عليه وآله وسلم والحاسد المستكثر تضيق حوصلته عن هذا كله، اما من جعل ديدنه معاداته صلى الله عليه وآله وسلم بمعاداة اهل بيته فلا تسأل عن ضيق خناقه وخرج صدره اذا ذكر آله صلى الله عليه وآله وسلم فان كان ممن يتكسب بعلم الدين اسودت في عينه الدنيا وعظمت عليه بذلك المصيبة لاستشعاره ان ذلك مما يصرف عنه وجوه الناس فتراه في غمة من امره يلتمس وجوه الخيل ليحوج هذا الفضل الثابت لهم في قلوب الناس ويزرع لهم البغضاء في صدورهم فان كان ممن لا يتقيد بمروءة ولا ادب فما عنده الا ما زينه له ابليس مما لا يليق الا بامثاله

وقد حكى النيسابوري في تفسير الكوثر عدة اقوال منها قوله
«والقول الثالث ان الكوثر اولاده لان هذه السورة نزلت ردا على من زعم انه
الابتر كما يجيء والمعنى انه يعطيه بفاطمة نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من
اهل البيت ثم العالم مملؤ منهم ولم يبق من بني امية في الدنيا احد يعاب به والعلماء
الاكابر منهم لاحد لهم ولا حصر لهم منهم الباقر والصادق والكاظم والرضي والتقى
والتقى والزكي وغيرهم» والاولى في توجيه ذلك هو ما قدمته فان جميع
ما انعم الله به عليه صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه ومن تعلق به
داخل في الكوثر الذي هو الخير الكثير ،

ومن الناس من يلوي لسانه في مثل هذا الجبحث بان القول بذلك من
التفاخر بالانساب وموجبات الفرور والاعراض عن العمل الصالح كأن
الطعن في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والغرض منهم والجحد لفضائلهم
من الاعمال الصالحة ومما يعلو به الدين ويصلح به شأن الامة والملة ولو
كشف عن حال هذا القائل لوجد اعظم الناس فخرا بما ليس له وتشبعا بما
ليس عنده واخلاهم عن حقائق الايمان وانى يصح له ذلك وهو مناقق بنص
الحديث ومبتدع باتفاق اهل السنة والجماعة ، ومن الناس من يعارض
فضائلهم اذا ذكرت له بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ونعمت هذه
الكلمة المباركة ، ولكن هذا القائل يقولها ولا حظ له فيها ولا نصيب
فتى يكون متقيا وهو مرتكب للفواحش او من اهل البدع كأن كان ناصبيا
يغض اهل البيت او خارجيا مفارقا لمذهب اهل السنة فهو يأتي بكلمة
حق يريد بها باطلا ، الم تر الى حكمة الله تعالى في خلقه كيف جعل الرسالة

والنبوة والكتاب متسلسلة في سلاسل معروفة واماكن مخصوصة فلم تعد
سلالة اسرائيل واسماعيل وختم الله لهؤلاء وخصت بهم الارض المقدسة
والبيت الذي بوأه الله لابراهيم وابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام
واسكنه ذريته، ألم يكن من جملة الدلائل التي استدلت بها هرقل على نبوته
صلى عليه وآله وسلم موضع نسبه في قومه كما في حديث البخاري، أو لم
يناشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امته في عترته ليرعوا حقهم
ويستبطنوا مودتهم فما بال عصاة امره قد استدبروا قوله واضاعوا حقه
وهتكوا حرمة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(ايجاب اللعنة على من استحل من عترته صلى الله عليه وآله وسلم ما حرم الله)

نذكر هنا اولاً ما ذكره الامام الحافظ ابو جعفر الطحاوي في كتابه
مشكل الآثار ثم نلحقه بما اطلعنا عليه عن غيره من العلماء الاخير قال :
«حدثنا يونس بن عبد الاعلى ثنا عبد الله بن وهب اخبرني عبد الرحمن بن ابي
الموالي عن عبيد الله بن موهب قال كتب عمر بن عبد العزيز الى ابي بكر بن
حزم وهو امير المدينة يومئذ ان اكتب الي من حديث عمرة ابنة عبد الرحمن
فكان فيما املت علي حدثتي عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ستة
العنهم لعنهم الله وكل نبي محاب ، الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط
بالجبروت يذل به من اعز الله عز وجل ويعزبه من اذل الله عز وجل والتارك لسنتي
والمستحل لحرم الله عز وجل والمستحل من عترتي ما حرم الله عز وجل (حدثنا)
ابراهيم بن ابي داود ثنا اسحق بن محمد القروي ثنا ابن ابي الموالى عن عبيد الله
بن عبد الرحمن بن موهب عن ابي بكر بن محمد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن
عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم يقول ثم ذكر مثله قال ابو جعفر فكان في حديث يونس عن ابن وهب
سماع ابن موهب هذا الحديث من عمرة وفي حديث ابن ابى داود عن الفروي
سماعه اياه من ابى بكر بن محمد عن عمرة وكان حديث يونس اولى مما عندنا لان
فيه ذكر املاء عمرة اياه عليه في مجيئه اليها برسالة ابى بكر اياه اليها في ذلك
(وحدثنا) عبد الملك بن مروان الرقي ثنا محمد بن يوسف القرطبي عن سفيان عن
عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب سمعت علي بن الحسين يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ستمة لعنتهم ثم ذكر الستة المذكورين في الحديثين الاولين
قال ابو جعفر فكان في هذا الحديث اخذ ابن وهب اياه عن علي بن الحسين لا عن
عمرة ولا عن غيرها فكان الثوري هو الحجة في ذلك والاولى ان يقبل روايته فيه
عن ابن موهب لسنه وضبطه وحفظه غير ان ابن الموالى ذكر القصة التي ذكرها فيه
من بعث ابى بكر بن حزم اياه الى عمرة في ذلك واملاء عمرة اياه عليه عن عائشة
فقوى في القلوب ذلك واحتمل ان يكون ابن موهب اخذه عن عمرة على ما حدث به
عنها واخذه مع ذلك عن علي بن الحسين على ما حدث به عنه مما قد ذكره عنه
الثوري والله اعلم بحقيقة الامر في ذلك ثم تأملنا متن هذا الحديث فكان الذى فيه
من ذكر الجبروت اشتقاق ذلك من الجبرية كما اشتقوا الملك من الملكوت وكان
الذي فيه من استحلال ما حرم الله عز وجل هو ان يجعل كما سواه مما لم يجرمه
من بلاده اذا كان قد ابانه بتحريمه اياه من سائر بلاده سواه من منع عباده من
دخوله الا محرمين اما بالحج واما بالعمرة من تحريم صيده (١) ومن امانه من دخله بقوله
عز وجل ومن دخله كان آمنا وبتحريمه اعضاه للحرمة التي لم يجعلها لعضاه غيرها
ومن منعه القتال فيه من لا يجب قتاله لانه قد اعلمنا عز وجل على لسان رسوله
ان مكة لا تغزى بعد العام الذي غزاه وانه لا يقتل قرشي بعد عامه ذلك صبوا
اي لا تقتلوا اهلها بعد ذلك العام فيغزون كما غزوا في ذلك العام للكفر الذي

(١) كذا بالاصل ولعله ومن

اباح دماء اهلها القرشيين في ذلك العام فمن انزل الحرم بخلاف تلك المنزلة
كان ملعونا ، وكان قوله والمستحل من عترتي محرم الله وعترته هم اهل بيته
الذين على دينه وعلى التمسك بامرهم كمثل ما قد ذكرنا فيما قد تقدم منا في كتابنا
هذا مما كان منه صل الله عليه وآله وسلم بغدير خم من قوله للناس اني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وما روي عنه في ذلك مما لم يكن ذكرنا وهو ما قد
حدثنا فهد بن سليمان قال ثنا ابو غسان مالك بن اسمعيل النهدي ثنا اسر ائيل بن
يونس عن عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة الاسدي قال لقيت زيد بن ارقم
وهو داخل على المختار واخرج فقلت ما حديث بلغني عنك سمعت النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يقول اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي قال نعم ،
حدثنا ابن ابي داود ثنا عبد الله بن نمير الهمداني ثنا محمد بن فضيل بن غزوان
ثنا ابو حيان مجيب بن حيان التيمي عن يزيد بن حيان (١) قال انطلقت انا
وحصين بن عقبة الى زيد بن ارقم فقال له حصين لقد اكرمك الله يا زيد رأيت
خيرا كثير رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغزوت معه وسمعت منه
لقد اصبت خيرا كثيرا يا زيد فحدثنا بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال زيد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بماء يدعى غدیر خم بين
مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه وذكر (٢) ثم قال اما بعد يا ايها الناس اني انما انتظر
ان ياتي رسول ربي عز وجل فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل فيه الهدى
والنور فاستمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به فرغب في كتاب الله وحث عليه ثم قال
واهل بيتي اذ كرم الله عز وجل في اهل بيتي قال ابو جعفر وطلبنا من روى عن يزيد بن
حيان سوى ابي حيان التيمي ليكون قد حدث عنه سوى ابي حيان من هو كابي
حيان في العدل فيكون قد حدث عنه عدلان فوجدنا الاعمش (٣) قد روى عنه

(١) هذا احد من خلط التلميذ في اسماهم فجعله زيد بن حيان البلخي ليجرحه
كما سيأتي ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى

(٢) لعنه وذكره (٣) بل روى عنه ايضا فطر بن خليفة وسفيان الثوري

كما قد حدثنا علي بن ابي شيبة ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن يزيد بن حيان قال كان
عنبس بن عقبة يسجد حتى ان العصافير يقعن على ظهره وينزلن ما يحسبهن الاجذم
حائط وما قد حدثنا فهد ثنا ابو نعيم فذكر باسناده مثله قال ابو جعفر فاحتمل في
الرواية عنه الاعمش وابو حيان فمن اخرج عترة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعليهم من المكان الذي جعلهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وآله
وسلم بما قد ذكرنا في هذه الاثار فجعلهم كسواهم ممن ليس من اهل بيته وعترة
كان به ملعونا اذ كان قد خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما فعل من ذلك
وسائر ما في هذا الحديث سوى ذلك مكشوف المعاني يعلم سامعوه ما اريد به علما
يغنينا عن التفسير له والله سبحانه الموفق « اه كلام الامام ابي جعفر
الطحاوي نقلناه بطوله لما فيه من الفوائد ومما ينبغي بيانه المراد
بالمستحل في هذا الحديث فقد يتوهم من الف اصطلاحات الفقهاء
ان المستحل الذي يعتقد الشيء المحرم حلالا وليس ذلك مرادا
هنا البتة بل المراد به من انتهك حرمة ذلك الامر سواء كان يعتقد
حله أم تحريره كما يقال فلان استحل المحرم اي فعل فيه امرا انتهك
به حرمة وخالف به ما امر الله به من تعظيمه وتكريمه فكأنه صيره
حلالا بما فعل وقد بين ذلك ابو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في موضع
آخر من كتابه ونصه « ثم تأملنا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان
يستحل طعام القوم اذا لم يذكروا اسم الله عليه لنقف على ذلك الاستحلال
ما هو فوجدنا الحلال هو الشيء المطلق ووجدنا الحرام هو الشيء الممنوع عنه
ووجدنا من فعل شيئا ممنوعا عنه كان بذلك مطلقا لنفسه ما فعله من ذلك وكان بفعله
ذلك مستحلالا لاطلاقه لنفسه ما اطلقه لها من ذلك حتى فعلته ومن ذلك

قول الله عزوجل في الآية التي ذكر فيها النسيء يجلونه عاما ويحرمونه عاما
ليواطؤاعدة ما حرم الله عزوجل عليهم من ذلك ، ومنه قول الناس استحل فلان
دمي واستحل فلان مالي على معنى اطلق لنفسه دمي واطلق لنفسه مالي « اه
وحديث الباب قد اخرج الحاكم في المستدرک في موضعين
فقال في الاول حدثنا ابو محمد عبد الله بن جعفر بن دستويه الفارسي
ثنا يعقوب بن سفيان الفارسي وحدثنا ابو بكر بن اسحاق الفقيه ثنا
الحسن بن علي بن زياد قال ثنا اسحاق بن محمد الفروي ثنا عبد الرحمن
بن ابي الموالم القرشي واخبرني محمد بن المؤمل ثنا الفضل بن محمد
الشعراني ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن الموالم عبد الرحمن ثنا عبيد الله
بن موهب عن ابي بكر بن محمد بن حزم عن عمرة عن عائشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكره به ثم قال قد احتج
البخارى بعبد الرحمن بن ابي الموالم وهذا حديث صحيح الاسناد ولا
اعرف له علة ولم يخرجاه وانما قال الحاكم ولا اعرف له علة لان بعض
اهل العلم قال في حديث ابن ابي الموالم هذا خطأ والصحيح عن ابن
موهب عن علي بن الحسين فكأنه يريد ان يعمله بذلك وليس كلامه
بشيء لانه قد رواه عن ابن ابي الموالم ثلاثا وهم اسحاق بن محمد
الفروي وقتيبة بن سعيد وعبد العزيز الاويسي والحجة قائمة بهم وبه وقد
علمت احتجاج البخاري بابن ابي الموالم ولا مانع من ان يكون الحديث
عند ابن موهب من طريقين من طريق عائشة ومن طريق علي بن
الحسين رضي الله عنهم فحدث بهذا الطريق مرة وبهذا الاخرى وقد جمع

علماء الحديث بمثل ما قلنا في نظائر ذلك ولا حاجة للاستشهاد فان من كان من اهل الاطلاع عرف ذلك والقاصر يكتفى بما قلنا واما ذوا الهوى فاليهمه هواه فاني يلتفت لما سؤالا والحجة قائمة به على كل حال على ان ابن موهب لم ينفرد بروايته عن علي بن الحسين فقد رواه غيره عنه مرفوعا وروى عن علي عليه السلام وعن عمرو بن شعوان اليافعي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما وما اشار اليه ابو جعفر في الطريقتين التي مر ذكرهما عن ابن موهب من كونه ذكر مرة املاء عمرة الحديث عليه بنفسه وحدث به مرة اخرى عن ابي بكر بن محمد فليس باختلاف ولا اضطراب في السند بل هو مما يدل على تثبيت ابن موهب وشدة تحريه وصدقه فان عمرة ما املت عليه الحديث الا لابي بكر بن حزم وهو الامير الذي ارسل اليها في ذلك لاله فلم يكن ابن موهب هو المقصود بالتحديث منها وانما هو واسطة بينها وبين ابي بكر بن حزم ثم اخذاه هو عن ابي بكر فذكر مرة كيفية القصة وذكر مرة اخرى اخذه له عن ابن حزم وذلك مما يدل على قوة السند وصحة الرواية وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح اذا كان في الحديث قصة دل على ان راويه حفظه وحكى هذا عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فهذا يدل على صحة قول الحاكم ولا اعلم له علة ولذلك اقره عليه الذهبي في تعقيبه مع ولعه بتضعيف امثال ما ذكر وهذا الحديث قد اخرج ابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير وفي الدعاء والبيهقي والخطيب في المتفق والمفتق والدارقطني

في الافراد عن علي عليه السلام مرفوعا اما رواية الحاكم في الموضع الثاني فهي حدثنا ابو علي الحسين بن علي الحافظ انبا عبد الله بن محمد بن وهب الحافظ انبا عبد الله بن محمد بن يوسف الفريابي حدثني ابي ثنا سفيان عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن موهب قال سمعت علي بن الحسين يحدث عن ابيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة لغنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب وساق الحديث بنحوه وزاد فيه قال سفيان اقرؤا سورة والليل اذا يغشى (الى) فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى قال الحاكم هكذا حدثنا ابو علي وله اسناد صحيح اخشى اني ذكرته فيما تقدم ثم ساق طريق عبد الرحمن بن ابي الموال المتقدم وقال عقبه قد احتج الامام البخاري باسحاق بن محمد الفروي وعبد الرحمن بن ابي الموال في الجامع الصحيح وهذا اولى بالصوب من الاسناد الاول اه اقول في رواية الحاكم هذه من طريق علي بن الحسين على ابائه وعليه الصلاة والسلام انه رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكرها الطحاوي مرسله وعلى كل فالاحتجاج بها صحيح لصحة الاحتجاج بالمرسل اذا روي من وجه آخر وقد قدمنا انه لا مانع ان يكون الحديث عند ابن موهب من هاتين الطريقين ويشهد لذلك ما اخرج الدارقطني في الافراد وقال هذا حديث غريب من حديث الثوري عن زيد بن علي بن الحسين تفرد به ابو قتادة الخزاعي عن علي نقله عنه صاحب كنز العمال وقول

الدارقطني عريب تفرد به ابو قتادة مراداً بذلك التفرد النسبي لا المطلق اي باعتبار هذا الاسناد فقط فهي غرابة نسبية كما هو معلوم من صنيع الحفاظ على اني قد وجدت له متابعا فانتفت غرابته فقد اخرج الواسطي في مسند الامام زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جداه عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعنت سبعة فلعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة فساقه بنحو حديث عمرو بن شعوان اليافعي الصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد اخرجها الطبراني في الكبير والسابع المستأثر بالنبي وقد ذكرنا اخراج الخطيب له في المتفق والمفترق عن علي كرم الله وجهه وقد اشار اليه الاوزاعي ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة ثور بن يزيد الكلاعي قال «قال ابو مسلم الفزاري قلت للاوزاعي حدثنا ثور بن يزيد فغضب غضبة شديدة ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله وثور بن يزيد احدهم» اه وقد ذكر السهوي روايات اخرى في هذا المعنى منها ما اخرجه الحافظ الجعفي في الطالبيين عن عبدالله وعمرا بن محمد بن علي عن ابيهما عن جداهما عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آذاني في عترتي فعليه لعنة الله وفي كثر العمال حديث طويل اخرجه الباوردي عن بشر بن عطية وفيه الا لعنة الله والملائكة والناس اجمعين على من انتقص شيئاً من حقّي وعلى من آذاني في عترتي قال صاحب الكنز وضعف واخرج الديلمي عن

ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله عز وجل يبغض الآكل فوق شبعه والغافل عن طاعة ربه
والتارك سنة نبيه والمخفر ذمته والمبغض عترة نبيه والمؤذي جيرانه اورد
في الكنز وذكره الحافظ السيوطي في كتابه احياء الميت بفضائل اهل
البيت في الحديث دلالة على عظم هذه الامور الستة المذكورة فيه
حيث ردد اللعنة عليهم ومنها استحلال ما حرم الله من العترة وقد
بيننا معنى الاستحلال واما عترة صلى الله عليه وآله وسلم فهم اهل بيته
فكل من اطلق لنفسه الوقوع في اعراضهم او تسبب الى ظلم احد
منهم او انتقص من حقه او انزله بدون المنزلة التي جعلها الله له فقد وقعت
عليه اللعنة، وحجبت دونه الرحمة، وكان مقارفا لعظيم من الذنب حاملا
لوقر من الوزر، حتى ينزع عن ذلك ويتوب، وما يتذكر الامن ينيب،
(الكلام على قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى)
قال الله تعالى في سورة الشورى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة
في القربى ومن يقترب حسنة نزلته فيها حسنا ان الله غفور شكور
فنتكلم في شيء من تفسيرها ثم نتبعه بحكاية الاقوال المنقولة في ذلك
فنقول المودة المحبة وود الشيء، تمنى كونه وودا احبه والاول مأخوذ
من الثاني لان المرء لا يتمنى الا ما يشتهي ويحبه قال الراغب «وفي المودة
التي تقتضى المحبة المجردة قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى»
وقال في قوله تعالى تلقون اليهم بالمودة اي باسباب النصيحة وتدل
رواية البخاري في تفسير الآية على ان ابن عباس يرى ان المودة في

الآية ثمرات المحبة وغاياتها لانه قال في معناها «الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة» فان الصلة فوق المحبة وهذا مما يضعف به ما ذكره الراغب واما القرابة فهي الدنو في النسب والقربى في الرحم هكذا فرق بينها الازهري والقربى في الاصل مصدر وقد زعم صاحب القاموس انه لا يقال قرابتي ولكن يقال ذو قرابتي وتعقبه الشارح «بأن الزمخشري جوزة وانه حكى بانه صحيح فصيح نظما ونثرا ووقع في كلام النبوة هل بقي احد من قرابتها وفي كلام عمر الاحامى عن قرابته» اه ملخصا وقال السيوطي في الدر النثير «القرابة الاقارب سموا بالمصدر كالصحابة» اه قلت وفي حديث جبير بن مطعم عند ابي داود ولم يعط قربي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعند احمد لما قسم سهم القربى قال الحافظ بن حجر قوله «القربى مصدر كالزلقى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وعبر بلفظ في دون اللام كانه جعله مكانا للمودة ومقرا لها كما يقال لي في آل فلان هوى اي هم مكان هو اي وتحتمل ان تكون سبية وهذا على ان الاستثناء متصل فان كان منقطعا فالمعنى لا اسألکم عليه اجرا قط ولكن اسألکم ان تودوني بسبب قرابتي» اه وكلامه هذا ملخص كلام الزمخشري وقد نقله ابو حيان واستحسنه وبما ذكره تعلم انه لا وجه لمنع ابن جرير الطبرى ان يقال الا المودة في القربى اذا اريد به قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكرنا ورودا في الحديثين المتقدمين مرادا به ذي القربى وانه عربي فصيح مستعمل وقد وقع التلميذ على ما قاله ابن جرير فطار به فرحا وقد علمت سقوطه بما ذكرنا قال في شرح القاموس نقلا عن الازهرى

في تهذيبه «القريب والقريبة ذو القرابة والجمع من النساء القرائب ومن الرجال اقارب ولو قيل قربي لحاز والقرابة الدنوي في النسب والقربي في الرحم» اه قلت وقالوا «القرب في المكان والقربة في الرتبة والقربي والقرابة في الرحم» اه ومعنى الآية ان يقال (قل) يا محمد لقومك والخطاب عام المعنى كسائر خطاب القرآن على اصح الاقوال (لا اسئلكم) لاستدعي والتمس منكم بلسان الحال او المقال (عليه) اي الدعاء الى الله والدلالة على الهدى والرشد والتعريف بالحق والصدق (اجرا) اي مالا ونفعا وهذا شأن المرسلين كلهم كما حكاه الله عنهم في القرآن وشأنه صلى الله عليه وآله وسلم كما سنيناه وقد امر بذلك كما في قوله تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله تعالى قل ما سألتم من اجر فهو لكم ان اجري الاعلى الله ولما كان نبي طلب الاجر يوم الشمول والعموم حتى لما كان من باب صلة الرحم والمحبة في القربي فيكون على ذلك غير مستدع منهم ولا امر لهم بصلته رحمه الواجب صلتها ، والمفروض إحقاقها ، والمحرم الفطيع قطعها ، دفع ذلك الوهم بقوله الا المودة في القربي اي فاني اطلبها منكم لا طلبا لأجر ولكن امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر فان ترك المودة فيها او فيها قطيعة رحم واثم كبير ولم ابعث بذلك فليس صلة رحمه صلى الله عليه وآله وسلم من الاجر في شيء ، ولا المطالبة بها مطالبة بأجر وانما هي من جنس القربات المشروعة العظيمة محلها من الدين ، والجزيل ثوابها يوم الدين ، وانما ابعث صلى الله عليه وآله وسلم داعيا الى صلة الارحام ، لا الى العقوق والآثام ، ومن قال لك لا اطلب على نصيحتي لك

اجر اولانفعا قد يتوهم من قوله العموم حتى يشمل ما تقتضيه القرابة
وتستوجبه الرحم بينك وبينه فيكون قد نهاك عن الصلة الواجبة ،
والمودة المفروضة ، فلا بد من الاحتراس بما يدفع هذا الوهم فكذلك ما
هنا لاسيما ورحمه صلى الله عليه وآله وسلم اعظم الارحام حقا ، واحقها
بالمودة وصلة ، وارفعها قدرا ومنزلة ، فجاء الاستثناء في قوله تعالى الا
المودة في القربى حاسما لما يسبق الى الفكر عند ما يلاحظ ان المراد
من نفي الاجر وسوالة تنزيه مقام النبوة عن كل تهمة من سريانه حتى
الى ترك سوال ما هو واجب بالشرع من صلة الرحم والمودة في القربى
فقطع عرق الايهام بقوله الا المودة في القربى اى فاني اسألكموها
تشرىعا واعلاما اذ لا يمكن ان يدعو صلى الله عليه وآله وسلم الى صلة
الارحام ، ثم يأمرهم بقطعها قصدا او ضمنا او لا يطالبهم باداء حقها وليس ما
في الآية من الاجر في شيء ، ولكنه من تشريع الاحكام واحكام التشريع
فكان الاستثناء احتراسا من وهم قريب فاذا لاحظنا ما وقع في الامة
من فتنة النواسب ازدادت الحاجة الى هذا الاحتراس وبدونه يجد اهل
الاهواء لبدعتهم ميدانا رحيبا فسبحان اللطيف الخبير ، وقد جاء الاحتراس
بغير الاستثناء في مواضع كثيرة من القرآن وقد اشرنا الى بعضها في
كلامنا على آية والذين امنوا واتبعتم ذريتهم بايمان الآية وعلى ما قررنا
لا يكون الاستثناء منقطعا وبذلك قال محققو المفسرين (فان قيل) كيف
قلت ان الاستثناء منقطع ثم قلت ان فيه احتراسا ومع الانقطاع يندفع

وجود الوهم فانه لا اتصال بين المستثنى والمستثنى منه فلا جالب للوهم
ولاداعي (قلنا) كلا فانه لا بد في الاستثناء المنقطع ان يكون الكلام
الذي قبل الاقد دل على ما يستثنى منه قاله ابن السراج وقال ابن مالك
لا بد فيه من تقدير الدخول في الاول كقولك قام القوم الاجوادا فانه
لما ذكر القوم تبادر الذهن الى أتباعهم المألوفة فذكر الجواد في
الاستثناء لذلك ولذلك هو مستثنى تقديرا وقال ابو بكر الصيرفي يجوز
الاستثناء من غير الجنس ولكن يشترط ان يتوهم دخوله في المستثنى
منه بوجه ما والالم يجز كقوله

وبلدة ليس بها انيس ❀ الا اليعافير والا العيس

فاليعافير قد تؤانس فكانه قال ليس بها من يؤنس به الا هذا النوع نقل
هذا الاقوال الشوكاني رحمه الله تعالى وقال قوم يجوز ان يكون الاستثناء
في الآية متصلا وقد نقله ابو حيان عن الزمخشري فقال « ويجوز ان يكون
الاستثناء متصلا اي لا اسألكم عليه اجرا الا هذا ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن
هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المرؤة» اه
اي ثم صارت لازمة لهم في الشرع بعد نزول الآية وقال بنحو ذلك
الرازي والنيسابوري فالتائلون بان الاستثناء متصل لم يقل احد منهم
بان محبته ومودته صلى الله عليه وآله وسلم في قرابة تكون اجرا له وانما
ذلك اتصال صناعى وعلى ظاهر اللفظ وما تقتضيه المشاكلة على التوهم
او يكون تسميته اجرا على المجاز وليس على الحقيقة لان الواجب الشرعي
لا يسمى اجرا والمودة في قرابة صلى الله عليه وآله وسلم واجبة مشروعة

سواء كان المراد بالقرابي قربا لا صلى الله عليه وآله وسلم او اهلها فان مودتهم مامور بها مؤكدا شأنها ورد فيها عن الشارع غاية الحث والتأكيد وعلى تركها غاية الوعيد الشديد، وقد صحت الاحاديث بذلك بل تواترت وملحظ تسميته اجرا ان هداية الله لهم به وابتعات الله له منهم كانت سببا في ايجاب هذا الحق العظيم عليهم ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم اولى بالمؤمنين من انفسهم وفي بعض القراءات وهو اب لهم وازواجه امهاتهم ، بل حقه في البر اوجب وآكد من حق الاب ، ومن بر الأب صلة الرحم التي لا توصل الابه ، وصلة ذوي قرباه صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك ولذلك قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه والذي نفسي بيده لا قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احب الي ان اصل من قرابتي اخرجته البخاري واخرجه الدارقطني من طرق متعددة وقد اجاب الرازي عن استشكل طلبه صلى الله عليه وآله وسلم الاجر على قول القائلين بان الاستثناء متصل من وجهين فقال «الاول ان هذا من باب قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب
يعنى انالا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والآيات والاحبار في هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا فصولها في حق اشرف المسلمين واكابرهم اولى وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في

القربى تقديره والمودة في القربى ليست اجرا فرجع الحاصل الى انه لا اجر له البتة والوجه الثاني في الجواب ان هذا استثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا ثم قال الا المودة في القربى اى لكن اذ كرم قرابتي منكم وكأنه في اللفظ اجر وليس باجر» اه

فقد نفوا ان يكون المستثنى اجرا حقيقيا ولو مع القول بان الاستثناء متصل وقد خلط (التلميذ) هنا بما يأتي الرد عليه ولما لم يتوجه لبعض الناس الجواب عن استثناء المودة من الاجر زعم ان الآية منسوخة حكى ذلك البغوي ورد عليهم وعبارته « وقال قوم هذه الآية منسوخة وانما نزلت بركة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله هذه الآية فامرهم بمودة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلة رحمها فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه احب الله عز وجل ان يلحقه باخوانه من الانبياء عليهم السلام حيث قالوا وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فانزل الله تعالى قل ما سئلتكم من اجر فهو لكم ان اجرى الا على الله فهي منسوخة بهذه الآية وبقوله تعالى قل ما اسئلكم من اجر وما انا من المتكلفين وغيرها من الايات والى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل وهذا قول غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه ومودة التقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين وهذه اقاويل السلف في معنى الآية ولا يجوز المصير الى نسخ شيء من هذه الاشياء وقوله الا المودة في القربى ليس باستثناء متصل بالاول حتى يكون ذلك اجرا في مقابلة اداء الرسالة بل هو منقطع ومعناه ولكني اذ كرم المودة في القربى واذا كرم قرابتي منكم كما روينا في حديث زيد بن ارقم اذ كرم الله في اهل بيتي» اه قال السمهودي وذكر الثعلبي نحوه وزاد ((وكفى قبحا بقول من زعم ان التقرب الى الله بطاعته ومودة نبيه واهل بيته عليه وعليهم الصلاة والسلام منسوخ)) اه ومما يرد على هؤلاء الواهين انه لا بد

في النسخ من تحقق تأخر النسخ عن المنسوخ وقد زعموا ان الايتين
الناسختين نزلتا بالمدينة بعد ان آواه صلى الله عليه وآله وسلم الانصار
ونصروا والامر هنا بالعكس فانه قد ورد عن ابن عباس بسند
جيد ان سورة ص والفرقان والشورى مما نزل بمكة فبطلت دعوى
النسخ وسببه المزعوم فاني يصح قولهم فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار
الخ بل قد اخرج السيوطي في الاتقان خبرين ذكر فيهما ترتيب نزول سور
القرآن وفيهما ذكر تأخر نزول سورة الشورى التي فيها قل لا اسئلكم عليه
اجرا الا المودة في القربى عن سورتى ص والفرقان اللتين فيها الآيتان
الناسختان بزعمهم وقد اجاب عن ذلك بعض محققي عصرنا بقوله
« والشبهة نزول اذا قرأت قوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم والمعنى فيه ان
محبتهم ومودتهم اهل البيت انما هي قرينة لهم وطاعة يشيهم الله عليها الثواب الجزيل
ويلحقهم بها بمن احبوه وودوه وهي مثل الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله
وسلم وطلب الوسيلة له فهو صلى الله عليه وآله وسلم في غنى عن ذلك كله ونبذ
الوسيلة مقطوع به وقد صلى الله وملائكته عليه واخبرنا بذلك في قوله ان الله
وملائكته يصلون على النبي فالامر لنا بذلك بعد هذا انما هو لنفعا ولننال بذلك
الفضل والشفاعة » اه اقول وهذا كلام حسن لو كان اليه حاجة وقد علمت
انه لا حاجة اليه وذلك انه لم يقل احد من العلماء ان المودة في القربى اجر
حقيقي له صلى الله عليه وآله وسلم على اداء الرسالة وانما توهم ذلك بعضهم من
تجويزهم ان يكون الاستثناء متصلا وعلى ذلك قد نفوا ان يكون
اجرا حقيقيا فلا اشكال وقد وهل التلميذ في تفسير الآية فظن ان حمل

القربى على اهلها يستلزم ان يكون الاستثناء متصلا فاكثر الجمجمة حول ذلك عن سوء قصد او سوء فهم ومن اراد الحق ارشدا لا الله اليه (ومما) ينبغي التنبيه له في هذه الآيات الثلاث اعنى قوله تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله تعالى قل ما اسئلكم من اجر فهو لكم وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ان النبي في الآيتين الاوليين قد جاء بما النافية وهي تخلص المضارع للحال عند الجمهور خلافا لابن مالك وقد رد عليه ابن هشام قوله وجاء النبي في الآية الثالثة بلا وهي تخلص الفعل المضارع للاستقبال عند الاكثرين خلافا لابن مالك فلا تعارض بين الآيات حتى على القول بان الاستثناء متصل لان المستقبل غير الحال لاسيما وآية الشورى متأخرة النزول عن الآيتين قبلها وحكمها مستقبل فيكون تقدير معناها على ذلك لاسئلكم اذا اسلمتم عليه اجرا الا المودة في القربى وبذلك يجاب عما استشكله ذلك المحقق الآنف الذكر من طلبه صلى الله عليه وآله وسلم المودة من قريش وهم مشركون قال «وكيف يطلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المودة ممن يكرههم ويبغضهم في الله تعالى والمودة لاتكون صادقة الا ان كانت من الطرفين والانصاف لا يقتضي غير هذا فكيف يطلبهم بالمودة ولا يودهم وربنا يقول لا تجدد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية والمواودة مفاعلة من الجانين وما كان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الا الى كلمة سواء كما قال الله تعالى في سورة الانبياء وهي مكية بالاتفاق فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون فتفسير الآية

بطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم المودة من الكفار الذين يبغضهم غلط ووهم لا يصح والروايات البينة البطلان لو صحت سند الاقبال فكيف بما نحن فيه فهيات ان يكون ذلك هو الاصح « وينحل اشكاله من ثلاثة وجوه (الاول) ما ذكرته من ان النفي في هذه الاية جاء بلا وهي تخلص المضارع للاستقبال فيكون حكمها واقعا في مستقبل الزمن وهو وقت اسلامهم بعد ذلك (الثاني) ان يكون الخطاب عاما لسائر امة الاجابة لا لقريش خاصة ويكون المراد بالقربى اهلها ولا اشكال مع هذا (الثالث) ان يقال ان الطلب جاء على ما كانوا يقرون بحسنه ويتما دحون بفعله من مودة الاقارب وصلة الارحام وهو امر يقرره الشرع ويأمر به فلا اشكال في طلبه تبعا لطلب اسلامهم اولان المودة اي المحبة المجردة واجبة ومطلوبة منهم له صلى الله عليه وآله وسلم وان لم تطلب منه لهم لكفرهم لكن يبقى الاشكال فيما اخرج به احمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طريق طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال ابن جبير رضى الله عنه قربي آل محمد فقال ابن عباس رضى الله عنه عجلت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ووجه الاشكال في هذا ان صلة الرحم كما قال ابن الاثير « كناية عن الاحسان الى الاقربين من ذوى النسب والاصهار والعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم وان بعدوا واساؤا وقطع الرحم ضد

ذلك كله « اه وقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن زبد المشركين فكيف يطلب احسانهم مع انه قد حرمت عليه صدقة المسلمين انفسهم فكيف بغيرهم وكان يرد هديته من اهدى اليه من المشركين ويزداد الاشكال اذا اضيف الى ذلك ماروالا ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني عن ابن عباس وفيه ولا يكون غيركم من العرب اولى بحفظي ونصرتي منكم وفي النصرة موالاة وهو صلى الله عليه وآله وسلم لم يتخذ من المشركين ولدا ولا نصيرا فكيف يطلب منهم النصرة ويجاب عن هذا كله بان ذلك كان في ضمن المطالبة باسلامهم اذ لا يتأتى ذلك الابيه ولذلك جاء السؤال في الآية بلا وهي لنبي المستقبل ومنه كان الاستثناء وما ذكر يؤيد القول بأن المراد بالقربي اهلها وهم اهل بيته واقاربه وقد نقل في معنى الآية اربعة اقوال (الاول) ما تقدم ذكره عن ابن عباس وقد ظن بعضهم ان قول ابن عباس لسعيد بن جبير عجبت لما فسرها بقربي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم رد منه لقول سعيد وتخطئة وليس الامر كما ظن والصواب انه انما انكر عليه استعجاله بالجواب وليس هو المستؤل واجابته بالفرع دون بناءه على الاصل الذي هو قريبه صلى الله عليه وآله وسلم نفسها وهو ما قد ينازع فيه بعض النواصب فاراد ابن عباس رضي الله عنهما ان يبني الجواب على اصل مسلم لا خلاف فيه ولا يقدر الخصم على انكاره والمنازعة فيه وذلك ان تفسير ابن عباس يشمل بعمومه المعنى الخاص الذي ذكره ابن جبير اذ لا يكون واصلا لرحمك

الامن حفظها فيك وفيمن اتصل بك من اهل وولد ومال واقارب
ومن آذاك في شيء من ذلك فقد قطع الصلة، وتنكب سبيل المودة
وتجلبب لك البغضاء وان لم يصل اذاه الى جثمانك ومن ذا الذي
يقول ان من آذاك في اهلك او ولدك او مالك او اقاربك يكون
واصلك قائما بحق المودة فيك مادام اذاه لم يصل الى نفسك ويأتي
على مهجتك ويصح له مع ذلك ان يدعى محبتك؟ لا يقول بذلك
من عندة مثقال ذرة من عقل وفهم، فضلا عن دين وعلم وبذلك تعلم ان
هذا القول بمعنى الثاني الا انه اخص واعم أخص من حيث تفسير القربي
بالغرض الاول والمقصد الاصيل وهو رحمه صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه
وان كانت لا تتم صلتها الا بصلة اهل بيته ولا المودة فيها الا بالمودة فيهم واعم
من حيث ان المودة في قربا صلى الله عليه وآله وسلم تم ذلك كله هذا بنصه
وذاك بمعناه (الثاني) ان المراد بالقربي اهلها اي قرابته صلى الله عليه وآله وسلم
وقد تقدم كلام الحافظ ابن حجر في تقرير ذلك وقال ابو حيان نقلا عن الزمخشري
«فان قلت هلا قيل الامودة القربي او الا المودة للقربي قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا
لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم
مكان حي ومحله وليست في صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربي انما هي
متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة
ثابتة في القربي وتمكنة فيها اه وهو حسن» اه كلام ابي حيان فقد
اجتمع على تصحيح هذا المعنى اماما علمي البيان والنحو فلا التفات الى
قول التلميذ انه غير موافق لقواعد اللغة العربية وهل يقرن هو والف مثله بها

وابن اللبون اذا مالز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس
وقد رويت في هذا المعنى روايات منها رواية ابن جرير الطبري عن
مقسم عن ابن عباس قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا فكانهم فخر وا فقال
ابن عباس او العباس شك عبد السلام لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتاهم في مجالسهم فساق الحديث وقال في
آخرة فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا
لله ورسوله قال فنزلت قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى
والمراد بالنزول هنا ما روي نظيره في مواضع متعددة من اسباب
النزول وهو نزولها للاستشهاد بها على تقرير حكمها في تلك الواقعة
وقد اخرجها ايضا ابن ابي حاتم وابن مردويه وسند هذه الرواية
عند ابن جرير جيد فان مقسم من رجال صحيح البخارى والباقون من
رجال الصحيحين الا يزيد بن ابي زياد فمن رجال صحيح مسلم وروى له
الاربعة وعلق له البخارى وقد ذكر الحافظ في الفتح ان الواحدى
خرج هذا الحديث عن مقسم ثم قال «وهذا ايضا ضعيف ويبطله ان
الآية مكية» اه فان كان مراد الحافظ ضعف السند فقد علمت صحته
ولو صح كلامه فيه للزمه ان يضعف ما في الصحيح من حديثهم ولا سبيل
الى ذلك وكون الآية مكية ليس مما يبطله ولا ما يضعفه فان تكرر النزول
قد روى في آيات متعددة كما هو مذکور في موضعه ومنها ما ورد في
سبب نزول آية الروح ونزول آية والذين يرمون ازواجهم وغير ذلك

وقد قال الحافظ نفسه لا مانع من تعدد الاسباب وما كل ماورد في اسباب النزول يمكن الجمع بينه بغير القول بتعدد النزول اى مثل ماورد في سبب نزول آية ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وآية وان عاقبتم فعاقبوا الآية وفي الاتقان للسيوطي امثلة غير ذلك ثم قال الحافظ «والا قوى في سبب نزوله عن قتادة قال قال المشركون لعل محمدا يطلب اجرا على ما يتعاطاه فنزلت» اقول رحم الله الحافظ اين ذهب عنه الانصاف هنا أيكون الحديث المرسل اقوى من المسند الصحيح وقد ترك الحافظ بياضا قبل قوله عن قتادة وكأنه كان يريد البحث عن سنده فلم يجد له او غفل عنه وقد راجعت اسباب النزول للواحدى فرأيت حكاية نقله الحافظ بلا سند ولا ذكر له في اسباب النزول للسيوطي وهو من اجمع ماالف في هذا العلم ولا في الدر المنثور وهو اجمع تفسير بالمأثور فبذلك يظهر ان تقوية الحافظ لمرسل قتادة وتضعيفه الحديث المتقدم لاوجه له ولا معمول عليه والحق اجل من كل احد ومن الروايات ما اخرجه سعيد بن منصور وابن جرير عن سعيد بن جبير قال هي قريبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحتمل ان المراد بها نحو ما في حديث جبير بن مطعم السابق وقد روي ابن جرير نحو ذلك عن عمرو بن شعيب ايضا وسند الرواية الاولى عن ابن جبير فيه يحيى بن كثير احسبه الكاهلي قال ابن ابي حاتم شيخ ووثقه الجرمي واخرج له ابو داود والراوي عنه مروان بن معاوية الفزارى من رجال

الصحيحين روى له الستة واحتجوا به والراوى عنه يعقوب بن ابراهيم
الدورقي وعنه روى ابن جرير من رجال الصحيحين روى له الستة
واحتجوا به واما رواية عمرو بن شعيب فهي من طريق ابي اسحق
السيبي وهو من رجال الصحيحين رواها عنه ابن ابنه اسرائيل بن
يونس بن ابي اسحاق من رجال الصحيحين ايضا ورواها عنه عبيد
الله هو ابن عبد المجيد الحنفي ابو علي من رجال الصحيحين روى له
الستة واحتجوا به ورواها عنه روايان احدهما محمد بن خلف بن عمار
ابونصر العسقلاني روى له النسائي وابن ماجه وثقه ابن ابي عاصم
ومسلمة بن قاسم وقال ابو حاتم صدوق وقال النسائي صالح وثانيتها
محمد بن عمارة الاسدي من اشياخ ابن جرير لم يترجم له في تهذيب
التهذيب ولا اللسان ولا يضره ذلك فالعبارة بعد الثلاثمائة بالحدثين
لا الرواة كما قاله الذهبي وايضا فانه لم ينفرد به ومنها مارواه ابو الشيخ
في الثواب من حديث ابي هاشم الرماني وهو من رجال الصحيحين
روى له الستة وقال ابن عبد البر اجمعوا على انه ثقة عن زاذان ابي
عبد الله روى له البخاري في الادب المفرد ومسلم في صحيحه والاربعة عن
علي كرم الله وجهه قال فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا كل
مؤمن ثم قرأ قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى واخرج
الطبراني في الاوسط والكبير باختصار والبخاري بنحوه وبعض طرقهما
حسان عن ابي الطفيل قال خطبنا الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما

السلام فحمد الله واثنى عليه واقتص الى ان قال من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم تلى هذه الآية واتبعت ملة ابائى ابراهيم واسحق ويعقوب ثم اخذني كتاب الله ثم قال انا ابن البشير النذير انا ابن النبي انا ابن الداعي الى الله باذنه وانا ابن السراج المنير وانا ابن الذي ارسل رحمة للعالمين وانا من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وانا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولايتهم فقال فيما انزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ورواه الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابي الطفيل وجعفر بن حبان فذكره بنحوه الا انه قال وانا من اهل البيت الذين كان جبريل ينزل فينا ويصعد من عندنا وانا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وانزل الله فيهم لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزدله فيها حسنا واقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت ورواه ابو بشر الدولابي من طريق الحسن بن زيد بن حسن بن علي عن ابيه ان الحسن بن علي عليهما السلام خطب فقال في خطبته انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال لنيبه صلى الله عليه وآله وسلم قل لا اسئلكم الاية وذكر نحوه واخرجه الحاكم في مستدركه بسند جميع رواته من اهل البيت قمعقه الذهبي فقال ليس بصحيح ومنها ما اخرجه ابن جرير والطبراني بسند ضعيف عن ابي الديلم

قال لما جيء بعلي بن الحسين علي جدتها وعليها الصلاة والسلام فاقم
علي درج دمشق قام رجل من اهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم
واستا صلکم وقطع قرني الفتنة فقال له علي بن الحسين اقرأت القرآن
قال نعم قال اقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم اقرأ آل حم فقال
ما قرأت قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال وانكم لانتم
هم قال نعم ، ومنها ما اخرج احمد والطبراني في الكبير وابن ابي حاتم في
تفسيره وقد التزم ان يخرج اصح ما ورد والحاكم في مناقب الشافعي
والواحد في الوسيط وابن مردويه كلهم من رواية حسين الاشقر
عن قيس بن الربيع عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال لما نزلت هذه الآية قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى
قالوا يارسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم قال
علي وفاطمة وابناهما قال السيوطي هذا الاسناد ضعيف وقال الحافظ
ابن حجر والافيه ضعيف ورافضي ولعله عنى بالرافضي حسين بن
حسن الاشقر الفزاري الكوفي اخرج له النسائي حديثا واحدا في
الصوم وذكره ابن حبان في الثقات وقيل لاحمد بن حنبل تحدث عن
حسين الاشقر قال لم يكن عندي ممن يكذب وذكر عنه التشيع وقال
النسائي والدارقطني ليس بالقوي وهذا تضعيف هين وقال ابن معين
كان من الشيعة الغالية قلت فكيف حديثه قال لا بأس به قلت صدوق
قال نعم كتبت عنه وقال ابو احمد الحاكم ليس بالقوي عندهم وضعفه الباقون

على ان روايته لهذا الحديث لا يؤيد بدعته وان رنمت به انوف الخوارج والنواصب ولعله عنى بالضعيف قيس بن الربيع الاسدي وهو ممن روى عنه شعبة ولا يروي الا عن ثقة قال شعبة سمعت ابا حصين يثنى على قيس بن الربيع وقال شعبة ادركوا قيسا قبل ان يموت وقال الا ترى الى يحيى بن سعيد يقع في قيس لا والله ما الى ذلك سبيل وزجره ونهاه عن ذلك وقال عفان قلت ليحيى بن سعيد هل سمعت سفیان يقول فيه يغلظه او يتكلم فيه بشيء قال لا قلت ليحيى افتتهمه بكذب قال لا قال عفان فما جاء بحجة وقد روى عنه سفیان وعفان ووثقاه وقال ابو الوليد كان قيس ثقة حسن الحديث وقال له عمرو بن علي ما رأيت احدا أحسن رأيا منك في قيس قال انه كان ممن يخاف الله وكان سفیان ومعاذ بن معاذ يحسنان الثناء عليه وكان ابو داود يحدث عنه وقال ابن عيينة ما رأيت بالكوفة اجود حديثا منه وقال محمد بن عبد الله بن عمار كان عالما بالحديث وقال ابو حاتم محله الصدق وحكى ابن ابي شيبة الاجماع على صدقه وقال ابن عدي القول فيه ما قال المجلي كان معروفا بالحديث صدوقا نقلت هذا كله من تهذيب التهذيب لثلاث تعتمد على اطلاقاتهم في الرجال فان الحافظ هنا اطلق القول بضعفه ولم يأت مضعفولا بحجة كيحيى بن سعيد فانه لم يأت بحجة وضعفه آخرون بان ابنه افسد حديثه وكل هذا تجني فاطلاق القول بضعفه ليس بشيء وقد روى عنه ابو داود والترمذي وابن ماجه وقال ابن القيم «وقيس بن الربيع وان كان يحيى

ضعفه فقد وثقه غيره وليس بدون أبي جعفر الرازي وهو اوثق منه او مثله فانما يعرف تضعيف قيس عن يحيى وذكر سبب تضعيفه فقال احمد بن سعيد بن ابي مريم سألت يحيى عن قيس بن الربيع فقال ضعيف لا يكتب حديثه كان يحدث بالحديث عن عبيدة وهو عنده عن منصور ومثل هذا لا يوجب رد حديث الراوي لان غاية ذلك ان يكون غلط وهم في ذكر عبيدة بدل منصور ومن الذي سلم من هذا من المحدثين « اه بحذف واما تعليلهم هذا الحديث واشباهه بانه مخالف لما في البخاري فقد علمت بما قررنا به الآية ضعف هذا التعليل ولا محل لتوهمهم ان ابن عباس رد ما قاله ابن جبير فانه انما قال له عجلت لان السائل انما سأل ابن عباس فلا يحسن منه العجلة برد الجواب امام شيخه ومعلمه ولم يقل له اخطأت وقد قرر ابن عباس المعنى بما لا يدفع ما قاله ابن جبير وصلته صلى الله عليه وآله وسلم في قربا لا تصح من قريش ولا من غيرهم مع اذيتهم له في اولاده واهله ولم يقل احد انه صلى الله عليه وآله وسلم ما التمس منهم الا ان يصلوه نفسه ويكفوا اذاهم عنه وحده اما ايداؤه في اهل بيته فمطلقة لهم فلهم ان يؤذوه بايذاهم وان يقطعوا رحمه بقطع رحمهم فينبون لهم الغوائل وينصبون لهم المكائد ولا يكونون بذلك له قاطعين ولا لحقه مضيعين ، وبالجمله فالمراد من رواية ابن عباس رضي الله عنهما ذكر المعنى الاصلي لاما تفرع عليه قال السمهودي « وقد يستشهد له بما اخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق السدي عن ابي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال هي المودة لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم » اه وقد اخرجه ابن ابي حاتم ايضا وبعد كتابة ما تقدم رأيت

في شرح المواهب للزرقاني ما يدل على انهم قد فطنوا للاشكال في طلبه صلى الله عليه وآله وسلم المودة او الصلة من المشركين فانه نقل عن ابن عطية مانصه « ومعناها استكفاف شر الكفار ودفع اذى ما اسألكم على القرآن والدين والدعاء الى الله الا ان تودوني لقراءة ما بيني وبينكم فتكفوا عني اذا لم قال ابن عباس وابن اسحق وقتادة لم يكن من قريش بطن الا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه سب اوصهر فالآية على هذا استعطف ودفع اذى وطلب سلامة منهم وهذا منسوخ بآية السيف — ثم بعد ان حكى الاقوال المشهورة — قال والصواب انها محكمة وعلى كل قول فالاستثناء منقطع والا بمعنى لكن» اه وهذا الذي قاله ليس معنى الآية ولا تقتضيه الفاظها وليس طلب المودة منهم من باب الدفع بالتي هي احسن ولا من باب قول الشاعر
وصرنا نرى ان المتارك محسن ❀ وان عدوا لا يضر وصول
واذا رجعت الى ما قررنا رأيتنا اولى بالصواب وقد جمع السيد السمهودي بين الروايات فحكي ما تقدم ذكره منها ثم قال: « قلت ولا تضاد بين ذلك وبين ما في التفسير من صحيح البخاري عن طائوس عن ابن عباس رضي الله عنهما (ثم ساق رواية ابن عباس من طرق كثيرة واتبعها بقوله) وانما قلنا ان هذا التفسير الذي قاله ترجمان القرآن رضي الله عنه واتباعه لا يضاد ما سبق عنه وعن غيره لان قوله الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وقوله الا ان تصلوا قرابتي وقوله تودوني بقرابتي فيكم وتحفظوني في ذلك وقوله فاحفظوا قرابتي فيكم الى غير ذلك من العبارات السابقة شامل لحثهم على ان يصلوا قرابي آله صلى الله عليه وآله وسلم ويودوهم ويحفظوهم من اجله لانه من جملة صلته ووده وحفظه وانما رد ابن عباس رضي الله عنهما على سعيد بن جبير لاقتصاره في تفسير الآية على ذلك مع ان المقصود منها العموم والاهم منها اولا وبالذات وده صلى الله

عليه وآله وسلم وحفظه هو نفسه ولذلك لم ينسبه ابن عباس الى الخطأ بل نسبه الى العجالة لان ما ذكره فرد من افراد وده صلى الله عليه وآله وسلم وصلته وحفظه في قرابة وملحظ بن جبير والله اعلم في اقتصاره على هذا الفرد المدرج في ذلك العموم ان الآية اذا افادت الحث على المودة والصلة والحفظ لقرابته صلى الله عليه وآله وسلم من اجل صلته ووده وحفظه كانت ادل من طريق الاولى على الحث على هذه الامور بالنسبة اليه صلى الله عليه وآله وسلم واراد ابن عباس بيان مسلك العموم اي تودوني في قرابتي لكم ومعلوم ان من ذلك ودم لقرابتي فانه من جملة ودي وهم قرابتكم ايضا كما ان ما ذهب اليه الحسن من ان معنى الآية الا التودد الى الله والتقرب اليه بطاعته الحديث اخرج النجاس وابن البخري من طريق عبد الله بن نجیح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا لا أسألکم على ما أتيتکم به من البيئات والهدى اجر الا ان توادوا الله وتقربوا اليه بطاعته لا يني ماقاله ابن عباس وغيره لان من جملة مودة الله تعالى والتقرب اليه بطاعته مودة رسول صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته ولان ابن عباس راوي هذا التفسير مرفوعا قد صح عنه ماسبق اذ بلاغة القران مقتضية اشتغال المعنى الواحد منه على معان كثيرة» اه قلت ان رواية مجاهد هذا هي القول الثالث وقد روي عن ابن عباس والحسن وقتادة ولا تظهر مطابقته لالفاظ الآية من وجهين (الاول) انا لم نطلع على القربي مرادا بها القرية كقوله تعالى الا انها قرية لهم ونحو ذلك وقد بنيت فعلى من ذلك من زلف فقيل زلفي واختصت القربي بالقرب والدنوفى النسب والرحم ويراد به اهل ذلك (الثاني) انه قال توادوا ومصدره تواددا لامودة والذي في الآية هو الاخير لا الاول ويمتنع الاتيان بمصدر فعل لغيره اذا اختلف المعنى كما هنا فلينظر في سند روايات هذا القول فانه كما ترى (عود الى كلام السمهودي) قال : «ويرشد الى ذلك اموران الثعلبي قال في تفسيره

روى طاوس والشعبي والوالي والعمري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم قرابة فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه انزل الله عز وجل قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى يعنى تحفظوني في قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا قوم اذا ايتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني الحديث قال واليه ذهب مالك وعكرمة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد وقتادة اه قلت ولا يخفى عموم قوله ان يحفظوا قرابتي لنفسه واهل بيته وكذا قوله وتصلوا رحمي ثم نقل عن البغوي ما تقدم ذكر بعضه ثم قال «ومنها ان سعيد بن جبير وهو من اعظم اصحاب ابن عباس وقد قال له ابن عباس في الآية ما قال كان يفسر الآية بالوجهين ثم ذكر الرواية التي سبق ذكرها عن ابن جرير فرواها عن سعيد بن منصور في سننه من طريق ابي العالية قال قال سعيد بن جبير الا المودة في القربى قال قربي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا هو المشهور عن سعيد ولذا قال الثعلبي وغيره قال بعضهم معنى الآية الا ان تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب اه ثم استشهد بروايات تقدم ذكر بعضها لانطيل بها وقد ساق السيوطي في الدر المنثور شواهد لهذا القول فقال واخرج احمد والترمذي وصححه والنسائي والحاكم عن المطلب بن ربيعة رضي الله عنه قال دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انا لنخرج فترى قريشا تحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرعرق بين عينيه ثم قال والله لا يدخل قلب امرئ مسلم ايمان حتى يحبكم الله ولقرايتي واخرج مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذكركم الله في اهل بيتي ثم ذكر حديث الثقلين وسياتي مع ذكر رواياته ورجاله ومصححيه في بابها قال «واخرج الترمذي وحسنه والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب عن

ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي » قلت هذا الحديث صححه الحاكم واقره الذهبي وصححه الحافظ السخاوي وابن حجر المكي ثم ساق السيوطي احاديث سبق بعضها وسيأتي باقيا (اما القول الرابع) فهو ما نقله ابن جرير عن عبد الله بن القاسم قال امرت ان تصل قرابتك وهذا ابعد الاقوال لغة ومعنى وسياقا فلا يعول على مثله ، واذ قد قضينا من البيان ما اردنا ، واوردنا في ذلك ما اوردنا فلنرجع الى مناقشة التلميذ كما وعدنا فنقول قال التلميذ « واما قول دحلان ومن الايات الدالة على فضل اهل البيت خاصة قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى فليس فيه دلالة على شيء مما يدعون » اه وجوابه كلابل فيه اعظم دلالة واوضحها فانه اذا ثبت ان اهل هذه القربى اولى بالمحبة والصلة واحب الى الله من كل قربي غيرها في ذلك ثبت فضل اهلها لامحالة ومن ذلك ما روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ان ابابكر رضي الله عنه قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقد اخرجہ الدارقطني من طرق متعددة وفي رواية والله لائن اصلكم احب الي من ان اصل قرابتي لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعظيم حقه الذي جعله الله على كل مسلم وثبت عنه في صحيح البخاري ارقبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في اهل بيته وقد اخرجہ الدارقطني ايضا من طرق متعددة وفي بعضها عن ابن

عمر رضى الله عنهما ان ابابكر رضى الله عنه قال يا ايها الناس ارقبوا
محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم في اهل بيته وفي رواية احفظوا حقه
فيهم وهي بمعنى ارقبوا وقد قال ابوبكر رضى الله عنه ذلك في خطبته
واقره الصحابة رضى الله عنهم عليه فصارت هذا الرقابة والحفظ
المطلوب منهم امراً مجعاً عليه بينهم ولا يخلو الحال فيما اقسام عليه ابوبكر
رضى الله عنه من محبته تقديم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في الصلاة على قرابته لعظيم حقه صلى الله عليه وآله وسلم الذي جعله
الله على كل مسلم ان يكون صواباً او خطأ ولا شك انه صواب وان
ابابكر رضى الله عنه مصيب في حكمه وتعليه ولا يكون مصيباً الا اذا
كان حقه فيها افرض الحقوق بمعنى انها مقدمة على حقوق
اقارب المرء نفسه وهذا فضل عظيم يبطل به قول التلميذ
انه لا دلالة فيه على ما يدعون وفي هذا المعنى احاديث كثيرة سيأتي
منها ما تيسر ان شاء الله تعالى قال «وهذا الحديث الذي في تفسير النيسابوري
المروي عن سعيد بن جبير كذب موضوع باتفاق اهل العلم كما نص عليه
شيخ الاسلام في منهاج السنة» اه وتقول ان دعوى الوضع باطلة فان صح
ان ابن تيمية ادعاها فقد جازف ولا يستعظم ذلك منه فقد قال فيه
بعض العلماء ان ضابط الوضع عندنا ان لا يوافق هواه قالوا وقد تجاسر على
القول بوضع الاحاديث المشهورة والصحاح ورد النص بمجرد التوهم وانكر
رواية احاديث جياذ وحسان مخرجة في السنن فكيف يستبعد منه مثل

هذا وقد نعى عليه ذلك الحافظ بن حجر والزرقاني وغيرهما فلا حجة بقول مثله في هذا النوع اصلا لانه من مداخل الالهواء وقد اتهمه الناس بالنصب وادعوا عليه دعاوى عريضة ووقائعه في ذلك معروفة وحمالاته على العلماء من اهل المذاهب وحملاهم عليه موجودة في ايدي الناس والى الله المصير ، ويدلك على بطلان دعوى الوضع اقتصار الحافظ ابن حجر على القول بضعفه وهو اعلم منه في هذا الباب واوثق وتبعه على ذلك السيوطي ولم يرم احد من رواة بوضع والحمد لله وقد انكروا على ابن تيمية في منهاجه امورا كثيرة كقوله يبطلان طريق الاشعري شرعا وعقلا وان المذاهب الاربعة قد تجتمع على باطل ويكون الحق فيما سواها واستحسانه تسميم الحسن السبط على جده وابويه وعليه الصلاة والسلام وحكمه بكفر الامام الغزالي وادعى عليه بعضهم سبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان هذا القائل قد بنى ذلك على ما صح من طرق ان سب علي كرم الله وجهه سب له صلى الله عليه وآله وسلم والافهو غير معقول منه البتة وكمدحه للخوارج وقوله بانهم اهل دين مراغمة للاحاديث المتواترة واعتذاره عنهم وميل كلامه الى رد حديث عمار تقتله الفئة الباغية مع تواتر لابل صار فرقانا بين اهل السنة والنواصب فالاولون يشبثونه والآخرين ينفونهم او يؤولونه وان يكون من الفئتين باغية ومبغية عليها وانكار ما ثبت من سعي وجولة الناس في الاصلاح بينهما قبل القتال وعدوا امورا

غير هذا لا محل لشرحها قال الحافظ ابن حجر في اللسان مانصه
« طالعت الرد المذكور (يعني منهاجه) فوجدته كما قال السبكي في الاستيفاء لكنه
كثير التحامل الى الغاية في رد الاحاديث التي يوردها ابن المطهر وان كان معظم
ذلك من الموضوعات والواهيات لكنه رد في رده كثيرا من الاحاديث الجياد التي
لم يستحضر حالة التصنيف مظانها لانه كان لاتساعه في الحفظ يتكل على ما في صدره
والانسان عرضة للنسيان وكما من مبالغة لتوهين كلام الرافضي ادته احيانا الى
تتقيص علي رضي الله عنه وهذه الترجمة لا تحتمل ايضاح ذلك ويراد امثله » اه
فتأمل كيف قال كثير التحامل الى الغاية في رد الاحاديث الخ مع
قوله ولكنه رد في رده كثيرا من الاحاديث الجياد الخ وقول الحافظ
انه لم يستحضر مظانها حالة التصنيف كلمة اعتذار يراد بها المجاملة فان اتساع
حفظه يلزم منه ان يستحضر لان لا يستحضر وكيف يشذ عنه دلائل مبحث
هو في غاية الاهتمام بتنقيحه اخذ اوردا مع اشتداد المجادلة بينه وبين خصمه
ومن طالع كتابه بانصاف رأى ان مؤلفه كان في حال تعصب هائج لا يرد
شيء واشد الناس قولافيه ابن حجر المكي والله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون وقد نقلنا في كتابنا هذا عنه وعن تلميذاه ابن القيم
لوع اناس ممن تنصبوا بكتبه بل عادوا بسببها خوارج او كالحوارج حتى
حكى لنا عنهم انهم لا يعدون امير المؤمنين عليا عليه السلام من الخلفاء
الراشدين وقد وقفت على رسالة لبعضهم يحتج فيها على كفره وكفر العباس
رضي الله عنهم ومقتضى هذا ان يكفر كل من احبها وتولاها لتوليه
الكفار وهذا هو مذهب الخوارج بعينه عصمنا الله من مضلات الفتن

واما قول التلميذ «والآية مكية نزلت بمكة» فقد تقدم القول فيه مبسوطا
وكم من آية نزلت بمكة وتحقق حكمها بالمدينة ومن ذلك ماورد عن عمر
رضي الله عنه في قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وهي مما نزل
بمكة قال عمر فقلت اي جمع هذا فلما كان يوم بدر وانهمزت قريش
نظرت الى رسول الله صل الله عليه وآله وسلم في آثارهم مصلتا بالسيف
يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وقد عقد السيوطي في الاتقان فصلا
فيما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه فليكن حديث
الباب منه وبالحجة فدعوى الوضع باطلة وقوله «ولكن الرافضة يتلقون
بجبال العنكبوت» كلام خشن فان الحديث قد حكاه اكثر المفسرين
افيكون جميعهم رافضة؟ افكل من روي شيئا من فضائل اهل البيت
عادرا فضيا؟ نعوذ بالله من فلتات اللسان واتباع الشيطان ، ومن العجب
ان التلميذ يشتكى من خصومه لشيخه باللقاب المنفرة وهو قد زاد عليهم
واربي وان اربي الربا استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم كما في
الحديث وهذا منه عدوان وجهل بالفرق الاسلامية وقد عاب على السيد
اقتصاره على بعض ما ذكره النيسابوري في تفسير الآية وهو ما تعلق
باهل البيت وعده كتانا للعلم وليس كذلك وما اكثر اقتصار العلماء في
النقل على ما يتعلق بالمطلوب ولو كان ذلك كتانا لكان جلهم من الكاتمين
(حاشاهم) ثم اورد بقية كلام النيسابوري وشيئا من كلام ابن جرير
وقال «فقد علمت بطلان القول الذي اعتمده دحلان من ان مدلول الآية

هو ان اجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبليغ رسالة ربه مودة الناس لاقاربه من وجوه» جوابه ان السيد لم يقل بان ذلك اجر قط وهذا تقول وبهت واختلاق (فان قيل) لعل التلميذ ظن ان القول بان ذلك اجر لازم من لوازم القول بان المراد بالقربي اهلها (قلنا) ان الظن الكذب الحديث وقد دل هذا الظن الفاسد على انه لم يفهم كلام العلماء في هذا الموضوع واذا قيل بان الاستثناء متصل وان المودة اجر حقيقي فلا فرق بين ان تحمل القربي على قربا لا صلى الله عليه وآله وسلم او اهلها وكل ما يجاب به عن ذلك على القول الاول يجاب به على الثاني بل لم يقل احد من محققي المفسرين بان الاستثناء متصل اتصالا حقيقيا واعتمدوا انه منقطع على الاقوال كلها كما قاله ابن عطية والبغوي وابو حيان والرازي والسمهودي وغيرهم وانما جوز الزمخشري ان يكون متصلا من جهة الصناعة مع نفي ان يكون اجرا حقيقة كما تقدم قال التلميذ «الاول كذب الحديث الذي استند عليه» وجوابه ان هذا القول لم يستند على الحديث فقط بل على ما يصح حمل الفاظ الآية عليه وقد علمت ذلك مما سبق على ان الحديث ليس بكذب قال «الثاني عدم موافقته للغة العربية كما يفهم من كلام ابن جرير» وجوابه كلا بل هو موافق للغة العربية كما جاء في الحديث وقرره الزمخشري وابو حيان والحافظ ابن حجر وغيرهم قال «الثالث انه مخالف لسنة جميع الرسل في كون كل واحد منهم كان يقول وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على الله بل هذا مخالف لما جاء في حق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من قوله قل ما اسئلكم من اجر وما انا من المتكلمين ومن قوله تعالى ام تسئلهم

اجرافهم من مغرم مثقلون ومن قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا
ذكرى للعالمين « اه نقول اما هذا فلا غبار عليه وربما غلط المخطى بصواب،
وهو دليل على ان الاستثناء منقطع ولا نزاع في ذلك وليس فيه دليل
يدفع ان يكون المراد بالقربي اهلها وقوله انه مخالف لسنة جميع الرسل في
كون كل واحد منهم كان يقول الخ من اين علم ان كل واحد منهم كان
يقول ذلك؟! لا وجه لذلك الا ان يكون مدعيا لعلم الغيب أو مكذبا
باكثر المرسلين الذين ذكرهم الله في القرآن والعلم بوجود ذلك لهم لادلالة
فيه على ما ادعى قال « الرابع ان جعل مودة اقاربه اجرا له في تبليغ الرسالة
غير جائز ولا لائق اذ تبليغ الرسالة من الامور الواجبة واخذ الاجر على الواجب
الشرعي غير لائق بالمروءة » اه ثم ساق نحو ما تقدم نقله عن الرازي من
الاشكال والجواب عنه (وجوابه) ان هذا كله رد على القائلين بان الاستثناء
متصل وان المودة اجر ولا رد فيه للقول بان المراد بالقربي اهلها وبالجملة
فكلام التلميذ يدور حول ابطال القول بان الاستثناء في الآية متصل
ولم يقل به احد ممن يؤخذ بقوله (فان قيل) الم يقل الشاعر
رأيت ولائى آل طه فريضة * على رغم اهل البعد يورثني القربا
فما سأل المختار اجرا على الهدى * بتبليغه الا المودة في القربي
(قلنا) ينبغي ان يحمل كلامه على المجاز كما قال الزمخشري في تأويل
القول بان الاستثناء متصل ولو فرضنا ان الشاعر قد ظن ان المودة
اجر حقيقة ما كان ظنه حجة على ائمة المفسرين ولا على السيد فما قالوا
ولا قال هكذا وبما ذكرنا لا تعلم ان التلميذ يبنى قصورا من الاوهام

ثم يعود الى هدمها فهو انما يرد على وهمه ، ومبلغ علمه ، فهو في واد ،
والعلماء في واد ، اريها السها وتريني القمر

﴿ اخباره صلى الله عليه وآله وسلم بان الايمان لا يدخل

قلب رجل حتى يحبهم الله ولقرابتهم منه ﴾

اخرج الترمذي عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب
ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى وآله
عليه وسلم مفضبا وانا عنده فقال ما اغضبك قال يا رسول الله مالنا ولقريش
اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مستبشرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك قال
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال والذي
نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الله ولرسوله ثم قال يا ايها
الناس من آذى عمى فقد آذاني فانما عم الرجل صنوايه قال هذا حديث
حسن صحيح قال السيد السمهودي « واخرجه احمد والحاكم في صحيحه واستشهد
لصحته بما اخرجه وكذا ابن ماجه من طريق محمد بن كعب القرظي عن العباس
رضي الله عنه قال كنا نلقى النفر من قريش وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم
فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما بال اقوام يتحدثون
فاذا رأوا الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان
حتى يحبهم الله ولقرابتهم مني وساقه الحاكم ايضا من طريق يزيد بن زياد عن عبد
الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب قلت يا رسول ان قريشا اذا لقي بعضهم
بعضا لقوهم ببشر حسن واذا لقونا لقونا بوجوه لانعرفها فغضب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم غضبا شديدا وقال والذي نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى
يحبكم الله ولرسوله قال الحاكم ويزيد وان لم يخرج جاء فانه احد اركان الحديث في الكوفيين » اه

قلت اقرا الذهبي على ذلك واحتج بهذا الحديث ابن تيمية أيضا فانه ساقه في الاقتضاء عن الترمذي ثم قال « ورواه احمد في المسند مثل هذا من حديث اسماعيل بن ابي خالد عن يزيد هذا ورواه ايضا من حديث جرير عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله انالخرج فنرى قريشا يتحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرق بين عينيه ثم قال والله لا يدخل قلب امرئ ايمان حتى يحكم الله ولقرا بني فقد كان عند يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحارث هذان الحديثان احدهما في فضل القبيل الذي منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) والثاني في محبتهم وكلاهما رواه عنه اسماعيل بن ابي خالد وما فيه من كون عبد الله بن الحارث يروي الاول تارة عن المطلب بن ابي وداعة والثاني عن عبد المطلب بن ربيعة وهو ابن الحارث بن عبد المطلب وهو من الصحابة قد يظن ان هذا اضطراب في الاسماء من جهة يزيد وليس هذا موضع الكلام فيه فان الحجة قائمة بالحديث على كل تقدير لاسيما وله شواهد تؤيد معناه « اه اقول ان الحديث الذي رواه عبد الله تارة عن العباس وتارة عن المطلب بن ابي وداعة هو حديث ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم الحديث لاحديث الباب اماراويه فقد قال فيه بعضهم عن المطلب بن ربيعة وبعضهم سماه عبد المطلب بن ربيعة وقد اراد بعضهم ان يعلل الحديث بذلك جهلا منه بحقيقة الامر وبيات ذلك أن الحارث بن عبد المطلب هو عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابنه ربيعة بن الحارث ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم وهو صحابي وابنه المطلب بن الحارث ويقال عبد المطلب بن الحارث هو راوي هذا الحديث وهو صحابي

(١) سيأتي هذا الحديث في باب حديث الاصطفاة اه مؤلف

أيضا قال الحافظ ابن حجر «واما اهل الحديث فمنهم من يقول المطلب ومنهم من يقول عبد المطلب» اه فهذا اختلاف في التسمية لافي المسمى وبالجملة فالاختلاف في اسم الصحابي غير قادح فالحجة بالحديث قائمة وقد ذكر الحافظ هذا الحديث في ترجمته في الاصابة من رواية الترمذي والبعوي والطبراني قال «وحكى الطبراني والبعوي الوجهين وصوب الطبراني المطلب» اه واخرجه طراد في فضائل الصحابة عن مسلم بن صبيح وهو من رجال الصحيحين قال قال العباس رضى الله عنه فساق الحديث بنحو ما تقدم وزاد أترجو مراد شفاعتي ولايرجوها بنو عبد المطلب ويشبه ان يكون مسلم قد رواه عن ابن عباس ويشهد لذلك حديث الطبراني عن ابي الضحى وابو الضحى هو مسلم بن صبيح المذكور عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء العباس رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغوا الخير او قال الايمان حتى يحبوكم لله ولقرابتي اترجو سلب (هم حي من مراد) شفاعتي ولايرجوها بنو عبد المطلب اخرجه الطبراني في الكبير واخرجه طراد ايضا من حديث عبد الله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة ولفظه جاء العباس وكذا ذكره محمد بن نصر المروزي بلفظ الترمذي واخرجه الطبراني في الكبير والرويانى وابن عساكر عن محمد بن كعب القرظي قال قال العباس كانت قريش اذا جلسوا فتحدثوا بينهم بالحديث فجاء رجل

من اهل البيت قطعوا حديثهم فاتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا بلغه شىء فوعظهم اتعظوا فخطبهم ثم قال ما بال اقوام يتحدثون بينهم الحديث فاذا رأوا رجلا من اهل البيت قطعوا حديثهم والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم الله ولقرابتهم مني ومحمد بن كعب هذا ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة وحديث ابي الضحى اخرجه الخطيب وابن عساكر عن مسروق عن عائشة قال الخطيب غريب والمحمفوظ عن ابي الضحى عن ابن عباس وقال ابو داود رواه جماعة عن ابي الضحى مرسلا وحديث المطلب اخرجه النسائي ايضا واخرجه الطبراني في الاوسط والصغير والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن جعفر بلفظ والذي بنفسى بيده لا يؤمن احدهم حتى يحبكم لحي ايرجون ان يدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرحوها بنو عبد المطلب وتعبه الذهبي فضعه من هذه الطريق خاصة واخرجه ابو داود الطيالسي وسعيد بن منصور في سننه عنه بهذا اللفظ الا انه قال ولا يدخلها بنو عبد المطلب واخرجه ابن عساكر عن ابن عباس بنحو حديث ابي الضحى واخرجه ابن عدي وابن عساكر عن علي كرم الله وجهه واخرجه ابن عساكر وابن النجار والرويانى من حديث العباس رضي الله عنه وانما اشرنا الى هذه الروايات كلها لئنه عليها حتى لا ينخدع الطالب بفعل المريين وصنيعهم في امثال هذا المواضع كما فعل التلميذ في جحد

حديث الثقلين وحديث آية التطهير فانه ذهب يجمع طرق الحديثين ورواياتها المختلفة ليعلل ويضعف الصحيح منها بالضعيف وهذا جهل بالعلم وغش للناس ولا يحصى ما في البخارى ومسلم من الاحاديث الصحيحة التي رواها غيرهما من طرق اخرى ضعيفة فما زادت بها الاقوة ولوصح ما يفعله هؤلاء لكان الضعيف من الاحاديث ما تعددت طرقه والصحيح منها ما قلت طرقه ولا يتوهم مثل هذا من عند لاشمة من العلم ❀ وقد دل هذا الحديث على عظم حقه صلى الله عليه وآله وسلم وحق ذوي قرباه وفي ذلك فضل عظيم لهم وناهيك بفضل قوم لا يدخل الايمان قلب رجل حتى يحبهم ومما يلحق بهذا الباب ما اخرج الحاكم في المستدرک وصححه وتبعه على ذلك الذهبي بطريقين الى هشام بن يوسف بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احبوا الله لما يفتدوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح وصححه الحافظ السخاوي وابن حجر المكي والعريزي وغيرهم ورواه الترمذي عن ابي داود وحسنه والبيهقي في شعب الايمان وقد ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية وقال ابن حجران ذلك وهم منه واقول كلا فان ابن الجوزي قد روي بالنصب ولا يؤخذ بقوله في امثال هذا وقد وقعت بينه وبين شيعة بغداد حوادث عظيمة وجرت بينه وبين الركن بن عبد السلام الجيلي امور طويلة وكان قد اشار بحرق كتبه

وطعن في نسبه ونظم خصومه فيه اشعارا رموه فيها بالنصب
ليصح لهم الطعن في نسبه ثم دار الفلك فنالت ابن الجوزي محنة بعد
ذلك وبالجملة فقد كان الحال بينهما متباعدًا وقد عمد ابن الجوزي الى بعض
الاحاديث الواردة في اهل البيت فركمها في كتابيه الموضوعات والعلل
المتناهية ليفيظ بذلك الشيعة ومن نظر في هذين الكتابين له وقابل
صنيعه فيها بصنيعه في كتابه التحقيق في احاديث التعليق عند ما يدافع
عن مذهبه ونحو ذلك من مؤلفاته تحقق ما اشرنا اليه ولو فعل كما فعل
حفاظ السنة وائمة الامة ووضع كل شىء موضعه لكان خيراله وما كان
له ان يترك الصحيح من الاحاديث او يوهنها اغاظة لاحد ولا رعاية لهوى
وسياتي كلام العلماء في ابن الجوزي وانه لا يحسن نقد الحديث في الكلام
على حديث الاصطفاء والله الموفق والمعين

تم الجزء الاول من كتاب القول الفصل بعون الله تعالى

ويليه الجزء الثاني اعاننا الله على اتمامه

ونفع به المسلمين فانه هو الموفق

والمعين

امين

﴿ فهرست الجزء الأول من كتاب القول الفصل ﴾

صفحة	
٢	ديباجة الكتاب
٨	الكلام على حديث يحمل هذا العلم الخ
٠	تحريف الغالين
١٠	« الهزء والسخرية
١١	بعض كلام من همز ولمز في آية التطهير
١٥	تبديله اسماء رجال الاحاديث
١٦	انتحال المبطلين
١٧	بعض الدجالين
١٨	نموذج مماورد فيهم
١٩	امر النبي بالبعد عنهم خوف العدوى
٢١	دعاة الدجالين واذنابهم
٢٢	ائمة الهدى وائمة الضلال
٢٣	معادن ومغارس هولاء وهولاء
٢٤	دعاة جهنم
٢٥	دعاة التجدد من التفرنجية
٢٧	مداخل الشيطان ومسالك دعاة الضلال
٣١	الاباضية

	صحيفة
نموذج من ضلال البائية والشعوية	٣٤
تأويل الجاهلين	٣٦
سبب تأليف هذا الكتاب واسمه	٣٧
اقسام ما اشتمل عليه كتاب السوداني المردود عليه	٤١
امهات المسائل المردودة وهي ٣٨	٤٤
ذكر اصراره على الباطل وسبه لاهل الحق	٥٩
» اسم الكتاب ومغزاه	٦١
» من صنف لهم الكتاب	٦٢
» الخوارج والنواصب	٦٣
» مخرجي احاديث مروق الخوارج	٦٧
» النواصب	٦٨
» نفاق النواصب	٦٩
» الشعوية وتبرئى الائمة منهم	٧١
» رد زعم الشعوية استواء البشر في اصل الحلقة	٧٣
» » » بعض المتكلمين ما ذكر وبنائه له على اصل فاسد	٧٤
» بعض ائمة المسلمين القائلين بالتفاضل	٧٦
» اتفاق اهل السنة على التفاضل	٧٨
» ائمة الشعوية ومثالبهم ورقة دياتهم	٧٩

صحيفة	
٨١	ذكر تنكيت لطيف وتبكيت ظريف
٨٢	” ” ” ” ” مفيد
٨٥	” فضل العرب وبيان فساد مزاعم الافرنج
٨٦	” مقاصد الافرنج من دعاويهم الفاسدة
٨٧	” رواج الشبه على المتعلمين في مدارس الافرنج
.	” الحبش
٨٨	” الامحورية منهم
٨٩	” ” ” والاقرب انهم عرب
٩٠	” اتفاق الصحابة ومن بعدهم على افضلية العرب
.	” الكفاءة في النكاح وص ١١٤
٩٤	” الاجماع على تبديع الشعوبية
٩٥	” خلاصة مذهب اهل السنة في فضل العرب وتفضيل بني هاشم
٩٦	” حديث الاصطفاء
٩٧	” من الف في فضل العرب ورد على منكريه
٩٨	” الرد على صاحب الصورة
٩٩	” شيء مما جاء في الصلاة على آل
١٠٠	” جهل الشعوبية كاخوانهم الخوارج معنى المساواة وص ١١٨
١٠١	” ما كان عليه العرب مجاوا قبل فتنة السوداني

صحيفة

- ١٠١ ذكر ما كان عليه العرب اهل حضرموت بها
٠ ,, صفة الكتاب المردود عليه
- ١٠٣ ,, شيء من ذم من قال على الله بغير علم
- ١٠٤ ,, جهل السوداني ما هو المعلوم من الدين بالضرورة
- ١٠٦ ,, عادة اهل الاهواء وصنيعهم
- ١٠٧ ,, نموذج من الامتيازات بحق في الاسلام
- ١٠٩ ,, اغلاط فاحشة
- ١١١ ,, الاول والثاني
- ١١٢ ,, الثالث
- ١١٣ ,, ال ٤ و ٥
- ١١٤ ,, ال ٦ و ٧ و ٨
- ١١٥ ,, الخطأ ال ٩ و ١٠
- ١١٦ ,, ,, " ١١ و ١٢ و ١٣
- ١١٧ ,, ,, " ١٤
- ٠ ,, تعريض السوداني بدم أمة المسلمين
- ١١٨ ,, الخطأ ال ١٥
- ١٢٠ ,, الحديث في ان الخوارج شر الخلق والخليقة .
- ١٢١ ,, ظن الخوارج ان العدل في التسوية وغلطهم

	صحيفة
ذكر الخطأ ال ١٦ و ١٧ و ١٨	١٢١
١٩ " " " وتفاضل المخلوقات وتفاوت الاستعداد	١٢٢
٢٠ " " " "	١٢٤
تفاوت الشعوب والقبائل	١٢٥
الخطأ ال ٢١ وتأثير الوارثة والتربية	١٢٦
٢٢ " " " "	١٢٧
تفاوت الاصناف	١٢٨
الخطأ ال ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧	١٢٩
٢٨ و ٢٩ " " "	١٣١
ما يمكن علاجه بالتربية وما لا يمكن	١٣٢
الخطأ ال ٣٠	١٣٣
حديث من ابطابه عمله الخ واجمع بين الاحاديث	٠
الكلام على حديث لافضل لعربي الخ وص ١٣٦ وص ٥٠	١٣٥
الخطأ ال ٣١ ولوازم فضل النسب	١٣٩
٣٢ " " " "	١٤١
٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩	١٤٢
٤٠ " " " "	١٤٥
٤١ و ٤٢ " " " "	١٤٦

	صحيحة
ذكر الخطأ ال ٤٣ وفيه ذكر اوثق شبه الشعوبية عندهم ورددها	١٤٧
» » » (من عشرة اوجه من صحيحة ١٤٧ الى ١٥٣	٠
» » » ٤٤	١٥٤
» » » ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و بيان كذبه فيما جعله للعقل	١٥٥
» » » تضليله وخطبه	١٥٦
» » » الخطأ ال ٤٨ و ٤٩	١٥٨
» » » ٥٠ وتخرج حديث لا فضل لعربي الخ	١٥٩
» » » ٥١ و ٥٢	١٦٢
» » » عادة اهل الضلال وتهويلهم بالباطل	٠
» » » السياسة ممدوحها ومذمومها	١٦٣
» » » التحذير من اهل الاهواء	١٦٤
» » » بيان فساد قول السوداني في انتشار الاسلام	١٦٦
» » » تفريهم بذكرهم ذلك كذبا	١٦٧
» » » استخدام دعاة الاديان تلك الاشاعات في صالحهم	١٦٩
» » » الخطأ ال ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩	٠
» » » مخالفة السوداني لاهل السنة ومواقفة اضدادهم	١٧٠
» » » بيان كذبه على العقل	١٧١
» » » كذبه فيما نسبه الى العقل . الماع الى الوراثة	١٧٢

صحيفة

- ١٧٣ ذكر خطب السودانى وتعكيسه
- ١٧٤ .. الخطأ ال ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧
- ٠ الكلام على فضل النسب ونقصه
- ١٧٦ ذكر كلام الشافعى فى الكفاءة
- ١٧٨ الحنفية
- ١٧٩ الحنابلة والمالكية
- ١٨٠ .. لحوق العار بمصاهرة الاذنياء
- ١٨١ .. كذبه وافتراءه على الشارع
- ٠ .. السؤالات البنجرية وخطبه فيها
- ١٨٣ .. السؤال الاول وخطبه وتخطبه فى جوابه
- ١٨٤ الثاني
- ١٨٦ الثالث
- ١٩٠ الكلام على قوله تعالى انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية
- ٢٠١ ذكر الرد على التلميذ . معنى الفضل
- ٢٠٣ .. اسباب الفضل . ومنها الوراثة
- ٢٠٧ .. كلام ابن حزم فى التفاضل
- ٢٠٨ .. تبيجه وثمراته

صحيفة	
٢٠٩	ذكر ايرادات واستنتاج
٢١٠	» اسئلة واغراض
٢١١	بيان خبط ابن حزم والرد عليه
٢١٢	رد على ابن حزم
٢٢١	ذكر كلام ابن القيم في الاصطفاء والتفضيل
٢٢٢	تعديد بعض ما اختار الله وفضله
٢٢٣	الاتكار على من ادعى تساوي الذوات والرد عليه
٢٢٦	بيان ما يؤخذ من كلام ابن القيم
٢٢٨	ذكر اسباب الفضل وشيء مما جاء في القرآن
٢٤٢	» فصل في » » » في السنة
٣٤٤	» التفضيل بالاضافة اليه سبحانه
٢٥٧	مقالة الجاحظ في فضل قريش وبني هاشم
٢٥٨	ذكر اصناف البشر وتفاوت ذواتهم
٢٦٠	» » الخيل وتفاوتها
٢٦١	» » النخل
٢٦٣	عود الى البشر وبيان شدة تفاوتهم
٢٦٩	ذكر ابدال البشر خلقه وجبلة
٢٨٧	» دليل فضل النسب

صحيفة

- ٢٨٤ ذكر بعض خصائص النسب
- ٢٨٩ " دليل . ثم ذكر كلام ابن خلدون وردة
- ٢٩٠ " حكم الله على الخلف حكمه على من تولوا من اسلافهم
- ٣١٤ " الكلام على قوله تعالى : وكان ابوها صالحا :
- ٣١٦ " خبط التلميذ وبيانه
- ٣٣٧ " الكلام على قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم : الآية
- ٣٤٢ " الرواية عن عباس
- ٣٤٣ " غلط التلميذ في اسماء الرجال وفي الجرح وتخبطه الفاضح
- ٣٤٦ " كذبه وتضليله ودعاويه الباطلة
- ٣٤٨ " كذبه على ابن جرير وعدم فهمه
- ٣٥٠ " تفصيل كذب التلميذ وخبطه وتخليطه
- ٣٥٢ " الارزاء وتبيينه وايضاح الكلام فيه بما لم يسبق له مثيل
- ٣٦١ عود الى روايات سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
- درجاتها من الصحة
- ٣٦٢ شواهدا
- ٣٦٦ رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما
- ٣٦٧ رواية العوفي عنه وروايتي الضحاك وابن زيد
- ٣٦٨ الكلام على اسانيدها

حكيمة

- ٣٧١ ماروى عن ابن جبير وعامر الشعبي
٣٧٢ رد جرح التلميذ وشيخه للعدول عدوانا
٣٧٣ ذكر اربع روايات اخرى
٣٧٤ الكلام على اسانيدھا
٣٧٨ تقول السوداني وتلميذھا
٣٧٩ الرواية عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم
• الرويات المرفوعة في تفسير الآيه
٣٨١ روايات الطحاوي
٣٨٣ رواية الحاكم ثم عبد الغني ثم كلام ابن القيم
٣٨٥ كلامنا على كلام ابن القيم
٣٨٩ القراءات والاعراب واللغة في هذه الآيه
٣٩٤ الكلام على الاعتراض والاحتراس فيها
٣٩٦ كلام ابن القيم في الاحتراس فيها
٣٩٧ كلام ابن تيمية
٣٩٩ تعداد غلطات التلميذ وشيخه في تفسير الآيه وهي ١٠٩ غلطات
٤١٣ تحريفات السوداني
٤١٦ تناقضه
٤٢٠ كلام ابن القيم وهو يفيد رد كلام السوداني وخطئه

صحيفة

- ٤٢٣ خروج عن مذهب اهل السنة والجماعة
٤٢٤ مخالفته لجميع الامة
• مخالفته لاهل السنة
٤٢٥ موافقته للمعتزلة
٤٢٧ مخالفته للامة
٤٣٠ زعم باطل
٤٣١ تناقض كلامه وص ٤٣٢
٤٣٣ تقوله وص ٤٣٤
٤٣٦ مرجحات تفسير ابن عباس (ض) على غيره وهي ٢٣ مرجحا
٤٤٠ ذكر بعض المؤلفات في فضل اهل البيت الطاهر
٤٤٥ ” ” ” ” ” مولانا علي عليه السلام
٤٤٧ ذكر ايجاب دخول النار لمبغض اهل بيت المصطفى (ص)
٤٥٠ بغض بني هاشم والانصار كفر وبغض العرب نفاق
٤٥٥ معنى كفر مبغض بني هاشم والانصار وانه كفر دون كفر
٤٥٦ حاسد الآل حاسد له صلى الله عليه وسلم
٤٦٠ ايجاب اللعنة على من استحل حرمة العترة
٤٦٣ الكلام على حديث الباب وسننله وطرقه
٤٦٨ الكلام على قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى

- يب -

صحيفة

٤٩٠ مناقشة التلميذ على اغلاطه في تفسيرها

٤٩٥ تقول التلميذ

٤٩٧ اخباره (ص) بان الايمان لا يدخل قلب رجل حتى يحبهم

لله ولقرابتهم منه

﴿ تمت ﴾

ص ١٥٣ س خطأ صوابه
٩ كل واحدة المتغلب

صحيفة	سطر	خطاً	صوابه
٣	١٣	لا يفرقان	لا يفرقان
٤	٣	ان انهمك	وانهمك
٧	٨ و ٧	ولا يزال يقع الى اليوم	ولم يزل
.	١٤	احدى	احد
١٢	١٢	فلئن لا	لا
..	١٣	اولى	بالاولى
١٣	٠٥	خبثهم لم	خبثهم اولم
..	٠٨	الا بمثل	بمثل
١٥	١٣	ابي العباس	ابا العباس
١٩	٠١	رجل	رجلا
٢٣	٠٣	وما	ومن
٢٦	٠٨	الدعوة	الدعوة
٢٧	١٥	لا يقبلون	لا يقبلوا
٢٨	٠٢	فهمم	فهمهم
٢٩	٠٧	وهم ولا	وهم لا
٣١	٠٥	وساع	وسبعة
٣٥	٠٣	ولا ينكروته	ولا ينكروه
٣٦	٠٩	وان كان لا يخلو الخ	مجاه بعد قوله وقد طال الكلام قبله بسطرين
٣٧	١٧	وقد	وقد
٥٨	١٦	الائمة	الائمة
٥٩	٠٨	الذي	الذين
٦٠	٠٩	افني	افني
٦٣	٠٩	بتصرفون	يتصرفون
٦٨	٦	وحجد	وحجد
٧٥	٤	الامم	الامام
٧٩	٣	خرجوا	خرجا
..	٦	المفردة	الفردة
٨٣	٤	الزنادقة	الزنادقة
٨٤	١٠	النديم	ابن النديم

صوابه	خطأ	سطر	حيفة
الوزراء	الوزاء	٩	٩١
ولم تثبت	ولم ترد	١١	٩٩
على ان	مع ان	٠١	١٠١
يعطاء	بعطاها	٠٥	١٠٨
احكام	احكاما	٠٦	٠٠٠
تضليل ودم	تضليل آخر	٠٩	١٠٩
فان	وان	٠٨	١١٠
هذه	هذ	٢٢	٠
جماعة اهل	جماعة من اهل	١٨	١١٦
فلجعل	فلما جعل	١٢	١١٩
والنخل	والعنب	١٦	١٢٨
نباته	بناته	١٧	١٣٠
والجبين	والجبين	٠٢	١٣٢
كالتطبع	كالطبع	٠٤	٠
والجدوى	والجدو	١٣	١٣٦
خير	خيرا	١٤	١٤٢
بالقلب والقلب	بالقلب	٠٤	١٤٤
على	علي	١٢	١٤٦
المهاجرين	المهاجرون	١١	١٥١
الثامن	الخامس	٠١	١٥٣
التاسع	السادس	٠٤	٠
العاشر	السابع	١٠	٠
جرثومة	جرموته	٠٦	١٦٥
اليه	اليها	٠١	١٦٨
الرابع	الثالث	٠٢	٠
الخامس	الرابع	٠٨	٠
السادس	الخامس	١٨	٠
...	فقط	١١	١٧٣
اقرب	اقب	٠٤	١٨١

صوابه	خطأ	سطر	صحيفة
دون	قبل	١١	١٨١
جل	جعل	٠١	١٩١
يجوز	يجوز	١٥	.
لمن	لهن	٢٤	.
والذي	والذين	٠١	٢٠٧
الالزام	الالزم	١٤	٢١٠
رفعة	رفعت	١٧	٢١٢
افضلية	افضية	١٨	٢١٣
الدرجة التي	الدرجة	١٧	٢١٥
امر عام	عام	٢٣	٢٢٥
اعظم	امرا عظم	٢٥	.
الرد	ال د	٠٣	٢٢٦
التأهل	الاستعداد	١٨	٢٢٩
سخر يا	سخر يا	١٥	٢٣٤
...	اليه	١٣	٢٣٧
حيا وميتا	حيا	٠٩	٢٤٥
كثيرة	كثير	٠٦	٢٤٧
وبا لجملة	وبا لمجلة	١٨	٢٥١
لطن	لطن	١٧	٢٥٥
غرس	عرس	٠٤	٢٦٣
امة	دولة	١٤	٢٦٦
صنعة	صنعة	١٨	٢٦٨
ولقومك	وقومك	٠٣	٢٨١
ما تقرر	تقرر	٠٢	٢٩١
ورام	وارام	١٩	٢٩٥
ما ذكرناه	ذكرناه	٠٢	٢٩٨
يقطع	قد قطع	٠٨	٣٠٢
للمؤمنين مثلين	للمؤمنين	٠٤	٣٠٩
ظلال	ظلال	١١	٣١٢

صوابه	خطأ	سطر	صفحة
لغلامين	لغلامه	٠٨	٣٢٢
فصلاحه	فصلاحهما	٠٥	»٢٣
عن امري	ان امري	٠٧	»٣١
على ان	ان	١٦	.
ابوي	ابوا	٠٨	٣٣٢
باطل	كان باطلا	٠٩	»٣٤
وفقهه	فقهه	٠٨	»٣٩
اقرب	اقرب	١١	»٤٩
من تكلم	تكلم	٠٦	»٥٤
مغير بن مقسم	مغيرة بن مرة	١٠	.
القادح	القاح	٠٤	.
الحسن	الحسين	١١	٣٥٦
كانوا	كان	٠٨	»٥٩
ماجه	ماحه	١٣	»٦٢
واي	وابو	٠٨	»٦٣
للانسان	الانسان	٠٦	»٦٤
مالا يحصى	مالا يحصي	١٤	»٦٥
قوله	قول	١٣	»٦٦
والثالثة	والثالث	١١	»٦٧
عنهم	عنه	.	»٦٩
السيوطي	السيوطي	١٦	.
والذين	والذن	٠٦	٣٧٠
الرواية	الراوية	١٣	»٧٢
مواتاة	مواتات	٠٩	»٧٥
الحاقا	الحاق	٠٣	»٧٦
يستحقوه	يستحق	.	.
اختصارا او	اختصار او	١٧	.
منها ما يصرح	تصرح	١٩	»٧٧
فيقول يارب	فيقال يارب	٠١	»٨٠

صوابه	خطأ	سطر	صفحة
الحقائهم	الحقناهم	١٩	٣٨٩
القرآت	القرآت	١٦	.
مئزري	مزري	١٠	٣٩٠
المفسرون	المفسروه	٧٠	٣٩١
الادراك	الادارك	٣٠	.
ولا يتخيل احد ان قوا	ولا يتخيل	١٩	.
والذين آمنوا معطوف على مجور			
عين الا هذا الرجل وهو تحيل			
ملحق	لاحق	١٤	٣٩٥
وللاعتراض	وللاعتراضات	١٥	.
وآله	آله	٠٦	٣٩٨
قاصمة	قاصمه	٠٨	٣٠٧
	باقيا	٢٠	٤٠٨
	ابنائهم	.	.
	هذه	١٤	٤١٣
	بمخرج	٠٩	٤١٦
	وهذه	٢٠	٤١٧
	من هذا	٠٥	٤٢١
الوعد	الوعيد	٠٦	٤٢٧
الى ال ٩٦	الى ال ٨٦	١٣	.
الحز عيالات	الحز عبلات	١٩	٤٢٩
فيه	فيها	١٢	٤٣٧
قول	قوله	٠٩	٤٣٩
والعشرون	وعشرون	٠٢	٤٤٠
وقاء	فداء	١٦	٤٤١
وغيره	ولحوه	٠٥	٤٤٤
جوداء	جودا	١٠	٤٤٨
نبي الله	النبي الله	١٥	

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
لأن	لأن	. ٥	٤٤٩
والصلة .	وصلة	. ٥	٤٧١
وآله	وال	١٥	٤٧٦
مقسما	مقسم	١١	٤٨٠
فيهم قل لا	فيهم لا	١٢	٤٨٣
النحاس	النحاس	. ٩	٤٨٨

